

نَفْسِ النَّوَسِ

مِنْ سُورَةِ الْجُمُعَةِ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ

تَأْلِيْفُ
السَّيِّحِ مُحَمَّدِ بْنِ قِرَاءَتٍ

الْمَجْلَدُ الْعَاشِرُ

دَارُ الْمَوْخِ الْعَرَبِيِّ
بِكُوَيْت



مكتبة هُؤْمَن قَرِيش

لو وضع إيمان أبيض طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لروح إيمانه
(الإمام الصادق (ع))

moamenquraish.blogspot.com

نَفْسِ النَّوَى

نَفْسِ النَّوَى

مِنْ سُورَةِ الْجُمُعَةِ إِلَى سُورَةِ النَّاسِ

تَأْلِيفُ
الشيخِ مُحَمَّدِ بْنِ قِرَاءَتٍ

مُطَبَّعَةُ الدَّرَجَةِ
مُحَمَّدُ حَسَنُ زُرَّاقِطٌ

تَرْجُمَةُ
فَاطِمَةُ أَبُو نَزِيدٍ

المجلد العاشر

دار المشرق العربي
بيروت - لبنان

حُقوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م



طبع هذا الكتاب بالتعاون مع
المركز الثقافي للدروس القرآنية

دار المورخ العربي



بيروت - حارة حريك - قرب جامع المحسنين - فوق صيدلية دياب - ط ٢

تلفاكس: ٥٤١٤٣١ - ٠١ - هاتف: ٥٤٤٨٠٥ - ٠١ - ص ب: ١٢٤ / ٢٤

البريد الإلكتروني: al_mouarekh@hotmail.com

www.al-mouarekh.com

سورة الجمعة



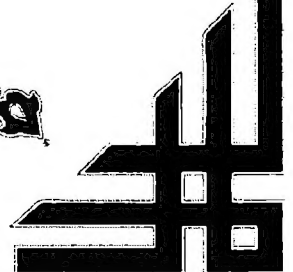
سُورَةُ الْجُمُعَةِ

السورة: ٦٢ الجزء: ٢٨

عدد آياتها: ١١



سورة الجمعة



ملاح سورة الجمعة

سورة الجمعة مدنية، عدد آياتها إحدى عشرة آية. من الأهداف الأساس لهذه السورة ترغيب المسلمين وحثهم على المشاركة في صلاة الجمعة والحضور فيها.

ابتدأت هذه السورة بتسبيح الله تعالى وتبيين بعثة نبي الإسلام، ثم شرعت تطلب من المسلمين ألا يكونوا كاليهود الذين حُمِلوا التوراة؛ ولكنهم لم يحملوها كما ينبغي حملها ولم يعملوا بها. وتطلب هذه السورة من المسلمين ترك أعمالهم التجارية عند سماعهم نداء الصلاة من يوم الجمعة، وأن يسارعوا إلى ذكر الله، وإذا لم يفعلوا فهم مستحقون للعقاب والتقريع.

وقد ورد الحث على قراءة سورة الجمعة، ليلة الجمعة وفي الركعة الأولى من صلاة الجمعة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ ﴿١﴾

إشارات:

□ تبتدئ السورة السابقة بقوله تعالى: ﴿سَبَّحْ﴾، وتبتدئ هذه السورة بالفعل نفسه ولكن بصيغة المضارع: ﴿يُسَبِّحُ﴾. ولربما دلّ هذا على أنّ تسبيح الله تعالى، وُجد في ما مضى، وهو الآن موجود، وسيبقى.

□ يُحتمل أن تكون الصفات الأربع في هذه الآية (الملك، القدوس، العزيز، الحكيم) مقدمة للآية التالية؛ إذ يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ...﴾ ليبين أنّ إرساله الرسل ليس ناشئاً عن حاجته للعبادة، بل لأنه الحاكم المنزه والمقتدر، وقد بعث الأنبياء على أساس حكمته ليخرج الناس من الظلمات إلى النور عن طريق تزكيّتهم وتعليمهم الدين والحكمة.

□ تسبيح الله تعالى هو أساس كلّ العقائد والأفكار الإسلامية الصحيحة:

- التوحيد: مبني على أساس تسبيح الله وتنزيهه عن الشريك: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١).

- العدل: مبني على أساس تنزيه الله عن الظلم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾^(٢).

- النبوة والإمامة: مبنيان على أساس تسبيح الله، يعني أنّ الله منزّه عن أن يترك البشر لحال أنفسهم دون هداية، والأشخاص الذين يقولون إنّ الله لم يوح إلى أحد من عباده ولم يهدهم؛ لا يعرفون الله حقّ معرفته: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾^(٣).

- المعاد: مبني على أساس تسبيح الله وتنزيهه عن العبث والباطل وعن

(١) سورة الطور: الآية ٤٣.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٢) سورة القلم: الآية ٢٩.

الأعمال التي لا فائدة منها (اللغو): ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ﴾^(١)،
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢).

نعم، إذا ما نزه الإنسان الله تعالى عن كل عيب ونقص، فسوف يصبح معشوقه ومعبوده، وسيتقيه ويتوكل عليه، وسوف ينظم كل علاقاته الاجتماعية وحركاته وأفعاله وفقاً لما يرضاه سبحانه وتعالى.

أهمية التسبيح ومكانته:

□ جاء في القرآن الكريم الأمر بالتوكل ٨ مرّات، والأمر بالاستغفار ٨ مرّات،
والأمر بالعبادة ٥ مرّات، والأمر بذكر الله ٥ مرّات، والأمر بالتكبير مرتين
والأمر بالسجود مرّات عدة، أمّا الأمر بالتسبيح فذكر ١٦ مرّة.

□ روى الإمام الصادق عليه السلام عن نبي الإسلام ﷺ أنّه قال: «إذا ما قال العبد
(سبحان الله) سبح معه كل ما تحت العرش ويعطى جزاؤه عشرة أضعاف، وإذا
ما قال (الحمد لله) أعطاه الله من نعم الدنيا حتى يلاقي ربه وعندها يعطيه الله
من نعم الآخرة»^(٣).

□ تسبيح الله هو من أنواع شكره تعالى، جاء في القرآن قوله: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ
اللَّهِ وَالْفَتْحُ... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾^(٤).

□ تسبيح الله كفارة للكلام الذي يقال أو يُسمع في المجالس. عن النبي ﷺ أنّه
قال: إذا قمت من مجلسك تقول: «سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت
اغفر لي وتب عليّ»؛ وقال: إنه كفارة المجلس^(٥).

□ التسبيح وسيلة للنجاة، يقول الله في نبيه يونس عليه السلام: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا كَانِ
الْمُسْتَجِيرِينَ﴾^(٦) لَيْتَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧١﴾.

نقرأ في حديث آخر أنّ: «من قال سبحان الله صلى عليه كل ملك»^(٧).

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩١.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١١٥.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٠، ص ٣٠.

(٤) سورة النصر: الآيات ١ - ٣.

(٥) عوالي اللآلي، ج ٢، ص ٢٦.

(٦) سورة الصافات: الآيات ١٤٣، ١٤٤.

(٧) بحار الأنوار، ج ٤٠، ص ١٢١.

□ من الأعمال التي وُصِّيَ بها في أسحار شهر رمضان المبارك، قراءة دعاء تبدأ كل جملة منه بـ(سبحان الله)، «سبحان من يعلم جوارح القلوب،... سبحان الربّ الودود...»^(١).

□ وقد ورد في الحديث أنه دخل شخص إلى منزل الإمام الصادق عليه السلام وكان الإمام يصلي، فرآه يكرر ذكر سبحان الله ستين مرة. ونقرأ أيضاً أنّ الإمام الصادق عليه السلام كان يكرر ذكر سبحان الله في السجود خمسين مرة^(٢).

تسبيح الموجودات:

في الرؤية الكونية الإلهية، عبادة الله ليست من خصائص الإنسان، بل كل الموجودات في حالة تعبّد.

□ طلب شخص معجزة من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقبض عليه قبضة من الأرض ووضعها في يده وبأمر من الرسول الأكرم وبإذن من الله تعالى سمع الرجل تسبيح الحصى في يده^(٣).

□ يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «...فربّ مركوبة خير من ركبها؛ هي أكثر ذكراً لله تعالى منه»^(٤).

□ ينبغي أن نشير إلى مجموعة من الملاحظات حول تسبيح الموجودات في الكون:

(أ) يعتبر القرآن الكريم أنّ تسبيح الموجودات، نابع عن دراية وعلم وشعور: ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾^(٥).

(ب) ليس بمقدور أي شخص أن يدرك تسبيح سائر الموجودات: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾^(٦).

(٤) الميزان في تفسير القرآن، ج ١٣، ص ١٢٢.

(١) بحار الأنوار، ج ٨٣، ص ٨٥.

(٥) سورة النور: الآية ٤١.

(٢) الوافي، ج ٢، ص ١٥٧.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ٢٣، ص ٩٦.

ج) تسبيح الموجودات متفاوت ومختلف. ينقل الإمام السجاد عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إن الطير إذا أصبحت سبّحت ربّها وسألته قوت يومها»^(١).

يقول الشاعر الإيراني نظامي، في هذا المجال ما ترجمته:

هل تعرف لماذا كواكب الأفلاك تدور حول مركز العالم
ماذا تريد، برحيلها عن المنزل عمّا تبحث في سفرها هذا
في هذا المحراب، من معبودها ماذا تقصد بقدمها هذا
جميعها في حالة دوران وحيرة تطلب موجودها
وكذلك يقول حافظ الشيرازي:

ليس فوق نور وجهك نور ليس فوق منّك على الإنسان من
الناظر إلى وجهك كالناظر إلى كل شيء ليس هناك جمال يفوق جمالك
ويقول (الملا هادي السبزواري) في كتابه الفلسفي، المعروف بمنظومة السبزواري:

ليس هناك موسى لسمع نداء: (أنا الحق)
ولا فإن صوت الشجر ليس حفيف ورقها فحسب
ويقول (مولوي):

كل ذرات العالم في الخفاء تحدثك صباحاً ومساء
نملك السمع والبصر والذكاء ولكن لا نستطيع درك أسرار الخفاء

التعاليم:

١ - الوجود كلّ في حالة تسبيح دائمة، بحسب الرؤية الكونية الإلهية: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

٢ - لا يوجد اختلاف في التسبيح التكويني بين موجودات السماء والأرض، وبين

الجمادات، والنباتات، والحيوانات، والإنسان: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

٣ - وجود دليل، وبرهان، وميزان للمدح والثناء أمر إلزامي. الذي يمتلك الحكم، والقداسة، والعزة، والحكمة معاً هو فقط الذي يحق تسبيحه: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ... أَلَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

٤ - حكم الله وملكه مقرون بالقداسة، والحكمة، والقدرة: ﴿أَلَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾.

٥ - حكومة الله مقرونة بالحكمة: ﴿أَلَلِكِ... الْحَكِيمِ﴾.

٦ - إنّ الله عزيز: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، وكذلك نبيه والمؤمنون والقرآن: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، ﴿وَأَنَّهُ لَكَتَّابٌ عَزِيزٌ﴾^(٢).

٧ - إنما يكون للقدرة قيمة حينما تكون مقرونة بالحكمة: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، إنّ الله قادر كما هو حكيم، أما اقتدار الآخرين فيكون غالباً مقروناً بالاستكبار والاستعمار.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّتَيْنِ رَسُولًا مِنْهُنَّ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٣)

إشارات:

□ (أمي) منسوب إلى كلمة (أم)، وقد أطلقت هذه الكلمة على أهل مكة إمّا من باب أنّ مكة هي أم القرى، أو من باب أن هذه الكلمة في اللغة العربية تطلق على من لا يعرف القراءة والكتابة؛ لأنه على الحالة التي كان عليها حين ولدته أمه.

□ نقرأ في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية قوله: «كانوا يكتبون

ولكن لم يكن معهم كتاب من عند الله، ولا بعث إليهم رسولا فنسبهم إلى الأميين^(١).

□ (يزجيهم) من المصدر (تزكية) وجذرها (زكاة) بمعنى الرشد والنمو المصاحب للخير والبركة. يعني أن الرسول الأكرم مأمور بأن يزيل الأخلاق السيئة من بين الناس وينشر بينهم الأخلاق الحسنة حتى يصلوا إلى الرشد والكمال.

□ المقصود هنا من (الحكمة) تلك المعارف والحقائق التي نستخلصها من القرآن وتساعد على تغيير نظرة الإنسان إلى العالم وترشده إلى التفكير السليم، وبهذا تهيب له الأرضية للوصول إلى السعادة. وفي حين كان منكرو الله يقولون: ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾^(٢)، فقد بين الله تعالى أن الحقيقة شيء آخر وقال: ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِیَ الْحَيَوَانُ﴾^(٣).

□ (الحكمة) ليست مجزأة عن (الكتاب)، بل هي إحدى صفاته، كما ذكر في موضع آخر: ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾^(٤)، وكذلك، فلقد أنزل الله تعالى الكتاب والحكمة جنباً إلى جنب على نبيه الكريم: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾^(٥)، ولذلك المراد من تعليم الكتاب والحكمة وهو وظيفة النبي الأكرم: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، تعليم القرآن الكريم المليء بالحكمة والذي يعلم الناس النظرة الصحيحة إلى الحياة^(٦).

□ يطلب النبي إبراهيم عليه السلام من الله تعالى في الآية ١٢٩ من سورة البقرة، أن يعث للناس رسولا يمتلك الصفات التي ذكرت في الآية، نرى في هذه الآية استجابة هذا الدعاء. وقد ورد في الحديث أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أنا دعوة أبي إبراهيم»^(٧).

□ تحدثت الآية السابقة عن الله الحكيم وهذه الآية تتحدث عن بعثة النبي وهي إحدى دلائل حكمة الله، وذكرت أن تعليم الحكمة للناس هو أحد أهداف بعثة الأنبياء.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٢٢٢.

(٥) سورة النساء: الآية ١١٣.

(٢) سورة الباقية: الآية ٢٤.

(٦) الميزان في تفسير القرآن.

(٣) سورة العنكبوت: الآية ٦٤.

(٧) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٦٩.

(٤) سورة يس: الآية ٢.

□ تحدّث القرآن الكريم عن الضلالة والضياع في ٤٦ موضعاً، وفي أكثر المواضع قرنت كلمة (ضلال) بكلمة (مبين) وفي بعض الموارد عُبر عنه بـ ﴿ضَلَلٌ كَبِيرٌ﴾^(١) و﴿أَضَلُّهُ أَبْعَدُ﴾^(٢)، نستخلص، بنظرة سريعة، أنّ النبي الأكرم قام بهداية الناس:

من قتل الأبناء إلى حبّهم.

من الجهل إلى العلم.

من الإغارة على أموال الآخرين إلى الإيثار وإنفاق الأموال الشخصية.

من أكل الربا إلى كسب الرزق الحلال.

من الشرك إلى التوحيد.

من التفرقة إلى الوحدة.

من الخرافات إلى الحقيقة.

من الذل إلى العزة.

وبجملة واحدة، قد نقلهم من الضلالة إلى الهدى.

وقال جعفر بن أبي طالب في وصف نبي الإسلام عند النجاشي ملك الحبشة: كنّا قومًا أهل جاهليّة، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ من الضعيف، وكنّا على ذلك حتّى بعث الله تعالى إلينا رسولاً منّا... وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء... : ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَيَّ ضَلَّلِينَ﴾.

سؤال: هل بُعث النبي الأكرم إلى أهل الحجاز والعرب الأميين فقط؟

الجواب: ظهر النبي الأكرم بين أهل مكة وبدأ دعوته من هناك، ولكن الكتب التي أرسلها إلى ملوك الروم وفارس وإلى رؤساء القبائل المختلفة، تبين حقيقة أن دعوة الرسول لم تكن محدودة بجزيرة العرب أو بالعرب أنفسهم.

التعاليم:

- ١ - بعثة الأنبياء عمل إلهي: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ﴾.
- ٢ - كانت بعثة الأنبياء سبباً للنمو، والتغيير، والإحياء في كل أمور المجتمع وعلى كل المستويات: ﴿بَعَثَ﴾.
- ٣ - ظهور نبي من بين الأميين وحمله لراية الحكمة والعلم هو معجزة إلهية: ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا﴾.
- ٤ - يجب أن يكون قائد المجتمع الإسلامي من الناس: ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾، وفي الناس: ﴿فِي الْأُمِّيِّينَ﴾.
- ٥ - تلاوة القرآن وسيلة ومقدمة للتركية، والتركية مقدمة على العلم والتعليم: ﴿يَتْلُوا... يُزَكِّيهِمْ... وَيُعَلِّمُهُمُ﴾، ونقرأ في موضع آخر: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَكُمُ اللَّهُ^(١)﴾.
- ٦ - يجب أن تحصل التربية وتركية النفس في ظل الأنبياء والآيات الإلهية. (الرياضة الروحية والرهبانية التي لا تنضوي تحت مظلة تعاليم الأنبياء، نوع من أنواع الانحراف): ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ﴾.
- ٧ - تقع التربية والتعليم في رأس برنامج الأنبياء: ﴿يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ﴾.
- ٨ - التربية الروحية والتعليم الفكري في مدرسة الأنبياء تفرنان بالبصيرة: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.
- ٩ - يمكن القيام بأعمال تربوية حتى في المجتمع الفاسد: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.
- ١٠ - ينبغي الرجوع إلى الوراثة والاطلاع على البيئة الثقافية والفكرية التي كان يعمل فيها الأنبياء ﷺ؛ لمعرفة الجهود والإنجازات التي أداها هؤلاء العظماء: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢)
 ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

إشارات:

□ ورد في التفسير الشيعية والسنية: أنه عندما نزلت هذه الآية، سئل الرسول ﷺ عن المقصود بـ(الآخرين) في الآية الثالثة؟ فوضع يده المباركة على كتف سلمان وقال: «لو كان الإيمان منوطاً بالثريا لناله رجال من فارس»^(١).

التعاليم:

- ١ - لم تكن رسالة نبي الإسلام ﷺ خاصة بالناس المعاصرين له ولكنها شاملة لكل الناس من بعده، من أي قوم كانوا ومن أي إقليم: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا...﴾.
 - ٢ - لا أحد يستطيع أن يقف أمام انتشار الإسلام في المستقبل: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
 - ٣ - الله القادر والحكيم هو الظهير للأنبياء: ﴿بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
 - ٤ - الهدف الذي أرسل لأجله نبي الإسلام هو الهدف نفسه الذي أرسل لأجله الأنبياء السابقون: ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ... بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ... وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ... وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.
 - ٥ - للنبوّة فضل ومقام عظيمان والله يعطيها لمن يشاء، ولأنه حكيم، فهو يعطي هذا المقام لأهله: ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ تَتَحَمَلُ أَثْقَارًا بِنَاسٍ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (٥)

إشارات:

□ تحدثت الآيات السابقة عن البعثة، وهذه الآية تتحدث عن اليهود الذين كانوا

يعرفون نبي الإسلام من كتابهم السماوي التوراة؛ ولكنهم وبسبب عنادهم لم يقبلوا برسالته.

□ (أسفار) جمع (سفر) وتعني الكتاب الذي يكشف الستار عن الحقائق^(١). تتكون التوراة من أجزاء مختلفة ويقال لكل جزء (سفر) مثل سفر التكوين. والسفر مقابل للسورة في القرآن.

□ ينتقد القرآن الكريم في هذه السورة اليهود بالظاهر ولكن هذا الانتقاد في الحقيقة هو كناية يراد بها القول للمسلمين: حذار أن تستمعوا للقرآن دون أن تعملوا به.

□ شبه القرآن في مواضع عدة الناس الضالين بالأنعام، والعالمون بلا عمل هم أحد مصاديق هؤلاء الناس كما أشارت هذه الآية إليهم: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَصْلًا﴾^(٢).

□ عن الإمام علي عليه السلام: «العلماء رجلان: رجل أخذ بعلمه فهذا ناج وعالم تارك لعلمه فهذا هالك. وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه. وإن أشد الناس ندامةً وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الجنة وأدخل الداعي النار بتركه علمه وأتباعه الهوى وطول الأمل»^(٣).

□ روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا»^(٤).

□ وورد عن الإمام السجاد عليه السلام: «إن العلم إذا لم يُعْمَل به لم يزد صاحبه إلا كفراً ولم يزد من الله إلا بعداً»^(٥).

(١) مفردات الراغب.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٣) الكافي، ج ١، ص ٤٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ٤٥.

- جاءت هذه الآية بتشبيه حاد وفيه تحذير لعلماء الدين الذين لا يعملون بعلمهم. وقد ذكر السابقون العديد من التشبيهات في هذا المجال، نذكر بعضها:
- العالم بلا عمل، كالشمعة يهتدي الآخرون بنورها أما هي فإنها تذوب^(١).
 - العالم بلا عمل، كالكتز الذي لا يتفق منه^(٢).
 - العالم السيئ كالصخرة التي تقف في طريق الماء، لا هي تشرب منه ولا تسمح بوصوله إلى الآخرين^(٣).
 - العالم بلا عمل، كبحر ماء راكد، داخله متعفن^(٤).
 - العالم بلا عمل، كالقبر ظاهره سليم وداخله عظام نخرة^(٥).

جانب من الصورة القبيحة لليهود في القرآن:

- ١ - قساة القلوب: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا... أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾^(٦).
- ٢ - يحبون الرفاهية: ﴿لَنْ نَقْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاجِدٍ﴾^(٧).
- ٣ - يفسدون في الأرض: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾^(٨).
- ٤ - يلقون بالثهم حتى على الله: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾^(٩).
- ٥ - يحرفون الكتاب: ﴿يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾^(١٠).
- ٦ - يستكبرون على الوحي إذا كان مخالفاً لأهوائهم: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾^(١١).

(٧) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٨) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(٩) سورة المائدة: الآية ٦٤.

(١٠) سورة النساء: الآية ٤٦.

(١١) سورة البقرة: الآية ٨٧.

(١) ميزان الحكمة، ج ٩، ص ٥٤.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٥٥.

(٤) المحجة البيضاء، ج ١، ص ١٣٠.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) سورة المائدة: الآية ٤١.

- ٧ - يكرهون أهل الإيمان: ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودُ﴾^(١).
- ٨ - يقتلون الأنبياء: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ رُسُلًا... فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾^(٢).
- ٩ - قد غضب الله عليهم: ﴿وَبَكَاءُ وَنَضَضٌ مِنْ اللَّهِ﴾^(٣).
- ١٠ - لعن النبي داود والنبي عيسى فريقاً منهم: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى﴾^(٤).

التعاليم:

- ١ - يتبع القرآن أسلوب التمثيل لبيان الحقائق (شبه القرآن العالمين بلا عمل بالحمار وظاهر هذا التشبيه أنه قاسي ولكن في الواقع هو قليل عليهم): ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا الثَّورَةَ... كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.
- ٢ - فضح العلماء السيئين وانتقادهم هو أمر قرآني: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَبِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.
- ٣ - إذا كان عدم العمل بالتوراة قد أدى إلى تنزل الإنسان إلى مستوى حيوان كالحمار، فكيف بعدم العمل بكتاب أفضل ألا وهو القرآن؟: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾.
- ٤ - إن اختيار الكتاب السماوي وحمله ليس مهماً، بل المهم هو العمل به: ﴿لَمْ يَحْمِلُوهَا... يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.
- ٥ - عدم العمل بالعلم، هو نوع من التكذيب العملي لهذا العلم: ﴿يَنْتَسِ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا﴾.
- ٦ - عدم العمل بالعلم، نوع من أنواع الظلم: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.
- ٧ - أعمالنا هي سبب حرماننا: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٨.

(١) سورة المائدة: الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٠.

﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾

إشارات:

□ ذكر في القرآن الكريم أن اليهود كانوا يعتبرون أنفسهم أفضل من الآخرين وحتى قالوا إنهم أبناء الله: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾^(١)، وقد كانوا محبين للثروة حريصين على الدنيا: ﴿أَخْرَصَ النَّاسَ عَلَى حَيَوتِهِمْ﴾^(٢). وهذه الآية في معرض مباهلة اليهود إذ تقول لهم إن كنتم صادقين بادعائكم أنكم أولياء الله فتمنوا الموت، فأنتم حسب ادعائكم أهل الجنة الوحيدون: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرًا﴾^(٣)، إذا لم لا تمنون الموت؟ ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْآخِرَةِ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤).

□ لماذا نخاف من الموت؟

إذا شبَّهنا السفر إلى الآخرة بالسفر الديني، فسنلاحظ أن السائق في السفر يقلق حيال أشياء عدة:

(أ) قد يقلق من نقص الوقود، ولكن الشخص الذي أعدَّ زاده للآخرة فإنه لا يقلق: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٥).

(ب) قد يقلق حيال وسيلة النقل إذا كانت مسروقة، ولكن الشخص الذي يعتاش من الكسب الحلال لا يقلق أبداً.

(ج) قد يكون قلقاً بسبب الممنوعات التي يحملها معه، أما الشخص الذي لا يحمل ذنوباً، فإنه لا يقلق.

(٤) سورة البقرة: الآية ٩٤.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٩٧.

(١) سورة المائدة: الآية ١٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١١.

(د) قد يقلق لأنه يسير بسرعة غير قانونية، لكن الشخص الذي ليس من أهل الإفراط والتفريط: ﴿وَكَاثَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(١) وحياته مبنية على الاعتدال: ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢) لا يقلق.

(هـ) قد يقلق أحياناً من مرافقيه في السفر إن كان لا يعرفهم أو إن كانوا رفاق سوء، ولكن الشخص الذي كان جليساً للأبرار في الدنيا، لا يقلق.

(و) قد يخاف إن كان وحيداً على الطريق، ولكن الشخص الذي يسير مع قافلة الأبرار والمؤمنين لا يكون وحيداً.

(ز) قد يعتريه الخوف من عدم الوصول إلى المقصد، ولكن الشخص المؤمن بأن ذرة من عمله لن تذهب سدى، لا يخاف: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ...﴾^(٣).

□ سألوا أبا ذر: لماذا نخاف من الموت؟ قال: «لأنكم عمرتم الدنيا وأخربتم الآخرة فتكرهون أن تتقلوا من عمران إلى خراب»^(٤).

□ عن الإمام علي عليه السلام: «تالله لابن أبي طالب آتس بالموت من الطفل بشدي أمه»^(٥)، وعندما ضرب في محراب مسجد الكوفة قال: «فزت ورب الكعبة».

□ وروي عن الإمام الحسين عليه السلام في خطبة مطولة له: «خُط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة»^(٦).

□ على الرغم من أن هذه الآية تخاطب اليهود، فإن الاستعداد للموت هو وسيلة لقياس الإيمان والولاء الحقيقي لكل المدّعين: ﴿فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ﴾.

التعاليم:

١ - يُعَلِّمُ الله تعالى النبي والأمة طريقة البحث والاستدلال مع الأديان الأخرى وكيفية الاحتجاج مع المخالفين: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا﴾.

(٤) المحجة البيضاء، ج ٨، ص ٢٥٨.

(٥) نهج البلاغة، الخطبة ٥.

(٦) مقتل الخوارزمي، ج ٢، ص ٢٤١.

(١) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٨.

(٣) سورة الزلزلة: الآية ٧.

٢ - رُدُّوا على الاستنباطات الفارغة والشبهات بمنطق الوجدان: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ﴾.

٣ - لا يجوز حصر الأمور المعنوية والدينية: ﴿مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾.

٤ - يجب مواجهة الادعاءات والتخيلات الخاطئة: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ... فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾.

٥ - الاستعداد للموت هو المعيار في صدق ادعاء الإيمان: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، كل حبيب يحب رؤية حبيبه، فإن كنتم أحبباء الله، فلم لا تحبون لقاءه؟: ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ... فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾.

٦ - يجب أن يكون استدلالكم بصورة لا يبقى معها للعدو ما يقوله: ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ... وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾.

٧ - أعمال الإنسان هي السبب في فراره من الموت: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

٨ - كثير من الناس يدعون أنهم أولياء الله؛ ولكن الله خبير بباطنهم الخبيث: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

□ يخطط الناس آلاف الخطط لكي يفروا من الموت، ولكن ما الفائدة؟ يهربون من جبهة القتال ولكن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَنْ يَفْعَلَكُمْ الْفِرَارُ﴾^(١)، يصنعون البيوت المتينة المحكمة ولكن الموت يحيق بهم: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ﴾^(٢). نعم، فنحن لا نستطيع في هذه الدنيا أن نفر من

الموت، كما أننا في الآخرة لا نستطيع أن نفرّ من العذاب الإلهي: ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْآخِرَ﴾^(١).

□ الاعتقاد والإيمان بأننا سنبعث من جديد وسنأتي يوم القيامة وأنه هناك ستكشف أعمالنا، هو أفضل عامل لرعاية التقوى في الدنيا: ﴿فِيَنبِئُكُمْ﴾.

التعاليم:

- ١ - إرادة الله تعالى غالبة على إرادة الإنسان: ﴿تَفَرُّوْنَ... مُلْقِيَكُمْ﴾.
- ٢ - توجد فاصلة طويلة بين الموت والقيامة: ﴿فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ﴾. (ثم تستعمل للتأخير).
- ٣ - علم الله شامل للحاضر والغائب والظاهر والباطن بالمستوى نفسه: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.
- ٤ - ابتداءً يجب أن يُنبأ المجرم بجرمه، ثم ينزل به العقاب: ﴿فِيَنبِئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

إشارات:

□ شاهد رسول الإسلام ﷺ في المعراج الملائكة يستغفرون للذين يقيمون صلاة الجمعة ويغتسلون يوم الجمعة، وهم يقولون: «اللهم اغفر للذين يحضرون صلاة الجمعة، اللهم اغفر للذين يغتسلون يوم الجمعة»^(٢).

مكانة يوم الجمعة:

ليوم الجمعة في الإسلام مكانة خاصة بين الأيام وتوجد العديد من الروايات في هذا المجال سنذكر بعضاً منها:

(٢) مستدرك الوسائل، ج ٦، ص ٩١.

(١) سورة القيامة: الآية ١٠.

- روي عن الرسول الأكرم ﷺ: «الجمعة سبب الأيتام، وأعظمها عند الله ﷻ، وهو أعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الأضحى...»^(١).
- يوم الجمعة، يوم مساعدة الفقراء والمحتاجين. فقد ورد في الحديث عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا أردت أن تنصق بشيء قبل الجمعة فأخّره إلى يوم الجمعة»^(٢).
- وهو يوم عيد للمسلمين^(٣).
- يوم الجمعة، هو يوم ظهور الإمام صاحب الزمان وانتهاء غيبته: «يخرج قائما، أهل البيت، يوم الجمعة»^(٤).
- تفتح أبواب السماء في يوم الجمعة لاستقبال أعمال العباد^(٥).
- عن الرسول ﷺ: «بضاعف الله فيه الحسنات، ويمحو فيه السيئات، ويرفع فيه الدرجات، ويستجيب فيه الدعوات، وتكشف فيه الكربات، وتقضى فيه الحوائج العظام»^(٦).
- أيما شخص زار في يوم الجمعة قبر والديه أو قبر أحدهما، غفرت ذنوبه وكتب اسمه مع المحسنين^(٧).
- «لا تدع الغسل يوم الجمعة فإنه سنة، وشمّ الطيب والبس صالح ثيابك...»^(٨).
- وعن نبي الإسلام ﷺ قوله: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ من لا يشغله عن الجمعة حرّ شديد، ولا برد شديد، ولا ردغ»^(٩).
- وقد ورد الأمر بفعل الخير في يوم الجمعة: «وليفعل الخير ما استطاع»^(١٠).
- وعن النبي ﷺ: «من قلّم أظافيره يوم الجمعة، وأخذ من شاربه، واستاك،

(١) المصدر نفسه، ص ٦٣.

(١) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٦٧.

(٢) صلاة الجمعة، ص ٢٤٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الكافي، ج ٣، ص ٤١٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ٦٦.

(٤) كنز العمال، الحديث ٢١٠٨٥.

(٤) كمال الدين، ص ١٦٤.

(٥) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٧٨.

(٥) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٢٥.

وأفرغ على رأسه من الماء، حين يروح إلى الجمعة، شيعه سبعون ألف ملك كلهم يستغفرون له ويشفعون له»^(١).

مكانة صلاة الجمعة:

- أول ما قام به النبي الأكرم بعد هجرته إلى المدينة، إقامة صلاة الجمعة.
- الصلاة التي ابتدأت الدعوة إليها بجملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- الصلاة التي رُغِبَ الناس في إقامتها بجملة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.
- الصلاة التي أُمِرَ فيها الناس بترك البيع والتجارة.
- الصلاة التي عُذِّتَ في الروايات معادلة للحج: «فإنها حج المساكين»^(٢).
- الصلاة التي يستجاب فيها الدعاء بعد خطبتها^(٣).
- الصلاة التي تقام مع اتكاء إمامها على السلاح.
- الصلاة التي يُعَدُّ الاستخفاف بها دليلاً على النفاق.
- الصلاة التي دُعيَ فيها أئمة الصلاة إلى حث الناس على التقوى.
- الصلاة التي يتعرف فيها الناس على أحداث العالم ومجرياته.
- الصلاة التي يجب أن تُصلى جماعة، ولا يمكن أداؤها فرادى.
- الصلاة التي أوصي بتسهيل الحضور فيها على المسجونين بقضايا مالية^(٤).
- الصلاة التي تستأهل تأجيل السفر لأجل الحضور فيها. أرسل الإمام علي كتاباً إلى الحارث الهمداني جاء فيه: «ولا تسافر في يوم جمعة حتى تشهد الصلاة إلا فاصلاً في سبيل الله أو في أمر تُعذر به»^(٥).
- الصلاة التي أوصي بالاستعداد لها من اليوم السابق للجمعة. فقد ورد النهي عن تناول دواء يوم الخميس لأنه قد يسبب الضعف يوم الجمعة ويمنع من حضور

(١) المستدرک، ج ٦، ص ٤٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٦.

(٢) التهذيب، ج ٣، ص ٢٣٧.

(٥) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٦٩.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٦.

صلاتها. وعن الإمام الباقر عليه السلام في وصف أصحاب الرسول ﷺ: «والله لقد بلغني أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتجهّزون للجمعة يوم الخميس...»^(١).

- الصلاة التي ثواب المشاركة فيها للمسافر يفوق ثواب المقيم في تلك المدينة^(٢).

- الصلاة التي أوصي بتلاوة آياتها قبل ليلة من أدائها، فقد حثت الروايات على تلاوة سورة الجمعة في صلاة المغرب ليلة الجمعة، وهذا نوع من التذكير والاستعداد لصلاة الجمعة.

□ وعن النبي الأكرم ﷺ أنه قال: «...ما من مؤمن مشى بقدميه إلى الجمعة، إلا خفف الله عليه أهوال يوم القيامة...»^(٣).

□ صلاة الجمعة كفارة للذنوب التي اكتسبها الإنسان طوال الأسبوع، بشر التوبة وترك الذنوب الكبيرة^(٤).

□ وعن النبي ﷺ: «من استأجر أجيراً فلا يجسه عن الجمعة فيأثم، وإن لم يجسه اشتركا في الأجر»^(٥).

□ «من ترك الجمعة ثلاثة متتابعة لغير حلة كتب منافقاً»^(٦).

وورد في رواية أخرى: أيما شخص ترك الجمعة ثلاثة من دون مرض أو عذر ختم الله على قلبه^(٧).

□ وقد وردت الدعوة إلى الصدقة، لمن لم يستطع حضور الجمعة وفاته المشاركة في الصلاة^(٨).

□ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله سبحانه فرض عليكم الجمعة... فمن تركها في حياتي وبعد مماتي إلى يوم القيامة جحوداً واستخفافاً بحقها، فلا جمع الله

(١) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٤٠٧.

(٣) مستدرك الوسائل، ج ٦، ص ٤٢.

(٧) كنز العمال، الحديث ٢١١٤٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٥٦.

(٨) المصدر نفسه، الحديث ٢١١٣٩.

شملة ولا بارك له في أمره، ألا لا صلاة له، ألا لا حج له، ألا لا صدقة له، إلا أن يتوب، فإن تاب تاب الله عليه^(١).

□ وقد ورد أنه إذا قال الرجل لصاحبه والإمام يخطب يوم الجمعة: «انصت»، فقد لغا حتى يقضي الخطبة^(٢).

واجبات إمام الجمعة:

١ - ألا يطيل الخطبة. فقد ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «سيأتي بعدكم أقوام يطيلون الخطب ويقصرون الصلاة»، ويوصيهم بقوله: «أطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة»^(٣).

٢ - شرع الله تعالى خطبتين لصلاة الجمعة، تختص الأولى منهما بحمد الله والثناء عليه وتقديسه، والثانية بحوائج الناس وتحذيرهم وتعليمهم والمناجاة والدعاء^(٤).

٣ - يجب أن يؤدي الإمام الخطبة وهو قائم. «ما رأيت رسول الله خطب إلا وهو قائم»^(٥).

٤ - على الخطيب أن يمسك السلاح بيده ولكنه لا يستخدمه وما عليه سوى الوعظ والإرشاد، إشارة إلى أننا في عين رحمتنا ورأفتنا نحن أيضاً نملك القدرة، مثلما كان الرسول يتوكأ على قوس أو عصا^(٦) ويلقي الخطبة.

٥ - من السنة إذا صعد المنبر أن يُسلم إذا استقبل الناس^(٧).

٦ - قراءة سورة المنافقون وسورة الجمعة في صلاة الجمعة. كان رسول الله ﷺ يقرأ سورتي الجمعة والمنافقون في صلاة الجمعة، سورة الجمعة لتبشير

(١) مستدرک الوسائل، ج ٦، ص ١٠.

(٥) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٣١.

(٢) كنز العمال، ج ٧، ص ٧٤٦.

(٦) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٣٨.

(٣) المصدر نفسه، ص ٧٤٨.

(٧) المصدر نفسه، ص ٤٣.

(٤) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٠.

المؤمنين وتحذيرهم من الدنيا، وسورة المنافقون لإقنات المنافقين وتوبيخهم^(١).

٧ - تعريف الناس بالأوضاع المعاصرة؛ فقد ورد عن الإمام الرضا عليه السلام أن الصلاة من يوم الجمعة يوم اجتماع لعموم المسلمين ولذلك على الإمام أن ينتهز الفرصة: «ويخبرهم بما ورد عليهم من الآفاق ومن الأحوال التي لهم فيها المضرة والمنفعة»^(٢).

٨ - من حق الناس على إمام الجمعة «أن يعلمهم من أمره ونهيه ما فيه الصلاح والفساد»^(٣).

التعاليم:

١ - يجب تهيئة الأرضية المناسبة لدعوة الناس إلى العبادة. (في بداية السورة ذكر الله تسييح الموجودات قبل أن يأمر بالمشاركة في صلاة الجمعة): ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ... فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

٢ - يجب علينا أن ننادي الناس باحترام وبألفاظ محبة حينما ندعوهم إلى العبادة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

٣ - الحضور في صلاة الجمعة دليل على الإيمان: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ﴾.

٤ - الصلاة سبب لذكر الله: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ... فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

٥ - عليكم أن تسارعوا للمشاركة في صلاة الجمعة: ﴿لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾.

٦ - يجب إزالة الموانع التي تحول دون المشاركة في صلاة الجمعة: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٤٠.

(١) كنز العمال، ج ٨، ص ٣٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٢٠١.

(ترك البيع والتجارة هو من باب المثال، وإلا فإن كل الأعمال يجب أن تترك في وقت الصلاة ويجب أن نسعى للحضور في الصلاة).

٧ - أمر الله تعالى بترك التجارة، وأعطى وعداً حقاً بالتعويض: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٨ - اختيار الأفضل لكل زمان، هو دليل على العلم الواقعي: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

٩ - التحفيز مهم في التربية الدينية: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾، والأمر مهم أيضاً: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وكذلك النهي: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، والاستدلال: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

إشارات:

□ المال الدنيوي في الثقافة القرآنية هو فضل إلهي، لذا تقول هذه الآية: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾، بعد الفراغ من صلاة الجمعة، اسعوا إلى فضل الله أي إلى الكسب والتجارة. وفي موضع آخر يشير إليه بكلمة (خير): ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾^(١). المقصود بالخير هنا مال الدنيا.

□ روي عن الرسول الأكرم ﷺ قوله: «من ذكر الله في السوق مخلصاً عند غفلة الناس وشغلهم بما فيه، كتب له ألف حسنة، ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر»^(٢).

□ يجب أن يكون نشاط الإنسان في حال العبادة أكثر من نشاطه في كسب معاشه. قال الله عن العبادة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾، وقال في آية أخرى عن التجارة: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾. كلتا كلمتي ﴿فَاسْعَوْا﴾ و﴿ابْتَغُوا﴾ تعطيان معنى السعي

والحركة، ولكن في الآية الأولى ذكرت كلمة (سعى) مع حرف (الفاء) وهذه الصيغة تخفي في طياتها الشغف والنشاط والسرعة.

□ الفضل الإلهي إما أن يكون ماديّاً أو معنويّاً قال الله تعالى في الآية الرابعة من هذه السورة عن بعثة النبي: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾، وقال في هذه الآية عن الكسب والعمل والتجارة: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.

التعاليم:

- ١ - يجب ألا تكون المدة الزمنية التي يتعطل فيها العمل والكسب والتجارة لأجل الصلاة، مدة زمنية طويلة. (في الآية السابقة صدر الأمر بترك البيع والتجارة، وفي هذه الآية رفع المنع مباشرة من بعد الصلاة): ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٢ - إن الله تعالى لا يحب أن تتعطل أسواق المسلمين وأعمالهم ليوم كامل: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا﴾.
- ٣ - يتطلب كسب المعاش ونيل الفضل الإلهي، الهجرة والحركة والسفر في الأرض: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٤ - سارعوا في العبادة: ﴿فَاسْعَوْا﴾، واذهبوا إلى العمل المادي ولكن لا داعي للعبلة؛ لأن الله هو مقدر الأرزاق: ﴿وَابْتَغُوا﴾.
- ٥ - إن فضل الله ولطفه عارمان، ولكن على الإنسان أن يسعى ليحصل عليهما: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.
- ٦ - القعود عن العمل، والكسل ممنوعان في الإسلام: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.
- ٧ - الدنيا جزء من الفضل الإلهي: ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.
- ٨ - يتحقق الفلاح في ظل إطاعة الأوامر الإلهية: ﴿فَاسْعَوْا... ذَرُّوا... وَابْتَغُوا... وَادْكُرُوا... لَكُمْ كُمْ تُفْلِحُونَ﴾.
- ٩ - أمر الله تعالى بالسعي في الأمور المعنوية والمادية. قال في الآية السابقة: ﴿فَاسْعَوْا إِلَيَّ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ وقال في هذه الآية: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.
- ١٠ - لا يعدو البيع والتجارة كونه معاملة مادية إذا كان ناشئاً عن إرادة الإنسان:

﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ ؛ ولكن إذا جاء بعد العبادة فإنه يتبدل إلى فضل إلهي : ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.

١١ - لا يجب أن يكون السعي إلى الدنيا دافعاً إلى الغفلة عن ذكر الله : ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٢ - يهتم الإسلام بكيفية العبادة : ﴿فِي صَلَاتِهِمْ خَشِيعُونَ﴾^(١) ، وبكيميتها : ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٣ - في الأماكن التي تكون الأرضية فيها مهياة أكثر للزلزل والغفلة عن ذكر الله كالأسواق، يكون لذكر الله أهمية أكبر : ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٤ - ذكر الله واجب في كل الأحوال، سواء في حالة العبادة : ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ، أم في حالة التجارة : ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ﴾.

١٥ - يستطيع الإنسان أن يهيئ لنفسه أسباب الفلاح بعمله وحسن اختياره : ﴿فَاسْعَوْا... وَابْتَغُوا... وَادْكُرُوا... لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

١٦ - يكون ذكر الله عاملاً للفلاح إذا ما كان بصورة مستمرة : ﴿وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمَنِ اتَّبَعْتَهُ

وَاللَّهُ خَيْرٌ الرَّزِيقِينَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ نقرأ في التفاسير أنّ نبي الإسلام كان مشغولاً بقراءة خطبة صلاة الجمعة حين دخلت قافلة تجارية إلى المدينة وكان يخرج منها أصوات الطبل والذف والضوضاء، فسارع أكثر المصلين إلى القافلة وتركوا النبي الأكرم يقرأ الخطبة وحيداً؛ فنزلت هذه الآية توبخهم^(٢).

(٢) انظر: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٤٣٣.

(١) سورة المؤمنون: الآية ٢.

□ لم تنتقد الآية ترك الناس الصلاة والخطبة، وإنما انتقدت تركهم النبي ﷺ وحيداً؛ لأن التعدي على حرمة المبعوث السماوي أشد من ترك الصلاة والخطبة.

□ تحدثت هذه السورة في بدايتها عن بعثة نبي الإسلام وانتقدت في ختامها، ترك الرسول وحيداً، وهذا يحد ذاته تحذير للمؤمنين.

التعاليم:

- ١ - ينتقد القرآن الكريم الحرص وعدم التقوى في الكسب والتجارة: ﴿وَإِن رَأَوْا... أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾
- ٢ - عوامل الانحراف عن ذكر الله تكون نفسية أو مادية: ﴿يَجَرَّةٌ أَوْ هَوًى﴾.
- ٣ - يجب على خطيب الجمعة أن يلقي الخطبة وهو قائم: ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِماً﴾.
- ٤ - كل عمل يؤدي إلى تقليل المجتمعين حول الخطيب، هو عمل مستقبح: ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِماً﴾.
- ٥ - لا تكون توجهات الناس صحيحة دائماً: ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِماً﴾.
- ٦ - الخطبتان هما جزء من صلاة الجمعة والاستماع إليهما واجب: ﴿وَتَرْكُوكَ قَائِماً﴾.
- ٧ - لا يجب إلغاء الأمور المادية عند التبليغ ولكن يجب تبين أفضلية الأمور المعنوية: ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْيَجْرَةِ﴾.
- ٨ - تصبح الأعمال ذات قيمة في حال أدت إلى حسن العاقبة لا إلى المنافع العابرة: ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْيَجْرَةِ﴾.
- ٩ - لا تتركوا العبادة وتذهبوا إلى التجارة لكسب الرزق، بل اعبدوا الله أولاً ثم انصرفوا للتجارة؛ لأن الرزق بيد الله: ﴿مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ... وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾.
- ١٠ - التجارة ليست الطريقة الوحيدة لكسب الرزق، لو شاء الله فإنه يرزقكم من دون تجارة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾.
- ١١ - لقد ضمن الله لمقيمي صلاة الجمعة رزقهم: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾.

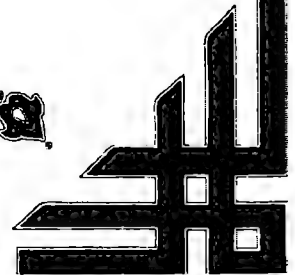
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

السورة: ٦٣ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١١



ملاح سورة المنافقون

سورة «المنافقون» مدنيّة وهي مساوية في عدد آياتها لسورة الجمعة (إحدى عشرة آية). والحديث عن خصائص المنافقين ليس خاصّاً بهذه السورة، وإنما قد ورد في العديد من السور، وبالأخص السور المدنية منها، وقد أشارت إلى خصائصهم النفسية والسلوكية. سورة التوبة هي السورة الجامعة للمنافقين، إذ ورد الحديث فيها عن صفات المنافقين في حدود مئة آية.

ورد التأكيد على تلاوتها في صلاة الجمعة، ربما جاء هذا التأكيد؛ لأن الأمة الإسلامية يجب دائماً أن تكون متببهة من دسائس المنافقين.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُتَنَفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ
الْمُتَنَفِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾

إشارات:

□ النفاق من النفق وهو القناة تحت الأرض تستخدم للهروب أو للاختباء. بعض الحيوانات من مثل فأر الصحراء أو الضب، تصنع لنفسها جحوراً لها فتحتان. وكذلك المنافق، فإنه يجعل لنفسه طريقاً مخفياً حتى يهرب منه حين الخطر.

□ يقسم الناس إلى أربع فرق:

(أ) فريق عنده إيمان قلبي ويقوم بعمل تكاليفه، هؤلاء هم المؤمنون الحقيقيون.

(ب) فريق عنده إيمان قلبي؛ ولكنه ليس من أهل العمل، هؤلاء هم الفاسقون.

(ج) فريق ليس عنده إيمان قلبي؛ ولكنه في الظاهر يعمل عمل المؤمنين، هؤلاء هم المنافقون.

(د) فريق ليس عنده إيمان قلبي ولا يقوم بعمل تكاليفه وهؤلاء هم الكافرون^(١).

□ عن الإمام علي: «نفاق المرء ذل يجده في نفسه»^(٢).

خصائص المنافق في القرآن:

١ - الكذب: ﴿إِنَّ الْمُتَنَفِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾^(٣).

٢ - محتار وليس له هدف: ﴿لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾^(٤).

(٣) سورة المنافقون: الآية ١.

(٤) سورة النساء: الآية ١٤٣.

(١) التفسير الاثنا عشري.

(٢) غرر الحكم.

- ٣ - لا يملك الفهم العميق: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(١).
- ٤ - جامد وأجوف: ﴿كَأَنَّهُمْ حُثْبُ مُسْنَدَةٍ﴾^(٢).
- ٥ - يؤدي صلاته بكسل: ﴿قَامُوا كُسَالَى﴾^(٣).
- ٦ - سليط اللسان، حاد الطبع: ﴿سَلَفُوكُمْ بِاللِّسَانِ حِدَادٍ﴾^(٤).
- ٧ - يحلف كذباً: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾^(٥).
- ٨ - ينتقد القائد المعصوم: ﴿يَلِيزُكَ فِي الصَّدَقَتِ﴾^(٦).
- ٩ - إضعاف روحية المجاهدين: ﴿لَا تُفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾^(٧).
- ١٠ - إنشاء مراكز للتأمر تحت عنوان المسجد: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾^(٨)، في مقابل مسجد النبي، بنى المنافقون مسجداً حتى يلحقوا الضرر بالمسلمين بمكائدهم المشؤومة.
- ١١ - نقض العهد: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَبِئَآءَاتِنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا ءَاتَتْهُمْ مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا﴾^(٩).
- ١٢ - إهانة المسلمين: ﴿أَتُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ الشُّفَهَاءُ﴾^(١٠).
- ١٣ - محاصرة المسلمين اقتصادياً: ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَن عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾.
- ١٤ - الخداع والاحتيال: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ﴾^(١١).
- ١٥ - البخل في الإنفاق: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(١٢).

(٧) سورة التوبة: الآية ٨١.

(٨) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

(٩) سورة التوبة: الآيتان ٧٥ - ٧٦.

(١٠) سورة البقرة: الآية ١٣.

(١١) سورة البقرة: الآية ٩.

(١٢) سورة التوبة: الآية ٥٤.

(١) سورة المنافقون: الآية ٧.

(٢) سورة المنافقون: الآية ٤.

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ١٩.

(٥) سورة المجادلة: الآية ١٦.

(٦) سورة التوبة: الآية ٥٨.

١٦ - الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾^(١).

١٧ - الفرار من الجهاد: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلَفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا﴾^(٢)، نزلت في المتخلفين عن غزوة تبوك.

١٨ - نشر الشائعات: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾^(٣)، يذيعون الخبر قبل أن يتأكدوا من صحته.

□ وردت صفات المنافقين في سور عدة من القرآن الكريم؛ وذلك لأن خطرهم كبير وقَلَّمَا نزلت سورة في المدينة ولم يُشَرَّ فيها إلى المنافقين إمَّا بالكنية وإمَّا بصراحة^(٤).

□ النفاق كذب عملي، كتمان للكفر وإظهار للإيمان، بالطبع ليست كل أنواع الكتمان سيئة، ككتمان الفقر أو كتمان العبادة.

□ ثمة فريقان من المنافقين: فريق أظهر إيمانه بعد أن ارتفع شأن الإسلام وعلت قدرته، ولكن إيمانهم لم يكن نابعاً من داخلهم. وفريق في البداية آمن أفراداً ولكن مع مرور الوقت تعلقوا بالدنيا وفقدوا إيمانهم ولكن ظلوا يتظاهرون بالإيمان. ولقد تلقت الأمة الإسلامية ضربات موجعة من كلا الفريقين.

□ كثر الحديث عن المنافقين في زمن الرسول ﷺ ولكن بعد وفاته سكت عن هذه المسألة. وهنا يجب طرح عدد من الأسئلة:

١ - هل حياة الرسول كانت سبباً في نفاق بعض، وبعد وفاته ﷺ أصبح الجميع مؤمنين حقيقيين؟!

٢ - هل كان المنافقون من ضمن تلك الأقلية التي التفت حول الإمام علي عليه السلام؟! من أمثال سلمان، وأبي ذر، والمقداد...؟ بالطبع لا؛ لأن هؤلاء ليسوا منافقين. أو أن المنافقين قد رأوا مصالحهم تتفق مع الأكثرية

(٣) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٤) تفسير في ظلال القرآن.

(١) سورة التوبة: الآية ٦٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨١.

ولذا التزموا الصمت؟

□ المنافقون كاذبون في الدنيا: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، وكذلك في الآخرة فإنهم يحلفون كذباً، وقد وصفهم الله بالكاذبين: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَّا إِنَّمَا هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾^(١).

□ عن الرسول ﷺ: «لا أخاف على أمتي مؤمناً ولا مشركاً... ولكنني أخاف عليكم كل منافق الجنان...»^(٢) ويقول أيضاً: «إني لا أخاف على أمتي الفقر، ولكن أخاف عليهم سوء التدبير في المعيشة»^(٣). أجل، حين يجتمع المنافقون المحتالون مع الجهلاء قليلي التدبير تقع مثل حرب صفين وواقعة كربلاء.

التعاليم:

١ - استطاع أفراد منافقون في صدر الإسلام أن ينفذوا إلى مراكز اتخاذ القرار في المجتمع. حتى الرسول الأكرم كان في معرض مؤامراتهم: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾.

٢ - يستفيد المنافق من كلمة الحق في سبيل تحقيق الباطل: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾.

٣ - يمكنكم أن تأخذوا الشعارات والكلمات الحقّة ممن هم ليسوا أهلاً لذلك وتستخدموها: ﴿قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾.

٤ - التملق هو أسلوب المنافقين: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾.

٥ - يستعمل المنافقون صيغة التأكيد والقسم حينما يتكلمون، حتى يصدق المستمع كلامهم: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾.

٦ - فليكن جوابكم على التأكيد، تأكيداً أيضاً: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

٧ - لا تفرحوا بأي شخص يظهر لكم الطاعة والولاء: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولٌ... لَكَذِبُونَ﴾.

٨ - يجب فضح المنافقين: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾.

٩ - الكلام المخالف للعقيدة كذب، حتى إن كان ذلك الكلام في حد ذاته صدقاً. (اعتبر الله قول المنافقين للرسول: إنك لرسول الله، كذباً. مع أن النبي في الحقيقة هو رسول الله إلا أن كلامهم كان مخالفاً لعقيدتهم): ﴿قَالُوا نَشْهَدُ... وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾.

١٠ - الإيمان الحقيقي هو الاعتقاد القلبي وليس الإقرار باللسان: ﴿قَالُوا... إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾.

﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَغَعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾

إشارات:

□ (جُنَّةً) بمعنى الدرع الذي يحمي الجسم من سهام العدو. (مجنون) يقال للشخص الذي على عقله حجاب. (جن) يقال للموجود المحجوب عن عيون الناس و(الجنين) هو الطفل المحجوب داخل رحم أمه، و(الجَنَّةُ) هي الحديقة التي ألقت أشجارها الكثيفة بظلالها على الأرض فحجبتها.

□ ذكر القرآن الكريم مرّات عدة أن المنافقين يحلفون للمسلمين كذباً حتى يرضوهم: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾^(١)، فمثلاً حلفوا أنهم لم يقصدوا سوى الخير حين بنوا مسجد ضرار: ﴿وَلِيَخْلِفَنَّ إِنِ اردْنَا إِلَّا الْاَحْسَنَ﴾^(٢)، وأنهم لم يكن بمقدورهم المشاركة في غزوة تبوك وإلا فإنهم كانوا سيشاركون فيها: ﴿وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾^(٣).

(٣) سورة التوبة: الآية ٤٢.

(١) سورة التوبة: الآية ٦٢.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

□ استخدم القرآن الكريم ألفاظاً قاسية في كل مرة تحدث فيها عن المنافقين، على سبيل المثال: ﴿طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(١)، ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٢)، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، ﴿لَكَذِبُونَ﴾^(٤)، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^(٥)، ﴿الْمُفْسِدُونَ﴾^(٦)، ﴿فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْهَدُونَ﴾^(٧)، ﴿وَمَا كَانُوا مُتَعِدِينَ﴾^(٨)، ﴿لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(٩).

□ يكون قسم المنافقين أحياناً السبب في الصد عن سبيل الله: ﴿أَيَّمَنَّهُمْ جُنَّةٌ فَضَدُّوا...﴾، وأحياناً يكون بسبب إنفاق الكفار أموالاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١٠).

□ يبذل المنافقون كل ما بوسعهم للصد عن سبيل الله، مثل: زعزعة وحدة المسلمين ببناء مسجد ضرار، الإضرار العسكري بالمسلمين بعدم مشاركتهم في الحرب بحجة الجو الحار وغيرها من الحجج الواهية، الإضرار الاقتصادي بنهيهم الناس عن الإنفاق على أصحاب الرسول، الإضرار بالأرواح كما حينما تأمروا على قتل الإمامين الحسن والجواد عليهما السلام عن طريق زوجتيهما.

□ يجب على قائد الأمة الإسلامية أن يكون مراقباً لمكائد المنافقين أكثر من غيره، المخاطب في هذه السورة هو شخص النبي ﷺ، في حين أن كل المسلمين مسؤولون: ﴿إِذَا جَاءَكَ، نَشْهَدُ إِنَّكَ، رَأَيْتَهُمْ، تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ، تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ، فَأَحْذَرْتُمْ، اسْتَفْزَرْتَ لَهُمْ﴾.

التعاليم:

١ - يعتمد المنافقون على سوء الاستفادة من المقدّسات وعلى استغلال القيم: ﴿أَتُخَذُوا أَيْتَنَّهُمْ جُنَّةٌ﴾.

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة محمد: الآية ١٦. | (٦) سورة البقرة: الآية ١٢. |
| (٢) سورة المنافقون: الآية ٣. | (٧) سورة البقرة: الآية ١٥. |
| (٣) سورة التوبة: الآية ٩٣. | (٨) سورة البقرة: الآية ١٦. |
| (٤) سورة المنافقون: الآية ١. | (٩) سورة المنافقون: الآية ٦. |
| (٥) سورة البقرة: الآية ٩. | (١٠) سورة الأنفال: الآية ٣٦. |

- ٢ - يتبع المنافقون في نشر ثقافتهم أسلوب مواجهة الدين بالدين: ﴿أَتَّخَذُوا آيَاتِنَهُمْ جُنَّةً... فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.
- ٣ - يسعى المنافقون بكل جهدهم ليحرموا الناس من الهداية الإلهية: ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (هدف المنافقين هو صد الناس عن سبيل الله ولا يهمهم بعد ذلك أي سبيل سيتبع الناس).
- ٤ - كل أعمال المنافقين سيئة وقيحة: ﴿سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.
- ٥ - الكفر هو عاقبة النفاق: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾.
- ٦ - يطبع الإنسان بنفاقه على قلبه ويحرمه من درك الحقائق: ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ تَبَٰعِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُّسْتَدَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝١﴾

إشارات:

- يخاطب الله تعالى النبي الأكرم في سورة التوبة ويقول له: لا تعجب بأموال المنافقين وأولادهم. ويقول في هذه السورة: لا تعجب بالشكل الظاهري للمنافقين وبحديثهم.
- صحيح أن المخاطب في هذه الآية هو الرسول الأكرم ولكن المسلمين هم الذين يمكن أن يقعوا تحت تأثير كلام المنافقين.
- نُقِلَ عن الرسول الأكرم ﷺ: «للمؤمن أربعة أعداء: مؤمن يحسده، ومنافق يبغيه، وشيطان يضله، وكافر يقاتله»^(١).
- يكون الخشب مفيداً إذا ما استعمل للسقف والحائط والباب والنافذة، ولكن إذا وضع جانباً وأسندوه إلى شيء آخر، عندها يصبح عديم الفائدة: ﴿كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُّسْتَدَدٌ﴾.

□ تشبيه المنافقين بجذوع الشجر المقطعة: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مِّنْ دَرَّةٍ﴾ له وجوه عدة:

١ - خفيف الوزن، أجوف، ينكسر بالضغط عليه أو بضربه.

٢ - جاف وجامد، لا يمكن ثنيه أو التأثير فيه.

٣ - غير مستقل، فلا يستطيع أن يقف دون مساعدة.

٤ - لا يملك القدرة على السمع أو التفكير.

□ يخشى المنافقون من المؤمنين، وهم دائماً في حالة ترقب وقلق من أن تنزل آية تتحدث عنهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ كما جاء في سورة التوبة الآية ٦٤: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

□ ﴿هُرُّ الْمَدُونِ﴾ تعني أن هؤلاء الأفراد هم العدو الحقيقي، أولاً: لأنهم يعيشون داخل المجتمع ومطلعون على أسرار المسلمين، ثانياً: لأنهم تخفوا تحت قناع الصديق فيصعب معرفتهم، ثالثاً: محاربتهم صعبة لأنهم غير معروفين، رابعاً: عندهم روابط عائلية واجتماعية مع المسلمين فتكون مواجهتهم معقدة، وخامساً: يقومون بضربتهم بصورة مفاجئة.

التعاليم:

١ - المنافقون هم أفراد يعيشون معنا وبيننا وليسوا بعيدين عن أعيننا: ﴿رَأَيْتَهُمْ﴾.

٢ - لا ينبغي أن نثق بالظاهر، فليس كل من ظاهره زاهد يكون كذلك. أحياناً، يكون الظاهر الجميل سبباً لاختداع الناس: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

٣ - لولا وجود التحذيرات الإلهية وتيقظ الرسول، لاستطاع المنافقون بكلامهم المنمق والمغرر أن يجعلوا حتى النبي يستمع إليهم: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾.

٤ - المنافقون في الظاهر هادئون ولكن باطنهم دائماً في حالة ترقب وقلق وخوف ووحشة: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ... يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

٥ - يجب أن نخاف من العدو الداخلي أكثر: ﴿هُرُّ الْمَدُونِ﴾.

٦ - يجب أن نعرف العدو وألا ننخدع بظاهره وبحديثه: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ... تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ... هُرُّ الْمَدُونِ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

- ٧ - المنافقون يقاتلون الله وقد لعنهم الله: ﴿فَنَلَهُمُ اللَّهُ﴾. (قاتل) من باب مفاعلة وتستعمل في حال اشترك الطرفان في القتال ولذا لم يقل (قتلهم الله).
- ٨ - انحراف المنافقين عن الإسلام ومناصبتهم العداء له، مدعاة للتعجب: ﴿أَنَّ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ ٥ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

إشارات:

- (تعالوا) من (علو) بمعنى الدعوة إلى الرفعة والسمو والرشد.
- (لوا) من الجذر (لي) بمعنى لف الجبل، وتستعمل في الابتعاد عن الحق.
- أنعس ما يكون الإنسان حين يحرم نفسه من الحق: ﴿لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ﴾ ويحرم الآخرين كذلك: ﴿يَصُدُّونَ﴾، وخاصة إذا قام بذلك عن دراية: ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.
- نقرأ في الآية ٨٠ من سورة التوبة ما يشبه مضمون الآية السادسة: ﴿أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

التعاليم:

- ١ - يجب أن ندعو الأفراد المنحرفين إلى التوبة ونحثهم على الاستغفار: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ...﴾.
- ٢ - إجابة دعوة أولياء الله سبب في العلو والرشد: ﴿تَعَالَوْا﴾.
- ٣ - دعاء أولياء الله في حق المذنبين، مستجاب: ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ﴾.
- ٤ - يجوز التوسل بنبي الله ﷺ: ﴿تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾.
- ٥ - الإعراض عن النصيحة المفيدة، دليل على التكبر: ﴿لَوَّاْ رُءُوسَهُمْ... وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾.

- ٦ - من لا يستجيب لدعوة الحق؛ حتى دعاء النبي لا ينفعه: ﴿تَعَالَوْا... لَوْزًا زُؤُسُمُ... سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ﴾.
- ٧ - يُخرج التكبر والاستكبار الإنسان من الرحمة الإلهية الواسعة: ﴿وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ... لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.
- ٨ - إن الهداية والضلالة بيد الله تعالى؛ ولكنه سبحانه لا يحرم من الهداية إلا من اتخذ الفسق والذنوب سبيلاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.
- ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾

إشارات:

- (خزائن) جمع (خزينة) أي ما يودع فيه المال ويجمع.
- محاصرة المؤمنين اقتصادياً والتضييق عليهم، هي من الأساليب التي يتبعها الأعداء. كما كان المنافقون يقولون بعضهم لبعضهم الآخر لا تنفقوا على من عند الرسول حتى ينفقوا عنه، كذلك كان معاوية حين أعطى أمره بحرمان أصحاب الإمام علي عليه السلام من بيت المال: «انظروا من قامت عليه البيعة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان وأسقطوا عطاءه ورزقه»^(١). وكذلك فعلوا بكريلاء حين منعوا الماء عن أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، واليوم نرى القوى العظمى تضغط على الدول بالحصار الاقتصادي حتى تجبرها على الخضوع والاستسلام.

التعاليم:

- ١ - أحد أساليب المنافقين في تقويض دعائم النهج وتضعيف القائد هو تفريق الأتباع: ﴿لَا تُنْفِقُوا... حَتَّى يَنْفَضُوا﴾.

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ١١، ص ٤٤.

- ٢ - يحلل الأفراد الماديون الأمور بطريقة مادية، فهم يعتقدون أن الناس قد تجمعوا حول الرسول لأجل الدنيا؛ لذا تراهم يقولون: لا تساعدوهم حتى ينفقوا: ﴿لَا تُنْفِقُوا... حَتَّى يَنْفُسُوا﴾.
- ٣ - ينبغي أن يتوقع المؤمنون العون من المنافقين والمخالفين، بل يجب أن يتوكلوا على الله فهو مالك خزائن السموات والأرض: ﴿لَا تُنْفِقُوا... وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
- ٤ - أعطوا الأمل لأنفسكم وردوا على كلام العدو الفارغ: ﴿لَا تُنْفِقُوا... وَلِلَّهِ خَزَائِنُ...﴾.
- ٥ - فهم المنافقين لا عمق له وهو تابع للحسابات الظاهرية: ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَقْضُونَ﴾.

﴿يَقُولُونَ لَيْن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾

إشارات:

□ جاء في التفاسير في سبب نزول الآيات من ٥ - ٨ من سورة المنافقين، ما نقله بشكل مختصر: بعد معركة بني المصطلق التي كانت في السنة السادسة للهجرة، وفي طريق عودتهم إلى المدينة وقع نزاع على استقاء الماء من البئر بين اثنين من المسلمين أحدهما من الأنصار والآخر من المهاجرين، واستصرخ كل منهما قومه لمساعدته. سارع عبد الله بن أبي - رئيس المنافقين - إلى نصره الأنصاري وقال: لقد أعطينا للمهاجرين المسكن والمال، والآن يقفون ضدنا، عندما نرجع إلى المدينة سيخرج الأعزاء منها الأذلاء^(١).

□ نقل زيد بن الأرقم وكان لا يزال شاباً يافعاً ما حدث إلى الرسول. فاستدعى الرسول عبد الله بن أبي ولكن عبد الله أنكر ذلك. وقال الأنصار: توبخ كبيرنا عبد الله بوشاية صبي؟

أصدر الرسول الأمر بالحركة ولم يعط الإذن بالاستراحة حتى لا تكون للناس فرصة ليكملوا فيها الحديث. عندما وصلوا إلى المدينة قام ابن عبد الله بن أبي - وكان مؤمناً حقيقياً - بسد الطريق مقابل والده وقال: هل أنت من أعزاء المدينة وتريد أن تخرج الرسول منها؟ لن أدعك تمر أبداً حتى يأذن لي رسول الله.

وصل الخبر إلى رسول الله وسمح له بالدخول إلى المدينة. عبد الله الذي ادّعى أنه الأعز أصبح ذليلاً وبقي في داره حتى مات، وكلما كان يقال له اذهب إلى رسول الله واعتذر منه كان يلوي رأسه.

□ ورد في رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «لقد فوّض الله للمسلم كل أموره ولم يفوّض له أن يكون ذليلاً»^(١)، ثم تلا قوله: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ».

□ جاء في الحديث: سئل الإمام الصادق عليه السلام: كيف يُذل المؤمن نفسه؟ فأجاب: «يتعرّض لما لا يطيق ويدخل في ما يعتذر منه»^(٢).

□ تقدمت كلمة (الله) على (العزة) في جملة (ولله العزة) وهذا التقديم يفيد الحصر، أي أن العزة الحقيقية خاصة بالله تعالى.

□ عزة الله أمر ذاتي، وعزة الرسول سببها عناية الله الخاصة له، وعزة المؤمنين بسبب وعد الله لهم بالنصر الحاسم والنهائي^(٣).

التعاليم:

١ - يهدف المنافقون إلى تفويض الحكومة الإسلامية: «لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ».

٢ - يرى المنافقون أنهم هم الأعزاء وأن الرسول والمؤمنين أذلاء: «لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ».

(١) الكافي، ج ٥، ص ٦٣، نقلاً عن تفسير راهنما.

(٢) تفسير أطيب البيان.

(٣) تفسير نور الثقلين.

٣ - ضمن الله تعالى العزة والنصر للمؤمنين بشرط أن يبقوا مؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ...﴾.

٤ - العزة محصورة بالله وبالرسول وبالمؤمنين: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٥ - أجبوا على ادعاءات العدو الخاوية وقولوا للذين يظنون أنهم الأعز وأن الرسول هو الأذل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٦ - يعجز المنافقون عن درك الحقائق، فهم لا يستطيعون إدراك أن الله هو من يرزق المؤمنين وإن حاصروهم اقتصادياً: ﴿لَا يَنْفَعُهُمْ﴾، ولا يستطيعون إدراك أن العزة الحقيقية هي لأهل الإيمان: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (٩)

إشارات:

□ إلى هنا تنتهي الآيات المتعلقة بالمنافقين، ولكن بما أن الحب الشديد للعالم أحد عوامل النفاق، تحذر هذه الآية المؤمنين من أن يكون أولادهم وأموالهم سبباً في غفلتهم عن ذكر الله^(١).

الفقرة عن ذكر الله:

□ ثمة العديد من العوامل الصادة عن ذكر الله؛ أهمها، الأموال والأولاد والتي تشير إليها هذه الآية: ﴿لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

الخمر والقمار كذلك، يصدان عن ذكر الله: ﴿وَيَسُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

يمكن للبيع والتجارة أن يكونا مانعين عن ذكر الله أيضاً، لذلك يمدح القرآن الأشخاص الذين لا تلهيهم التجارة والبيع عن ذكر الله: ﴿يَبْتَاعُونَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَبْرَأَةٌ وَلَا يَبِيعُونَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٣).

(٣) سورة النور: الآية ٣٧.

(١) تفسير نمونه.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩١.

التكاثر من العوامل الصادة: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾^(١).

كذلك طول الأمل يمنع ذكر الله: ﴿وَيُلْهِمُ الْأَمْلَ﴾^(٢).

ومن العوامل الأخرى، الرفاهية: ﴿مَتَّعْتُهُمْ وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا اللَّهَ﴾^(٣).

عندما لا ينظر الإنسان إلى الدنيا على أنها مقدمة للآخرة وتكون غاية أعماله الدنيا فحسب، عندها يكون حب الدنيا عاملاً خطراً: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٤).

من الجلي أن الغفلة عن ذكر الله تجعل الشيطان جليساً للإنسان: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٥)، وتعرض الإنسان لعذاب شديد: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾^(٦).

□ الخطير هو الغفلة عن ذكر الله، وقد ذكرت الأموال والأولاد باعتبارهما أقوى العوامل المؤدية إلى الغفلة.

□ (ذكر الله) شامل لكل أنواع الذكر والعبادة، ولكن أبرز أنواع الذكر الذي يجب المواظبة عليه هو الصلاة، ولا يجب أن يتلهى الشخص بأمواله وأولاده عن الصلاة.

□ يحتمل أن يكون السبب في منع الأموال والأولاد للإنسان عن الذكر، جمالها الظاهري الذي ينسي الإنسان ذكر الله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٧).

□ اعتبر القرآن أن المال والولد سببان للفتنة والامتحان: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَنَ بكمُ وَأَوْلَدُكُمْ فَتَنَةٌ﴾^(٨)، ويقول: ﴿وَمَا آمَنَ بكمُ وَلَا أَوْلَدُكُمْ بِأَنِّي تُفَرِّقُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾^(٩).

(٦) سورة الجن: الآية ١٧.

(٧) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٨) سورة الأنفال: الآية ٢٨.

(٩) سورة سبا: الآية ٣٧.

(١) سورة التكاثر: الآية ١.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣.

(٣) سورة الفرقان: الآية ١٨.

(٤) سورة النجم: الآية ٢٩.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

التعاليم:

- ١ - يجب عليكم أن تخاطبوا المؤمنين باحترام عند وعظهم لكي يقبلوا منكم الوعظ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
 - ٢ - تقديم ذكر الله على المال والولد هو من ضروريات الإيمان: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ﴾.
 - ٣ - المال والولد، قلّ أو كثر، يمكن أن يكون مانعاً من ذكر الله: ﴿ءَمْوَالُكُمْ... أَوْلَدُكُمْ﴾.
 - ٤ - الغفلة عن ذكر الله هي الخسارة الحقيقية: ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾؛ (فقدان المال والولد خسارة جزئية ولكن الغفلة عن الخالق هي الخسارة الكلية).
- ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَٰهَ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١١) وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

إشارات:

- يقول المنافقون في الآية السابعة: لا تساعدوا أصحاب النبي حتى ينفضوا من حول النبي؛ وتحاول هذه الآية أن تبطل مخطط المنافقين وتقول للمؤمنين: يا أيها الذين آمنتم ساعدوا المؤمنين حتى لا ينفضوا من حول الرسول.
- إذا آمن الإنسان بالموت وبالقيامة، فسيكون الإنفاق بالنسبة إليه يسيراً جداً. طرح القرآن الكريم مسألة المعاد والقيامة مرّات عدة لكي يوجد الدافع للإنفاق، ومثال ذلك الآية ٢٥٤ من سورة البقرة: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾.
- عن ابن عباس: «ما من أحد يموت ولم يؤدّ زكاة ماله ولم يحجّ إلا سأل الكفرة»^(١).

□ طلب المهلة والرجعة إلى الدنيا غير مقبول، لا في لحظة الموت، كما ذكرت الآية ١٠ من سورة المؤمنون وهذه الآية، ولا في يوم القيامة إذ يقول أصحاب النار: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾^(١).

□ يقول الإمام الباقر عليه السلام مستنداً إلى الآية: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا﴾، قال: «إِنَّ عِنْدَ اللَّهِ كِتَاباً مَوْقُوفَةً بِقَدَمِهَا مَا يَشَاءُ وَيُؤَخِّرُ، فَإِذَا كَانَ لَيْلَةُ الْقَدَرِ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهَا كُلَّ شَيْءٍ يَكُونُ إِلَى مِثْلِهَا...، إِذَا أَنْزَلَهُ وَكَتَبَهُ كِتَابَ السَّمَوَاتِ وَهُوَ الَّذِي لَا يُؤَخِّرُهُ»^(٢).

التعاليم:

- ١ - يجب أن تهينوا الأرضية لدعوة الناس إلى عمل الخير: ﴿أَتَقِفُوا... مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ﴾ (ذكروا بقرب الموت، وبعدم وجود فرصة للعودة، وعدم إمكانية طلب تأخير الموت).
- ٢ - كل ما نملك هو من عند الله وليس من عند أنفسنا: ﴿رَزَقْنَكُمْ﴾.
- ٣ - يجب أن نعالج الواقعة قبل أن تقع: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ﴾، (عندما يحل الموت يغلق باب العمل).
- ٤ - يأتي الموت على حين غرة ولا يمكن تأخيره: ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ... لَوْلَا أَخَّرْتَنِي﴾.
- ٥ - يتحسر الأغنياء الذين لم يكونوا أهلاً للإنفاق في الدنيا ويندمون كثيراً لحظة الموت: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي... فَأَصْدَقَ﴾.
- ٦ - الإنفاق على المحرومين دليل على الصلاح: ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠٧.

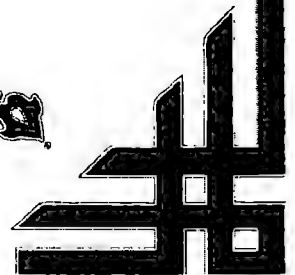
(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٣٢.



سُورَةُ النَّعَّاسِ

السورة: ٦٤ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١٨



ملامح سورة التغابن

نزلت هذه السورة في المدينة وهي تحتوي على ثماني عشرة آية. عبّرت الآية التاسعة عن يوم القيامة بيوم التغابن ولهذا سمّيت هذه السورة بالتغابن.

التغابن بمعنى غبن الغير. في يوم القيامة، يسعى كل شخص إلى إنقاذ نفسه وإلقاء اللوم على غيره.

تشبه آيات هذه السورة في نظمها وسياقها سورة الحديد وكأنها تلخيص لها. تبدأ السورة بالحديث عن توحيد الله، ثم تنبّه الناس إلى ضرورة مراقبة أعمالهم، وتتحدث عن يوم القيامة، وفي الختام تحث الناس على الإنفاق في سبيل الله وتوصيهم بترك حب الدنيا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾

إشارات:

- يرتكب الحكّام الدينيون أخطاءً في سبيل كسب السلطة والحفاظ عليها، ولكن الله هو الحاكم الذي يقّده وينزّهه كل الكون ولا يصدر عنه أي ظلم.
- الموجود المنزه عن كل نقص وعيب هو المستحق للحمد والثناء؛ لذا جاء في الآية تسبيح الله أولاً ثم حمده. في الصلاة كذلك يذكر التسبيح إلى جانب الحمد.

التعاليم:

- ١ - تملك كل الموجودات في الكون نوعاً من الشعور، وكلّ يسبح الله وفقاً لهذا الشعور. (للأسف بعض البشر قد شوّهوا تناغم هذا الكون بتركهم للتسبيح):
﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.
- ٢ - سلطة الله مطلقة وليس لها أي حدود: ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾؛ (سلطة الله حقيقية وليست مجازية أو اعتبارية أو مؤقتة).
- ٣ - الكثير من الأفراد ذوي القدرة الحاكمين في الدنيا يتعرضون للانتقاد ولكن الله عنده السلطة والملك وهو أهل للحمد: ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ﴾.
- ٤ - هو منشأ كل الكمالات لذا كان كل الحمد له: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ﴾.
- ٥ - يعجز الكثير من الحكّام في الدنيا عن إنجاز الإصلاحات وحل المشكلات، ولكن الله هو الحاكم القادر على كل شيء: ﴿لَهُ الْمُلْكُ... وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
- ٦ - قدرة الله على كل شيء في الوجود بالمستوى نفسه. (بالنسبة إليه تعالى خلق حجر مثل خلق سلسلة من الجبال، كما هو الحال بالنسبة إلى عيننا، فإن رؤية المسمار عندها كروية الجبل): ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُكِرَ كَافِرٌ وَنُكِرَ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (٢)

إشارات:

□ لو رأى الإنسان مقداراً من التراب على الطريق فيتساءل: من رمى بهذا التراب هنا؟ ولو وضعت خطة للاستفادة من هذا التراب، يقول: من وضع هذه الخطة؟ لو أدت هذه الخطة إلى صنع أحجار بناء محكمة من هذا التراب سيتساءل عن خصائص ذلك المصمم المبدع.

□ خلق الله الإنسان: ﴿خَلَقَكُمْ﴾، ولكنه خلق يثير الإعجاب إذ قال عن نفسه: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾؛ لأن هذا الخلق شامل لكل أنواع الدقة في التصميم والدقة والإبداع، كما ذكر في آية أخرى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

□ أجل، الخلق يدل على الخالق. وكلما صار ذلك الخلق عالماً وحكيماً دلّ ذلك على علم الخالق وحكمته.

□ أشارت الآية السابقة إلى تسبيح كل الموجودات، وتشير هذه الآية إلى كفر بعض البشر، كي لا يظن الكفار بأن الله محتاج لعبادتهم أو أن كفرهم سيضر به.

□ أشارت الآية السابقة إلى تسبيح كل الموجودات؛ وهذا يدل على أنها تملك نوعاً من الشعور. وتشير هذه الآية إلى أن ما يميّز الإنسان عن سائر الموجودات، توفره على الإرادة والاختيار. يستطيع الإنسان من خلال هذه الموهبة الإلهية المميزة أن يطوي الطريق نفسه الذي تسير فيه سائر الموجودات أو أن يسير بالطريق المغاير. وقد تكون هذه الآية في صدد توجيه انتقاد للإنسان مفاده أنك أيها الإنسان على الرغم من اهتمام الله الخاص بك وكونك سيد الموجودات، إلا أنك سبحت عكس التيار وكفرت وجحدت بالنعمة الإلهية.

التعاليم:

١ - خلق الإنسان، من مظاهر تجلّي قدرة الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ... هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾.

٢ - الإنسان مخلوق مختار لا مجبور: ﴿فَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَإِنْ كُنْ مِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾.

٣ - عمل الإنسان يدل على عقيدته. لم يقل تعالى: إن الله عليكم بإيمانكم وكفركم، بل قال: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾

إشارات:

□ المقصود بحسن الصورة: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾، أن الله تعالى زوّد الإنسان بأشياء تساعد في طريقه للوصول إلى الهدف.

□ وضعت كل أعضاء جسم الإنسان في مكانها المناسب، وهذا التركيب المتناسب هو الذي أدى إلى جمال شكل الإنسان وبالأخص وجهه. وظيفة الهدب والجفن والحاجب، المحافظة على العين وكذلك فهي تعطي جمالاً خاصاً للوجه. الشفاه هي بوابة الفم، وتحافظ على اللسان والأسنان، تفتح وتغلق بمقدار الحاجة عند الأكل والشرب أو التكلم، شفتا الرضيع الذي تتعلق حياته بحليب أمه، لهما وظيفة محدّدة.

□ خلق الله تعالى أفضل موجوداته أي الإنسان من ﴿مَاءٍ مَّهِينٍ﴾^(١)، في مكان مظلم ﴿فِي الْأَرْحَامِ﴾^(٢)، وجعل له أحسن صورة: ﴿فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

□ الفرق بين خلق الله وصنع الإنسان:

(١) سورة المرسلات: الآية ٢٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٦.

١ - قدرة الإنسان على الصنع محدودة في بعض المجالات؛ ولكن الله يخلق كل شيء: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(١).

٢ - قد يصنع الإنسان أشياء بلا هدف محدد؛ ولكن الله يخلق كل شيء لغاية: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾^(٢).

٣ - يصنع الإنسان أشياء بكميات زائدة أو ناقصة؛ ولكن الله يخلق كل شيء بقدر: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾^(٣).

٤ - عادة، لا يداوم الصانع على مراقبة منتجاته بعد صنعها؛ ولكن الله لا يغفل عن خلقه أبداً: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾^(٤).

٥ - يتعب الإنسان أحياناً من التصنيع والإنتاج؛ ولكن الله تعالى لا يتعب أبداً: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٥).

٦ - ضمن الله تعالى للموجودات بقاءها بخلق أزواج لها: ﴿وَرَيْنَ كُلِّ شَيْءٍ خَلْقًا زَوْجَيْنِ﴾^(٦).

٧ - يهدي الله تعالى جميع مخلوقاته هداية تكوينية: ﴿أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(٧).

٨ - ترجع كل المخلوقات في النهاية إليه: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ...﴾^(٨).

□ أعمال الله تعالى هي الأحسن:

- خلقه أحسن الخلق: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٩).

- القرآن أحسن كتاب: ﴿نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾^(١٠).

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠١.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٢؛ سورة العنكبوت: الآية ٤٤؛ سورة الروم: الآية ٨.

(٣) سورة القمر: الآية ٤٩. (٤) سورة المؤمنون: الآية ١٧.

(٥) سورة ق: الآية ٣٨. (٦) سورة الذاريات: الآية ٤٩.

(٧) سورة طه: الآية ٥٠. (٨) سورة التغابن: الآية ٣.

(٩) سورة المؤمنون: الآية ١٤. (١٠) سورة الزمر: الآية ٢٣.

- يقص أحسن القصص: ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^(١).
- أسماؤه هي الأحسن: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٢).
- يعطي أحسن الجزاء: ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾^(٣).
- وعوده أحسن الوعود: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾^(٤).
- حكمه أحسن حكم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا﴾^(٥).
- وقد أراد الله منا أن نختار الأحسن في كل أعمالنا، على سبيل المثال:
- في حديثنا، نقول الأحسن: ﴿يَقُولُوا أَلَيْهِيَ أَحْسَنُ﴾^(٦).
- في أعمالنا، نقوم بالأحسن: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٧).
- في تعاملنا، نتصرف بالطريقة الأحسن: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٨).
- في النقاش والمجادلة، نتبع الأسلوب الأحسن: ﴿وَحَدِّثْ لَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٩).
- أن نحبي ونشكر بالأحسن: ﴿فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ﴾^(١٠).
- نستمع لأحسن ما يقال ونعمل به: ﴿يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾^(١١).
- نتصرف بمال البيتيم بأحسن الطرق: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(١٢).
- فلتكن نيتنا أفضل النوايا ألا وهي الإخلاص وقصد القرية إلى الله، وبهذا نعطي لعملنا صبغة إلهية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صِبْغَةً﴾^(١٣).

(٨) سورة فصلت: الآية ٣٤.

(٩) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(١٠) سورة النساء: الآية ٨٦.

(١١) سورة الزمر: الآية ١٨.

(١٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(١٣) سورة البقرة: الآية ١٣٨.

(١) سورة يوسف: الآية ٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٨٠.

(٣) سورة الكهف: الآية ٨٨.

(٤) سورة الحديد: الآية ١٠.

(٥) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٥٣.

(٧) سورة الكهف: الآية ٧.

التعاليم:

- ١ - خلق السموات والأرض كان وفقاً لبرنامج وهدف: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.
 - ٢ - نسب الله تصوير الإنسان إلى نفسه: ﴿وَصَوَّرَكُمُ﴾.
 - ٣ - الإنسان أجمل وأكمل مقارنة بسائر المخلوقات: ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾.
 - ٤ - كل الوجود في حال حركة ووجهته المقصد الإلهي: ﴿إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.
 - ٥ - الله تعالى هو مبدأ الوجود ومعهده: ﴿خَلَقَ... إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.
 - ٦ - معاد ورجعة البشر إلى خالقهم لينالوا الثواب والعقاب هو من حتميات الوجود الذي خلق لهدف وغاية: ﴿خَلَقَ... بِالْحَقِّ... وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.
- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

إشارات:

- ورد الحديث عن علم الله تعالى في هذه الآية ثلاث مرّات: العلم بكل موجودات الكون: ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، العلم بسرّ الإنسان وعلايته: ﴿مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾، العلم بالنيات والأفكار: ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، وهو علم دائم إذ ورد الفعل في زمن المضارع: ﴿يَعْلَمُ﴾ وهو علم عميق حيث استفيد من صيغة: ﴿عَلِيمٌ﴾ لوصفه.
- الإيمان بأن الله تعالى ناظر إلى كل أعمالنا وعالم بكل شيء هو أفضل وسيلة للابتعاد عن الذنب والتقوى.
- بالنظر إلى أنه تعالى قال في الآية السابقة: ﴿وَالِئِي الْمَصِيرُ﴾، جاءت هذه الآية كجواب على سؤال مقدّر ألا وهو: يتحلل الناس ويتلاشون بعد الموت، فكيف سيرجعون إلى الله؟ تجيب هذه الآية بالقول: إن الله علیم بكل تلك الذرات والأجزاء التي تحللت وإن اختلاط أعضاء الأموات لا يؤدي إلى ضياعها أو تلاشيها.

التعاليم:

- ١ - علم الله ليس محدوداً بزمان ومكان أو بأمور وأشياء خاصة. عنده العلم بالسموات والأرض والعلم بما هو علني وما هو سر: ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ...﴾.
- ٢ - الإنسان ليس متروكاً لنفسه وإنما هو تحت نظر الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا تُسْرُوتَ وَمَا تُعْلِنُ﴾.
- ٣ - السر والعلن بالنسبة إلى الله سيان: ﴿تُسْرُونَ... تُعْلِنُونَ﴾.
- ٤ - يعلم الله تعالى بما يعمل الإنسان في الخفاء ويعلم بأفكاره ورغباته وأسراره المكنونة في صدره: ﴿تُسْرُوتَ... بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

إشارات:

□ (وبال) بمعنى الثقل. يقال للطعام الذي يثقل المعدة: (وبيل)، ويقال للمطر الغزير: (وابل)، ويقال لكل أمر يثقل الكاهل ويؤدي إلى الضرر والأذية: (وبال). ورد ذكر هذه الكلمة أربع مرّات^(١) في القرآن الكريم وكان المقصود منها صعوبات الدنيا ومشاكلها.

□ العذاب الإلهي ليس مختصاً بيوم القيامة، بل أنزل الله تعالى العذاب على بعض الأقوام، في بعض الموارد، في الدنيا وعذبهم في الآخرة أيضاً؛ مثل قوم نوح الذين عذبوا بالغرق، وقوم هود بالريح، وقوم صالح بالصيحة، وقوم لوط أمطروا بالحجارة، وكذلك أصحاب الفيل أمطروا بأحجار من سجيل، فهؤلاء قد نالوا جزاء أعمالهم في الدنيا.

(١) سورة المائدة: الآية ٩٥؛ سورة الحشر: الآية ١٥؛ سورة الطلاق: الآية ٩؛ سورة التغابن: الآية

التعاليم:

- ١ - كان الناس في زمن النبي يعلمون بأخبار الأقسام السابقة التي هلكت: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾.
- ٢ - أوصى الإسلام بمطالعة تاريخ الأقسام السابقة ومن لا يعتبر من التاريخ يجب توبيخه وتعزيزه: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٣ - الأخبار التي يجب معرفتها هي الأخبار المهمة المليئة بالعبر، لا أي معلومات عديمة الفائدة: ﴿نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. (نبأ) تستخدم للأخبار المهمة.
- ٤ - إنّ الله حلیم، ولكن بعض الأفعال تكون منحرفة إلى حدّ أنها تستحق العقاب الفوري. (حرف الفاء يدل على أنه لم يمر الكثير من الوقت): ﴿فَذَاقُوا...﴾.
- ٥ - تصرفات الإنسان نفسه تكون أحياناً السبب في تعاسته: ﴿وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾.
- ٦ - العذاب الإلهي في الدنيا قطرة من بحر العذاب الكامل الخاص بيوم القيامة: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ... وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

إشارات:

□ للتبليغ أنواع مختلفة وأفضل أنواعه التبليغ العملي. جعل الله تعالى الأنبياء من جنس البشر لكي يذوقوا كما البشر حلاوة هذه الدنيا ومرارتها وليكونوا في عملهم مرشدين للناس، ولكن بعضاً بسبب فكره المحدود اعتبر بشرية الأنبياء نقصاً وكان يقول: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾.

□ (استغنى) من مادة «غني» بمعنى عدم الحاجة. وهذا الأمر صادق وحقيقي بالنسبة إلى الله تعالى: ﴿وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾، وأمّا الإنسان فمحتاج للكثير من الأشياء، ومن أسوأ الصفات التي قد يمتلكها الإنسان ظنه بأنه ليس محتاجاً، مثلما أشار القرآن في ثلاثة موارد:

□ ﴿أَنَا مَنِ اسْتَعْتَقَ ٥﴾ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ ﴿١﴾، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ٨﴾ وَكَذَبَ بِالْحَقِّ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾ ﴿٢﴾، وَ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ٦١﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ﴿٧﴾ ﴿٣﴾.

□ إثارة الشبهات والشك والتردد بين المسلمين هو أسلوب الكافرين المتكبرين. يقولون في هذه الآية: ﴿أَبَشِّرْ يَهُودُنَا﴾؟ وفي مكان آخر يقولون: من قال لكم إِنَّ صَالِحاً مَرْسَلٌ مِنْ اللَّهِ؟: ﴿أَنفَعَلُمُونَ أَنَّكَ مَكِيلٌ مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿٤﴾، وفي موضع آخر قالوا: كيف يمكن لفقيه أن يصبح حاكماً وقائداً؟: ﴿أَتَنَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾ ﴿٥﴾.

□ لا يملك الكفار دليلاً، فهم يستبعدون ما جاء به الأنبياء لا غير. يقولون عن النبوة: كيف يمكن لبشر أن يهدي المجتمع؟: ﴿أَبَشِّرْ يَهُودُنَا﴾، ويقولون عن المعاد: كيف يمكن أن نحيا مرة أخرى بعد أن نذوب ونتحلل في الأرض؟: ﴿أَوَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ﴿٦﴾.

□ إن الله تعالى ليس بحاجة لإيمان الناس وانتباههم: ﴿فَكُفُّوا وَقُولُوا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ﴾، ويقول في موضع آخر: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللَّهَ لَغَفِيْرٌ حَمِيدٌ﴾ ﴿٧﴾. أجل، لو بنى كل الناس بيوتهم في مقابل الشمس أو بنوها مخالفة للشمس، فلن يضر ذلك في الشمس شيئاً. يقول الله تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيْرٌ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٨﴾.

التعاليم:

- ١ - ابحثوا وادرسوا في تاريخ السابقين: ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَعْمِهِمْ... ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ
- ٢ - يرسل الله عقابه بعد إتمام الحجة: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ... ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْلِيهِمْ

رُسُلُهُمْ

- | | |
|--------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة عبس: الآيات ٥ - ٦. | (٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٧. |
| (٢) سورة الليل: الآيات ٨ - ١٠. | (٦) سورة السجدة: الآية ١٠. |
| (٣) سورة العلق: الآيات ٦ - ٧. | (٧) سورة إبراهيم: الآية ٨. |
| (٤) سورة الأعراف: الآية ٧٥. | (٨) سورة آل عمران: الآية ٩٧. |

- ٣ - بعث الله تعالى على امتداد التاريخ رسلاً متعددين ومتتابعين لهداية البشر: ﴿كَانَتْ تَأْتِيهِمْ﴾، (كانت) تدل على الاستمرار في الماضي.
- ٤ - لكل الأنبياء دلائل واضحة ومعجزات: ﴿تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾.
- ٥ - كان الكفار يشككون ويردون براهين الأنبياء من دون التأمل فيها: ﴿فَقَالُوا...﴾؛ (حرف الفاء يدل على سرعة الرد في هذه الآية).
- ٦ - من وجهة نظر الكفار فإن بشرية الأنبياء هي نقطة ضعف: ﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾.
- ٧ - إن الله تعالى ليس محتاجاً في ذاته، وهو أهل للمدح والثناء في أعماله: ﴿غَنَى حَيْدٌ﴾.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ ثُمَّ لَتُبْنُونَ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾

إشارات:

- (زعم) يقال للظن والتخمين الذي لا أساس له ولا دليل، وجاءت في القرآن مصاحبة للانتقاد في كل الموارد. في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «أما علمت أن كل زعم في القرآن كذب»^(١)!
- أنكر فريق الله تعالى في الآية الثالثة من هذه السورة: ﴿خَلَقَكُمْ فَنُكِرْتُمْ كَافِرًا﴾.
- وفي الآية السادسة أنكروا النبوة: ﴿أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا﴾.
- وفي هذه الآية أنكروا المعاد: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثَ﴾.
- أقسم القرآن الكريم مرات عدة على وقوع المعاد في مقابل إنكار الكفار له، مثلما يقول في هذه الآية: ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَ﴾، ويقول في مكان آخر: ﴿بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾^(٢)، ويقول في جوابه على سؤالهم التشكيكي: ﴿إِى وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾^(٣). واللطيف أن القرآن الكريم في جوابه يستخدم الألفاظ نفسها التي

(٣) سورة يونس: الآية ٥٣.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة سبأ: الآية ٣.

استخدموها. سألوا في موضع: ﴿أَحَقُّ هُوَ؟﴾ فقال: ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾، وفي موضع آخر قالوا: ﴿لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ فيقول: ﴿لَتَأْتِيََنَّكُمْ﴾، وقد قالوا: ﴿لَنْ يَبْعَثُوا﴾ فقال: ﴿لَيُبْعَثَنَّ﴾.

□ الصفات التي ذكرت لله تعالى من أول هذه السورة حتى الآن: ﴿لَهُ الْمُلْكُ، خَلَقَكُمْ، خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ، يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَعْلَمُ مَا تُسْرُوكَ وَمَا تَعْلِنُونَ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ دليل على أن إحياء الموتى وإنشاء الناس عما قاموا به هين على الله: ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

كما ذكر ذلك مرّات عدة في القرآن الكريم من مثل قوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ﴾^(١)، ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾^(٢).

التعاليم:

- ١ - مع أن الكفار لا يملكون الدليل ويتكلمون بناءً على خيالهم وظنهم، إلا أنهم يطلقون الشعارات بكل ثقة: ﴿زَعَمُوا... لَنْ يَبْعَثُوا﴾.
- ٢ - في التربية والتعليم يجب طرح شعارات الآخرين أولاً ثم الردّ عليها: ﴿زَعَمُوا... قُلْ﴾.
- ٣ - يجوز القسم بالله لأجل رفع شك الآخرين وترددهم في المسائل العقدية: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَيُبْعَثَنَّ﴾.
- ٤ - أجيبوا عن الشبهة والتشكيك بالتأكيد: ﴿لَنْ يَبْعَثُوا... لَيُبْعَثَنَّ﴾.
- ٥ - الثواب والعقاب هما دليل على القيامة: ﴿لَيُبَيِّنَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾.
- ٦ - السبب في إنكار الكفار واستبعادهم هو قولهم باستحالة إحياء الإنسان مرة أخرى، لذا يقول القرآن: ما تعتقدون أنه مستحيل، هو على الله يسير: ﴿وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٨)

إشارات:

□ المراد بالنور في الآية الكريمة هو القرآن الكريم. كما نقرأ في سورة إبراهيم: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

□ تحدثت الآيات السابقة كيف أن الكفر وعدم الإيمان بالله ورسوله وبالمعاد أدى إلى إنزال العذاب على الأمم السابقة؛ لذا تدعونا هذه الآية: إلى الإيمان وعدم الاقتداء بالسابقين.

□ نقرأ في الروايات أن النور هم الأئمة المعصومون لأنهم القرآن الناطق. يقول الإمام الباقر (عليه السلام): «هم الذين ينورون قلوب المؤمنين»^(١).

التعاليم:

١ - يكون للإيمان قيمة إذا ما كان جامعاً للإيمان بالله ورسوله وكتبه السماوية: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾.

٢ - إن الله نور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢)، وما ينزل من عنده فهو نور: ﴿وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾.

٣ - يجب أن يكون الإيمان مصاحباً للعمل: ﴿فَقَامُوا... تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكَ يَوْمَ الْمَجْمَعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ. وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَئِنَّ الْمَصِيرَ (١٠)﴾

إشارات:

□ (التغابن) بمعنى إظهار الغبن، أي أنه يوم القيامة يتحسر الكافرون لعدم

إيمانهم، والفاسقون لعدم قيامهم بالأعمال الصالحة، والمؤمنون يتحسرون لأنه كان بمقدورهم أن يعملوا أكثر مما عملوا، كلٌّ يشعر بنوع من الخسارة والحسرة والغبن، وقد تكون بمعنى أنه يوم القيامة يفكر كل شخص كيف بإمكانه أن يلقي بثقل حمله على كاهل الآخرين، وقد وصف القرآن هذا المشهد بأمثلة عدة؛ ففي أحد الموارد يقول الشيطان: لا تلوموني، أنتم المقصرون. ويتمنى المجرم أن يفتدي نفسه بأولاده وأقربائه بل وكل الناس لكي ينجو من جهنم.

□ قد يكون التغابن بمعنى أن القادة الفاسدين يغبنون أتباعهم وأن الأتباع قد أعطوا بطاعتهم العمياء مجالاً أكبر للحكام ليمعنوا في الفساد وبهذا يكونون قد غبنوهم إذ لو لم يطيعوهم لما استطاعوا التماذي في الفساد^(١).

□ «يوم الجمع» اسم من أسماء يوم القيامة، كما ذكر في آية أخرى: ﴿وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ نَفْثَتُهُمْ جَمَاعًا﴾^(٢).

من المغبون؟

نشير هنا إلى مصاديق للمغبون قد ذكرت في الروايات:

- «من استوى يوماء فهو مغبون»^(٣).
- «المغرور في الدنيا مسكين وفي الآخرة مغبون»^(٤).
- «فإن المغبون من حرم قيام الليل»^(٥).
- يوم القيامة تفتح ٢٤ خزينة لكل يوم من أيام العمر، ويرى الإنسان خزينة الساعات التي لم يعمل فيها خيراً خالية: «فإناله من الغبن والأسف على فواتها حيث كان متمكناً من أن يملأها حسنات ما لا يوصف»^(٦).

(٤) المصدر نفسه، ج ٧٢، ص ١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ٨٣، ص ١٢٧.

(٦) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٦٢.

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة الكهف: الآية ٩٩.

(٣) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ١٧٣.

- «من ترك الجهاد في الله كان كالمغبون»^(١).

□ ثمة فريقان متقابلان يوم القيامة: فريق مغبون: ﴿يَوْمَ النَّعَابِ﴾، فريق فائز: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

□ يجب أن يكون التحذير والتبشير في التربية متلازمين. الآية التاسعة بشرت بجنة الخلد، والآية العاشرة توعدت الكفار بالخلد في جهنم.

التعاليم:

١ - يوم القيامة، يوم يجب تذكره. (إذ، إذا، يوم، في بداية الجملة تستعمل عادة بمعنى: تذكر الوقت): ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾.

٢ - الإيمان والعمل الصالح هو طريق النجاة من الغبن: ﴿ذَلِكَ يَوْمَ النَّعَابِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

٣ - الإيمان ليس مفصلاً عن العمل الصالح: ﴿يُؤْمِنُ... وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.

٤ - العمل الصالح كفارة للأعمال السيئة: ﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.

٥ - لن ندخل الجنة حتى نتطهر بالكامل. ابتداءً، يجب أن تُمحي عنا السيئات ثم ندخل الجنة: ﴿يُكَفِّرُ... يُدْخِلُهُ﴾.

٦ - أنهار الجنة وجناتها متعددة ودائمة وأبدية: ﴿جَنَّاتٍ... الْأَنْهَارُ خِلَالِهَا أَبَدًا﴾.

٧ - الفوز العظيم هو أن يدخل الإنسان إلى الجنة بإيمانه وعمله الصالح: ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ

يُكَلِّ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ يؤمن الإنسان المؤمن بأن الله عليم حكيم رحيم، لذا فإنه لن يصيب أحداً

بمصيبة من دون حكمة وعدالة، وكل مصيبة هي نتيجة عمل الإنسان نفسه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كُنْتُمْ آيْدِكُمْ﴾^(١)، أو أنها وسيلة للامتحان ليصل إلى الرشد والكمال: ﴿فَاخْذُوهُمْ بِالْأَسْأِ وَالْقَرْءِ لَعَلَّهُمْ يَفْزَعُونَ﴾^(٢).

□ الإذن في القرآن هو الإذن التكويني الإلهي مثل إخراج النبات من الأرض بإذن من الله: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾^(٣)، وكذلك هو الإذن التشريعي كما في الآية: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾^(٤) يعني أعطى للمظلومين الإذن بالدفاع. المقصود بالإذن هنا هو الإذن التكويني الإلهي، يعني كل الأحداث تدور في مدار علمه وإرادته وأن الله ليس غافلاً عن شيء، هيأ الله تعالى الأسباب والوسائل التي تساعد على الوصول إلى الخير أو الشر وسيحصل كل موجود على نتيجته بناءً على الوسائل التي استفاد منها.

□ جاء في سورة البقرة مثال على الهداية القلبية التي تعطي المؤمن السكينة حين المصيبة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٥) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ^(٦) (٥).

□ الإيمان أمر داخلي، إذا سكن في الإنسان بعث في قلبه الهداية، وإذا ما اهتدى قلب الإنسان اهتدى قوله وعمله: ﴿يَهْدِ قَلْبَهُ...﴾.

التعاليم:

- ١ - تقع كل المصائب داخل مدار الإذن الإلهي، وليست تصادفية والله لا يمنع تأثير الحوادث: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.
- ٢ - الإيمان سبب في جلب الرحمة والهداية الإلهية الخاصة في مقابل المصائب: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ... وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.
- ٣ - يلهم الله تعالى المؤمنين المصابين طريق العلاج والتحمل والتكليف والصبر: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

(٤) سورة الحج: الآية ٣٩.

(٥) سورة البقرة: الآيتان ١٥٦، ١٥٧.

(١) سورة الشورى: الآية ٣٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٤٢.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٨.

- ٤ - من يؤمن بعلم الله وإرادته، يصبر ويتوكل عند الحوادث ولا يفقد الأمل أبداً: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾.
- ٥ - الخطوة الأولى من الإنسان وبعدها تأتي الالطاف الإلهية: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾.
- ٦ - إن الله يعلم إذا ما كان إيماننا حقيقياً أو نفاقاً: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ... وَاللَّهُ يَكِلْ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾.
- ٧ - تقع المصائب بعلم الله وإذنه وفيها أسرار لا يعلمها إلا هو: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ... وَاللَّهُ يَكِلْ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾.
- ٨ - التفات الإنسان إلى أن علم الله محيط بكل شيء، سبب في تحمل المصائب والثبات أمام المشكلات: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ... وَاللَّهُ يَكِلْ شَيْءٌ عَلَيْهِ﴾.
- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ (١٢) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

إشارات:

- لم يقل الله تعالى في هذه الآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ بل قال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ أي تكررت كلمة الإطاعة؛ لأنه ثمة اختلاف بين هاتين الطاعتين. إطاعة الله تكون في الأمور الثابتة وإطاعة الرسول تكون في الأمور التي يصدرها بوصفه حاكماً إسلامياً.
- النبي معصوم؛ لأن الأمر بالطاعة التامة لغير المعصوم، هو أمر بالذنب.
- قد تكون عبارة: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بمعنى أن لا معبود إلا الله أو بمعنى لا يوجد أي معبود يستحق العبادة إلا الله.

التعاليم:

- ١ - يجب أن تكون عبادة الله مقرونة بطاعة المبعوث السماوي: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾.

٢ - خلق الإنسان حرّاً، يستطيع المخالفة ويستطيع الإطاعة: ﴿أَطِيعُوا... فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾.

٣ - لا يجب على المبلّغ أن يتوقع هداية الناس جميعاً: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾.

٤ - إن النبي مرتبط بالله والله حاميه، حتى إن عصى بعض الناس وتولى: ﴿رَسُولَنَا﴾.

٥ - لا يملك الأنبياء الإلهيون الحق في إجبار الناس وإنما مسؤوليتهم التبليغ فقط: ﴿فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

٦ - إذا عمل الإنسان بتكليفه، فلا يجب أن يقلقه أو يشبط من عزيمته إعراض الناس: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

٧ - يجب أن يكون تبليغ الدين واضحاً وشفافاً: ﴿الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

٨ - المعبود الحقيقي هو فقط من يستحق العبادة: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ... اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

٩ - التوكل على الله الواحد من لوازم التوحيد: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ...﴾.

١٠ - التوكل على الله دليل على الإيمان الحقيقي: ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

١١ - يجب أن نتوكل على الله في كل الأمور: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (جاء الأمر بصورة مطلقة).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِّنْ آزِمِكُمْ وَأَوْلَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا
وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- (العفو) بمعنى السماح، و(الصفح) بمعنى ترك التوبيخ، و(المغفرة) بمعنى المحو من الذاكرة والنسيان، وهذه الأمور الثلاثة (العفو، الصفح، الغفران) هي الخطوات الثلاث في التعامل مع أخطاء الآخرين من مثل الزوج والأبناء.
- عن الإمام الباقر عليه السلام، في تفسير هذه الآية: «وذلك أن الرجل كان إذا أراد

الهجرة إلى رسول الله ﷺ تعلق به ابنه وامراته، وقالوا: نشدك الله أن تذهب عنا وتدعنا فنضيع بعدك، فمنهم من يطيع أهله فيقيم، فحذّرهم الله أبناءهم ونساءهم، ونهاهم عن طاعتهم^(١)؛ لذا نزلت هذه الآية وحذّرت الرجال من قبول طلب نساءهم وأطفالهم المخالف لأمر رسول الله.

□ الزوج والأبناء الذين يمنعون الإنسان من القيام بتكليفه، يسلبونه آخرته، ولذا يعتبر هؤلاء أعداء.

□ لم تذكر كلمات العفو والصفح والمغفرة متالية في أي موضع من القرآن الكريم غير موضع الحديث عن الحياة العائلية مع الزوج والأولاد. يعني حتى إن كانوا مخالفين في الفكر ويجب الحذر منهم، يجب أيضاً مراعاة العفو والصفح والمغفرة معهم.

□ مع أخذ سبب نزول الآية بالاعتبار يستنتج أنّ المعيار لتشخيص العدو من الصديق هو الحث على عمل الخير أو الحؤول دون القيام بعمل الخير. فالشخص الذي يمنع الآخر من القيام بوظيفته لأجل منافعه الشخصية هو العدو.

□ كان بعض المهاجرين يقولون لأزواجهم: نحن سنهاجر، وإن أنتم ندمتم في ما بعد وهاجرتم، لن نستقبلكم في المدينة، لذا يقول تعالى في تنمة الآية: وإن كانوا قد منعوكم من الهجرة من مكة، ولكنهم الآن قد التحقوا بكم فاعفوا عنهم واصفحوا^(٢).

□ نقرأ مثل هذه الآية في الآية ٢٢ من سورة النور: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. نعم، إن نحن عفونا عن الناس فسيغفر الله عنا.

□ إن المسامحة: ﴿تَعْفُوا﴾ وعدم التوبيخ: ﴿وَتَصْفَحُوا﴾ مهمّان، ولكن الأهم هو التغاضي الكلي عن الخطأ: ﴿وَتَغْفِرُوا﴾؛ لذا جاءت كلمة: ﴿وَتَغْفِرُوا﴾ بعد الكلمتين السابقتين لتدل على أنها مرتبة أعلى من العفو والصفح، وكذلك فقد بيّنت الله تعالى نفسه في نهاية الآية بأنه: ﴿غَفُورٌ﴾. مع أن الله قد وصف نفسه

بالصفتين الأخيرتين: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفْوَاً عَفْوَاً﴾^(١)، وورد في الدعاء: «يا كريم الصفح»^(٢).

□ أعطى القرآن الكريم النبي ثلاث قواعد في هداية الأمة: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣) يعني مضافاً إلى العفو عنهم وغض النظر تماماً عن زلاتهم، عليك احترامهم ومشاورتهم.

□ روي عن النبي الأكرم ﷺ أنه يأتي على الناس زمان يهلك فيه الرجل على يد زوجته وأولاده: «يسخرانه بالفقر، فيركب مراكب السوء فيهلك»^(٤).

التعاليم:

- ١ - مقاومة الرغبات العاطفية وغير المحقة للزوج والأبناء هي من لوازم الإيمان، حتى وإن أدى ذلك إلى معاداتهم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ وَأَرْوَاحِكُمْ عُدُوّاً لَكُمْ﴾.
- ٢ - بعض الأزواج فقط، يحول دون عمل الخير وليس جميعهم: ﴿وَمِنْ أَرْوَاحِكُمْ﴾.
- ٣ - يجب الحذر من الانخداع بتغريير الزوج والأبناء غير الصالحين: ﴿فَلَا حَذَرُ لَهُمْ﴾.
- ٤ - صحيح أنه لا يجب الاستسلام لرغبات الأزواج والأبناء غير المحقة، ولكن يحسن العفو والصفح والغفران: ﴿فَلَا حَذَرُ لَهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾.
- ٥ - اسلكوا مسلك الستر على الخطأ إلى آخر مراحل: سامحوا ولا توبخوا وانسوا تماماً: ﴿تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾.
- ٦ - من الضروري المساواة بين الواجب والغريزة في الحياة الأسرية، فلا يجوز ترك التكليف والجهد والهجرة لأجل العواطف والغرائز، ولا ينبغي إهمال العواطف الأسرية لأجل الواجب: ﴿فَلَا حَذَرُ لَهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا﴾.

(١) سورة النساء: الآية ٩٩.

(٢) الكليني، الكافي، المكتبة الإسلامية، ج ٢، ص ٥٧٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩. (٤) تفسير المراغي.

٧ - عفوكم ومغفرتكم سيتبعهما العفو والمغفرة الإلهية: ﴿وَأَن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٨ - المغفرة الإلهية مصاحبة للرحمة والألطف الإلهية الخاصة. إن غفرتكم للآخرين فإن الله سيغفر لكم ويشملكم بلطفه الخاص: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾

إشارات:

□ تشبه الآية ٢٨ من سورة الأنفال هذه الآية: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

□ الفتنة هي العذاب والمشاكل والمصاعب والأمر التي يتلى بها الإنسان وتكون سبباً للامتحان، وكذلك تأتي بمعنى إفساد الأعداء ومؤامراتهم؛ إذ يقول القرآن للحؤول دون هذا: ﴿وَقَلِيلُهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً﴾^(١). واللطف أن المال والبنين هم سبب للامتحان وهم زينة الحياة الدنيا كذلك: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٢).

□ ورد عن الإمام علي عليه السلام: «لا يقولن أحدكم اللهم إني أعوذ بك من الفتنة... فليستعد من مضلات الفتن» ثم قرأ هذه الآية^(٣).

□ إذا آمنا بأن الثروة والأموال، وسيلة للامتحان والفتنة، فلن نحزن لقلة المال؛ لأن ذلك سيجعل الامتحان أكثر سهولة.

□ المال وسيلة للامتحان لأن كسبه يجب أن يكون عن طريق الحلال ومصرفه في الحلال ويجب إتياء الحقوق منه وشكر الله عليه.

□ الولد سبب للامتحان؛ لأن الوالدين يجب أن يدققا في اختيار الشريك، في إعطاء المهر الحلال، في تغذية الطفل السليمة، في محبة الولد والرقابة على

(١) سورة البقرة: الآية ١٩٣.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٣) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٩٣.

كل أموره من مثل التربية والتعليم، الزواج، والعمل، وتوجهاته المختلفة؛ لأن العبور من كل هذه المراحل امتحان صعب جداً. وإذا أنجز الوالدان واجبهم على أتم وجه واجتازوا الامتحان بنجاح، فسيكونان شركاء ولدهم في كل أعماله الحسنة.

□ في حين أن بعض الأزواج والأولاد عدو، كما ذكرت الآية السابقة، إلا أن جميعهم وسيلة للامتحان والفتنة.

التعاليم:

- ١ - التعلق بالمال والولد سبب للانحراف والزلل؛ لذا يحذرننا الله: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾.
- ٢ - ترك التعلق بالمال والولد في سبيل الوظائف الإلهية عمل عظيم، لذلك جعل الله لها أجراً عظيماً: ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.
- ٣ - كلما كان الممتحن عظيماً كانت جائزته عظيمة، إن الله العظيم يعطي أجراً عظيماً: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.
- ٤ - التفكير في الأجر الإلهي العظيم، سبب للنجاة من التعلق بالأموال والأولاد: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٦)

إشارات:

- «يوق» من الوقاية وهي الحفظ والحماية، «والشح» هو البخل والميل النفسي.
- نقرأ في الحديث أن الإمام الصادق عليه السلام كان دائماً يقول في الدعاء: «اللهم فني شح نفسي»، وعندما كان يُسأل عن سبب دعائه بهذا الدعاء؟ كان يقرأ عليه السلام هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «من أدى الزكاة فقد وقى شح نفسه»^(١).

□ ورد في الآية ١٠٢ من سورة آل عمران: ﴿أَتَقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ ويقول تعالى في هذه الآية: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، ما المقصود من هاتين الآيتين؟ الجواب: قد يكون المقصود من: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ أنه في كل المجالات الفردية، الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والعائلية يجب مراعاة التقوى من ناحية الكم، والمقصود من: ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ هو التقوى من ناحية الكيف، يعني يجب الوصول إلى أعلى درجات التقوى وهي الورع^(٢).

□ ذكرت الآيات السابقة الأموال على أنها وسيلة للامتحان الإلهي، في هذه الآية ذكر أن النجاح في هذا الامتحان يكون بالإتفاق والابتعاد عن البخل.

□ مثلما يجب إعداد العدة لمحاربة النفس والأهواء النفسانية: ﴿فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، يجب كذلك الاستعداد بالأسلحة والتجهيزات لمحاربة العدو الخارجي: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣).

التعاليم:

١ - تجب الاستعانة بالتقوى للنجاح في الامتحانات الإلهية: ﴿إِنَّمَا أَمْرُكُمْ وَأُولَٰئِكَ فِتْنَةٌ... فَأَتَقُوا اللَّهَ﴾.

٢ - لا يوجد في الإسلام تكليف فوق طاقة الإنسان: ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

٣ - التقوى الإلهية تعني الاستماع لكلام الحق، العمل به، والإتفاق على الفقراء: ﴿فَأَتَقُوا، وَاسْمَعُوا، وَأَطِيعُوا، وَأَنْفِقُوا﴾.

٤ - لو كنتم طالبين للخير، فأبعدوا الموانع من طريقكم، وامثلوا لأوامر الله، وأنفقوا من مالكم على الفقراء: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ﴾.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) الميزان في تفسير القرآن.

- ٥ - لا يكفي المحافظة على الجسم من الأخطار بل يجب المحافظة على الروح من الأعمال والصفات السيئة أيضاً: ﴿يُؤَقُّ شَحَّ نَفْسِهِ﴾.
- ٦ - الإنفاق في سبيل الله هو طريق الفلاح: ﴿وَمَنْ يُؤَقِّ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.
- ٧ - حب المال والبخل معجونان بطينة الإنسان: ﴿شَحَّ نَفْسِهِ﴾.

﴿إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضْعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾^(١٧)
 عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَزِيرُ الْحَكِيمُ^(١٨)

إشارات:

- ورد مفهوم القرض الحسن في آيات عدة من القرآن الكريم^(١)، وطُرحت حوله مباحث عدة، ولن نبحثها في ذيل الآية لتجنب التكرار.
- الله الذي خلق كل الوجود وأفاض على الإنسان وجوده وماله، أراد من الإنسان أن يساعد الآخرين، وقال: إقراض المحتاجين هو إقراض الله وهو يعطي أضعافاً مضاعفة من الوعود والجوائز. وهذا لأجل رشد الإنسان، ونزع حب الدنيا من قلبه، ومساعدة الفقراء، وخدمة الناس، وحل مشاكلهم، وهدم التعلق بالماديات، والسير إلى الله، وتجلي روح السخاء والعاطفة. وبالتأكيد يكون للإقراض قيمة حينما يكون حسناً، فورياً، بدون منة، وباحترام، ويصرف بالحق، ويكون المبلغ كافياً لحل مشكلة، ويكون في سبيل الله بعيداً عن أعين الناس ولا يؤدي بصاحبه إلى الغرور.
- ذكر القرآن الكريم أشياء عدة بعنوان كفارة الذنوب منها: التوبة، الصلاة، الجهاد، والقرض الحسن.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٥؛ سورة المائدة: الآية ١٢؛ سورة الحديد: الآيتان ١١ و١٨؛ سورة التغابن: الآية ١٧؛ سورة المزمل: الآية ٢٠.

التعاليم:

- ١ - إِمَّا أَنْ تَتَفَقَّحُوا وَتَسَامَحُوا، أَوْ عَلَى الْأَقْل أَنْ تَقْرَضُوا قَرْضاً حَسَنًا: ﴿أَنْفَقُوا... تَقْرَضُوا﴾.
- ٢ - إقراض عباد الله هو إقراض الله: ﴿تَقْرَضُوا اللَّهَ﴾.
- ٣ - القرض الحسن هو أحد طرق حفظ النفس من البخل: ﴿يُؤَقَّ شَحَّ نَفْسِهِ... تَقْرَضُوا اللَّهَ﴾.
- ٤ - لا تحقرُوا المقترض؛ لأن حسابكم مع الله، وفي الحقيقة أنتم قد أقرضتم الله: ﴿تَقْرَضُوا اللَّهَ﴾.
- ٥ - نتيجة القرض الحسن، هي الثواب الحسن: ﴿قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفُهُ لَكُمْ﴾.
- ٦ - إقراض الناس وحل مشاكلهم سبب لغفران الله للذنوب: ﴿تَقْرَضُوا اللَّهَ... وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾.
- ٧ - يجب أن تبينوا بركات عمل الخير وجزاءه، لكي ترغبوا في القيام بأعمال الخير: ﴿يُضَاعِفُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ﴾.
- ٨ - إن الله شاكر للأفراد الذين يقرضون قرضاً حسناً، إذاً فليشكر المقترضون المقرضين أيضاً: ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾.
- ٩ - إن الله حلیم، إذاً، إن لم يعطونا قرض الحسنه، يجب أن نكون حلیمین كذلك: ﴿شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.
- ١٠ - علم الله واحد بالنسبة إلى العلن والخفاء: ﴿عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾.
- ١١ - إن الله ليس محتاجاً لقرضنا: ﴿الْفَزِيرُ﴾.
- ١٢ - أوامر الله وتحفيزاتهِ وجوائزهِ نابعة عن حكمة: ﴿الْفَزِيرُ الْحَكِيمُ﴾.

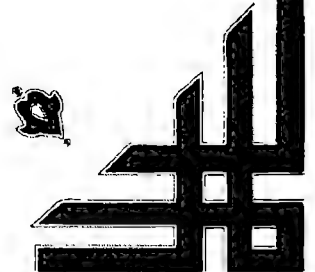
والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ الطَّلَاقِ

السورة: ٦٥ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١٢



ملاحح سورة الطلاق

سورة الطلاق مدنيّة عدد آياتها اثنتا عشرة آية. وتتحدث الآيات السبع الأولى من هذه السورة عن الطلاق وأحكامه والمسائل المرتبطة فيه ولهذا سميت سورة «الطلاق». يتحدث الجزء الثاني من هذه السورة عن عاقبة فريقين من الناس، الفريق الأول هم الأشخاص الذين عصوا الله تعالى واستحقوا العذاب. والفريق الثاني هم الذين اتبعوا النبي وعملوا الصالحات وشملتهم العناية الإلهية واستحقوا نعيم الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَتْحٍ مُبِينٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (١)

إشارات:

- «الإحصاء» هو التعداد وأصله من «حصى» وهي الأحجار الصغيرة؛ لأن القدماء كانوا يستخدمون الحصى والحجارة للعد والحساب^(١).
- المقصود من: ﴿يَفْتَحُ فَتْحٌ مُبِينٌ﴾، الزنا أو أذية أهل المنزل وهذه الأسباب من مجوزات إخراج الزوجة المطلقة من المنزل^(٢).
- يجب على المرأة أن تصبر حتى تحيض ثلاث حيضات وتطهر منها من بعد أن يطلقها زوجها، حينها تستطيع أن تختار زوجاً آخر. تسمى هذه المدة الزمنية العدة ويجب على المرأة أن تحسبها بنفسها. في فترة العدة، على الرجل أن يعطي النفقة لطليقته ولا يستطيع أن يخرجها من البيت في الطلاق الرجعي. وبالتأكيد ففي مثل هذه الحالة لا تستطيع المرأة أن تخرج من المنزل من دون إذن الرجل.
- يملك الرجل الحق بأن يرجع لزوجته في فترة العدة ويبدأ معها الحياة من جديد من دون أن يكون ثمة حاجة لعقد مجدد. يمكن أن تكون إحدى فلسفات فترة العدة ومدة الثلاثة أشهر للمرأة في بيت الزوج، هي الرجوع حتى لا يتحقق الانفصال بهذه السهولة والسرعة: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُخْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.
- وضع الإسلام حدوداً لمنع الطلاق الذي ليس له مبرر، من بينها تحريم الرجوع إلى الزوج بعد ثلاث تطليقات، ولا يستطيع الرجوع إليها إلا بعد زواجها من

(١) تفسير روح المعاني.

(٢) تفسير نور الثقلين.

غيره وطلاقها أي من محلل. ورد في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام: «لثلاث يوقع الناس الاستخفاف بالطلاق»^(١).

□ جاء في القرآن: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَرْوَفٍ﴾، ﴿أَوْ تَصْرِيفٌ يَّحْسَنٌ﴾، يعني إما أن تبقوا على زوجاتكم وتحسنوا لهن وإما أن تنفصلوا عنهن بالحسنى ولا يحق لأحد أن يبقى على المرأة وسيء معاملتها، ففي هذه الحالة على الحاكم الإسلامي أن يدافع عن المرأة.

نبذة عن الطلاق:

إن الطلاق هو أبغض الحلال في الإسلام^(٢). قال نبي الإسلام ﷺ: «تزوجوا ولا تطلقوا، فإن الطلاق يهتز منه العرش»^(٣)، نعم الطلاق حلٌ وقد يكون ضرورياً أحياناً.

توجد نظريات عدة لكيفية الطلاق:

- (أ) يجب أن يكون الطلاق ميسراً وسهلاً الإجراء بدون أي قيد أو شرط، وقد أساء الاستفادة من هذا الأمر الأفراد والمترفون المتبعون لهواهم واستغلوا المرأة فقط لإشباع أهوائهم العابرة.
- (ب) يجب أن يكون الطلاق ممنوعاً كلياً وهذا الرأي تؤيده الكنيسة. إلا أن منع الطلاق يجبر الأزواج والزوجات غير المتوافقين على أن يتعايشوا مع مشاكلهم إلى آخر العمر أو يقوموا باختيار شريك آخر في الخفاء.
- (ج) يجب أن يكون الطلاق بيد المرأة. في هذه الحالة ترتفع نسبة الطلاق؛ لأن النساء عاطفيات أكثر ويتأذين بسرعة وحين يواجهن مشاكل الحياة يقدمن على الطلاق ويهدمن علاقات كثيرة لأتفه الأسباب.
- (د) يجب أن يكون الطلاق بيد الرجل ولكن ضمن القانون وتحت نظر الحاكم

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٦٨.

(١) عيون الأخبار، ج ٢، ص ٨٥.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٢٦٦.

الإسلامي المسؤول عن منع الظلم وإرساء العدالة. نعم، في الحالة التي تطلب فيها الزوجة الطلاق يجب على الحاكم الإسلامي أن ينظر في طلبها وعند الضرورة عليه أن يحكم بالطلاق والانفصال.

□ إن الطلاق في الإسلام تابع لشروط وقواعد خاصة ومراعٍ للشوايت الأخلاقية، مثلما أن الحرب مع الأعداء لها شروط، فلا نملك الحق بتسميم ماء الشرب، وقطع الأشجار، أو ظلم النساء والأطفال والكبار في السن والأسرى.

اسباب الاختلاف والانفصال:

١ - سوء الخلق:

من أهم أسباب الطلاق سوء خلق الزوج والزوجة أحدهما مع الآخر، نقرأ في الروايات قول الإمام علي عليه السلام: «من ساء خلقه ملأه أهله»^(١).

٢ - اتباع الهوى:

أوصى الإسلام الرجال والنساء بغض البصر، وبعدم النظر بقصد التلذذ إلى غير زوجته، وكذلك أوصى النساء بأن يتسترن أمام غير المحارم، وبألا يبرزن محاسنهن أمام الجميع ويتعمدن إغراء الناس.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «كم من نظرة أورثت حسرة طويلة»^(٢).

ويقول في حديث آخر: «عقوا عن نساء الناس يُعَفَّ عن نسائكم»^(٣).

جاء في الروايات أنه في زمان النبي داود، كان ثمة رجل على علاقة محرمة بامرأة، فألهم الله تلك المرأة أن تقول للرجل: إذا ما تعرضت لامرأة فإن ثمة من سيتعرض لامراتك. عندما رجع ذلك الرجل إلى بيته وجد رجلاً غريباً عند زوجته، فقبض عليه وأحضره إلى النبي داود عليه السلام واشتكى عليه. فأوحى الله إلى النبي داود أن يقول للرجل: اليد التي تعطي فيها، هي اليد التي تأخذ منها^(٤).

(٣) الشيخ الصدوق، الأمالي، ص ٢٣٨.

(٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٢.

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٥١٠٣.

(٢) الكافي، ح ٥، ص ٥٥٩.

٣ - إغفال أحد الزوجين حاجات شريكه:

رُوي عن الرسول الأكرم ﷺ: «جلوس المرء عند عياله أحبُّ إلى الله تعالى من الاعتكاف في مسجدي هذا»^(١).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لا ينبغي للمرأة أن تعطل نفسها»^(٢)؛ أي لا يجوز للمرأة أن لا تهتم بترتيب نفسها وتجميلها الذي هو سبب في إضفاء الحلاوة على الحياة الأسرية.

قال حسن بن الجهم: رأيت الإمام الكاظم عليه السلام وقد خضب شعره. فقال الإمام عليه السلام بعد أن رأى تعجبي: «إنَّ التهيئة ممَّا يزيد في عفة النساء ولقد ترك النساء العفة لترك أزواجهن التهيئة»، ثم قال: «أيسرك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة»^(٣).

طرق حلّ الاختلافات قبل الطلاق:

١ - المحكمة الأسرية:

في حالة الاختلاف بين الزوجين، أوصى الإسلام باختيار أفراد حكماء من كلا الطرفين ليكونوا حكماء وينظروا في سبب الاختلاف ويزيلوه.

بهذه الطريقة، تحل المشاكل في مراحلها الأولية ولا تنجر علاقة الزوجين إلى المحكمة وإلى الطلاق: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا...﴾^(٤).

٢ - حضور شاهدين عادلين:

على أساس أحكام الإسلام، حضور شاهدين عادلين هو واجب لإتمام الطلاق، وهذا الأمر عائق أمام الطلاق لأنّه:

أولاً: الطلاق أمر مستقبّح في المجتمع لذلك يمتنع الناس من أن يكونوا شهوداً على الطلاق وتشتيت الأسرة.

(٣) الكافي، ج ٥، ص ٥٦٧.

(٤) سورة النساء: الآية ٣٥.

(١) ميزان الحكمة، الحديث ٧٨٨٤.

(٢) مجموعة ورام، ج ٢، ص ١٢١.

ثانياً: الفردان اللذان يدعوان ليكونا شاهدين على دعوة الطلاق، سيسعيان إلى الإصلاح بين الزوجين.

٣ - تشريع فترة العدة:

العدة في الواقع هي تأجيل حسم أمر الانفصال عن وقت اتخاذ القرار به. فقد أمر الإسلام الرجال بإبقاء زوجاتهم المطلقات في بيوتهم وأن ينفقوا عليهن إلى حين انتهاء فترة العدة. ومن الطبيعي أن يكون بقاء الزوجين معاً في هذه الفترة سبباً لإخماد غضبهم وبعطيهم فرصة ليدققوا أكثر في نتائج الطلاق، ولربما تكون هذه فرصة لكي يرجع الزوجين إلى حياتهم المشتركة مرة أخرى.

ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «المطلقة تكتحل وتختضب وتنظف وتلبس ما شاءت من الثياب؛ لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً لعلها تقع في نفسه فيراجعها»^(١).

فلسفة فترة العدة بعد الطلاق:

لا شك في أن لكل الأحكام الإلهية حكمة ومصلحة نستطيع أن نصل إليها بأدائنا لتلك الأعمال أو مضار نستطيع تجنبها بتركنا لأعمال ممنوعة، وإن كنا لا نعرف حكمة جميع الأوامر والنواهي. ومن هذه الأحكام، حكم إبقاء الزوجة في فترة العدة، وبقليل من التأمل نستطيع أن نستنتج شيئاً من حكمة هذا الأمر:

١ - حفظ حرمة الحياة الزوجية: يعتبر الإسلام أن الزواج أمر مقدس وأن له حرمة، وفترة العدة تساعد على حفظ هذه الحرمة.

٢ - نسب الأولاد: فترة العدة تمنع من اختلاط نطف الأزواج المختلفين، وتحفظ نسب الولد إلى والده إذ توجد حقوق كثيرة ترتب على هذا النسب.

٣ - فرصة للعودة مرة أخرى إلى الحياة المشتركة.

ومضافاً إلى ذلك فإن رجوع الرجل إلى طليقته له مميزات مقارنة بالزواج المجدد ومنها:

أ) يستلزم العيش مع شريك جديد وخوض تجربة جديدة، أما العيش مع الشريك السابق فقد تخطى مرحلة التجربة.

ب) إذا ما ارتبط الرجل بزوجة جديدة فإن ذلك سيكلفه نفقات جديدة.

ج) يكون الرجوع إلى الحياة الزوجية من جديد، أحياناً سبباً في حفظ المكانة الاجتماعية للرجل والمرأة وإزالة الكدورات التي حدثت بسبب الطلاق.

د) يؤدي إلى عودة الأفراد الذين تلاشت عائلتهم بالطلاق إلى حضن العائلة الدافئ، ويجبر الصدمة النفسية التي تعرضوا لها على أثر الطلاق.

هـ) الرجوع إلى الحياة المشتركة يغذي روح الصبر والإيثار والتضحية في الحياة.

التعاليم:

١ - جعل النبي هو المخاطب في الأوامر الكلية الموجهة لكل الناس يشير إلى احترام النبي وإلى ضرورة أن يكون هو المشرف على حسن تنفيذ الأوامر الإلهية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾.

٢ - وجه الخطاب إلى الشخص الأول وذلك لبيان أهمية هذه الأوامر وإيجاد الدافع عند الآخرين: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾.

٣ - ليس ثمة وقت خاص لإجراء عقد الزواج؛ ولكن الطلاق يجب أن يكون في وقت يمكن معه بدء فترة العدة، يعني ألا تكون المرأة في فترة العادة الشهرية ولا يكون الرجل قد جامع زوجته بعد العادة الشهرية: ﴿فَطَلِّقُوهُمْ لِعَدَّتِهِنَّ﴾.

٤ - الطلاق بيد الرجل: ﴿طَلَّقْتُمُ، فَطَلِّقُوهُمْ﴾.

٥ - وضع لقانون الطلاق شروطاً تحد من سرعته لأجل حفظ نظام العائلة: ﴿فَطَلِّقُوهُمْ لِعَدَّتِهِنَّ﴾.

٦ - راعوا الزمان المحدد للأحكام الإلهية بدقة: ﴿وَأَحْصُوا أَلْعِدَّةَ﴾.

٧ - لا ينبغي أن يكون الطلاق والانفصال مصاحباً للذنب: ﴿طَلَّقْتُمُ... أَتَقُوا اللَّهَ﴾.

٨ - يجب رعاية التقوى في الطلاق وخاصة في العدة من قبل الرجل والمرأة: ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾.

٩ - الربوبية الإلهية تقتضي التقوى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾.

١٠ - لا يُسلب حق السكن من المرأة المطلقة في فترة العدة بل تبقى في البيت وكأنه بيتها: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾.

١١ - لا يجوز أن يكون الطلاق مصاحباً لإهانة المرأة وتحقيرها: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾.

١٢ - سدّوا الطريق أمام الامتنان والتمنين. ولكي لا يمتن الرجل على زوجته ولا تكون الزوجة ممتنة لزوجها يقول الله تعالى: إن البيت بيتها: ﴿مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾.

١٣ - لا يجب أن تنظر النساء إلى الطلاق على أنه نهاية المطاف، بل فليبقين في المنزل لعل الرجل يعدل عن رأيه ويرجع إلى زوجته: ﴿وَلَا يَخْرُجَنَّ﴾.

١٤ - تخريب الروابط وهدمها وسدّ الطريق أمام الصلح هو ظلم للنفس: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ... وَلَا يَخْرُجَنَّ... فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

١٥ - المذنب عديم الحياء الذي يدنس الحرمات، ليس له حرمة ويستحق التحقير: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ... إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

١٦ - سوء الاستفادة من القانون غير جائز. (لا تستطيع المرأة أن تستغل حقها في المسكن للانتقام من زوجها، فتقوم بتبديل المنزل إلى مكان للفحشاء والمنكر): ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

١٧ - لا تخرج المرأة من المنزل إلا إذا ثبت ارتكاب الفحشاء عليها ولا يكفي في هذا سوء الظن: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾.

١٨ - لا يجوز للرجال أن يمتنوا على نساءهم المطلقات لتأمينهم النفقة والسكن لهن؛ لأن هذا حكم الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

١٩ - ولا ينبغي للنساء أن يخشين البقاء والمكث في بيت الزوجية؛ لأن الله هو الذي شرع هذا الحكم وأقرّه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

٢٠ - تجاهل أوامر الله وتجاوز الحدود الإلهية، ظلم للنفس وليس لله: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.

٢١ - نحن لا علم لنا بالمستقبل ونتخذ قراراتنا بناء على المعطيات والمعلومات التي نملكها. لذا فبالتركيز على الله يتحقق لدينا الأمل بالمستقبل: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ...﴾.

٢٢ - اليأس ممنوع في الإسلام ويجب على الإنسان المسلم أن يكون متفائلاً بالمستقبل: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ (عند الطلاق يكون الطرفان قلقين، لذا يجب تسليتهم ومواساتهم).

٢٣ - يجب أن تستبشروا عند الحوادث الصعبة: ﴿طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ... لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

٢٤ - راعوا التقوى والحدود الإلهية وفوضوا أمر المستقبل إلى الله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ... يَتْلِكْ حُدُودَ اللَّهِ... لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

٢٥ - لا تحصروا اللطف الإلهي بالوضع الذي ترونه أمامكم، لربما كان الانفصال هو العامل في الوصول إلى وضع أفضل: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾.

﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ فَامْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿١﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٢﴾﴾

إشارات:

□ المقصود من بلوغ الأجل: ﴿بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾، الوصول إلى أواخر أيام العدة لا انتهاء العدة تماماً؛ لأنه إذا ما انتهت فترة العدة لا يجوز احتجاز المرأة^(١).

□ وردت في القرآن كلمة معروف ثمانياً وثلاثين مرة وقد ارتبط خمسة عشر مورداً من مواردها بالأسرة وبالحياة الزوجية، أي أن طريقة تعامل الرجل والمرأة بعضهم مع بعضهم الآخر يجب أن تكون بالمعروف.

□ ثمة فوائد من طلب شاهدين على الطلاق. إحدى تلك الفوائد، أنه من الطبيعي أن يسعى هذان الشاهدان العادلان للموعظة لا للطلاق وأن يرغبوا الطرفين بالصلح.

□ نُقل عن الرسول الأكرم ﷺ: «إِنِّي لأَعْلَمُ آيَةَ لَوْ أَخَذَ بِهَا النَّاسُ لَكَفْتَهُمْ»، ثم قرأ آية: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^(١).

□ ورد في الروايات: عندما نزلت الآية الثالثة، ترك جمع من أصحاب الرسول العمل والتجارة وقالوا: قد ضمن الله لنا رزقنا إذاً ليس ثمة داع للسعي والعمل، فأتبهم رسول الله ﷺ وقال: «إِنَّهُ مِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَا يَسْتَجَابُ لَهُ»^(٢).

□ ورد في القرآن وصف الرحمة الإلهية بجملة: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾^(٣) وكذلك العقاب الإلهي: ﴿فَأَنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾^(٤)؛ إذاً يمكن للرحمة والعقاب الإلهيين أن يأتيا الإنسان من طريق لا يتوقعه وبشكل غير متظر.

□ أثر التقوى لا يقتصر على الآخرة فقط. فقد سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾؛ فقال: في دنياه^(٥).

التعاليم:

١ - يجب مراعاة الوقت المحدد للأحكام الإلهية بدقة؛ (ذكر زمان بدء فترة العدة: ﴿فَطَلَّوْهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾، وكذلك ذكر زمان انتهاء العدة: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُهُنَّ﴾).

٢ - كل الأعمال يجب أن يكون لها زمان وبرنامج محدّدان منذ بدايتها: ﴿أَجَلَهُنَّ﴾.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(١) تفسير مجمع البيان.

(٤) سورة الحشر: الآية ٢.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٣.

(٥) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٥٥، ح ٣٦.

- ٣ - يجب أن تستمر الحياة بالمعروف كما يجب أن يتم الطلاق والانفصال بالمعروف: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.
- ٤ - من حق الزوجة أن تتلقى المعاملة الحسنة في حالة الصلح كما هو في حالة الطلاق: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.
- ٥ - الإبقاء على الزوجة مقدّم على الانفصال عنها، ففي البداية قال: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ ثم قال: ﴿فَارِقُوهُنَّ﴾.
- ٦ - يجب أن تكون أصول الطلاق والزواج مقبولة في الشرع ومستساغة من العقل: ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾.
- ٧ - لقد ضُيعت حقوق المرأة ولا زالت تضيع بسبب ضعفها الجسدي وبسبب القصور في العادات والتقاليد الاجتماعية والتاريخية. لذا يتوجه القرآن في أكثر خطاباتهِ إلى الرجال ويأمرهم بمراعاة الحقوق: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ، فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.
- ٨ - يجب أن يتم الطلاق بكل احترام بعيداً عن أي إهانة أو تحقير: ﴿فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.
- ٩ - من شروط صحة الطلاق وجود شاهدين عادلين: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾.
- ١٠ - إحضار شاهدي عدل هو لحفظ حقوق الطرفين وفي هذا دليل على الدقة وإحكام الأمر: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾.
- ١١ - يجب أن يجري الطلاق في محضر أناس عادلين: ﴿ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾، أي يكون رأسما لهم هو العدل.
- ١٢ - حتى الأفراد العادلون بحاجة إلى تذكير: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِّنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾.
- ١٣ - لا ينبغي أن يؤثر الحب والكره على حكمنا: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾. (جاء في الآية ١٣٥ من سورة النساء ما يشابه هذه الآية إذ قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾).

- ١٤ - شهادة شاهدي العدل يجب أن تكون مصاحبة للإخلاص وحفظ حقوق الناس: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ (تحمل كلمة (أقيموا) معنى الحث على حفظ حقوق الناس، وكلمة (الله) معنى الإخلاص في العمل).
- ١٥ - إقامة حقوق الناس مساوية لإقامة الصلاة والدين. (وردت كلمة (أقيموا) في القرآن الكريم في الحديث عن الصلاة، الشهادة، الدين، والوزن): ﴿أَقِيمُوا الَّذِينَ﴾^(١)، ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٢)، ﴿وَأَقِيمُوا الزَّكَاةَ﴾^(٣)، ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ﴾^(٤).
- ١٦ - الموعظة لا تعني إسداء النصائح الأخلاقية فحسب، بل إن الأوامر الفقهية نوع من الموعظة كذلك: ﴿فَأَمْسِكُوهُمْ... فَأَرْقُوهُمْ... أَشْهَدُوا... ذَلِكَ كُمْ يُوعَظُ بِهِ﴾.
- ١٧ - قبول النصيحة هو دليل على الإيمان الحقيقي: ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ﴾.
- ١٨ - بدل اتباع طرق مختلفة في السير والسلوك يجب العمل بالأحكام الإلهية فهو أفضل طريق للموعظة وصنع الإنسان: ﴿يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ﴾.
- ١٩ - حل الأمور عن طريق ارتكاب الذنوب هو انحراف عن الطريق الصحيح. التقوى وخشية الله توجب خروج الإنسان من المشكلات ومصاعب الحياة: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.
- ٢٠ - التقوى هي السبيل للخلاص من كل الطرق المسدودة (التي من جملتها: المشاكل بين الزوج والزوجة): ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.
- ٢١ - في إدارة الأزمات والفتن، ثمة طريقان للنجاة:
- أ) التقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.
- ب) التمسك بالقرآن: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن»^(٥).

(١) سورة الشورى: الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٣.

(٣) سورة الرحمن: الآية ٩.

(٤) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٥) الكافي، ج ٢، ص ٥٩٨.

٢٢ - الزوجان اللذان وصل بهما المطاف إلى الطلاق، إذا التزموا بالتقوى، يشملهم الله تعالى بلطفه: ﴿وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٣ - الأفراد الذين يؤمنون قوت يومهم من الحرام، يغلقون على أنفسهم باب الرزق الذي يرسله الله من غير حساب: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ... وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٤ - إرادة الله تعالى لا تخضع لحسابات الإنسان: ﴿وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٥ - رعاية الأمور المعنوية، تؤثر في الحياة المادية. (تلعب الإمدادات الغيبية دوراً مؤثراً في حياة الإنسان): ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

٢٦ - يضع الإنسان المتقي رغبته تحت تصرف الإرادة الإلهية، ولأن الإرادة الإلهية لا يقف أمامها عائق؛ لذلك فإن الإنسان المتقي لن يعيق شيء طريقه كذلك: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾.

٢٧ - الرزق الوفير ليس مرتبطاً دائماً بكثرة العمل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ... وَرِزْقُهُ﴾ (إن كمية هذا الرزق وكيفيته ليسا مهمين)، روي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾: أي يبارك له في ما أعطاه^(١).

٢٨ - التقوى والتوكل عاملان للخروج من الطريق المسدود: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

٢٩ - التقوى ضرورية لتأمين حياة اليوم: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ... وَرِزْقُهُ﴾ والتوكل ضروري للمستقبل: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

٣٠ - التقوى مقدمة على التوكل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾.

٣١ - من دون لطف الله تعالى، لا ينفع ولا يكفي أي عامل آخر: ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

٣٢ - ثمة احتمال للفشل والقصور والوصول إلى طريق مسدود لرغبات كل الحكام والأفراد وإراداتهم، إرادة الله هي الأمر الوحيد الذي لا فشل فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾.

٣٣ - نستند في تبرير توكلنا على الله إلى قدرته سبحانه التي لا نهاية لها: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ... إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ﴾.

٣٤ - قدرة الله وتوكلنا عليه لا تعني أن الإنسان سيصل إلى كل ما يريد؛ لأن كل أمور الكون تابعة لقانون وحساب وكتاب: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِّغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾.

﴿وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبَتْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَئِكَ أَلْتِمَالِ أَجْلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَنْتِ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۖ﴾

إشارات:

□ بعد أن بينت الآية السابقة أحكام الطلاق، تقول هذه الآية: النساء اللاتي لا يحضن لأسباب أعم من كهولة السن أو المرض يجب أن يصبرن ثلاثة أشهر كفترة للعدة والنساء الحوامل يصبرن حتى يضعن حملهن، ومن بعدها يستطعن أن يتزوجن برجل آخر.

□ ذكر القرآن الكريم تعابير عدة عن الأشخاص المتقين: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا﴾^(١)، ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^(٢)، ﴿يَجْعَلْ لَهُ نَجْرًا﴾^(٣)، ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾^(٤)، وقد تحمل هذه التعابير الإشارة إلى المسير الطبيعي، إذ إن الإنسان المتقي يظهر نوره أولاً وفي ظل ذلك النور يستطيع أن يميز بين الحق والباطل ويجد الفرقان، وعندما يعرف الحق من الباطل يجد الطريق للخروج من المشاكل، وفي ظل ذلك النور أيضاً، يخرج من الكثير من المشكلات بسهولة.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٢.

(٤) سورة الطلاق: الآية ٤.

(١) سورة الحديد: الآية ٢٨.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٩.

التعاليم:

- ١ - تختلف أحكام الله تعالى باختلاف ظروف الإنسان المختلفة. (يوجد حكم خاص للنساء الحوامل واليائسات): ﴿يَسِّنْ... لَمْ يَحْضَنْ وَأُولَتْهُ الْأَحْمَالُ﴾.
 - ٢ - الدين فطري عنده ثوابت فطرية وطبيعية وشاملة لكل شيء. توفيت الأحكام الإلهية وقياسها قائم على محور المسائل الطبيعية. من مثل: طلوع الشمس وغروبها، رؤية القمر، مقدار الشبر والذراع: ﴿ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.
 - ٣ - للأولاد حرمة وحقوق، والمرأة الحامل لا تستطيع أن تتزوج رجلاً آخر قبل أن تلد: ﴿وَأُولَتْهُ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.
 - ٤ - التقوى الزائدة ضرورية للأمور الأسرية ولمراعاة حقوق الشريك وبالأخص في حالات الطلاق والانفصال. (من بداية هذه السورة حتى الآن ذكرت التقوى مرات عدة): ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾.
 - ٥ - بعض المشاكل التي تظهر في الحياة سببها عدم التقوى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، (بالطبع فإن بعض مشاكل الأشخاص المتقين تكون لأجل الابتلاء والامتحان).
 - ٦ - تحمّل المصاعب يسيرٌ على الأفراد المتقين؛ لأن التقوى تزيد من استعداد الإنسان: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ تعني من جهة أعماله).
- ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾

التعاليم:

- ١ - لا ينبغي أن نتساهل أو نستخفّ بالأوامر الإلهية في المسائل الأسرية: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا﴾.
- ٢ - التقوى سبب للنجاة من العقاب الإلهي: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.
- ٣ - يستطيع المذنبون أن يكفروا عن ماضيهم بالتقوى: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.
- ٤ - لا تعتقدوا بحتمية سوء العاقبة للمذنبين، فقد يغفر الله لهم: ﴿يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾.

٥ - التكفير عن الذنوب هو مقدمة لنيل الأجر: ﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾.

٦ - التقوى، تكفر عن الماضي: ﴿يُكَفِّرُ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾، وتؤمن المستقبل: ﴿وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا﴾.

﴿أَتَكُونُوهْنَ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقِهِنَّ عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمَلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَتَمِرُوا يَتَنُكَّرَ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴿٦﴾﴾

إشارات:

□ «الائتمار» من «اتتمر» بمعنى قبول الأمر أو الاستشارة والتي في الواقع تعني التوافق والتفاهم على القيام بأمر ما.

□ يمكن أن تكون حكمة الأمر في سكن الزوج والزوجة في بيت واحد في فترة العدة، تسهيل الرجوع وتهيئة الأرضية للصالح. مضافاً إلى ذلك فإن إخراج المرأة من البيت أو تأمين سكن منفصل لها فيه ضرب من تحقير المرأة وإهانتها. وكذلك فإن الانفصال التدريجي يفتح المجال للعقل والعاطفة والتفكير أكثر من الانفصال دفعة واحدة ويمكن من التفاهم.

□ تشير هذه الآية إلى مسألة حقوق المرأة وحرمتها: كإرضاع الطفل، وأجرة الرضاعة، وتأمين المرضعة في حالة الطلاق.

□ جاء في هذه الآية خمسة أوامر وكلها أوامر عاطفية وعقلية وتمثل أرضية للرجوع إلى الحياة المشتركة: ﴿أَتَكُونُوهْنَ﴾، وَلَا تُضَارُّوهُنَّ، فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ، فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ، وَأَتَمِرُوا يَتَنُكَّرَ بِمَعْرُوفٍ﴾.

التعاليم:

١ - تأمين مسكن المرأة حتى بعد طلاقها لفترة هو في عهدة الرجل: ﴿أَتَكُونُوهْنَ﴾.

- ٢ - يجب أن تسكن المرأة المطلقة في المكان نفسه الذي يسكن فيه الرجل. (لا ينبغي أن يكون الطلاق سبباً في الانفصال في المسكن): ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾.
- ٣ - لا يحق للرجل أن يختار مكاناً غير مناسبٍ للسكن ويجبر المرأة على السكن فيه بهدف التوفير، أو التحقير، أو الانتقام: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾.
- ٤ - يجب الانتباه إلى سكينه المرأة وراحتها في اختيار المسكن وألا يكون المسكن مجرد مكان يُلتجأ إليه: ﴿أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾. (التعبير عن المكان بالمسكن الذي هو من السكينة بدلاً من التعبير بالبيت هو من هذا المنطلق).
- ٥ - استطاعة الرجل هي الملاك في اختيار المسكن من حيث الكمية والكيفية وليس الملاك هو طلب المرأة وتوقعاتها: ﴿مِنْ وَبَدِكُمْ﴾.
- ٦ - لا يحق للرجل أن يؤذي المرأة التي طلقها، بأي شكل من الأشكال: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُمْ﴾.
- ٧ - لا يحق للرجل أن يضيق على المرأة التي طلقها، بأي شكل من الأشكال: ﴿لِلضِّيقِ﴾.
- ٨ - تأمين نفقة النساء الحوامل حتى بعد الطلاق واجب: ﴿فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.
- ٩ - تستطيع المرأة المطلقة أن تطلب من الزوج أجراً مادياً في مقابل إرضاعها الطفل: ﴿فَتَأْتُوهُمْ أَجْرُهُنَّ﴾.
- ١٠ - لبن الأم أفضل من لبن المرضعة حتى لو أخذت أجراً مادياً مقابل الإرضاع: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَتَأْتُوهُمْ أَجْرُهُنَّ﴾. وكذلك فإن النساء المطلقات مخيرات بين أن يرضعن أو يمتنعن: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾.
- ١١ - المشاورة بين المرأة والرجل قيمة جداً، لدرجة أن الإسلام أوصى بها حتى في حالة الانفصال: ﴿وَأْتِيرُوا بَيْنَكُمْ﴾.
- ١٢ - الملاك في القبول أو الرفض في كل المسائل الأسرية هو العرف والعقل: ﴿فَأَسْكِنُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ، فَأَرْفُقُوهُمْ بِمَعْرُوفٍ... وَأَتِيرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾.

١٣ - المشاورة ضرورية وإن كانت لا تعطي النتيجة المطلوبة دائماً وفي كل مكان: ﴿وَإِنْ تَكَاسَرْتُمُ﴾.

١٤ - إذا لم يتفق المرأة والرجل لا يجوز منع الطفل من حقوقه: ﴿فَسَتَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.

١٥ - لبن الأم للطفل له الأولوية، ويغض النظر عنه فقط في حال عدم مقدرة الرجل المادية: ﴿وَإِنْ تَكَاسَرْتُمُ فَسَتَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.

١٦ - لا يحق للمرأة أن ترفع من أجر الرضاعة إلى درجة تعرض فيها الرجل للعسر، عندها يحق للرجل أن يستأجر مرضعة: ﴿وَإِنْ تَكَاسَرْتُمُ فَسَتَرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾.

١٧ - يجب حفظ حقوق الرضيع والطفل عند اتخاذ القرارات العائلية:

(أ) ما دام الطفل في الرحم فعلى الوالد نفقته.

(ب) بعد الولادة على الأم أن ترضعه.

(ج) يدفع الوالد أجر الإرضاع للوالدة.

﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مِمَّا ءَاتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧)

إشارات:

□ تأمر هذه الآية كل شخص بأن ينفق على زوجته بقدر استطاعته، والنفقة شاملة لأيام العدة، وأيام الرضاعة، وللنفقة في زمان آخر كذلك.

التعاليم:

١ - قدرة الرجل المادية هي المعيار في تحديد ميزان النفقة، لا تضيق الرجل ولا طموحات المرأة ورغباتها: ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾.

٢ - لا تضيقوا على أنفسكم اليوم خوفاً من المستقبل: (من يستطع فلينفق)، ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾.

- ٣ - لا تتخلوا عن مروءتكم حتى في حالة الطلاق: ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِيَّ﴾.
- ٤ - النفقة على الزوجة ليست نابعة من الحب لها، بل هي واجبة للمرأة المطلقة أيضاً وذلك لفترة محددة: ﴿ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِيَّ﴾.
- ٥ - يجب على المنفق أن يعلم بأن ماله وأملكه من الله تعالى: ﴿وَمَا ءَانَتْهُ أَلَلَّةٌ﴾.
- ٦ - فلينفق كل شخص بالقدر الذي يستطيع عليه. إذا لم تستطع أن تصفي ماء البحر من الملح، فيجب عليك أن تتحمل العطش: ﴿وَمَنْ قُدِرَ... فَلْيَنْفِقْ مِمَّا ءَانَتْهُ أَلَلَّةٌ﴾.
- ٧ - على الفقراء ألا ينسوا نعم الله عليهم حين يقارنون أنفسهم بالأغنياء: ﴿قُدِرَ عَلَيْهِ... ءَانَتْهُ أَلَلَّةٌ﴾.
- ٨ - التكليف على قدر الاستطاعة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَّا ءَاتَتْهَا﴾، الإسلام دين يتصف بالواقعية ولا يكلف الإنسان فوق طاقته.
- ٩ - لا تستعجلوا لحصول الانفراج: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ﴾.
- ١٠ - لا تفقدوا الأمل بالمستقبل في الظروف الصعبة من مثل الطلاق والانفصال أو الفقر والحاجة: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.
- ﴿وَكَانَ مِّن قَرِيْبٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رِبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَهَا حِسَابًا شَدِيْدًا وَعَذَّبْنَهَا عَذَابًا ثَكْرًا ۝٨ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا خُسْرًا ۝٩﴾

إشارات:

- القرية هي محل اجتماع الناس للسكن، مدينة كانت أو قرية. (عتت) من (عتو) بمعنى العصيان، (وبال) بمعنى الشدة والثقل، والمقصود العذاب العسير.
- وردت في الآيات السابقة أوامر حول حقوق الزوجة والطفل حتى في أيام الانفصال. تقول هذه الآية: لا تستخفوا بالأوامر واعملوا بها؛ لأن التخلف عن أمر الله والرسول يترتب عليه عقاب شديد ويوجد كثير من الأمثلة التي يمكن مشاهدتها على مر التاريخ.

التعاليم:

- ١ - التاريخ والسابقون هم عبرة لللاحقين: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْبَيْهِ...﴾.
- ٢ - تقتضي سنة الله إنزال العذاب الشديد على الأشخاص الذين عصوا أمر الله ورسوله: ﴿وَكَايْنٍ مِّن قَرْبَيْهِ عَنَّتْ...﴾.
- ٣ - التخلف عن أمر الأنبياء هو تخلف عن أمر الله: ﴿عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ...﴾.
- ٤ - مهما كان عذاب الدنيا شديداً فما هو إلا نفحة من العذاب. إن العذاب المهم هو في يوم القيامة: ﴿وَعَذَابُهَا... فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا...﴾.
- ٥ - إن عاقبة عصيان أمر الله ورسوله هي الخسارة: ﴿عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرٌ...﴾.
- ٦ - لا يجب أن نفكر بالنجاحات العابرة، بل يجب أن نأخذ خواتم الأعمال بعين الاعتبار: ﴿عَقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرٌ...﴾.

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْخُذُوا بِالْآلِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٥﴾﴾

التعاليم:

- ١ - حساب الله الشديد يترتب عليه عذاب شديد: ﴿حِسَابًا شَدِيدًا... عَذَابًا شَدِيدًا...﴾.
- ٢ - التقوى هي التي تحفظ الإنسان من الحساب والعذاب الشديدين: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ...﴾.
- ٣ - العقل والإيمان هما سبب للتقوى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْخُذُوا بِالْآلِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾.
- ٤ - العقل والإيمان ليسا منفصلين عن بعضهما: ﴿يَأْخُذُوا بِالْآلِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾.
- ٥ - لتحفيز الناس على القيام بالتكاليف الإلهية، اذكروا كمالاتهم: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْخُذُوا بِالْآلِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾.
- ٦ - العقلاء المؤمنون هم الوحيدون الذين رحبوا بالمبعوث الإلهي واستفادوا من تحذيراته: ﴿يَأْخُذُوا بِالْآلِيبِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا...﴾.
- ٧ - الهدف من بعثة الأنبياء والكتب السماوية هو تنبيه الناس وتوعيتهم: ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا...﴾.

٨ - العقل من الداخل والوحي من الخارج وسيلتان لنجاة البشر: ﴿يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ...
أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَةً لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ (١١)

إشارات:

□ ترتبط الهداية بعناصر عدة:

(أ) الهادي: ﴿رَسُولًا﴾.

(ب) المهتدي: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

(ج) وسيلة الهداية: ﴿آيَاتِ اللَّهِ مُمِيزَةً﴾.

(د) الهدف من الهداية: ﴿مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

(هـ) ثواب الاستجابة للهداية: ﴿يَدْخُلْهُ جَنَّاتُ...﴾.

□ استعملت كلمة (ذكر) للقرآن الكريم: ﴿نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾^(١) وكذلك للنبي:
﴿ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُوا﴾.

□ قالت عائشة زوج رسول الله ﷺ في وصفها للنبي ﷺ: «كان خلقه القرآن»^(٢).

التعاليم:

١ - يستطيع الإنسان أن يصل إلى مرحلة يكون فيها كل وجوده ممتلئاً بذكر الله تعالى: ﴿ذِكْرًا رَسُولًا﴾.

٢ - الدين وحده لا يكفي، فلا بد من وجود قائد: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا﴾.

(١) سورة الحجر: الآية ٩.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج ٦، ص ٣٤٠.

٣ - أفضل طريقة لنجاة الناس وخروجهم من الظلمات إلى النور هي الإخبار عن الآيات الإلهية وتبيينها: ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ... لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.

٤ - يجب أن تكون الدعوة واضحة وشفافة: ﴿ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيَّنَاتٍ﴾. (وردت كلمة مبين أكثر من مئة مرة في القرآن الكريم من مثل: ﴿الْبَلَّغُ الْمُبِينُ﴾^(١)، ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، ﴿سُطِّلْنَا مُبِينًا﴾^(٣)).

٥ - طرق الباطل والشرك والكفر مختلفة ومتعددة، ولكن طريق الحق واحد لا أكثر: ﴿الظُّلُمَاتِ... النُّورِ﴾. (كلمة (ظلمات) جمع ولكن (نور) مفرد).

٦ - هدف الأنبياء هو نجاة البشرية: ﴿رَسُولًا يَتْلُوا... لِيُخْرِجَ...﴾.

٧ - إخراج الناس من الظلمات هو في الحقيقة عمل الله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٤)، ولكن هذا العمل يتحقق عن طريق الأنبياء: ﴿رَسُولًا... لِيُخْرِجَ...﴾.

٨ - مع أن هدف الأنبياء هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور: ﴿لِيُخْرِجَ النَّاسَ مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٥)؛ ولكن هذا الهدف يتحقق فقط مع المؤمنين: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا... مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

٩ - قد يبقى الإنسان حتى بعد أن يؤمن مُحَاطًا بظلماتٍ ينبغي عليه أن يزيلها من حوله: ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا... مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

١٠ - الإيمان والعمل مترافقان دائماً: ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَعَمَلٌ سَلِيمٌ﴾.

١١ - يجب أن يكون التشويق والتهديد متعادلين: ﴿عَذَابًا نَّكَرًا... أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

(٥) سورة إبراهيم: الآية ١.

(١) سورة المائدة: الآية ٩٢.

(٢) سورة الحجر: الآية ١.

(٣) سورة النساء: الآية ٩١.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ (١٢)

إشارات:

□ ثمة احتمالات عدة للمقصود من الأراضي السبع^(١):

(أ) سبعة كواكب سماوية تكون شبيهة بالأرض من حيث التركيب.

(ب) الطبقات السبع للأرض المصفوفة فوق بعضها كطبقات البصل.

(ج) الأقاليم السبعة للأرض، إذ قَسَم علماء الجغرافيا القدماء الأرض إلى سبعة أقاليم.

□ بيّنت هذه الآية أن خلق السموات والأرض وتدبير الأمور كان لأجل أن يعلم الإنسان بالعلم والقدرة الإلهية والمعرفة والرشد التوحيدي: ﴿لِتَعْلَمُوا﴾.

□ بيّنت الآية السابعة من سورة هود كذلك أن الهدف من خلق السموات والأرض هو ابتلاء الإنسان: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ... يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.

□ وذكرت الآية ١١٩ من السورة نفسها أن الرحمة الإلهية هي الأساس في خلق الإنسان: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾.

□ واعتبرت الآية ٥٦ من سورة الذاريات أن عبادة الله هي الهدف من خلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

□ النتيجة التي يمكن استخلاصها من مجموع هذه الآيات هي أن الهدف من خلق الوجود والإنسان، العلم والعمل والعبادة والرحمة الإلهية.

التعاليم:

١ - كونوا مطمئنين إلى أن الله سيفي بوعوده؛ لأنه يملك قدرة استطاع بها أن يخلق السموات والأرض: ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ، أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا، اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾.

- ٢ - ثمة نوع من التوازن في الوجود: ﴿سَبَّحَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ يَسْلَمْنَ﴾.
- ٣ - خلق الوجود بيد الله وكذلك تدبير أموره: ﴿خَلَقَ... يَنْزِلُ الْأَمْرُ﴾.
- ٤ - يكون الأمر الإلهي تشريعياً أحياناً: ﴿عَلَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾^(١)، وأحياناً تكوينياً: ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾.
- ٥ - إن الوجود مكان للتعليم: ﴿خَلَقَ... لَتَعْلَمُوا﴾.
- ٦ - الكمال والرشد البشري هو محور كل الموجودات: ﴿لَتَعْلَمُوا﴾.
- ٧ - علم الإنسان بطريقة تدبير نظام الخلق، أمر مهم في الإسلام: ﴿خَلَقَ سَبَّحَ سَمَوَاتٍ... يَنْزِلُ الْأَمْرُ... لَتَعْلَمُوا...﴾.
- ٨ - الذي خلق وأوجد، يملك القدرة على الإحاطة الكاملة بكل شيء: ﴿خَلَقَ... أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.
- ٩ - علم الله بكل الأمور، علم كامل ودقيق ولا يشوبه أي نقص: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

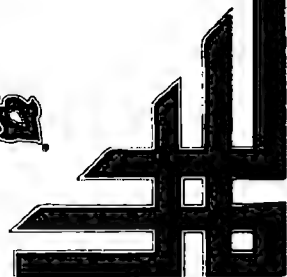
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ التَّجْوِيْدِ

السورة: ٦٦ الجزء: ٢٨

عدد الآيات: ١٢



ملامح سورة التحريم

نزلت هذه السورة في المدينة، وتحتوي على اثنتي عشرة آية. أخذ اسم هذه السورة من الآية الأولى التي ذمّت تحریم ما أحله الله للإنسان، حتى وإن كان هذا التحريم، وهو حرمان النفس من الملذات الحلال، له أسباب مختلفة فردية واجتماعية.

تحدثت الآيات الأولى عن التصرف غير اللائق الذي قامت به بعض زوجات الرسول معه، والآيات التالية لها تخاطب المؤمنين وتأمّرهم بحفظ أهلهم وتربيتهم حتى يقوهم نار جهنم، وبعد ذلك تتعرض الآيات لأمثلة سيئة وأخرى إيجابية من النساء وتقدّم امرأتين كمثال على كل فئة. زوجتا نوح ولوط عليهما السلام مثال للفئة السيئة وامرأة فرعون والسيدة مريم مثال للفئة الإيجابية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغْ مَرَضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾

إشارات:

□ ذكرت أسباب عدة في سبب نزول هذه الآية، والقدر المسلّم هو أنّ الرسول كانت له زوجات عدّة وكانت تصرفاتهم النابعة عن الحسد والغيرة تضيق عليه أحياناً فيضطر إلى التنازل عن بعض حقوقه المشروعة لإرضائهم. مع أن هذه التحريمات كانت أمراً شخصياً إلا أن الرسول باعتباره أسوة للمجتمع فقد كان من المحتمل أن يعتبر بعضهم هذا الأمر حكماً شرعياً فيتبعونه، لهذا حذر الله رسوله لكي يفهم الناس أن تصرفات النبي هذه شخصية ولا يجب أن يتخذها الآخرون ملاكاً لأعمالهم.

□ لحن التأنيب لرسول الله الذي تتسم به بعض آيات القرآن هو أحد الدلائل على أن القرآن نزل من قبل الله تعالى، فلا أحد يؤثّب نفسه في كتاب رسمي يكتبه بيده وهذه المعاتبات دليل على أنّ الوحي الإلهي لم يحرف. مثال آخر على ذلك الآية ٤٣ من سورة التوبة التي تحدثت عن الإذن الذي أعطاه النبي لبعض طالبي الراحة بترك القتال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾.

□ لا يجب أن ننسى الأهم والمهم، إن القسّم مهم ولكن حفظ أحكام الدين أهم، لذا من يقسم بتحريم حلال على نفسه، عليه أن يحلّ قسمه بدفع الكفارة، وقد حددت الآية ٨٩ من سورة المائدة مقدار هذه الكفارة: ﴿كَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾.

□ تحريم النبي كان تحريماً شخصياً عن طريق القسم، وهذه الآية بيّنت طريقة تحلّة هذا اليمين.

التعاليم:

- ١ - الأنبياء خاضعون للتربية الإلهية: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.
- ٢ - حتى النبي لا يملك الحق في أن يحرم على نفسه ما أحله الله من دون دليل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾.
- ٣ - رضا الله مقدم على رضا الآخرين: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ... تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾.
- ٤ - إذا كانت رغبة المرأة تتعدى الأحكام الإلهية والحقوق الزوجية، فلا يجب تنفيذها: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ... تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾: (لا يجب إرضاء الزوجة بأي قيمة كانت).
- ٥ - من الأمور التي يُتلى بها الإنسان حبه لكسب رضا الآخرين بأي قيمة كانت: ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾.
- ٦ - يجب أن يكون تأنيب الأشخاص العظام مصاحباً للمغفرة والرحمة: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ... وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
- ٧ - يغفر الله تعالى ما مضى: ﴿عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ويفتح الطريق للمستقبل: ﴿فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.
- ٨ - يجب أن يصاحب العتاب والانتقاد، طريقة للحل: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ... مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.
- ٩ - لا يوجد في الإسلام طريق مسدود. (لا شيء يسد الطريق أمام الإنسان حتى القسم): ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ مَحَلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.
- ١٠ - نحن عباد، ويجب أن نطيع مولانا، ونعد الحلال حلالاً، حتى لو أدى ذلك إلى الإخلال بالقسم: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾.
- ١١ - يحل الله المشكلات والعقد وإن أوامره تعالى عليمه وحكيمه: ﴿فَرَضَ اللَّهُ... وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

التعاليم:

- ١ - يجب على المرأة أن تكون حافظة للسر حتى يستطيع زوجها أن يخبرها بأسراره: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾.
- ٢ - ليس من الضروري توضيح بعض الأمور لجميع أفراد العائلة: ﴿إِنِ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ﴾.
- ٣ - احفظوا ماء وجه المخطئين ولا تذكروا أسماءهم: ﴿بَعْضُ أَزْوَاجِهِ... نَبَأَتْ بِهِ﴾.
- ٤ - لم تكن زوجات الرسول معصومات؛ لأن بعضهن لم يحافظن على سر الرسول: ﴿أَسَرَّ النَّبِيُّ... نَبَأَتْ﴾.
- ٥ - حتى نبي الإسلام كان يواجه مشاكل عائلية: ﴿أَسَرَّ النَّبِيُّ... نَبَأَتْ بِهِ﴾.
- ٦ - يشمل الله تعالى نبيه بعناية خاصة ويكشف عن الأشخاص غير المخلصين له: ﴿نَبَأَتْ بِهِ... وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾.
- ٧ - على قائد المجتمع ألا يغفل عن مشاكله العائلية والداخلية: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾.
- ٨ - يُعلم الله تعالى نبيه عن طريق الغيب: ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾.
- ٩ - عرفوا الشخص المخطيء نفسه بخطئه ولا تعرفوا الآخرين: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾.
- ١٠ - يلزم التجاهل وسعة الصدر في الإدارة أحياناً: ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.
- ١١ - لا تواجهوا المخطئين بكل أخطائهم: ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.
- ١٢ - من يفشي أسرار الآخرين، فليحتمل بأن أسرارهِ ستفشي كذلك: ﴿نَبَأَتْ بِهِ...﴾.
- ١٣ - منبع علم الأنبياء هو العلم الإلهي: ﴿نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

١٤ - مصدر الخبر والمخبر يجب أن يكون عالماً وخبيراً: ﴿بَنَّاَنِ الْعَلِيَّ الْخَيْرُ﴾؛ (الخبر الذي يمكن تصديقه والاستناد إليه هو الخبر المبني على العلم والمعرفة).

١٥ - إفتاء الله تعالى دليل على حضوره ورقابته، والإيمان بحضور الله العليم الخير سبب في ردع الإنسان عن ارتكاب الذنوب والتأمر: ﴿الْعَلِيَّ الْخَيْرُ﴾.

﴿إِنْ نُبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾

إشارات:

□ ﴿صَغَتْ﴾ من الصغو بمعنى الميل إلى الانحراف، ويقال «إصغاء» للاستماع الذي يميل فيه المستمع إلى جهة المتكلم.

□ اتفق مفسرو السنة والشيعية على أن الامراتين المشار إليهما في الآية: ﴿نُبَا... فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هما حفصة وعائشة، إذ أفشت الأولى سر النبي واستمعت إليه الثانية.

□ نقل ٥٢ حديثاً عن الشيعة والسنة ذكر فيها أن المقصود من: ﴿وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، على أساس هذه الروايات فإن مقام الإمام علي عليه السلام هو إلى جانب جبرائيل بل إنه معه وبين سائر الملائكة وقد بشره النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بهذا المقام^(١).

التعاليم:

١ - لا تلقوا بالتهمة على الجميع إثر خطأ واحد: ﴿نُبَا﴾ (وجبت التوبة على شخصين فقط لا على الجميع).

٢ - افتحوا باب العودة والتوبة أمام الأفراد النادمين: ﴿إِنْ نُبَا﴾ بالطبع فإن كل ذنب يستلزم توبة.

- ٣ - لا يجوز الاستماع إلى السر أيضاً، يوجه الله الخطاب إلى المتكلم والمستمع ويقول لهما توباً: ﴿تُوبَا﴾.
- ٤ - إن الله تعالى هو مولى الجميع ومولى النبي كذلك. يقول في الآية الثانية: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ويقول في هذه الآية عن النبي: ﴿هُوَ مَوْلَاهُ﴾.
- ٥ - أبرزوا اسم العظماء. مع أن جبرائيل من الملائكة إلا أن اسمه ذكر على حدة: ﴿وَجِبْرِيلُ... وَالْمَلَكَةُ﴾.
- ٦ - قد تكون بعض الأحداث البسيطة أحياناً مقدمة لحوادث أعظم. إن إفشاء السر كان حادثاً جزئياً ولكن الله تعالى اعتبره مؤامرة: ﴿تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾.
- ٧ - الزواج والعيش المشترك لا يشير بالضرورة إلى وحدة التفكير والشعور: ﴿أَزْوَاجُهُ... تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾.
- ٨ - لا تتحقق التوبة الحقيقية بإظهار الندم بالقول فقط، بل برجوع القلب عن الذنب: ﴿تُوبَا... صَفَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.
- ٩ - انحراف الروح والقلب، أخطر من الانحراف في العمل. ينحرف فكر الإنسان وقلبه أولاً وبعد ذلك يرتكب الذنب: ﴿صَفَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.
- ١٠ - من يفشي سراً من دون سبب، إن لم يتب، فهو مفسد متآمر: ﴿إِنْ تُوبَا... تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾.
- ١١ - على كل القوى أن تستعد في مواجهة المؤامرات على النبي والدين: ﴿تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ... وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكَةَ... ظَهِيرٌ﴾.
- ١٢ - لا يبقى الحق وحيداً أبداً: ﴿هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ...﴾.
- ١٣ - صلاح الإنسان، يجعله في مصاف الملائكة المقربين من الله: ﴿وَجِبْرِيلُ وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- ١٤ - يساند الملائكة النبي في مقابل المؤامرات: ﴿وَالْمَلَكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.
- ١٥ - الإمدادات الإلهية شاملة لكل الجوانب الظاهرة والغيبية: ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكَةَ﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مِثْلَ مِثْلِكَ قَدْ ظَنَنْتَ ظَنَّيْكَ عَدِيًّا سَبَحْتَ يَوْمَكَ لِيْلَتِكَ وَأَنْكَارًا﴾

إشارات:

□ القنوت هو الطاعة المصاحبة للخضوع. «سائحات» من السياحة بمعنى المهاجرات الصائمات.

□ كان للنبي زوجات متعدّدات ومع أن بعضهن قد تسبب في أذيته إلا أنه ﷺ لم يطلق أيّاً منهن. لذا طرحت هذه الآية موضوع الطلاق حتى تبين بأن الرسول ليس محكوماً بالعلاقة بأي أحد ولا بأي شيء وحتى لا يظن أقرباء النبي أن النبي محتاج إليهم أو أنهم أشخاص لا يُستغنى عنهم، بل يوجد كثير ممن هم أفضل منهم ويتمنون أن يكنّ زوجات للرسول.

□ تبين هذه الآية نوعاً ما إعجاز القرآن وفصاحته وبلاغته، وذلك لأنّ صفات من مثل الإيمان، التواضع، التوبة، العبادة، والصيام يمكن لها أن تجتمع في شخص واحد لذا وردت هذه الصفات في الآية متتالية من دون استخدام حرف عطف، ولكن الثيب والباكرة لا تجتمعان في شخص واحد، لذا جاء حرف الواو بين الصفتين^(١).

□ يفترض في زوجة الرسول أن تكون مناسبة للرسول وشبيهة به. لم يشر القرآن في حديثه عن الخصائص إلى الشكل، والقبيلة، والثروة، والشهرة ولكنه أشار إلى الإيمان والعبادة؛ لأن الكمالات المعنوية هي ما يناسب القائد الإلهي.

□ ذكر الزواج من الثيب إلى جانب الزواج من البكر وذلك حتى لا تنسب إلى الرسول ﷺ صفة الشبق الجنسي.

التعاليم:

- ١ - يحتاج الإنسان إلى زوج، لذا إن طلق يستطيع أن يختار زوجاً آخر: ﴿إِنْ طَلَّقَكَ... يُبْدِلْهُ﴾.
 - ٢ - مواجهة الزوج وعدم إظهار الندم وعدم الاعتذار منه، قد يقود المرأة إلى الطلاق: ﴿تَظْهَرَا... طَلَّقَكَ﴾.
 - ٣ - من أقوى الأدوات في مواجهة مؤامرات النساء هو التهديد بالطلاق: ﴿تَظْهَرَا عَلَيَّ... طَلَّقَكَ﴾.
 - ٤ - لم تكن كل نساء النبي أفضل نساء زمانها: ﴿خَيْرًا مِّنْكَ﴾.
 - ٥ - عليكم بكسر الغرور الكاذب للأشخاص ومواجهة الظنون الباطلة: ﴿خَيْرًا مِّنْكَ﴾.
 - ٦ - قيمة المرأة الواقعية في كمالاتها: ﴿خَيْرًا مِّنْكَ مُسْلِمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ...﴾.
 - ٧ - العقيدة مقدّمة على العمل. الإسلام والإيمان أولاً، ثم العبادة والصيام: ﴿مُسْلِمَتٍ مُّؤْمِنَةٍ... عِلْدَانٍ سَاجِدَةٍ﴾.
 - ٨ - إيمان المرأة وعبادتها أهم من كونها بكرّاً أو ثيباً: ﴿مُؤْمِنَةٍ... تَيْبَتٍ وَأَبْكَارًا﴾.
- ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦١﴾﴾

إشارات:

- الوقود هو المادّة المسببة للاشتعال، مثل النفط والفحم. ورد في الروايات أنّ حطب جهنم من الفحم والكبريت^(١).
- ورد في الروايات أنّ شاباً خرّ مغشياً عليه حين سمع بهذه الآية فوعده النبي ﷺ بالجنة وقال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعَبِدَ﴾^(٢).

□ ورد في الروايات أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو السبيل لحفظ الأقرباء من نار جهنم: «إن أطاعوك كنت قد وقيتهم وإن عصوك قد قضيت ما عليك»^(١).

□ نقرأ في الروايات: «رحم الله رجلاً قال يا أهلاه! صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم»^(٢).

□ قد يكون المقصود من: ﴿وَقُوذُهَا النَّاسُ﴾ هو الإشارة إلى تجسّم أعمال الإنسان في يوم القيامة، إذ تصبح صفاته وأعماله السيئة في الدنيا ناراً في الآخرة.

الواجب تجاه الأسرة:

أشارت آيات عذّة من القرآن الكريم إلى واجبات الإنسان في تجاه أسرته، منها:

﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(٣)، ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾^(٤)، ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥)، ﴿يَبْنِئْ أَقْرِبَ الصَّلَاةِ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(٦)، ﴿قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧)، ﴿إِنَّ الْفَاسِقِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٨)، ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلَ فِتْنَةِ أَهْلِنَا مُتَغِيبِينَ﴾^(٩)، ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ﴾^(١٠).

وقد اهتمت الروايات كثيراً بهذا الموضوع كذلك، وسنذكر أمثلة عليها:

روي عن الإمام علي عليه السلام: «علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم»^(١١).

وروي عن الرسول الأكرم ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... الرجل راع على أهل بيته.. فالمرأة راعية على أهل بيت بعلمها وولده»^(١٢).

(٧) سورة الأحزاب: الآية ٥٩.

(٨) سورة الزمر: الآية ١٥.

(٩) سورة الطور: الآية ٢٦.

(١٠) سورة مريم: الآية ٥٥.

(١١) تفسير المراغي.

(١٢) مجموعة وزّام، ج ١، ص ٦.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير المراغي.

(٣) سورة التحريم: الآية ٦.

(٤) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٥) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٦) سورة لقمان: الآية ١٧.

وعن رسول الإسلام ﷺ: «مروا صبيانكم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين واضربوهم على تركها إذا بلغوا تسعاً وفرقوا بينهم في المضاجع إذا بلغوا عشرًا»^(١).

□ ذكر القرآن الكريم في سورة المدثر أن عدد ملائكة جهنم تسعة عشر: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٢)، ولعل وصف: ﴿غَلَظٌ شِدَادٌ﴾ الذي ورد في هذه الآية، يشير إلى حالة هؤلاء الملائكة.

□ يمكن أن يكون المقصود من: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ هو أمر الله للملائكة بإحضار المجرمين ورميهم في النار، إذ نقرأ في مكان آخر: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾^(٣) ثُمَّ لِنَجِمٍ صَلَّوهُ^(٤)، أو: ﴿خُذُوهُ فَأَعِثُّوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٥) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ^(٦).

□ حتى بين الملائكة توجد سلسلة مراتب: ﴿وَمَا يَنَالُ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(٧)، ويمكن أن يكون المقصود من: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ هو الأوامر التي تصدرها الملائكة ذات المرتبة الأعلى إلى الملائكة الأدنى منها، وهم بدورهم يطيعونهم من دون تأخير أو تردد.

□ احموا أنفسكم: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾؛ واطلبوا من الله أن يحميكم: ﴿رَبَّنَا... وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٨).

التعاليم:

١ - لا يكفي الاتصاف بالإيمان، بل يجب المحافظة عليه من الضرر والأخطار؛ إذاً يجب الحذر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

٢ - الخطوة الأولى في الإصلاح هي إصلاح النفس والمقربين من ثم إصلاح المجتمع. دعت هذه الآية إلى إصلاح النفس والمقربين ثم ورد في الآية

(٤) سورة الدخان: الآيتان ٤٧ - ٤٨.

(١) البهار، ج ٨٥، ص ١٣٤.

(٥) سورة الصافات: الآية ١٦٤.

(٢) سورة المدثر: الآية ٣٠.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٠١.

(٣) سورة الحاقة: الآيتان ٣٠ - ٣١.

التاسعة إصلاح المجتمع عن طريق مجاهدة الكفار والمنافقين: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾.

٣ - الإيمان بالنار والمعاد له دور مهم في تحصيل التقوى، وإصلاح النفس، وإصلاح الآخرين: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

٤ - تقع على عاتق رب الأسرة مسؤولية التربية الدينية للأبناء: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾.

٥ - النفس الإنسانية متمردة وتحتاج إلى الحفاظ عليها: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

٦ - من له الأولوية بحفظ الإنسان هو الإنسان نفسه: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

٧ - لا نستطيع أن نحرر الناس إذا لم نحرر أنفسنا أولاً. بناء النفس هو شرط لبناء الأسرة والمجتمع: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾.

٨ - جزاء من يترك الأسرة والأقرباء هو أن يصبح حطباً لنار جهنم: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

٩ - من كان قلبه في هذه الدنيا متحجراً: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾^(١) يوضع في يوم القيامة مع الحجارة: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.

١٠ - في الإدارة، يجب أن يكون كل شخص متناسباً مع عمله. إذا لم يكن المسؤول عن جهنم غليظاً وشديداً، إما أنه سيتأذى أو أنه لن يستطيع العمل بشكل صحيح: ﴿عَلَيْهَا مَلَكُوتٌ غُلَاطٌ شِدَادٌ﴾.

١١ - صحيح أن الإنسان العاصي سيدخل إلى جهنم، إلا أن ملائكة جهنم لن يعصوا الله في تعذيبه: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾.

١٢ - الملائكة لا يعصون ما أمروا به في الماضي: ﴿مَا أَمَرَهُمْ﴾، ولن يعصوا الأوامر التي ستعطى لهم: ﴿مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٧)

إشارات:

□ هذه الآية هي الآية الوحيدة في القرآن التي بدأت بجملة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وخطبت الكافرين وهي تحدث عن يوم القيامة.

□ ثمة مواقف متعددة في يوم القيامة: في أحد مواقف يوم القيامة لا يسمح بالاعتذار: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾^(١)، وفي مواقف أخرى، يعتذرون ولكن لا يقبل عذرهم: ﴿لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾^(٢)، وفي موقف لا يسمح لهم حتى بالكلام^(٣).

امثلة من الأعذار التي تقدّم يوم القيامة:

- أحياناً قد يحلفون كذباً: ﴿وَاللَّهُ رِيّاً مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(٤)، نعم ويقولون ذلك إمّا لأن الكذب قد أصبح جزءاً من ذاتهم، أو لأنهم يعتقدون أنهم يكذبهم سينالون النجاة في ذلك اليوم. ولكن في كل الأحوال، كلامهم هذا يحمل نوعاً من الندم والاعتذار.

- أحياناً يلقون اللوم على الآخرين: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾^(٥).

- أحياناً يعتذرون بأنهم قد أطاعوا كبارهم والسابقين لهم: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا﴾^(٦).

- أحياناً يعتذرون بعدم انتباههم وعدم تفكيرهم: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ...﴾^(٧)، أحياناً يعطون وعوداً بالندم وبجبران ماضيهم: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾^(٨).

- | | |
|------------------------------|--------------------------------------|
| (١) سورة المرسلات: الآية ٣٦. | (٥) سورة الأعراف: الآية ٣٨. |
| (٢) سورة الروم: الآية ٥٧. | (٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٧. |
| (٣) سورة يس: الآية ٦٥. | (٧) سورة الملك: الآية ١٠. |
| (٤) سورة الأنعام: الآية ٢٣. | (٨) سورة المؤمنون: الآيتان ٩٩ و ١٠٠. |

التعاليم:

١ - لا يُغفر الكفر يوم القيامة وتوبة الكافر لا تنفعه في ذلك اليوم. أجل، العناد والتعصب في مقابل المنطق والموعظة والمعجزة، لا يبقى مجالاً لأي عذر: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْدِرُوا الْيَوْمَ﴾.

٢ - يجزى الإنسان يوم القيامة بأعماله لا غير: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُؤْبَأُ إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْزَىٰ اللَّهُ النَّيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا أَثِمَ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٨)

إشارات:

□ «نصوح» من النصح بمعنى الخلوص والصدق وأحياناً تكون بمعنى المُحكم. ذكر في التفاسير موارد عدّة للتوبة النصوح من قبيل: الندم، الاستغفار، ترك الذنب، والتصميم على تركه في المستقبل، الخوف من عدم القبول، استحضار الذنب والندم عليه، البكاء، قلة الكلام، قلة المأكل، وقلة النوم، إعطاء الناس حقوقهم و... من الأفضل أن نراجع الروايات.

□ إذا اغتررنا بأنفسنا واعتقدنا بحتمية قبول توبتنا، نكون قد مهدنا الطريق لارتكاب ذلك الذنب مرة أخرى، لذلك يجب ضمن تحلينا بالأمل أن لا نشق بقبول توبتنا. كما يقول في هذه الآية: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ﴾، ويقول في الآية ٣١ من سورة النور: ﴿وَتُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، كلمة (لعل) تشير إلى الأمل.

□ تحدثت الآيات السابقة عن النار وهذه الآيات تتحدث عن النور. في الآيات السابقة جاء ذكر الوقاية: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾، أما هذه الآيات فإنها تذكر العلاج، يعني إذا لم تقدرُوا على حفظ أنفسكم ووقعتم في الذنب، فإن طريق التوبة مفتوح ولا يجب أن يتبدل أملككم إلى يأس: ﴿تُؤْتُوا إِلَى اللَّهِ...﴾.

□ الرسول والمؤمنون أعزاء في الدنيا والآخرة:

في الدنيا: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وفي الآخرة: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾؛ (وإنما يكون الخزي والخذلان للكافرين).

□ أصحاب النبي يوم القيامة: ﴿ءَامَنُوا مَعَهُ﴾، هم الأشخاص الذين جاهدوا بأنفسهم ومالهم في الدنيا، وكانوا أشداء على الكفار، رحماء بالمؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٣).

□ ثمة دائماً دور للدعاء والطلب من الله، في الدنيا: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، وكذلك في يوم القيامة: ﴿أَتَيْمَ لَنَا ثَوْرَنَا﴾.

□ طلب المغفرة يكون في الدنيا: ﴿رَبَّنَا فَاعْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾^(٤)، وفي الآخرة أيضاً: ﴿رَبَّنَا... وَاعْفِرْ لَنَا﴾.

التعاليم:

١ - أمرنا الله في الآيات السابقة بأن نحمي أنفسنا من نار جهنم: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ...﴾، وفي هذه الآية اعتبر أن إحدى طرق الحماية هي التوبة النصوح: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾.

٢ - قد يصدر عن المؤمن ذنبٌ أحياناً، عندها يجب عليه التوبة: ﴿يَتَابَتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا...﴾.

٣ - تكون التوبة باللجوء إلى الله، لا بالاعتراف بالذنب عند العباد: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ﴾.

٤ - إن التوبة عن الذنب هي إحدى تكاليف المؤمن: ﴿يَتَابَتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا...﴾.

(١) سورة المنافقون: الآية ٨.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٩.

(٢) سورة التوبة: الآية ٨٨.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٩٣.

- ٥ - يجب أن تكون التوبة صادقة وخالصة، وألا تكون مجرد لقلقة لسان: ﴿تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.
- ٦ - ليس للتوبة زمان أو مكان خاصان: ﴿ثَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.
- ٧ - يجب تأميل الناس بالرحمة الإلهية لتحفيزهم على التوبة: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾.
- ٨ - قبول التوبة هو من الشؤون الإلهية: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.
- ٩ - ليس ثمة مكان للفسق والخبث في الجنة، التطهير أولاً ثم دخول الجنة: ﴿يُكَفِّرُ... وَيُدْخِلُكُمْ﴾.
- ١٠ - نتيجة التوبة هي آمران: التكفير عما مضى: ﴿يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، وضمان المستقبل: ﴿وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ﴾.
- ١١ - الإيمان بالنبي ليس كافياً، بل يجب اتباع النبي وملازمته: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾.
- ١٢ - العمل الصالح في الدنيا يظهر يوم القيامة على هيئة نور: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾.
- ١٣ - الأشخاص الذين يتبعون النور في الدنيا: ﴿وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾^(١)، يأتون يوم القيامة ممتلئين نوراً: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَيَأْمَنُ بِهِمْ﴾.
- ١٤ - حتى في يوم القيامة يوجد تكامل. يسعى المؤمنون في ذلك اليوم إلى إكمال نورهم: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾.
- ١٥ - يدأب المؤمنون الحقيقيون على تقليل السيئات ومحوها: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾، وعلى إثراء الحسنات وإنمائها: ﴿آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾.
- ١٦ - إن الأمل في استجابة الدعاء: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾، ناشىء عن قدرة الله المطلقة: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ
وَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

إشارات:

□ الأمر بجهد الكفار والمنافقين هو من الله تعالى، أما شكله وطريقه تنفيذه فهو من صلاحيات الرسول وخلفائه بالحق. لهذا، لم يشكل الرسول جيشاً لمحاربة المنافقين، ولكن في زمان الإمام علي عليه السلام كان للمنافقين جيشٌ لذا حاربهم الإمام عليه السلام.

التعاليم:

- ١ - الجهاد والحرب يجب أن يخضعا لرقابة القائد الإلهي: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ جِهْدِ الْكُفَّارَ﴾.
- ٢ - الإيمان القلبي هو حقيقة الإيمان، لذا ذكر المتظاهرين الكاذبين وهم المنافقون إلى جانب الكفار: ﴿الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾.
- ٣ - الإسلام دين جامع فيه الرأفة والرحمة من جهة، وفيه الغلظة والشدة من جهة أخرى: ﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٤ - يصل الإنسان بكفره ونفاقه إلى مرحلة يصبح فيها لزاماً على نبي الرحمة أن يتصدى له بقسوة ويغلظ عليه: ﴿وَأَغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.
- ٥ - مقتل الكفار والمنافقين على يد المؤمنين، لا يخفف شيئاً من عذابهم يوم القيامة: ﴿جِهْدِ... وَمَأْوَهُمْ جَهَنَّمُ﴾.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاسِخِينَ ﴿١٠﴾﴾

إشارات:

□ أشارت هذه الآية إلى امرأتين على أنهما مثال واضح للكفر، كانتا زوجتين

لنبيين وتعيشان في بيت النبوة، لكنهما كانتا مناصرتين ومتعاونتين مع المخالفين للأنبياء. والآيات اللاحقة تشير إلى امرأتين أخريين على أنهما مثلاً سام للإيمان، هما امرأة فرعون المشرك الظالم والأخرى هي السيدة مريم.

□ جاء في أول السورة الحديث عن خطب زوجتين من زوجات الرسول: ﴿صَفَّتْ قُلُوبُكُمَا﴾، وقال تعالى: **إِنْ تَأْمَرْتَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ حَامِيهِ وَالْمَلَائِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ** وفي آخر السورة جاء ذكر زوجتي النبي نوح والنبي لوط الكافرتين وقد أدخلتا النار لخيانتهما لزوجيهما، وهذان النبيان مع أنهما يتمتعان بمقام النبوة إلا أنهما لا يدفعان شيئاً من عذاب الله عن نساءهم.

□ كون المرأة زوجة للرسول أو كون الفرد من أبناء الرسول ليس سبباً للنجاة. بل تكتب السعادة أو الشقاوة للإنسان بناء على عمله. مضافاً إلى هذه الآية فقد وصف القرآن في موارد عدة أخرى هلاك امرأة لوط: ﴿كَانَتْ مِنَ الْقَتِيرِينَ﴾^(١).

□ التنبيه غير المباشر هو من أفضل طرق التربية، مع أن أبا لهب وابن النبي نوح كانا مثالين للكفر، إلا أن الله تعالى ضرب مثلاً زوجات اثنتين من الأنبياء وذكر كلمة الخيانة، حتى تتناسب مع حادثة إفشاء زوجات النبي ﷺ لسره، وليكون تحذيراً لزوجات النبي مفاده أن لا تظنوا أن صلتكم بالنبي ستكون سبباً لنجاتكم.

□ حفظ الأسرة من نار جهنم الذي ذكر في الآية السادسة: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ لا يعني بالضرورة نجاح الإنسان في هذه المهمة، فقد لا تستجيب العائلة للشخص أحياناً: ﴿فَخَانَتْهُمَا﴾.

□ نقرأ في الأحاديث أن خيانة امرأتي نوح ولوط ﷺ لم تكن بمعنى الخيانة الجنسية^(٢)، بل كان المقصود من الخيانة مخالفة أهداف الأنبياء وبرامجهم ومناصرة المخالفين لهم.

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٣؛ سورة الحجر: الآية ٦٠؛ سورة الشعراء: الآية ١٧١؛ سورة النمل: الآية ٥٧؛ سورة العنكبوت: الآيتان ٣٢ و٣٣؛ سورة الصافات: الآية ١٣٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ١١، ص ٣٠٧.

التعاليم:

- ١ - تستطيع المرأة أن تكون مثالاً للصلاح أو الفساد على مرّ التاريخ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا... أَمْرَاتٍ نُجَجٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ﴾.
- ٢ - يمكن تعلّم الأدب من غير المؤدبين: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا... أَمْرَاتٍ نُجَجٍ﴾.
- ٣ - المرأة حرة في عقيدتها وعملها، وهي ليست خاضعة للعلاقات الاجتماعية والعائلية والاقتصادية: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا... فَخَانَتَاهُمَا﴾.
- ٤ - الصلاح والعبودية كانا سرّ الوصول إلى مقام النبوة: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ﴾.
- ٥ - ينفذ الكفر والفساق حتى إلى بيوت الأنبياء: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾.
- ٦ - يكون للعبادة وللعبودية قيمة إذا ما كانت مصاحبة للعمل الصالح: ﴿عَبْدَيْنِ... صَالِحَيْنِ﴾.
- ٧ - الإدارة والرقابة هي من مسؤوليات الرجل في النظام العائلي الديني: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾.
- ٨ - لا يضر فساد الأقارب عدالة القادة الإلهيين وعصمتهم: ﴿عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا... فَخَانَتَاهُمَا﴾.
- ٩ - خيانة الدين توصل الإنسان إلى مرحلة لا ينفع معها حتى شفاعة الأنبياء: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.
- ١٠ - لا يمكن لأي أمر أن يمنع العذاب الإلهي: ﴿فَلَمْ يُغْنِيَا...﴾.
- ١١ - الخيانة طريق جهنم: ﴿فَخَانَتَاهُمَا... أَدْخَلَا النَّارَ﴾.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبَنِّىْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَبَنِّىْ مِنَ الْقَوَمِ الْفَالِغِينَ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ أعطت الآيات السابقة مثالين للنساء السيئات (زوجة نوح وزوجة لوط)،

والآيات ١١ و ١٢ تعطيان مثالين عن نساء صالحات. (زوجة فرعون والسيدة مريم).

□ عندما رأت آسية (زوجة فرعون) معجزة موسى آمنت به، وعقاباً على إيمانها قام فرعون بدق يديها وقدميها بالمسامير إلى الأرض وأبقاها تحت الشمس الحارقة. كان دعاء آسية في آخر أيام حياتها ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾^(١).

□ ليس بالضرورة أن تكون القدوة نبياً أو إماماً معصوماً، وليس بالضرورة أن تكون القدوة سبّاقة في التوحيد. امرأة فرعون لم تكن معصومة ولم تكن موحدة أول أمرها؛ ولكنها آمنت حين رأت معجزة موسى.

□ ليس ثمة فرق بين المرأة والرجل عند التعريف عن القدوة وتجليل الشخصيات. أمر القرآن النبي الأكرم بأن يبقي ذكرى إبراهيم حيّة: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢)، وذكرى مريم: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾^(٣)، كما ذكرت هذه الآية امرأة فرعون: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾.

مواصفات زوجة فرعون:

١ - لم تتأثر بمحيطها ولم يصنع المجتمع شخصيتها. لقد قابلت النظام الفاسد بالمنطق.

٢ - لم تتأثر بالمال والثروة، أدارت ظهرها لكل مظاهر الدنيا وتخلّت عن القصر والرفاه والمادّيات.

٣ - هدمت جدار الصمت والخوف.

٤ - كانت صابرة، أسلمت روحها تحت التعذيب واستشهدت، ولكنها لم تتخلّ عن دينها وعقيدها.

٥ - دافعت عن القائد المعصوم آنذاك النبي موسى ﷺ.

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) سورة مريم: الآية ١٦.

(٣) سورة مريم: الآية ٤١.

- ٦ - كانت طموحة، لم تقنع بأقل من القرب من الله والجنة.
 ٧ - امتلكت الشهامة فلم تؤثر فيها تهديدات فرعون.
 ٨ - قدّمت رضا الخالق على رضا المخلوقين.
 ٩ - رجّحت المنطق والعقل والوحي على الأمور العائلية.
 ١٠ - أنفذت موسى ﷺ من الموت، بنهيها عن المنكر عندما قالت: ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾^(١).

□ برهنت امرأة فرعون على أن الكثير من الشعارات التي أصبحت جزءاً من ثقافة المجتمع، خاطئة ويجب تغييرها. يقولون: إن شئت ألا تفتضح، فاتبع الجماعة من حولك. أما امرأة فرعون قالت: أنا لن أتبع الجمع ولن أفتضح. يقولون: يد واحدة لا تصفّق. ولكنها أثبتت أن بإمكان شخص واحد أن يوجد تغييراً.

يقولون: ليس للمرأة شخصية مستقلة؛ لكنها برهنت على استقلال المرأة في اختياراتها.

يقولون: لا يمكن مواجهة السيف باليد، لكنها أثبتت أن الحق باق، وإن كانت اليد لا تؤثر في الحديد إلا أن لها تأثيراً على الأفكار العامة على مر التاريخ.

يقولون: لا يمكن لزهرة واحدة أن تصنع ربيعاً؛ لكنها أثبتت أنه لو شاء الله لجعل الزهرة ربيعاً.

يقولون: أكل فلان من ملحنا فصار مّناً. امرأة فرعون أكلت من ملح فرعون وخبزه؛ ولكنها كانت تكره عقيدته وكانت تقول: ﴿وَرَجَّيْ مِنْ فِرْعَوْنَ﴾.

أنواع العائلات في القرآن:

- ١ - الزوجان المتفقان في الفكر والعقيدة وعمل الخير. من مثل الإمام علي ﷺ والسيدة الزهراء ﷺ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّامَ﴾^(٢).

(١) سورة القصص: الآية ٩.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

- ٢ - الزوجان المتفقان على الخبائث. (أبو لهب وزوجته): ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ...وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾.
- ٣ - العائلات التي يكون فيها الزوج صالحاً، أما الزوجة فسيئة (زوجات لوط ونوح): ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ... فَخَانْتَاهُمَا﴾^(١).
- ٤ - العائلات التي يكون فيها الزوج سيئاً، أما الزوجة فصالحة (امراة فرعون): ﴿مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾.

التعاليم:

- ١ - تستطيع المرأة أن تكون قدوة للرجال في التاريخ: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٢ - أحد طرق التربية هو مقارنة الأمثلة: ﴿مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا... مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٣ - الضغوط التي يمارسها المجتمع والمحيط، أو الارتباط الاقتصادي، أو ضغط الزوج على الزوجة أو الخوف من التشرد، هي عوامل لا يمكن لأي منها أن يبرر عدم التدبّر: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٤ - يكفي مثال واحد لإتمام الحجة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا... أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٥ - القول الفصل هو لإرادة الإنسان لا لشيء آخر: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا... أَمْرَاتُ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٦ - محاربة الطاغوت لا تتنافى مع الدعاء: ﴿رَبِّ... وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٧ - التحرر من الطاغوت محتاج للدعم المعنوي: ﴿رَبِّ... وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٨ - القرب المعنوي من الله أهم من الجنة: ﴿رَبِّ آتِنِي لِي عِنْدَكَ...﴾.
- ٩ - الإيمان سبب في النفور من الظالمين. نفرت امرأة فرعون من كل أفعال فرعون بسبب إيمانها: ﴿وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾.

١٠ - المرأة ليست ملزمة بإطاعة عقيدة الناس، بل عليها أن تتخذ موقفاً في بعض الأحيان: ﴿وَيَخْفَى مِنْ فِرْعَوْنَ﴾.

١١ - ثمة حدود للعلاقات الأسرية وبمجرد أن تصل إلى الكفر والانحراف يجب أن تتغير: ﴿وَيَخْفَى مِنْ فِرْعَوْنَ﴾.

١٢ - البراءة من الكفر هي شرط للإيمان: ﴿وَيَخْفَى مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾.

١٣ - إظهار الانزعاج والنفور من الآخرين يجب أن يكون على أسس عقلية وشرعية: ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ... مِنْ الْقَوِيهِ الظَّالِمِينَ﴾.

﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الْإِيمَانُ﴾

إشارات:

□ «أحصنت» من حصن بمعنى القلعة، وعند الحديث عن النساء فهي تشير إلى العفة والطهارة.

□ تبين هذه الآية أربعة كمالات للسيدة مريم عليها السلام: العفة، ونفخ الروح، وتصديق الأنبياء والكتب السماوية، والطاعة الخالصة لله تعالى

□ ورد في تفاسير الشيعة والسنة أن نساء العالمين أربع: آسية زوجة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد عليها السلام ^(١).

□ المرأة الوحيدة التي ذكر اسمها في القرآن الكريم هي السيدة مريم عليها السلام، إذ ذكر اسمها ٣١ مرة في اثنتي عشرة سورة و١٢ مرة جاء بصيغة عيسى بن مريم، وتحمل إحدى سور القرآن اسمها.

□ يجب على القدوات أن يكونوا مختلفين بالأجواء والظروف المحيطة لكي

يُتِمَّكَنْ من تطبيقها مع أي شخص وفي أي زمان: امرأة فرعون، السيدة مريم، النبي إبراهيم عليه السلام، والنبي محمد صلى الله عليه وسلم.

□ يدافع الله تعالى عن الطاهرين، فعندما رموا السيدة مريم بتهمة البغاء: ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^(١)، قال الله تعالى في القرآن مرتين: ﴿أَحْصَيْنْتَ فَرْجَهَا﴾^(٢).

التعاليم:

- ١ - قدّم القرآن الكريم السيدة مريم عليها السلام على أنها القدوة في العفة للنساء والرجال: ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا... وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ﴾.
- ٢ - إنّ قيمة المرأة في عفتها: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنْتَ فَرْجَهَا﴾.
- ٣ - على الإنسان أن يقدم على الخطوة الأولى، عندها ستنهال عليه الألفاظ الإلهية: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَيْنْتَ فَرْجَهَا فَفَخَنَّا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾.
- ٤ - الولد الطاهر يأتي من الحضن الطاهر: ﴿أَحْصَيْنْتَ فَرْجَهَا فَفَخَنَّا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾.
- ٥ - أفضل تصديق بالأحكام والأوامر الإلهية هو العمل بها: ﴿وَصَدَقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ﴾.
- ٦ - إلى جانب التصديق القولي، فإنّ الخشوع والخضوع لازمان في عبادة الله: ﴿مَدَقَّقَةٌ... وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) سورة النساء: الآية ١٥٦.

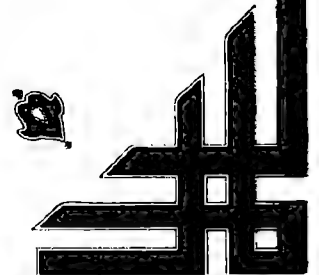
(٢) سورة الأنبياء: الآية ٩١؛ سورة التحريم: الآية ١٢.



سُورَةُ الْمُلِكِ

السورة: ٦٧ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٣٠



ملاحح سورة الملك

سورة الملك هي أول سورة في الجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم. وهي من السور المكية وتحتوي على ثلاثين آية. الاسم الآخر لهذه السورة هو (تبارك). والاسمان كلاهما مأخوذان من الآية الأولى.

بشكل إجمالي تشتمل هذه السورة على ثلاثة محاور:

- ١ - مباحث عن مبدأ الوجود، وصفات الله، والنظام المبهر للخلق، وخلق الوجود والإنسان، ووسائل حصول الإنسان على المعرفة.
 - ٢ - مباحث حول المعاد، وعذاب جهنم، وتجاوز أهل النار في يوم القيامة.
 - ٣ - تهديد الكافرين والظالمين بالعذاب الأخروي والديني.
- جاء في فضل هذه السورة: أن قراءتها توجب النجاة من عذاب القبر^(١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عِبَادًا وَهُوَ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ ﴿٢﴾﴾

إشارات:

- مضافاً إلى هذه السورة فقد ابتدأت سورة الفرقان كذلك بكلمة (تبارك).
- (تبارك) من مصدر (البركة) بمعنى الخير الدائم الباقي وأيضاً بمعنى المقام العالي، ويقال للمكان الذي يجتمع فيه الماء (بركة).
- ما هو الهدف من خلق الإنسان؟

الجواب: بين القرآن الكريم أربعة أهداف لخلق الإنسان:

- (أ) العبادة: ورد في القرآن: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾^(١).
- (ب) اختيار الطريق الصائب من الخاطئء والوصول إلى الكمال في ظل الامتحانات الإلهية: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾.
- (ج) الرحمة بالناس. ذكر القرآن الكريم أن الهدف الآخر للخلق هو رحمة الله الخاصة بالناس ويقول: ﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾^(٢).

□ ما هي شروط العمل الصالح والحسن؟

العمل الصالح هو العمل الذي يؤدي وفق برنامج دقيق ويراعي فيه الهدف، والزمان، والمكان، والاستمرارية، والوسائل المستفاد منها، والمعاونون، والمستفيدون، الاستقامة في العمل، الاستحكام، النظم، الرؤية المستقبلية للعمل، الأولويات، والنشاط، والاعتدال، والدقة، والسرعة، والسلامة في العمل، ويكون بعيداً عن العجب والرياء والسمعة.

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة هود: الآية ١١٩.

- إن الله تعالى له الحكم في الدنيا: ﴿يَدِوُ الْمُلْكُ﴾، وله الحكم في الآخرة: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(١).
- الله هو الحاكم الأوحـد: ﴿وَلَا يَكُنْ لَكَ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾^(٢)، ﴿يَدِوُ الْمُلْكُ﴾. وحكمه مقرون بالقداسة: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾^(٣).
- تتجلى بركة الله تعالى في الخلق والتكوين: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِوُ الْمُلْكُ... خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ وكذلك في التشريع وسن القوانين: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ﴾^(٤).
- ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل هذه الآية: «ليس يعني أكثر عملاً ولكن أصوبكم عملاً؛ وإنما الإصابة خشية الله والنية الصادقة والحسنة...»^(٥).

التعاليم:

- ١ - على الرغم من أن الله تعالى ذكر كلمة (تبارك) في وصف القرآن الكريم وفي حق نبيه الذي أنزل عليه القرآن، إلا أن مصدر كل البركات هو الله تعالى وقدرته: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِوُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
- ٢ - كل الحكومات والقوى العظمى مصيرها إلى الزوال، حكومة الله فقط هي الحكومة الأبدية: ﴿يَدِوُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.
- ٣ - حكومات الدنيا جزئية ومحدودة ومؤقتة؛ ولذلك ليس لها بركات واسعة: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي يَدِوُ الْمُلْكُ﴾.
- ٤ - تقدير الموت والحياة من تجليات حكومة الله المطلقة: ﴿يَدِوُ الْمُلْكُ... خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾.
- ٥ - لا يملك حكام الدنيا القدرة على كل شيء، أما الله فهو الحاكم والقادر على كل شيء: ﴿يَدِوُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(٤) سورة الفرقان: الآية ١.

(٥) الكافي، ج ٢، ص ١٦.

(١) سورة الحج: الآية ٥٦.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢.

(٣) سورة الجمعة: الآية ١.

- ٦ - الموت لا يعني التلاشي والفناء؛ بل هو أمر وجودي مخلوق وهو الانتقال من هذه الدنيا إلى دينا أخرى: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ﴾.
- ٧ - خلق الموت، هو امتحان لإظهار الصبر، وخلق الحياة هو امتحان لإظهار الشكر: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوكُمْ﴾.
- ٩ - يتكشّف معدن الإنسان عند الابتلاءات والامتحانات والنعم: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ لِيَبْلُوكُمْ﴾.
- ١٠ - ليس الهدف من الامتحانات الإلهية إظهار علم الله؛ لأنه يعلم كل شيء مسبقاً، وإنما الهدف إظهار عمل الإنسان وتصرفه: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ (مثل الأستاذ الذي يعلم بقدرات تلاميذه؛ ولكنه يمتحنهم، حتى يستحق التلميذ الدرجة التي ستعطى له).
- ١١ - حُسْنُ العمل في الكيفية لا الكمية: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾؛ (لم يقل: أكثر عملاً).
- ١٢ - الامتحان الإلهي امتحان دائم وللجميع: ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾؛ (تدل على الاستمرار).
- ١٣ - لا ينبغي أن نقنع بحسن عملنا، بل يجب أن يكون عملنا هو الأحسن: ﴿أَحْسَنُ عَمَلًا﴾.
- ١٤ - فقط قدرة الله وحكومته غير قابلين للانهازام: ﴿بِيَدِهِ الْمُلْكُ... قَدِيرٌ... وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾.
- ١٥ - عزة الله وقدرته مقرونة بالرافة والرحمة: ﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾.
- ١٦ - لا تياسوا إذا ما فشلتم في الامتحانات الإلهية فإن الله هو الغفور: ﴿الْغَفُورُ﴾.
- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِن تَفَوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُتُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝١٤٠ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝١٤١﴾

إشارات:

□ (طباق) إمّا مصدر (طابق) أو جمع (طبق)، في الحالة الأولى تكون: ﴿سَبْعَ

- سَكُونٍ طِبَاقًا ﴿﴾ بمعنى أنَّ السماوات متناسبة ومتطابقة بعضها مع بعضها الآخر، وفي الحالة الثانية تكون بمعنى أنَّ السماوات سبع طبقات بعضها فوق بعض.
- (تفاوت) من (فوت) بمعنى ظهور الاختلاف وعدم التجانس، و(فطور) بمعنى الشرح الطولي. (خاسناً) بمعنى خاسراً ومتعباً و(حسير) بمعنى ضعيف عاجز.
- قد يستثقل الإنسان سطحي التفكير الصعوبات والأزمات، ولكنَّ المحققين ينظرون إلى كل شيء بإيجابية. الحامض والفلفل غير مستساغين بالنسبة إلى الطفل، ولكن بالنسبة إلى والديه فإن قيمة المخلاتات كقيمة المربى.
- (مصباح) من (صبح) وهو الوسيلة التي تجعل الليل منيراً كالصبح.
- وصفت في هذه الآيات نجوم السماء بثلاث صفات هي:

١ - مصابيح،

٢ - زينة،

٣ - رجوم للشياطين.

- نقرأ في الآيتين ٧ و ٨ من سورة الصافات أنَّ الشياطين كانت تسعى للنفوذ إلى السموات بقصد استراق السمع ومعرفة أخبار السماء، ولكن في كل مرة يكونون هدفاً لمرمى النجوم وبذلك يطردون من السماء، فكانت النجوم هي وسيلة حفظ السماء.

التعاليم:

- ١ - نظام الخلق مبني على أساس الرحمة الإلهية: ﴿فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾.
- ٢ - النظام الموجود هو النظام الأحسن، ولا يوجد في نظام الخلق أي شائبة أو نقص: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ﴾.
- ٣ - يزداد إيمان الإنسان بعظمة الوجود وقدرة الخالق عندما تكون معرفته عن الله تعالى مبنية على أساس النظر والتدقيق: ﴿فَاتَّجِعَ الْبَصَرُ... ثُمَّ أَتَّجِعَ الْبَصَرَ﴾.
- ٤ - الرؤية والنظر مرة واحدة ليس كافياً لكسب المعرفة: ﴿فَاتَّجِعَ الْبَصَرَ... ثُمَّ أَتَّجِعَ

الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴿١﴾. (تكررت في هذه الآية كلمة (ترى) مرتين وكلمة (بصر) ثلاث مرّات مع لفظ (كرّتين)).

٥ - عمل الله تعالى مُحكم وحكيم وهو لا يخشى من تدقيق الآخرين في عمله، بل يدعوهم إلى ذلك: ﴿فَاتَّبِعِ الْبَصَرَ... ثُمَّ أَتَّبِعِ الْبَصَرَ﴾.

٦ - لا يتعب الله تعالى من الخلق: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(١)، ولكن عيننا تتعب من النظر إلى خلقه، ﴿يَقْلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

٧ - الزينة من الأمور الفطرية عند البشر. (اعتبر الله تعالى كون النجوم زينة للسماء هو نعمة)، ﴿زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾.

٨ - تتمتع المخلوقات الإلهية بالجمال مضافاً إلى كونها دقيقة ومحكمة: ﴿سَبَّأًا شِدَادًا﴾^(٢). (في الهندسة المعمارية يراعى إحكام البناء ومتانته كما يراعى جماله): ﴿زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾.

٩ - للمخلوقات الإلهية استخدامات عدّة: ﴿يَمْصِفُونَ... رُجُومًا﴾.

١٠ - لا ينبغي أن يكون تعاملنا مع العدو انفعالياً، بل يجب أن يكون هجوميّاً أحياناً: ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

١١ - يطمع الشياطين بالسموات أيضاً: ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

١٢ - الشياطين ضعفاء يمكن ضربهم: ﴿رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ﴾^(٦) إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾

إشارات:

- (ألقوا) من (الإلقاء) بمعنى السقوط من دون اختيار.
- ﴿شَهِيقًا﴾ تقال لأبشع الأصوات وأنكرها كما تقال لصوت الحمير المزعج.

(تفور) من الفوران، وهو إشارة إلى لهب نار جهنم العظيم الذي يفور ويتصاعد.

□ يصدر صوت الشهيق المنكر من جهنم نفسها: ﴿لَمَّا شَهِقًا﴾، وأهل النار كذلك لهم شهيق. كما جاء في الآية ١٠٦ من سورة هود: ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾.

التعاليم:

١ - قد يصل الغضب والغيط أحياناً إلى حد الانفجار: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنْ أَلْفِطٍ﴾.

٢ - يلقي أهل جهنم إلى داخل النار: ﴿أَلْقُوا فِيهَا﴾.

٣ - عذاب جهنم فيه تحقير: ﴿أَلْقُوا فِيهَا﴾، وهو مزعج للسمع: ﴿سَمِعُوا لَمَّا شَهِقًا﴾، ومصاحب لأسئلة توبيخية: ﴿سَأَلْتُمْ خَزَنَتَهَا﴾.

٤ - يأتي العذاب الإلهي بعد إتمام الحجة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾.

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١١﴾

إشارات:

□ أشارت هذه الآية إلى ثلاثة اعترافات للكافرين يوم القيامة:

(أ) الاعتراف بمجيء الأنبياء وبتكذيبهم إياهم: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾.

(ب) الاعتراف بعدم التعقل وعدم الاستماع إلى كلام الحق: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾.

(ج) الاعتراف بارتكاب الذنب: ﴿فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾.

□ ورد في الآية ٢٦ من سورة فصلت أن المخالفين كانوا يقولون: ﴿لَا سَمْعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾؛ ولكنهم في ذلك اليوم سيقولون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾.

التعاليم:

١ - هدف الله تعالى هو تكامل الإنسان المعنوي؛ ولذلك كان لا بد من بعث الرسل، وإلا فإن هدفه هذا لن يتحقق عملياً: ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾.

- ٢ - جهنم هي نتيجة الإنكار المتعمد للدين: ﴿الْقُوا فِيهَا... جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾.
- ٣ - يعلل المخالف أعماله، فكان الكافرون يقولون لتعليل تكذيبهم: ﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾.
- ٤ - عدم التعقل هو السبب في التكذيب: ﴿فَكَذَّبْنَا... لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ﴾. (تعاليم الإسلام مطابقة للعقل، لو كنا تعقلنا لكنا أصبحنا مؤمنين).
- ٥ - العقل الحقيقي هو أن يستمع الإنسان للحق فيقبله ويتبعه حتى ينجي نفسه من العذاب الإلهي: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.
- ٦ - يوصل العناد الروحي الضالين إلى مرحلة يتهمون فيها الأنبياء الإلهيين بالضللال، وليس أي ضلال بل هو الضلال الكبير: ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾.
- ٧ - من الممكن أن يؤدي الاعتراف بالذنب في الدنيا إلى العفو والصفح؛ وأما في الآخرة فلا جدوى له: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ... أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.
- ٨ - يلقي الكفار يوم القيامة عذاباً جسدياً: ﴿أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ وعذاباً نفسياً: ﴿فَسُحْقًا﴾ وهو البعد عن رحمة الله.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١٢) ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلَيْهِ يَدَاتُ الصُّدُورِ﴾ (١٣) ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤)

إشارات:

□ ورد في تفسير الثقلين، عن الإمام الرضا عليه السلام أن اللطيف هو النافذ في الأشياء الممتنع من أن يدرك.

التعاليم:

- ١ - يجب أن يكون تشجيع الصالحين وتوبيخ المخطئين جنباً إلى جنب في التربية وذلك حتى يكون ثمة مجال للمقارنة. (تحدثت الآيات السابقة عن عقاب أصحاب النار وهذه الآية تتحدث عن أصحاب الجنة): ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾.

- ٢ - تكون خشية الله مؤثرة إذا ما كانت بصورة مستديمة: ﴿يَخْشَوْنَ﴾؛ (الفعل المضارع يدل على الاستمرار).
- ٣ - التظاهر من الذنوب هو أرضية ممهدة لاستقبال الألفاظ الإلهية: ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.
- ٤ - التقوى والخشية الحقيقية هي أن يتقي الإنسان الله من داخله، وإلا فإن التقوى الظاهرية هي تظاهر ليس أكثر: ﴿يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ﴾.
- ٥ - فلندع النفاق والرياء جانباً؛ لأن الله عليم بما نبتن ونخفي: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.
- ٦ - الخفاء ليس له أثر في علم الله العميق. إنه يعلم كل الأسرار والنوايا: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾. ((عليم) فيها إشارة إلى العلم العميق والواسع).
- ٧ - إن الله هو من خلق المخلوقات، لذا فهو عليم بها. (من يصنع شيئاً يكن عالماً بحالاته): ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾.
- ٨ - الإيمان بعلم الله هو أفضل العوامل المانعة للنفاق والعمل بالخفاء: ﴿وَأَيِّرُوا قَوْلَكُمْ أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ... أَلَا يَعْلَمُ...﴾.

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥)

إشارات:

- (منكب) بمعنى الكتف، والكتف هو أنسب عضو لوضع الجمل عليه. مناكب الأرض تعني الأماكن في الأرض التي وضع حمل رزقنا عليها.
- الأرض مذلة للإنسان ومع أنها تتحرك بأشكال مختلفة إلا أنها هادئة. لو كانت الأرض دائماً معرضة للزلازل والبراكين، أو كانت الأرض أقرب للشمس أو أبعد، أو أي من الحسابات الأخرى الحاكمة على الأرض الآن لم تكن على ما هي عليه الآن ولم تكن مذلة للإنسان: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾.

التعاليم:

- ١ - ذَلَّلَ اللهُ تَعَالَى الْأَرْضَ لِلْإِنْسَانِ لِكَيْ يُتَمَكَّنَ مِنَ السَّعْيِ وَالْعَمَلِ فِيهَا: ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾.
- ٢ - الرزق من الله؛ ولكن يجب السعي والكد للحصول عليه: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾.
- ٣ - الوجود في حالة حركة وهو يسير نحو التكامل:
الطبيعة للإنسان: ﴿جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾.
والإنسان للسعي: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾.
والسعي للرزق: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾.
والدنيا للآخرة: ﴿وَالِئِنَّ الشُّورُ﴾.
- ٤ - لا ينبغي أن تكون ملذات الدنيا سبباً في الغفلة عن يوم القيامة: ﴿كُلُوا... وَإِلَيْهِ الشُّورُ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ آمَنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

- مضمون هاتين الآيتين شبيه بالآية ٦٥ من سورة الأنعام إذ تقول: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾.
- (حاصب) بمعنى الرياح الشديدة التي تحمل معها حصى.
- نقرأ في آخر سورة القصص مثلاً على الانخساف في الأرض وهو قارون: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾، ومثال إرسال الحصى من السماء في قصة عقاب أهل لوط: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾^(١).

□ قدرة الله على تذليل الأرض هي تجلٌ لملكه الذي ورد في أول السورة: ﴿يَبْدُو
الْأَلْكَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

□ احتمال التغيير والتبديل في الوجود، ينجي الإنسان من الغرور ومن الاتكال
على الدنيا. يقول مشنوي شعراً جميلاً عن هذا الموضوع:

كل ذرات الأرض والسماء	هي جنود للحق وللامتحان
أرأيت ماذا فعلت الريح بعباد	وماذا فعل الماء بالطوفان
ماذا فعل حقد البحر بفرعون	وما فعلت الأرض بقارون
وما فعلت الأبابيل بالفيل	وكيف نخر النمل رأس النمرود
والحجر الذي ألقاه داود	أصبح ثلاثمئة قطعة وهزم الجيش
إن تكلمت عن جمادات الكون	التي نصرت الأنبياء بعقلانية
لكتبت شعراً، إن أراد أربعين	جماً حمله لعجزوا عن ذلك

التعاليم:

- ١ - لا يقتصر عذاب الله وعقابه على يوم القيامة فقط: ﴿ءَأَمِنْتُمْ... أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ
الْأَرْضُ﴾.
- ٢ - لا يأمن أحد على نفسه من عذاب الله وليتوقع نزول العذاب في أي لحظة:
﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾.
- ٣ - السماء هي مركز القيادة والتدبير الإلهي: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾.
- ٤ - السماء مركز للمؤتمرين المطيعين الذين يأتمرون بأمر الله: ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾.
- ٥ - يخضع النظام الحاكم على الطبيعة لإرادة الله ويمكن أن يتغير في أي لحظة:
﴿يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾.
- ٦ - يمكن للعذاب الإلهي أن يأتي الإنسان من تحت قدميه، فتخسف به الأرض:
﴿يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾، ويمكن أن يأتيه من فوق رأسه، فينزل عليه من
السماء: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾.

٧ - إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ فَعْلٍ مَا يَشَاءُ. فَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْسِلَ الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ: ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ مِدْرَارًا﴾^(١)، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْسِلَ الْحِجَارَةَ مِنَ السَّمَاءِ: ﴿يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾.

٨ - يَجِبُ أَنْ نَأْخُذَ التَّهْدِيدَاتِ الإِلَهِيَّةَ عَلَىٰ مَحْمَلِ الْجَدِّ: ﴿فَسَتَلْمُزُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (١٨) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِرٌ وَيَقْبِضُنَّ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ (١٩)

إشارات:

□ الخصائص التي تتصف بها الطيور دليل على قدرة الله تعالى وعظمته. فهي تتحرك ضمن جماعات منظّمة وتطوي مسافات طويلة خلال الفصول الأربعة، تحطّ وتطير بشكل مستمر ولا يقيدنها مكان، ولكن عند طيرانها وعدم تصادم بعضها ببعضها الآخر أو سقوطها هو رحمة من الله.

□ جاءت (صافات) بصورة اسم فاعل، أي أن الطيور تطير بجناحين مفتوحين؛ ولكن كلمة (يقبضهن) جاءت بصورة فعل؛ لأن الطيور تضم جناحيها أحيانا.

التعاليم:

١ - يجب أن نأخذ التهديدات الإلهية على محمل الجد (نزل عذاب الله على السابقين بشكل عملي، خُسفت الأرض بقارون، وأمطر قوم لوط بحصب من السماء. فيجب أن نأخذ العبرة من تاريخهم): ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

٢ - يواسي الله تعالى نبيه في تكذيب الناس له: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٣ - تاريخ السابقين فيه هدى لللاحقين: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

٤ - تكذيب الأنبياء هو مفتاح العذاب الإلهي: ﴿كَذَّبَ... فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

- ٥ - لا تغتروا بإمكاناتكم المادية. (صحيح أَنَّ الطير يطير بواسطة جناحيه، إلا أَنَّ قدرة الله تعالى هي التي تبقيه في الهواء): ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾.
- ٦ - لا تجعلوا شيئاً شريكاً لله تعالى: ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾.
- ٧ - النعم الإلهية مبنية على الرحمة: ﴿مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾.
- ٨ - يُدار نظام الكون تحت نظر الله تعالى: ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾.
- ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَّكَ يَصْرِفُكَ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكُفْرَ إِيَّائِي فِي غُرُورٍ﴾ (٢٠) ﴿أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكَ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ (٢١)

إشارات:

- تحدثت الآيات السابقة عن قدرة الله في السماء والأرض. يستطيع الله أن يأمر الأرض بخسف الكفار، ويستطيع أن يُبقي على الطيور في الهواء.... تبين هذه الآية للإنسان عجزه وضعفه وتتساءل على أي جيش وعلى أي محام يعتمد الإنسان في معاندته وتحديه لله. والظاهر أَنَّ المشركين كانوا يستشعرون القوة من الأصنام.
- (غُرُور) بمعنى المُخَادَع و(غُرُور) بمعنى الخداع.
- وسائل الغرور متعدّدة والشيطان هو أهمها: ﴿وَلَا يَمُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(١)، ومن أسباب الغرور طول الأمل وعود الغافلين.
- أشارت الآية إلى أسباب شقاء الإنسان، وهي: الغرور، العناد، العتو، والنفور. العتو هو الاستكبار وتجاوز الحق، والنفور هو إظهار التنفر والفرار من الحق.
- العناد هو أرضية ممهدة للعتو والطغيان. والعتو ممهد للنفور والابتعاد عن الحق.
- إِنَّ الله هو وحده الرزاق. يرزق في الدنيا: ﴿خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾^(٢)، يرزق في

(١) سورة لقمان: الآية ٣٣.

(٢) سورة الروم: الآية ٤٠.

البرزخ: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾^(١)، ويرزق في القيامة: ﴿يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

التعاليم:

- ١ - يجب أن يُنبه الشخص المغرور إلى ضعفه وعجزه: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي...﴾.
- ٢ - امتلاك القوة والجيش هو من أسباب الغرور: ﴿جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ...إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.
- ٣ - يصاب الكافرون بالعجب والغرور لانكالهم على القوة الفارغة: ﴿جُنْدٌ لَّكَ يَصُرُّكَ...إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾.
- ٤ - إنّ الله ليس مجبوراً على رزق العباد، بل يستطيع أن يقطع الرزق عنهم: ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾.
- ٥ - إحدى طرق تقدير النعم الإلهية هي الاعتقاد أنها يمكن أن تقطع: ﴿إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ﴾؛ يقول الله ﷻ في آية أخرى من هذه السورة: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكَ غَوْرًا﴾^(٣).

﴿أَمَّنْ يَنْشِئُ مِثْبَاتًا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَنْشِئُ سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٢٢) قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

إشارات:

- (مُكَبِّ) بمعنى الشخص الذي سقط إلى جهة الأمام، (إنشاء) بمعنى الإيجاد المصاحب للابتكار، و(ذراً) بمعنى الخلق وتكثير النسل.
- شُبِّهَتْ هذه الآية الكافر بالشخص الذي سقط على وجهه على الأرض ويتحرك وهو في هذه الحالة فيزحف زحفاً؛ ولكن المؤمن يمشي منتصب القامة.

(٣) سورة الملك: الآية ٣٠.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢) سورة غافر: الآية ٤٠.

- السمع مصدر وتشمل المفرد والجمع؛ ولهذا لم يكن ثمة ضرورة لذكرها بصيغة الجمع كما (الأبصار) و(الأنفدة) التي جاءت بصيغة الجمع.
- الذي سقط على وجهه على الأرض لا يستطيع الرؤية ويتحرك بصعوبة، وتتأذى يده ووجهه لأنه لا يرى الموانع التي تعترض طريقه، يصبح ضعيفاً وذليلاً، يذهب الآخرون ويبقى وحيداً، أما الذي يتحرك وهو واقف، فإنه عزيز، يتحرك بسرعة، يرى الموانع من بعيد ويتعرف عليها، فيبقى سالماً ويبقى الآخرون معه.
- عن الإمام الباقر عليه السلام، أن: «القلوب أربعة... [أحدها القلب المطبوع] وأما المطبوع فقلب المشرك»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَفَن يَبْنِي مِكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾^(١).
- معرفة النفس طريق لمعرفة الله. فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم، ويتكلم بلحم ويسمع بعظم...»: ﴿رَجَلٌ لَّكُمُ السَّمْعُ وَالْأَبْصَرُ وَالْأَنْفُذَةُ﴾.
- مع أن شكرنا قليل في مقابل نعم الله علينا، إلا أن الله لا يمنع نعمه عنا. نقرأ في دعاء شهر رجب: «يا من يعطي الكثير بالقليل»^(٢).

التعاليم:

- ١ - الأشخاص المعاندون المحاربون للحق الفارّون منه، هم أشخاص ممسوخون يتحركون كالزواحف بدلاً من الحركة الطبيعية: ﴿بَلْ لَّجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ... مِكْبًا عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾.
- ٢ - طريق الإسلام، طريق مستقيم ومُعَبَّد وله مقصد واضح، ولو مشّت الأمة الإسلامية على هذا الطريق لمشت منتصبه القائمة مرفوعة الرأس: ﴿يَبْنِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
- ٣ - إِنَّ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مَوْضُوعٌ مَّهِمٌّ، إذ أُمِرَ النَّبِيُّ بِأَنْ يَنْبَهَ النَّاسَ إِلَى مَبْدَأِ الْخَلْقِ وَالنَّعْمِ الْمَكْنُونَةِ فِيهِ مَرَّاتٍ مُتَعَدَّةٍ وَمُتَتَالِيَةٍ: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ... قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾.

(١) الكافي، ج ٢، ص ٤٢٣.

(٢) مصباح المتعبد وسلاح المتعبد، ج ١، ص ٣٥٣.

- ٤ - خَلَقَ اللهُ أمر مبتكر وليس تقليداً لمثال سابق: ﴿أَنْشَأَكُمْ﴾.
- ٥ - أعطى الله تعالى الإنسان كل وسائل المعرفة حتى يُتَمَّ الحجة عليه (الناس العاديون يسمعون ويرون ويعتبرون فقط، ولكن الناس أصحاب المراتب الأعلى يتلقون أموراً عن طريق قلوبهم): ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾.
- ٦ - لا يكون شكر الله باللسان فقط، وإنما الشكر العملي هو المطلوب ويكون بالاستفادة الصحيحة من النعم: ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾.
- ٧ - الذي بدأ خلقكم في الأرض ومن الأرض، هو القادر على إحيائكم مرة أخرى: ﴿أَنْشَأَكُمْ... ذَرَأَكُمْ... إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.
- ٨ - نشر الله تعالى الناس في الأرض في الدنيا وسوف يجمعهم يوم القيامة: ﴿ذَرَأَكُمْ... تُحْشَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْغَائِرُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٦﴾

إشارات:

- جاءت جملة: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ ست مرّات في القرآن على لسان المعارضين، وكان جواب النبي ﷺ دائماً أن علمها عند الله وحده.
- علم الغيب نوعان: نوع يعطيه الله تعالى للذين اصطفاهم: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾^(١)، ونوع خاص بالله تعالى وحتى الأنبياء الإلهيون لا يعلمون به، مثل العلم بموعد يوم القيامة: ﴿إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وكما نقرأ في الدعاء: «اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك...»^(٢).

(١) سورة هود: الآية ٤٩.

(٢) الكليني، الكافي، ج ٢، ص ٥٦١.

□ عدم العلم بجزيئات القيامة وبزمان وقوعها ليس دليلاً لإنكار كليّاتها. لو سمعت صوت جرس الباب ولم تر الشخص الذي رنّ الجرس، فلا يكون هذا سبباً للقول إنه لا أحد عند الباب.

التعاليم:

- ١ - يبحث الكافر عن حُجّة. (السؤال عن زمان وقوع يوم القيامة، يهدف إلى التهرب من الاعتراف به): ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ؟﴾.
- ٢ - يسعى العدو إلى إضعاف الدين والمبعوث السماوي عن طريق طرح الأسئلة والتحقيق والاستهزاء، ولهذا يتهم الأنبياء بالكذب: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟﴾.
- ٣ - لا تملك كل معرفة قيمة (إذا ما عرفنا موعد يوم القيامة سيكون هذا سبباً لقلق الأشخاص القريب زمانهم من القيامة وخوفهم، وبالمقابل الأشخاص الذين زمانهم بعيد عن القيامة سيكون هذا سبباً في غفلتهم ونسيانهم): ﴿إِنَّمَا أَلِمْ عِنْدَ اللَّهِ؟﴾.
- ٤ - لم تكن رسالة النبي الأكرم ﷺ للإعلام عن الغيب وإنما كانت لهداية الناس وتحذيرهم: ﴿إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ؟﴾.
- ٥ - كلام الأنبياء واضح وليس فيه أي غموض أو تعقيد: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ؟﴾.
- ٦ - يجب إرشاد الأشخاص المغرورين والمعاندين عن طريق التحذير، ولا ينفع التبشير والتشويق مع مثل هؤلاء: ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ؟﴾.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾ (٢٧)

إشارات:

□ (زلفة) بمعنى القريب، يُطلق على أرض المشعر الحرام (مزدلفة)؛ لأنها قريبة من مكة.

□ (تَدْعُونَ) طلب جاد وفيه استعجال. ورد في الآية ١٤ من سورة الذاريات: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُنْتَنَوْنَ﴾ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعِجِلُونَ ﴿١٤﴾^(١)، هَذَا الْعَذَابُ الَّذِي كُنتُمْ تَسْتَعِجِلُونَهُ وَتَقُولُونَ: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾^(٢).

□ وصف القرآن الكريم هيئة المحسنين والمجرمين في يوم القيامة ضمن آيات متعددة. يقول عن المحسنين:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ ﴿٣٩﴾^(٣)، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ﴿٤٠﴾^(٤)، ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾^(٥).

ويقول عن المجرمين والمنحرفين:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَرَّةٌ﴾ ﴿٤١﴾ تَرْمَقُهَا قَتَرٌ﴾ ﴿٤٢﴾^(٦)، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ﴿٧٧﴾^(٧) أي وجوه ذليلة، ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَمِمَّ فِيهَا كُلِّخُوفٌ﴾^(٨) كالخون تعني وجوههم عابسة ومنكسرة وقد ذابت شفاههم وبانت أسنانهم: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَصُفًا﴾^(٩)، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ ﴿١٠٠﴾^(١٠)، ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾^(١١).

التعاليم:

١ - الكفر في الدنيا سبب لاسوداد الوجه في يوم القيامة: ﴿سَيَتَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.

٢ - مضافاً إلى العذاب الجسدي في يوم القيامة يوجد عذاب التحقير الروحي: ﴿هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾.

(٧) سورة الغاشية: الآية ٢.

(٨) سورة المؤمنون: الآية ١٠٤.

(٩) سورة الإسراء: الآية ٩٧.

(١٠) سورة القيامة: الآية ٢٤.

(١١) سورة القمر: الآية ٤٨.

(١) سورة الذاريات: الآيات ١٣ - ١٤.

(٢) سورة الذاريات: الآية ١٢.

(٣) سورة عبس: الآيات ٣٨ - ٣٩.

(٤) سورة الغاشية: الآية ٨.

(٥) سورة المطففين: الآية ٢٤.

(٦) سورة عبس: الآيات ٤٠ - ٤١.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٨)

إشارات:

□ جاء في الروايات أَنَّ كَفَّار مَكَّة كانوا يتمنون موت النبي والمسلمين. تقول هذه الآية حتى إن ذهبوا هم عن الدنيا فمن سيجبركم من عذاب الله تعالى؟ وقد ورد تمنى الكافرين هذا في سورة الطور كذلك: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَدْخُلُ بِهِ رَبَّ أَلْمُوتُونَ﴾^(١). وكذلك في الآية ١٢ من سورة الفتح إذ تمنى الكافرون عدم عودة الرسول والمسلمين سالمين من الحرب: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ﴾.

□ يقولون إِنَّ طفلاً مشاغباً كان يتمنى موت أستاذه، فقال له والده: إذا أردت أن تتخلص من الدرس والبحث عليك أن تتمنى من الله موتي أنا؛ لأنه إن مات أستاذك فإني سأرسلك إلى أستاذ آخر.

التعاليم:

- ١ - يجب أن نتعلم أسلوب مجادلة الكفار والاحتجاج معهم من الوحي: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ...﴾.
- ٢ - الرسول هو أمين الوحي: ﴿قُلْ...﴾، (لم يحذف حتى كلمة (قل)).
- ٣ - قد نحتاج أحياناً في مقام الدعوة، إلى طرح الحقائق كافتراض: ﴿إِنْ أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ﴾.
- ٤ - كما يحقد الكفار على شخص النبي فهم يحقدون على أتباعه كذلك: ﴿أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾.
- ٥ - يجب على المؤمن أن يعيش بين الخوف والرجاء: ﴿أَهْلَكَنِیَ اللَّهُ... أَوْ رَحِمَنَا﴾.
- ٦ - لا يمكن لأي شيء ولا لأي أحد أن يمنع نزول العذاب الإلهي: ﴿فَمَنْ يُجِيرُ﴾.

الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٩﴾ (كان شعار بعض الكفار هو: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾^(١))، ولكن القرآن يقول إنهم سوف يتعذبون).

٧ - من يتمنى الألم والهلاك لأولياء الله، جزاؤه العذاب الأليم: ﴿عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٢٩) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾

إشارات:

□ تتكون الأرض من أجزاء مُنفِذة وأجزاء غير مُنفِذة، فلو كانت كل أجزائها غير منفذة لما اختزن الماء فيها، ولو كانت كل الأرض منفذة لأصبحت الأرض مستنقعا.

□ ﴿غَوْرًا﴾ بمعنى النزول إلى العمق و﴿مَعِينٍ﴾ يعني السهل والجاري.

□ الآية الأخيرة هي بمثابة تفسير للآية السابقة. يقول تعالى في الآية ٢٩: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾، وفي الآية ٣٠ يذكر أن الماء الجاري هو مثال على الرحمة الإلهية. يقول في الآية الأولى: توكلنا عليه، ويقول في الآية الثانية: دليل التوكل عليه هو أنه إذا ما غارت الماء اللازمة إلى الأرض، لا يستطيع أن يخرجها أحد.

ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾: إن أصبح إمامكم غائبا عنكم لا تدرّون أين هو؟ فمن يأتيكم بإمام ظاهر يأتيكم بأخبار السماوات والأرض وحلال الله وحرامه^(٢).

التعاليم:

١ - إن النبي مطالب بإعلان موقفه من المعارضين والمخالفين: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ﴾.

٢ - عنصرا الإيمان والتوكل هما وسيلتكم لمواجهة الكفار: ﴿ءَأَمَّنَّا... تَوَكَّلْنَا﴾.

- ٣ - التوكل هو ثمرة الإيمان وملازم له: ﴿ءَامَنَّا... تَوَكَّلْنَا﴾.
- ٤ - الإيمان بمنبع الرحمة هو الإيمان ذو القيمة وليس الإيمان بالأصنام الجامدة: ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ ۚ ءَامَنَّا﴾.
- ٥ - بالتوكل على الله، سيحمل الكفار أمنيته معهم إلى القبر: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ﴾.
- ٦ - العبرة في خواتيم الأمور لا في أولها: ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.
- ٧ - في البدء أحكموا أسس بنائكم العقدي ثم واجهوا الأعداء وهددوهم: ﴿ءَامَنَّا... تَوَكَّلْنَا... فَسَتَعْلَمُونَ...﴾.
- ٨ - حديث قائد المجتمع الإسلامي بشكل قاطع ومحكم يكون سبباً في طمأنة المؤمنين وتخويف الأعداء: ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ... فَسَتَعْلَمُونَ...﴾.
- ٩ - احتمال وقوع الخطر ليس كافياً للابتعاد عن الغفلة واللامبالاة: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَأْزُكٌ غَوْرًا﴾.
- ١٠ - يستطيع الله تعالى تغيير قوانين الوجود كيفما شاء: ﴿إِنْ أَصْبَحَ مَأْزُكٌ غَوْرًا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْقَلَمِ

السورة: ٦٨ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾

إشارات:

□ (ممنون) إذا كانت من (مَنْ) بمعنى القطع، فهي الأجر غير المنقطع، وأما إن كانت من (مِنَّة) فتعني أن الألطاف الإلهية من دون مِنَّة. والظاهر أنها تحمل المعنى الأول؛ لأن تمنن الله على عباده ليس عيباً؛ بل هو باعث على الشكر والطاعة له^(١).

□ دور القلم أهم وأقوى من دور اللسان، السيف، والدرهم، والدينار، والشهرة، والولد؛ لأن القلم ينقل تجربة الأجيال بعضها إلى بعضها الآخر وينمي الثقافة. يمكن إيقاظ الناس بالقلم ويمكن تنويمهم. يمكن إعزاز الأمة بالقلم ويمكن إذلالها. القلم هو صراخ صامت. القلم مستند رسمي. وهو يخبرنا عما حصل في التاريخ.

القسم بالقلم دليل على الحضارة والثقافة. الاستناد إلى القلم هو استناد إلى البرهان والاستدلال.

الارتباط بالقلم هو ارتباط بالعلم. من بين كل الأصوات، ثمة ثلاثة أصوات مميزة: صوت قلم العلماء، صوت أقدام المجاهدين، وصوت آلات الحياكة.

أجل، الأمة العزيزة هي الأمة القوية في علمها وقدرتها واقتصادها. وإن أردنا اليوم التعبير عن هذه الأصوات الثلاثة، يجب أن نقول: صوت المطبعة، صوت المعسكر وصوت المصنع. يعني القدرة الثقافية، والعسكرية، والاقتصادية.

□ تحفظ الأقلام والكتابات، العلوم. نقرأ في الحديث: «قَدِّدُوا الْعِلْمَ بِالْكِتَابَةِ»^(١).
□ شخص لم يقرأ في حياته سطرًا واحدًا، يُقسم بالقلم وبالكتابة: «وَلَا تَخْطُهُ يَمِينُكَ»^(٢). كما قال حافظ:

معشوقي لم يذهب إلى كتاب ولم يقرأ سطرًا
ولكن بغمزة صار معلّمًا لمئة معلّم

□ لا تتعجبوا عندما يُنسب الجنون إلى الأفراد العظماء، يقول القرآن: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ﴾^(٣).

□ لا تظنوا أن الثواب الإلهي بسيط: ﴿أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٤)، ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٥)، ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٦)، ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَنُونٍ﴾^(٧)، ﴿أَجْرًا حَسَنًا﴾^(٨)، ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾^(٩).

الأخلاق في الإسلام:

أكد القرآن الكريم من بين كل صفات وخصائص النبي على خلقه ووصفه بأنه على خلق عظيم. وفي هذه المناسبة نقل قسمًا من أقوال أئمتنا عن هذا الموضوع من كتاب ميزان الحكمة، باب الخلق:

عن الإمام علي عليه السلام: «رُبَّ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُلُقُهُ وَذَلِيلٍ أَعَزَّهُ خُلُقُهُ».

وعن الإمام الحسن عليه السلام: «حَسَنُ الْخُلُقِ رَأْسُ كُلِّ بَرٍّ».

وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّمَا تَفْسِيرُ حَسَنِ الْخُلُقِ إِنْ أَصَابَ الدُّنْيَا يَرْضَى

وإِنْ لَمْ يَصِبْهَا لَمْ يَسْخَطْ».

(٦) سورة يس: الآية ١١.

(٧) سورة فصلت: الآية ٨.

(٨) سورة الكهف: الآية ٢.

(٩) سورة النساء: الآية ١٠٠.

(١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٥٢.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٨.

(٣) سورة الذاريات: الآية ٥٢.

(٤) سورة هود: الآية ١١.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٧٢.

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «إنَّ العبد المسلم يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «مكارم الأخلاق عشرة أشياء: اليقين، القناعة، الصبر، الشكر، الحلم، حسن الخلق، السخاوة، الغيرة، الشجاعة والمروءة».

وعن الإمام عليّ عليه السلام: «من مكارم الأخلاق أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك».

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «الخلق الحسن يميت الخطيئة كما تميت الشمس الخبائث».

وعنه أيضاً: «حسن الخلق يثبت المودة».

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «خصلتان لا تجتمعان في المؤمن، البخل وسوء الخلق».

قيل للرسول الأكرم: إنَّ فلانة من أهل العبادة ولكنها سيئة الخلق وتؤدي جيرانها بلسانها. فقال الرسول الأكرم: «لا خير فيها هي من أهل النار».

الخلق العظيم:

تقال كلمة خلق للصفات التي عُجِنَتْ بفطرة الإنسان وطبيعته ولا تقال للتصرفات التي تصدر أحياناً أو بشكل مؤقت. وردت تفاسير عدّة حول الخلق العظيم، من بينها:

(أ) قالت عائشة: أخلاق النبي هي الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون وليس ثمة مدح فوق هذا المدح.

(ب) المقصود هو التخلّق بأخلاق الإسلام.

(ج) المقصود الصبر على الحق وتدبير الأمور وفقاً لما يقتضيه العقل.

(د) ورد في بعض كتب المفردات أنَّ الخلق يعني الدين والدستور، كما ورد في حديث عن الإمام الباقر أنّه فسّر الخلق العظيم بالإسلام^(١).

هـ) المقصود هو التعامل بمدارة مع المخالفين، كما أمره الله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١).

و) المقصود هو مكارم الأخلاق، مثلما جاء في رواية عن النبي ﷺ: «إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق»، وقال «أدبني ربِّي فأحسن تأديبي»^(٢).

ز) قالت عائشة عن أخلاق الرسول ﷺ: «كان خلقه القرآن»^(٣).

□ ينقل المرحوم العلامة الطباطبائي في تفسير الميزان (ج ٦، ص ١٨٣) ٢٧ صفحة من روايات في أخلاق حياة النبي ﷺ وسننه وآدابه، وسنشير إلى بعضها بشكل إجمالي:

- ١ - كان النبي ﷺ يصنع نعله بيده.
- ٢ - كان النبي ﷺ يرتق ثوبه بنفسه.
- ٣ - يحلب الشاة بنفسه.
- ٤ - يأكل الطعام مع العبيد.
- ٥ - يجلس على الأرض.
- ٦ - يركب على الحمار.
- ٧ - لم يكن يمنعه الحياء من أن يشتري حاجاته من السوق.
- ٨ - كان يعطي يده للفقراء والمحتاجين ولم يكن يسحب يده قبل أن يسحب الطرف الثاني يده.
- ٩ - كان يسلم على كل من يراه، صغيراً كان أم كبيراً.
- ١٠ - إذا ما دُعِيَ إلى طعام لم يكن يحقره وإن كان تمره منخورة.
- ١١ - بعيد عن البذخ، كريم الطبع وحسن العشرة.
- ١٢ - كان دائم التبسم من دون أن يقهقه.
- ١٣ - الحزن يبدو على محياه دائماً من دون أن يكون وجهه عابساً مكفهراً.

(٣) العلامة الطباطبائي، سنن النبي، ص ٥٦.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩.

(٢) تفسير مجمع البيان.

- ١٤- كان متواضعاً؛ ولكن لا يذلّ نفسه.
- ١٥- كان كريماً من دون إسراف.
- ١٦- كان شديد الرحمة والعطف.
- ١٧- لم يمد يده إلى أي شيء بطمع.
- ١٨- كان ينظر في المرأة قبل خروجه من البيت فيمشط شعره، وكان يستخدم الماء بدل المرأة أحياناً.
- ١٩- لم يكن يمدّ رجله أمام الآخرين أبداً.
- ٢٠- كان دائماً يختار الأصعب من بين الأمرين.
- ٢١- لم يكن ليتنقم من أي ظلم قد وقع عليه، إلا إذا هتكت محارم الله، فكان يغضب لهتك الحرمة.
- ٢٢- لم يأكل الطعام وهو متكئ أبداً.
- ٢٣- لم يطلب منه أحد شيئاً ورده أبداً.
- ٢٤- كانت صلاته تامة وفي الوقت نفسه يسيرة وخطبته قصيرة.
- ٢٥- كان يعرفه الناس من رائحته الزكية التي كانت تصل إلى مشامهم.
- ٢٦- إذا جلس معه ضيف إلى الطعام، كان أول من يبدأ الطعام وآخر من يقوم عنه حتى لا يشعر الضيف بالخجل.
- ٢٧- كان يأكل من الطعام الذي يليه.
- ٢٨- كان يشرب الماء على ثلاث دفعات.
- ٢٩- لم يكن يأكل إلا بيده اليمنى ولم يكن يعطي أو يأخذ شيئاً إلا فيها.
- ٣٠- عند الدعاء، كان يكرر دعاءه ثلاث مرّات، ولكن لم يكن كلامه تكرارياً في حديثه.
- ٣١- كان يستأذن ثلاث مرّات إذا أراد الدخول إلى بيوت الناس.
- ٣٢- كان كلامه واضحاً، فكان كل من يسمعه يفهمه.
- ٣٣- كان يوزّع نظراته على كل الجالسين معه.
- ٣٤- كان دائم التبتسم في حديثه مع الناس.

التعاليم:

- ١ - القسم بالقلم بدلاً من القسم بالبيان فيه تحفيز على التعلم وبيان لمقام العلم. (محاربة الأمية والتشجيع على القراءة والكتابة هي من البرامج ذات الأولوية في الإسلام): ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.
- ٢ - حصانة النبي وعصمته من تجليات العناية والألطف الإلهية: ﴿مَا أَتَتْ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ يَمْجُتُونَ﴾.
- ٣ - الاعتقاد بالشواب واللفظ الإلهي هو الذي يُثَبَّت الإنسان أمام الاتهامات والضغط: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.
- ٤ - إن غضضنا النظر عن إثابة الناس لنا، سنصل إلى الشواب الإلهي: ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.
- ٥ - يُعطى الشواب الأبدي للشخص الذي يكون خلقه عظيماً: ﴿لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ... لَعَلَّيْ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾.
- ٦ - التمكن من الخلق العظيم مساوٍ للتمكن من الصراط المستقيم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّيْ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾. وورد في آية أخرى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝﴾^(١).
- ٧ - إن النبي الأكرم معجون بالكمالات ومتملك لها: ﴿لَعَلَّيْ خُلِقَ عَظِيمٌ﴾.
- ٨ - يجب الدفاع عن الشخصيات الدينية التي تتعرض للاتهام والتحقيق: ﴿مَا أَتَتْ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ يَمْجُتُونَ﴾.

﴿فَسَبِّحْهُ وَبُحِّرْهُ ۝ بِأَيِّكُمْ أَلْفُتُونَ ۝﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

إشارات:

□ جاء في الروايات: عندما رأت قريش أن النبي ﷺ يقدم الإمام علياً عليه السلام على الآخرين، قالت: لقد فُتِن محمد به. فنزلت الآيات^(٢).

□ نقرأ في سورة القمر ما يشبه هذا الحديث في لحن خطابه: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابَ الْكَذَّابِ الْأَلْبِيسِ﴾^(١). تحمل هذه الآيات كذلك نوعاً من تبشير نبي الإسلام بالنصر على المشركين.

التعاليم:

- ١ - يواسي الله تعالى نبيه في مواجهته مع الكفار: ﴿سَتُنِيرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.
- ٢ - يوضح المستقبل الحقائق: ﴿سَتُنِيرُ وَيُبْصِرُونَ﴾.
- ٣ - الكافر الذي يرفض براهين الأنبياء الواضحة عن علم وعمد، يستحق أن يوصف بالمجنون: ﴿يَأْيَيْكُمْ الْفُتُونُ﴾. (كما أن الإيمان عن علم وفهم دليل على التعقل).
- ٤ - لا ينفع ادعاء الهداية للنفس أو نسبة الضلال للآخرين، فإن الله هو الذي يعلم المهتدي الحقيقي من الضال الحقيقي: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾.

﴿لَا تَطْلِعُ الْمُكَذِّبِينَ (٨) وَذُوَا لَوْ تَذَهْنُ فَيَذْهَبُونَ (٩) وَلَا تَطْلِعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ (١٥) هَمَّازٍ مَشَّامٍ بِنِيسِيرٍ (١١) مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيرٍ (١٢) عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رَنِيْرٍ (١٣) أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِيْنٍ (١٤) إِذَا تَنَازَلْنَا عَلَيْهِ مَا يُلِنَّا قَالِ اسْتَطِيرَ الْأَوَّلِينَ (١٥) سَنِيْسُهُ عَلَى الْقَرْطُورِ (١٦)﴾

إشارات:

- «تذهن» من الدهن بمعنى السمن والمقصود الليونة، والتساهل، والتفاهم.
- «همَّاز» من (هَمَز) بمعنى يبحث في العيوب وهي مرادفة لكلمة (عياب).
- «مَشَّامٍ بِنِيسِيرٍ» يعني يسعى بكل جهده للنميمة. قد يكون المقصود من ﴿مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ﴾ هو البخل بالمال؛ لأن القرآن قد استخدم كلمة الخير في حديثه عن المال^(٢).

(٢) ﴿إِنْ زَكَ حَبْرًا أَلْوَصِيَّتُ﴾ سورة البقرة: الآية ١٨٠.

(١) سورة القمر: الآية ٢٦.

□ (زنيماً) تُطلق على الشخص الذي ليس له أصل ونسب محدد ولا يُنسب لقوم (ابن زنا). يقول الإمام الصادق عليه السلام: «العتل العظيم الكفر، والزنيماً المستهزئ بكفره»^(١).

□ نهى القرآن الكريم رسول الله مرّات عدة عن اتباع المنحرفين بجمل من قبيل: ﴿وَلَا تُطِيعُوا﴾^(٢)، ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾^(٣).

□ يَبْنُوا كل أبعاد العدو حتى ينجو الناس منه. تنقل هذه الآيات ما يقارب عشر خصال للأعداء وقد أوجبت الابتعاد عنهم لاتصافهم بإحدى تلك الخصال، فما بالك إذا اجتمعت كل هذه الخصال في فرد واحد أو في مجموعة.

□ يجب أن يكون قائد المجتمع المطاع من قبل الناس منبعاً للنشاط، والأمل، والوحدة، والتقوى، وألا يمتلك صفات كالهزم، واللمز، والنميمة، والبخل، والتعدي، والخشونة، فهي عوامل تؤدي إلى الفتور والفرقة، وقد نهت هذه الآيات عن اتباع أصحاب هذه الخصال.

□ لقد كانت آيات القرآن موضعاً للاتهام بالكثير من الصفات من قبيل: ﴿أَسْطِطُوا﴾^(٤)، ﴿أَصْفَتْ أَخْلَافَهُ﴾^(٥)، ﴿أَمَرَ يَقُولُونَ أَفْتَرْتَهُ﴾^(٦)، ﴿لَقُلْنَا نَحْنُ هَٰذَا﴾^(٧)، ﴿بِعِلْمِهِ بَشَرٌ﴾^(٨)، ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ﴾^(٩).

□ نقرأ في الروايات: قال الله تعالى للنبي شعيب: «سأصيب قوماً فيهم مئة ألف شخص بعذابي، مع أنّ أربعين ألفاً منهم سيئون وستين ألفاً منهم صالحون وذلك لأنّ الصالحين لا يتحلّون بالغيرة الدينية ويدهنون المخطئين»^(١٠).

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٣٩٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٦؛ سورة الفرقان: الآية ٥٢؛ سورة الأحزاب: الآيتان ١ و ٤٨؛ سورة القلم: الآيتان ٨ و ١٠؛ سورة الإنسان: الآية ٢٤.

(٣) سورة المائدة: الآيتان ٤٨ و ٤٩؛ سورة الأنعام: الآية ١٥٠؛ سورة الأعراف: الآية ١٤٢؛ سورة ص: الآية ٢٦؛ سورة الشورى: الآية ١٥؛ سورة الجاثية: الآية ١٨.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٥.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ٨.

(٦) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٧) تفسير أطيب البيان.

(٨) سورة الفرقان: الآية ٤.

(٩) سورة الفرقان: الآية ٤.

وليكن واضحاً أنّ الآيات تنتقد المصالحة من موقع الضعف والتي تُسمى مDAHنة، أمّا التنازل من موقع القوة والذي يُسمى مداراة ليس منه مانع. كالوالد الذي يمشي ببطء مراعاة لحال طفله.

□ (هَمَّاز، مَنَاع، مَعْتَدٌ، وَأَثِيم) من صفات الكفار، وأيّما مسلم امتلك هذه الصفات أصبح قريباً من الكفار.

التعاليم:

- ١ - ابتعدوا عن المنحرفين، شكراً للنعم الإلهية عليكم: ﴿وَأَنَّكَ لَكَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ... فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- ٢ - الأخلاق الحسنة مصاحبة للنفور والابتعاد عن المنحرفين: ﴿لَكَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ... فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾. (أجل، فإنّ حسن الخلق لا يعني الانسجام مع الأفراد السيئين).
- ٣ - يحتاج الأنبياء الإلهيون للتذكير أيضاً: ﴿فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.
- ٤ - ليس ثمة قيمة لقسم المخالفين، وكلما أقسموا أكثر قلت قيمة قسمهم أكثر: ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾.
- ٥ - ليس للأشخاص الوضعيين عديمي النسب: ﴿مَّهِينٍ﴾، النمامين: ﴿بَنِي سِيرٍ﴾، والأشخاص الذين أصبح البخل، والتعدي، والذنب، والخشونة جزءاً من ذاتهم، ليس لهم أي مكانة اجتماعية، سياسية، أو إدارية في المجتمع الإسلامي: ﴿فَلَا تُطِيعُ...﴾.
- ٦ - لا تغفلوا عن مخططات العدو. يسعى الأعداء إلى حملكم على المدهانة: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُوا...﴾.
- ٧ - لا تعطوا الأعداء أي امتياز، حتى لو أعطوكم الامتياز وفتحوا باب المدهانة: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُوا...﴾.
- ٨ - يريد الأعداء أن نتراجع عن مبادئنا: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُوا﴾؛ (لا يسمح بالتسامح والتساهل في المبادئ).
- ٩ - إنّ التساهل مع العدو هو بمثابة إطاعته. والمقصود من النهي عن الإطاعة هو النهي عن التساهل والمدهانة: ﴿فَلَا تُطِيعُ... وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُوا فَيَذْهَبُونَ﴾.

- ١٠ - وضاعة الذات وامتلاك الإمكانيات الخارجية، من أسباب الفتنة والفساد: ﴿مُهَيِّن... ذَا مَالٍ وَبَيْنٍ﴾.
- ١١ - امتلاك الكفار للقوة والثروة ليس عذراً لمداومتهم: ﴿لَوْ تَذَنُّوْا...﴾.
- ١٢ - الأثرياء المرفهون هم الخط الأول من بين المخالفين للأنبياء: ﴿ذَا مَالٍ وَبَيْنٍ... قَالَ أَسْطِطِرُّ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ١٣ - يعذب الله تعالى المتكبرين بصورة تبقى فيها آثار العذاب على أجسامهم: ﴿سَنَسِفُهُ﴾.
- ١٤ - جزاء المُحَقَّر هو التحقير: ﴿سَنَسِفُهُ عَلَى الْفَرْطُورِ﴾.

﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أُمَمَآءَ لَبَنَةٍ إِذْ أَقْبَمُوا لَبَنُهَا مُضِجِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ نَطَافَ عَلَيَا طَائِفٍ مِّن رَّبِّكَ وَهَرَّ نَابَهُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالْعَصِيرِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُضِجِينَ ﴿٢١﴾ أَلَيْسَ أَغْدُوًا عَلَى حَرْبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

□ «الطائف» هو البلاء والآفة التي حاقت بالبستان فأحرقته وجعلته رماداً. والصرم هو جني الشمار وقطعها وفي الآية هو اجتثاث الأشجار بالعذاب الإلهي وقطعها.

□ (تنادوا) بمعنى نداء الأشخاص للاجتماع في مكان واحد للتفكير والتشاور.

□ قد يصيب العذاب الإلهي الأشخاص أحياناً، كما أغرق فرعون وجيشه: ﴿فَأَغْرَقْنَاهُ وَجُثُودُهُ﴾^(١)، وقد يصيب الأموال كما في الآيات إذ أحرق مالهم أما هم فلم يصابوا بأذى، وأحياناً قد يصيب المال والشخص معاً، كما حدث مع قارون إذ انخفضت الأرض به وبماله وبيته: ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ﴾^(٢).

□ انتقدت هذه السورة البخل مرتين. مرة في الآية: ﴿مَتَاعٌ لِلْخَيْرِ﴾ والمرة الثانية في قصة هذه الآيات.

□ يجب الإبقاء على السنن والعادات الحسنة للسابقين، ولكنّ الورثة في هذه القصّة قرّروا ألا يتبعوا طريق والدهم وأن يحرموا الفقراء.

□ الذنب سبب في الحرمان، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الرجل ليذنب الذنب فيدراً عنه الرزق»^(١)، كما جاء في الروايات: «قد يُحرم الإنسان بسبب ذنبه من صلاة الليل»^(٢).

□ إذا أدّى المال إلى الانحراف فإنّه يفقد قيمته، فهذا مسجد ضرار خُرب بأمر من الله وكذلك أحرق عجل السامري الذهبي: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^(٣).

قصة أصحاب الجنة:

اعتاد صاحب بستان على أن ينفق كل سنة من فاكهة بستانه على الفقراء، وعندما رحل عن الدنيا، قرر ورثته أن يحرموا الفقراء، كان أحد الورثة فقط معارضاً للفكرة؛ ولكنّ البقية بخلوا وقرروا أن يحرموا الفقراء؛ وذلك بأن يذهبوا في الصباح الباكر إلى البستان ويجمعوا الثمار لكي لا يعلم بهم الفقراء. ذهبوا إلى البستان فوجدوه رماداً. فقالوا: لقد أضعنا الطريق إنّ هذا ليس بستاننا. ولكن آخر قال: لقد أضعنا طريق والدنا المستقيم وقررنا أن نحرم الفقراء. الابن الذي كان معارضاً للبخل من البداية، قال: ألم أقل لكم إنّ هذه فكرة خاطئة. على كل حال، فقد رأوا العذاب الإلهي وتنبهوا ولام بعضهم بعضاً.

التعاليم:

- ١ - الامتحان هو أحد السنن الإلهية: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا﴾.
- ٢ - يبين القرآن الكريم أمثلة مختلفة عن الامتحان الإلهي حتى نتعرّف على طريقة الامتحان الإلهي: ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَمْعَبَ لَبَنًا﴾.

(٣) سورة طه: الآية ٩٧.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) تفسير المراغي.

٣ - لا تنجح الخطط التي تهدف إلى حرمان الفقراء: ﴿أَقْتُوا... وَلَا يَسْتَنْوَنَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

٤ - ليس لكل قَسَم قيمة: ﴿أَقْتُوا لِيَقْرَأَنَّهَا مُصِيبِينَ﴾.

٥ - لا يختص العذاب الإلهي بالآخرة، بل قد يقع في الدنيا وبسرعة: ﴿طَلَّافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

٦ - العقاب والتنبية هو من الشؤون الإلهية وفيه جانب تربوي: ﴿طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ﴾.

٧ - لا يستطيع أحد أن يسبق الله. (قاموا في الصباح الباكر ليجمعوا الشمار ولكن الله أحرق البستان عند السحر): ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

٨ - يجب أن يتناسب العذاب مع الذنب. حُرِمُوا لأنهم حَرَمُوا الفقراء: ﴿وَلَا يَسْتَنْوَنَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

٩ - تفكير الإنسان وتدبيره ليس شيئاً أمام التدبير الإلهي. (في هذه القصة قرر الوارثون شيئاً ولكن الله أراد شيئاً آخر): ﴿أَقْتُوا لِيَقْرَأَنَّهَا مُصِيبِينَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

١٠ - الله هو حامي الفقراء. مع أنّ الفقراء لم يكن لديهم علم بقرار الورثة إلا أنّ الله تعالى دافع عنهم وأحرق البستان تنبيهاً للورثة البخلاء: ﴿وَلَا يَسْتَنْوَنَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

١١ - حسابات الإنسان لا تستطيع أن تحصر نتائج أعماله. في هذه القصة كانت الحسابات شيئاً وأما النتيجة فكانت شيئاً آخر: ﴿لِيَقْرَأَنَّهَا مُصِيبِينَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

١٢ - يعاقب الشخص على نيته السيئة إذا ما صاحب النية تخطيط واستعداد للتنفيذ: ﴿وَلَا يَسْتَنْوَنَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

١٣ - عدم وجود الثروة التي لا يستفيد منها المحرومون هو أفضل من وجودها: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

١٤ - لا يؤدي الحرص والبخل إلى تحقيق الأهداف وزيادة الثروة: ﴿وَلَا يَسْتَنْوَنَ... فَأَصْبَحَتْ كَالْفَرِيرِ﴾.

﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْتَفُونَ﴾ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَا عَلَى حَرٍِّ قَدِيرٍ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا
إِنَّا لَمَسَالُوكُنَّ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا
ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوُمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَبْرَأَكُمَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا خَيْرًا
مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

إشارات:

□ الحرد هو البخل ومنع الناس حقوقهم: ﴿وَعَدَا عَلَىٰ حَرٍِّ﴾ أي أن أصحاب البستان انطلقوا بقصد حرمان الفقراء.

□ يجعل الحرص والبخل قلب الإنسان قاسياً، حتى يصل إلى درجة لا يرحم فيها المسكين والفقير: ﴿لَا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ﴾.

□ كلمة «أوسط» تقال للشخص المعتدل البعيد عن الإفراط والتفريط^(١).

□ إعطاء المساكين ليس مستحباً بل واجب؛ لأن الله تعالى لا يعاقب أحداً على ترك المستحب. جاء في هذه الآية أن حرمان المساكين كان السبب في حرق البستان في الدنيا، وكذلك في الآخرة يقول أهل النار إن سبب عذابهم أنهم لم يعتنوا بالمحرومين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ... وَلَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ الْمَسْكِينِ﴾^(٢).

□ لا يختص إعطاء الفقراء بفقراء المؤمنين. لم يرد في هذه الحادثة ذكر كفر الفقراء أو إيمانهم ولكن ذكر بخل بعض وحرصهم، وجوع الآخرين وفقيرهم.

□ قد يلزم أحياناً فضح الفرد أو المجموعة المخطئة في المجتمع وذلك لتغيير فكر أو ثقافة معينة بحيث يصبح هؤلاء عبرة للآخرين. الله وهو من: «أظهر الجميل وستر القبيح» يكشف هنا عما حدث، لتكون قصة الجنة المحروقة عبرة للتاريخ.

□ فلنكرر كلمة (ربنا) كثيراً في دعائنا وحديثنا. تكررت هذه الكلمة مرات عدة في هذه الآيات: ﴿رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ... عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا... إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾.

□ إذا نزل عذاب الله، أحرق كل شيء فإن أحد الورثة كان معارضاً لحرمان الفقراء إلا أن سهمه من البستان احترق كذلك.

□ أمثلة على العذاب الدنيوي:

(أ) سلب النعم،

(ب) سلطة الأشرار،

(ج) سلب التوفيق،

(د) سلب الراحة والأمن.

ولكن عذاب الآخرة آلم وأشد وأعظم: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ الْآخِرَةَ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

التعاليم:

١ - كلما كانت نية السوء أكبر زاد الخطر أكثر: ﴿لَا يَدْخُلُهَا﴾ (قالوا لن نسمح لفقير واحد بالدخول إلى البستان، فأحرق الله تعالى البستان كله).

٢ - يذهب البخل والحرص الشديداً بالإنسان إلى مرحلة لا يكون فيها حاضراً حتى لمساعدة مسكين واحد. فكلمة مسكين جاءت بصيغة المفرد.

٣ - لا ينفع أي من البخل: ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾، ولا التصميم بالخفاء: ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾، أو الإقدام المقتدر: ﴿قَتِيلِينَ﴾ في إنجاز أمر ما: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾.

٤ - الرجوع إلى النفس هو إحدى فوائد الأحداث الصعبة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَسَّالُونَ﴾.

٥ - إذا حرمتنا الآخرين من شيء، فسنُحرَم من أشياء: ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾؛ (محرومون من الفاكهة، محرومون من الثواب الإلهي، محرومون من دعاء الفقراء، محرومون من رضا روح الوالد، محرومون من العزة الاجتماعية).

٦ - قولوا الحق وإن كنتم أقلية: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ...﴾.

٧ - يحول الاعتدال والتعقل دون البخل والحرص ويكون سبباً في إيقاف الظالمين: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾.

- ٨ - اغتنموا الفرص للتبليغ والدعوة، فالأشخاص الذين لم يقبلوا في الأمس أن يستمعوا لكلام الحق، قد يقبلون اليوم أن يستمعوا: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ...﴾.
- ٩ - يجب أن نعترف بتقصيرنا عند تحليلنا لسبب المصائب وأن ننزه الله تعالى: ﴿سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.
- ١٠ - بإمكانكم أن تنجزوا اليوم ما قصّرتُم فيه بالأمس: ﴿لَوْلَا سُحُوتٌ... قَالُوا سُبْحَنَ رَبِّنَا﴾.
- ١١ - ظلم الإنسان لنفسه هو السبب في حرمانه من الألطاف الإلهية: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ... إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.
- ١٢ - يتحوّل الاتحاد إلى تفرقة في نهاية المطاف، إذا لم يكن مبنياً على التقوى. (الإخوة الذين اتحدوا في الأمس لحرمان الفقراء، يلقي اليوم كل منهم اللوم على الآخر): ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَوْنُ﴾.
- ١٣ - منع الآخرين من حقوقهم هو ظلم للنفس وطغيان على الآخرين: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ... إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.
- ١٤ - فلنعترف أكثر بضعفنا وقبح عملنا أمام الله تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ... إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾. (كما يقول الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل: «معتذراً نادماً، منكسراً مستقيلاً، مستغفراً منياً مقرأً مدعناً معترفاً»).
- ١٥ - إذا ما فقدتم أموالاً دنيوية فليكن أملككم بالرحمة واللطف الإلهي، فإنه سيبدلكم الله أحسن منها: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾.
- ١٦ - يجبر الله ويُعوّض عَمَّا مضى كيفما شاء، فلا ييأس المخطئون ولا يظنّوا أنهم دائماً خاسرون: ﴿يُبَدِّلَا خَيْرًا مِّنْهَا﴾.
- ١٧ - فرصة العودة إلى الله تعالى مُتاحة دائماً: ﴿إِنَّا إِلَهُ رَبَّنَا مُرِيتُونَا﴾؛ (عندما رأى أصحاب الجنة بستانهم المحترق، أفاقوا من غفلتهم وتابوا ورجعوا إلى الله).
- ١٨ - إحزان الفقير وحرمانه، له عذاب دنيوي وأخروي: ﴿كَذَٰلِكَ أَلْمَذَابُ وَالْمَذَابُ الْآخِرَةُ﴾.
- ١٩ - الإيمان بعقاب يوم القيامة وعذابه، يحول دون البخل والطغيان والظلم: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةُ الْيَوْمِ الْقِيَمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلَامٌ أَتَاهُمْ بِذَلِكَ رَزِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَمْ شُرَكَاؤُا يَشْرَكُوا بِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

إشارات:

□ كان بعضٌ يقول: لا يوجد قيامة، وإن كان، فإننا سنكون هناك أيضاً مرفهين: ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ﴾^(١). هذه الآيات ردٌ على ذلك التفكير الباطل.

التعاليم:

- ١ - في التربية والإرشاد، يجب أن يكون التحذير مصاحباً للتشويق: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ... إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾.
- ٢ - بسايتين الجنة ممثلة بالنعم على عكس البسايتين الدنيوية التي إلى جانب نعمها فيها آفات ومشاكل: ﴿جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾.
- ٣ - الثواب والعقاب مبيّان على العدالة: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾.
- ٤ - يستحسين كل ضمير وفطرة سليمة العدالة: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾.
- ٥ - الكتاب السماوي حجة، فيجب الاستناد إليه والاستدلال به: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾.
- ٦ - الكتب السماوية ليست تابعة لميول الإنسان العابثة: ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ... إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾؛ (لم يرد في أي كتاب سماوي أن كل ما يرغب به الإنسان يتحقق).
- ٧ - لم يعد الله تعالى أن تكون الحقيقة الشيء نفسه الذي تحكمون به: ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ... إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشَعَةَ أَبْصَارِهِمْ رَهَقَهُمْ ذُلٌّ وَقَدْ كَانُوا
يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

إشارات:

□ المقصود من: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أن الإنسان حينها يشعر بالخطر الحقيقي الذي لا مفرّ منه وهو ما يعبر عنه بقولهم: «وصل السكين إلى العظم».

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «أفحم القوم، ودخلتهم الهيبة، وشخصت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر شاخصة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون»^(١).

□ نقرأ في الآية السادسة من سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، وهذه الآية التي تقول: ﴿كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ تشير إلى تلك الآية.

□ المقصود من الدعوة إلى السجود في الدنيا: ﴿كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾، إمّا نداء الأذان الذي يدعو الناس إلى الصلاة والسجود، وإما الآيات التي تأمر بالعبادة، وإما الأوامر التي يُعتبر العمل بها ضرباً من السجود والتواضع أمام الله تعالى، ولا ننس أن السجود هو أوج العبادة.

التعاليم:

- ١ - يوم القيامة هو يوم ظهور المصاعب: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾.
- ٢ - القيامة هي تجسيم للدنيا. الناس الذين لم يكونوا من أهل السجود في الدنيا لا يستطيعون السجود في الآخرة: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾.
- ٣ - فليتنظر الأشخاص الذين لا يستفيدون من فرص الاختيار والسلامة ذلك اليوم الذي لن يملكو فيه أيّاً من تلك الفرص: ﴿يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾.

- ٤ - يخجل المجرم من رفع رأسه والنظر: ﴿خَشِمَةً أَبْصَرُهُمْ﴾.
 ٥ - ذل يوم القيامة واسع ومنتشر: ﴿رَمَقَهُمْ ذُلٌّ﴾.
 ٦ - من لا يختار الخشوع أمام الله، سيجبر يوم القيامة على الخشوع والذل: ﴿خَشِمَةً... رَمَقَهُمْ ذُلٌّ﴾.

﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ سَنَسْتَدْرِجُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾
 وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات:

- كلمة (استدراج) تعني الاقتراب درجة درجة وخطوة خطوة، والمقصود منها أن الله تعالى يقرب فريقاً من الناس إلى السقوط درجة درجة بحيث لا يشعرون.
 □ ذكرت آيات عدة من القرآن الكريم أن الله تعالى يُمهّل المذنبين فلا ينبغي أن يظن هؤلاء أنه يُحبهم أو أنه قد نساهم.
 □ روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «إذا أحدث العبد ذنباً، جدد له نعمة، فيدع الاستغفار فهو الاستدراج»^(١).

التعاليم:

- ١ - المكذبون خصماء الله تعالى: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ﴾.
 ٢ - يؤاسي الله تعالى نبيه: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ﴾.
 ٣ - لتكذيب القرآن عقاب عظيم؛ لأن الله يقول: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ هَذَا الْحَدِيثَ﴾.
 ٤ - يزخر القرآن الكريم بالكلام الحديث والمتجدد: ﴿هَذَا الْحَدِيثُ﴾. (حديث = الكلام الجديد).
 ٥ - لا تطلقوا أحكامكم بسرعة، ولا تظنوا كل رفاه دليلاً على السعادة. (تؤخذ

المواشي إلى المراعي فترعى وتسمن وفي النهاية تؤخذ إلى المسلخ لتذبح):
﴿سَتَذَرُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٦ - أعظم الأخطار هو ما يغفل عنه الإنسان ولا يفكر في دفعه: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٧ - إِنَّ اللَّهَ يُمَهِّلُ وَلَا يُهْمِلُ: ﴿سَتَذَرُهُمْ... إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

٨ - المهلة الإلهية هي تدبير من الله ليُهْلِكَ الكفار: ﴿وَأَمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

٩ - قد تفشل المخططات البشرية؛ ولكن تدبير الله مُحْكَم لا محل للفشل فيه:
﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أَمْرًا فَهُمْ يَنْتَفِلُونَ﴾ (٤٦) أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَأَصْبَحَ لِلْكَافِرِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَذَرْتَهُمْ رَيْبَةً مِنَ رَبِّهِمْ لَفُتِحَتْ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَأَجْبَبَهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾

إشارات:

□ (مَغرَم) من (غرامة) بمعنى الضرر الذي يقع على الإنسان من دون أن يكون قد ارتكب خيانة أو جُرمًا.

□ (مُتَقَلُّونَ) من (ثقل) وقد يكون ثقلاً مادياً أو معنوياً.

□ (مَكْظُومٌ) تُطلق على الشخص الممتلئ حزنًا وألمًا.

□ الآيات ٤٦ و ٤٧ من هذه السورة شبيهة بالآيات ٤٠ و ٤١ من سورة الطور.

□ دعا الله تعالى نبيه في القرآن إلى الصبر ما يُقارب العشرين مرةً لأنَّ إرشاد الناس يتطلب الصبر والثبات.

□ كان شعار كل الأنبياء كما جاء في سورة الشعراء أننا لا نريد منكم أيها الناس أجراً: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾^(١).

□ هُذِّدَ الكفار في الآية ٤٥ بجملة: ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾، إذا فقد وضع لهم الله

حكماً ومخططاً، فاصبر ولا تستعجل في الدعاء عليهم أو لعنهم: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

سؤال: ما المقصود من النعمة التي أعطاها الله لنبية يونس؟

الجواب: لقد أعطاه نعمة مادية، فابتلعه الحوت ولم يغرق وعاش في بطن الحوت ومن ثم أخرجه.

وأعطاه كذلك نعمة معنوية إذ وفقه للاستغفار وقبل توبته، حيث إنه لا يصدر أي استغفار أو توبة من الإنسان إلا بتوفيق إلهي.

سؤال: إذا كان اللطف الإلهي قد شمل يونس عليه السلام، فلماذا نُبذ في العراء كما جاء في سورة الصافات؟ ﴿فَبَدَّلَ اللَّهُ بِالنَّاصَةِ وَالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَلْبَسْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ (١).

الجواب: يُعتبر قذفه إلى العراء وعلاجه من مرضه، لطفًا. وأما العذاب يكون في حال كان قذفه مصاحباً للتوبيخ والذم الأبدي.

التعاليم:

- ١ - لم يطلب الأنبياء ثواباً من الناس: ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُجْرًا﴾.
- ٢ - من الطبيعي أن ينفر الناس من عالم الدين الذي له أهداف مادية: ﴿فَهُمْ يَن تَغَرَّمِ مُنْقَلُونَ﴾.
- ٣ - الصبر والمقاومة مطلوبان إذا كانا في طاعة أمر الله، لا لأجل الإلحاح والعناد عديم النفع: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٤ - لا ينبغي لقائد الأمة أن يتركها تحت أي ظرف من الظروف: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْاُخُوذِ﴾.
- ٥ - الدعاء والمناجاة مهيئان للتدارك الإلهي: ﴿نَادَى... تَذَرِكُ﴾.
- ٦ - التوفيق إلى التوبة هو نعمة إلهية: ﴿تَذَرِكُ نِعْمَةً مِّن رَّبِّهِ﴾.

٧ - التوبخ واللوم والنبد في الصحراء القاحلة كان عقاباً على عدم الصبر: ﴿لَيْدٌ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

٨ - يكون للاستغاثة والنداء قيمة في حال صدورهما من القلب، وإلا فهما نفاق لا أكثر: ﴿نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾.

٩ - التوبة إلى الله ومناجاته طريقان للوصول إلى النعم الإلهية الخاصة: ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ... فَأَجَبَنَّهُ رَبُّهُ﴾.

١٠ - بدلاً من أن نطرد الناس لزلّة واحدة ارتكبوها، فلندركهم ونرفع ضعفهم وبعد ذلك نسألهم: ﴿تَذَارَكُمْ يَمَنَّةٌ مِّنْ رَبِّهِ... فَأَجَبَنَّهُ رَبُّهُ﴾.

١١ - الله وحده هو الذي يختار الأنبياء: ﴿فَأَجَبَنَّهُ رَبُّهُ﴾.

﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

إشارات:

□ أشار الله سبحانه في بداية السورة إلى اتهام النبي ﷺ بالجنون، وفي هذه الآية التي هي آخر السورة صرّح بتلك الإشارة: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾.

□ ﴿لَيُزْلِقُونَكَ﴾ من مادة (زلق) بمعنى الانزلاق والوقوع على الأرض وهي كناية عن الهلاك والموت.

□ تُبَيِّن الآية ٥١ شدة غضب الكفار عند سماعهم آيات القرآن وكيف أنهم يريدون أن يمحوا النبي عن الوجود بأعينهم، والمقصود إمّا أنهم يحسدونه بأعينهم فيمحونه، وإما كناية، كما نقول نحن، إنّ فلاناً كان سيأكلني بعينه.

□ يدفع الحقد والكره بالإنسان إلى تصرفات متضادة. فالكفار من ناحية يعتبرون أنّ القرآن عظيم ويحسدون النبي عليه ويريدون إن يزلقوه بأبصارهم، ومن ناحية أخرى يتهمونه بالجنون ويقول الأساطير.

□ يحارب العدو بيده، ويتهم بلسانه، ويُريد أن يهلك بعينه.

□ تحدثت بداية السورة عن القلم والكتابة، وفي نهاية السورة جاء الحديث عن

إيقاظ كل العالم، وربما كان القصد هو الإشارة إلى أن الطريق إلى إيقاظ العالم من غفلته هي الأدوات الثقافية.

الحسد:

رُوي عن الرسول الأكرم ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ وَإِنَّهَا تُدْخِلُ الْجَمَلَ وَالْثَوْرَ النَّوْرَ»^(١).

ليس بالضرورة أن يصدر الحسد عن العدو، أحياناً قد يُعجب الصديق بإحدى كمالات صديقه. ولذلك ورد في الحديث، إذا أعجبك شيء في صديقك اذكر الله لتدفع الحسد وما أكثر الأشخاص الذين هلكوا وماتوا بسبب الحسد^(٢). وكون الحسد حقاً، لا يجوز لنا أن ننظر ببعض الأفراد سوءاً ونتهمهم بالحسد، أو أن نلقي باللوم في الأمور المختلفة على الحسد. جاء في الروايات أن الصدقة، الدعاء، قراءة سورتي الناس والفلق وأمثال ذلك تمنع آثار الحسد.

التعاليم:

- ١ - حقد العدو أمر جدي ويجب أن نحذر منه: ﴿وَإِنْ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَبْزُلُونَكَ﴾.
- ٢ - يكشف القرآن الكريم عن مؤامرات العدو: ﴿وَإِنْ يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٣ - مقصد العدو الرئيس من هجومه هو قائد المجتمع الإسلامي: ﴿لَيَبْزُلَنَّاكَ﴾.
- ٤ - الحسد حقيقة: ﴿لَيَبْزُلَنَّاكَ بِأَبْصَرِهِ﴾.
- ٥ - يجب الدفاع في مقابل التهم الموجهة لأولياء الله أي في مقابل: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾، قال تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِعَمَةٍ رَّبِّكَ يَمْجُرُونَ﴾.
- ٦ - القرآن وسيلة للإيقاظ من الغفلة: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.
- ٧ - القرآن ليس محدوداً بزمان ومكان، بل إنه كتاب للعالمين وخالد لكل الأمم: ﴿ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْحَاقَّةِ

السورة: ٦٩ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٢



ملاحح سورة الحاقة

نزلت هذه السورة في مكة وهي تتألف من اثنتين وخمسين آية. اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والحاقة هي الأمر الثابت والمحقق.

محور حديث هذه السورة هو يوم القيامة وخصائصها، وقد ذكر ثلاثة أسماء ليوم القيامة في هذه السورة، هي: الحاقة، القارعة، الواقعة.

وتتحدث الأجزاء الأخرى للسورة عن مصير الأقوام السابقة المشؤوم، وعن عظمة القرآن والنبى، وعن خصائص الجنة والنار، وعن أهل الجنة وأهل النار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَاقَّةُ ١ ﴾ مَا الْحَاقَّةُ ٢ ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ٣ ﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِقَارِعَةٍ ٤ ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ ٥ ﴾ فَأَهْلِكُوكُمْ بِالطَّاغِيَةِ ٥ ﴿

إشارات:

□ ﴿الْحَاقَّةُ﴾ من (حق) بمعنى الأمر الثابت والمحقق. هذه الكلمة هي أحد أسماء يوم القيامة؛ لأنَّ القيامة واقعة حتمية وحقيقية وثابتة.

□ «القارعة» من القرع بمعنى الدق. وتعني أنَّ العالم سيواجه حادثة قارعة تدقه وتهزه في يوم القيامة.

□ ذكر القرآن الكريم ثلاثة أحداث في هلاك قوم ثمود:

(أ) الزلزال: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الرِّجْفَةُ﴾^(١).

(ب) الصيحة: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْعَةً﴾^(٢).

(ج) الصاعقة: ﴿مِثْلَ صَيْعَقٍ عَادٍ وَثَمُودَ﴾^(٣).

ربما قد وقعت هذه العذابات الثلاثة سوياً وفي زمن واحد، أي رعد، ووبرق، وزلزال، وربما كلُّ عذابٍ قتلَ عدداً معيناً من القوم.

□ يلزم إيجاد نوع من الشوق والرغبة للتحفيز على الاستماع للمسائل المهمة. الهدف من تكرار كلمة (الحاقة) وتوجيه الخطاب إلى شخص النبي الأكرم ﷺ هو إثارة هذه الرغبة.

التعاليم:

١ - يوم القيامة، يوم عظيم ومرعب: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ٧٨.

(٢) سورة فصلت: الآية ١٣.

(٣) سورة القمر: الآية ٣١.

- ٢ - لا يمكن معرفة القيامة إلا عن طريق الوحي: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَاقَةُ﴾.
- ٣ - يُبتلى المكذبون بيوم القيامة بالعذاب الإلهي في الدنيا: ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ... فَأَمْلِكُوا﴾.
- ٤ - القيامة حدث قارِع ومخيف: ﴿الْقَارِعَةُ﴾.
- ٥ - ليس كل العذاب يوم القيامة، فثمة أقوام عُذبت في الدنيا: ﴿فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.
- ٦ - التكذيب مقدمة للطغيان والطغيان سبب للهلاك: ﴿كَذَبَتْ... فَأَمْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.
- ٧ - الأفعال والصفات هي المعيار لاستقبال الخير أو الشر: ﴿بِالطَّاغِيَةِ﴾.
- ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأَمْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۖ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَينَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۖ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

إشارات:

- ﴿صَرْصَرٍ﴾ بمعنى الرياح الباردة والقاسية. ﴿عَاتِيَةٍ﴾ من العتوّ بمعنى الطغيان.
- (حسوم) جمع (حاسم) يعني القيام بعمل بصورة متكررة ومتتالية حتى ينقطع ويفنى بشكل نهائي.
- تأتي كلمة «خاوية» بمعنى فارغة من الداخل وكذلك بمعنى الشيء الذي وقع على الأرض.
- «صرعى» جمع صريع، وتُطلق على الشيء الذي وقع على الأرض، «أعجاز» جمع (عَجَز) بمعنى جذع الشجرة.
- جاء في الآية ٢٠ من سورة القمر: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ أي أنّ هلاك قوم عاد كان بشكل وكأنّ جذع شجرة نخل طويلة قد اجثّت من جذورها.

التعاليم:

- ١ - يستطيع الله تعالى أن ينزل أي نوع من العذاب شاء. أهلك قوم ثمود بالصاعقة وقوم عاد بالرياح الباردة: ﴿يَرْيِّجُ مَرْصِرًا﴾.
 - ٢ - يتحكم الله تعالى بآثار الظواهر الطبيعية. فتارة تكون سبباً في حركة السفن والسحب وإنزال المطر وتارة تكون وسيلة للهلاك: ﴿يَرْيِّجُ مَرْصِرًا﴾.
 - ٣ - قد ينزل العذاب الإلهي مرة واحدة وقد ينزل على دفعات: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَفُتُنًا﴾.
 - ٤ - ضخامة الجسد وقوته لا يمنعان الهلاك. حتى لو كان الإنسان طويلاً وضخماً كشجرة النخل، يقع على الأرض في مقابل العذاب الإلهي: ﴿أَعْبَارُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.
 - ٥ - لا يشبه بعض العقاب بعضه الآخر، أحياناً يكون ماحياً للجسد بشكل كلي: ﴿يَجْعَلُهُمْ كَمَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾، وقد يبقى الجسد أحياناً: ﴿أَعْبَارُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.
- ﴿وَبَاءَ فِرْعَوْنَ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ بِالْحَاقِقَةِ ۖ فَفَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً ۖ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلَتُكُوفِي الْجِبَارِ ۖ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَفِيهَا أُذُنٌ وَعِيتٌ ۚ﴾

إشارات:

- ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ جمع (مؤتفكة) من الائتفاك بمعنى القلب رأساً على عقب والمقصود بها المناطق التي سكنها قوم لوط. ﴿رَابِيَةً﴾ من (ربا) بمعنى الرشد والزيادة، والعذاب الرابي هو العذاب القاسي.
- «تعيها» من وعى بمعنى الفهم والحفظ والتقبل.
- نقل مفسرو أهل السنة مثل الزمخشري، فخر الرازي، المراغي، القرطبي ومفسرو الشيعة مثل الشيخ الطبرسي، وأبو الفتوح الرازي، والعلامة الطباطبائي، نقلوا روايات فُسِّرت على أساسها (الأذن الواعية) بالإمام علي عليه السلام. وذكر كلمة (أذن) بصيغة المفرد يؤيد هذا المعنى بأنه ثمة أذن واحدة فقط هي من حفظت كل تلك الحقائق.

أئمة: (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد، علي، الحسن والحسين)، والمراد من العرش هو العلم الإلهي، لذلك يكون أولياء الله المطلعون على عمل الناس أعلى مرتبة: ﴿تَوَفَّهُمْ﴾ من الملائكة^(١).

□ عن الإمام علي عليه السلام في حوار له مع نصراني: «إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيئة السرير؛ ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر، وربك مالكه، لا أنه عليه...»^(٢).

التعاليم:

- ١ - النسخ في الصور من الأمور الحتمية: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾.
- ٢ - سيتلاشى نظام الوجود بوسيلة صوت كالرعد: ﴿نُفِخَ فِي الصُّورِ... فَذُكِّكَا﴾.
- ٣ - تخرج الأرض من مدار حركتها، وتقلع الجبال من مكانها وبضربة واحدة تُدَك بعضها ببعضها الآخر وتفتت: ﴿وَجُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا﴾.
- ٤ - يكون انهيار الجبال بسرعة وبشدة: ﴿ذُكَّةٌ وَحِدَةٌ﴾.
- ٥ - الواقعة المهمة هي يوم القيامة، وكل واقعة أخرى بالنسبة إليها لا تُعد شيئاً: ﴿وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.
- ٦ - نهاية السماوات المُحكَّمة: ﴿سَبَّأًا شِدَادًا﴾ هي الضعف: ﴿فَبِئْسَ يَوْمِيزٌ وَاهِيَةٌ﴾.
- ٧ - صحيح أنه في يوم القيامة سيزول النظام الموجود ولكن سيحكم نظام آخر، وهو النظام الذي سيقوم بحضور الملائكة: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمِيزٌ ثَمِينٌ﴾.
- ٨ - يُكشف يوم القيامة عن كل أبعاد شخصية الإنسان، وتُعرض شخصية الإنسان الحقيقية بحسناتها وسيئاتها وأفكارها وأهدافها ونقصها وكمالها: ﴿لَا تَخْفَى مِنْكَ خَافِيَةٌ﴾.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِرَبِّهِ ۖ فَيَقُولُ هَٰؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابَهُ ۖ﴾ (١٩) ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ ۖ﴾ (٢٠)
 ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۖ﴾ (٢١) ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۖ﴾ (٢٢) ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّائِيَةِ ۖ﴾ (٢٣)

إشارات:

- (هاؤم) اسم له معنى الأمر، يعني تعالوا. (قطوف) جمع (قطف) وهي الفاكهة المقطوفة أو الجاهزة للقطف.
- (ظن) في الأمور الدنيوية هي الاعتقاد المصاحب للشك، ولكن في الأمور الأخروية تعني الاطمئنان. (أسلفتكم) من (إسلاف) وهو تقديم الشيء مع أمل الحصول على ما هو أفضل منه.
- لكل إنسان كتاب أعمال يوم القيامة، ويحمل المحسنون كتابهم في أيمانهم. وقد تكون المجموعة التي وُصفت في سورة الواقعة بأصحاب اليمين هم هؤلاء.
- المقصود من العلو في قوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: قد يكون علو المقام لا المكان.
- توجد في القيامة نعم مادية ونعم معنوية. رضا الإنسان نعمة معنوية والجنة العالية نعمة مادية.
- قول الله: هنيئاً، يجعل التوفيق أعظم وأجمل. استُخدمت كلمة (هنيئاً) أربع مرّات في القرآن الكريم، منها ثلاث مرّات حول نعم الجنة.

التعاليم:

- ١ - يُعطى كل شخص يوم القيامة كتاب أعماله بيده: ﴿أَوْفَىٰ كِتَابَهُ﴾.
- ٢ - يُحاكم الله تعالى الناس يوم القيامة ويُثيبهم أو يُعاقبهم على أساس الكتاب المكتوب والمستند: ﴿أَوْفَىٰ كِتَابَهُ﴾.
- ٣ - ليس اليقين بيوم القيامة فقط هو ما يؤثر في الإنسان ويُحرّكه، بل حتى التخمين والظن: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَةَ﴾.
- ٤ - يوم القيامة هو يوم حصاد نتائج ما زُرع في الدنيا: ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ اللَّائِيَةِ﴾.

٥ - الميل إلى إظهار الكمالات أمر فطري ويبقى حتى في يوم القيامة: ﴿هَازِمٌ آقَرًا كَنِيَّةً﴾.

٦ - الإيمان بالحساب سبب للتقوى واجتناب اللذات المحرمة، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وسوف يعوّض عن الحرمان في الدنيا وتكون الحياة في الدار الآخرة حياة راضية: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْقَى كَبْلَهُ بِسَمَلِهِ فَيَقُولُ يَلْبَنِي لَرَأَتْ كَنِيَّةً ٢٥ وَلَرَأَتْ مَا حَسَايَةَ ٢٦ يَلْبَنِيهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ٢٧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ٢٩ حُدُوهُ فَعَلُوهُ ٣٠ ثُمَّ لَجَحِمَ صَلَوُهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحْصُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ٣٤﴾

إشارات:

□ الذراع هي المسافة من أطراف الأصابع إلى المرفق. وقديماً كان وحدة للقياس. وكلمة «سبعين» إما أن تكون بمعناها الحقيقي أو هي كناية عن طول السلسلة.

□ الجحيم من (جحمة) وتُطلق على النار الملتهبة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «لو أن حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً، وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها»^(١).

□ ذُكرت هذه الآية الكفر والبخل وعدم الاكتراث بالمحرومين بعضهم إلى جانب بعضهم الآخر: ﴿لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ... وَلَا يَحْصُ﴾.

□ يُبين الأخذ والعَلَّ والسحب والرمي في جهنم، مدى التحقير والإذلال الذي يتعرّض له أهل جهنم: ﴿حُدُوهُ فَعَلُوهُ... صَلَوُهُ... فَاسْلُكُوهُ﴾.

التعاليم:

- ١ - من أساليب القرآن في توضيح الحقائق بشكل أفضل، المقارنة بين عاقبة الصالحين والسيئين: ﴿أَوْفَ كِتَابُهُ بَيِّنَاتٌ... أَوْفَ كِتَابُهُ إِشْمَالٌ﴾.
- ٢ - عند التربية والهداية يجب ذكر البشارة والتحذير أحدهما إلى جانب الآخر: ﴿أَوْفَ كِتَابُهُ بَيِّنَاتٌ... أَوْفَ كِتَابُهُ إِشْمَالٌ﴾.
- ٣ - المعرفة بالمستقبل هي خطوة في سبيل اتخاذ القرار الصائب اليوم: ﴿يَقُولُ يَلِّتَنِي﴾.
- ٤ - لا يوجد أي بصيص أمل للكفار يوم القيامة. وقد يكون عنده أمل قبل رؤية كتابه أما بعد معاينته فلا يبقى لديه أمل: ﴿يَلِّتَنِي... يَلِّتَهَا﴾.
- ٥ - ليس للقدرة والثروة أي قيمة يوم القيامة: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾.
- ٦ - تكديس الثروات في الدنيا سبب للحسرة في يوم القيامة: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾.
- ٧ - عقاب الأيادي التي كانت تُمد في الدنيا إلى الظلم والفساد، هي الغل بالسلاسل يوم القيامة: ﴿فَقُلُّوهُ﴾.
- ٨ - من الأفضل أن يحترق الإنسان الذي لا يعمر قلبه نور معرفة الله ولا يخدم الناس بعمله: ﴿لَا يُؤْمِنُ... وَلَا يَحْضُ﴾.
- ٩ - الاعتناء بالجوعى مطروح إلى جانب الإيمان بالله: ﴿لَا يُؤْمِنُ... وَلَا يَحْضُ﴾.
- ١٠ - على فرض أننا لا نملك القدرة على المساعدة، فيجب أن نشجع الآخرين على مساعدة المحتاجين: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.
- ١١ - لا يشترط في مساعدة الفقراء أن يكون الفقير مؤمناً: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُمْ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْغَالِيَنِ ﴿٤٣﴾

إشارات:

- «غسلين» هو الدم والقيح الذي يخرج من جسد أهل النار.
- المقصود من ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ شخص نبي الإسلام ﷺ وليس جبرائيل الأمين عليه السلام؛ لأننا نقرأ في الجمل اللاحقة أنه ليس كاهناً أو شاعراً، وقد نُسبت صفة الشاعر والكاهن إلى النبي الأكرم لا إلى جبرائيل عليه السلام.
- كان المشركون يعدّون القرآن كتاب شعر وأنّ النبي شاعر، في حين أنّه لم يُنقل عن الرسول ولو بيتاً من الشعر^(١).
- عقاب يوم القيامة متناسب مع الذنب. من لا يرحم المساكين في الدنيا، لا يجد من يرحمه في الآخرة: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾. ومن لا يُطعم المحتاج في الدنيا سيُعذب بالطعام في ذلك اليوم.
- ورد أعظم قسم في هذه السورة: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي كل الوجود، المرثي وغير المرثي، والذي هو أكثر من المرثي بكثير، عوالم الغيب والملائكة والجن غير المرثيين وأعالي الأفلاك وأعماق البحار التي لا تُرى في الأحوال العادية.
- نزل القرآن بالتدرّج؛ لأن كلمة تنزيل تُستخدم للنزول التدريجي. ولكن من القرآن كلّهُ نزل على قلب الرسول في ليلة القدر ومن ثم بالتدرّج على طول ٢٣ سنة. كأن تضع مبلغاً من المال في المصرف ثم تسحب منه تدريجياً.
- كان الرسول ﷺ يتحلّى بالكرم المطلق: ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ فهو كريم في تعامله مع الزوجة، العدو، الصديق، الجار، الفقير، وكريم في الشدة واليسر.

□ نقرأ في الآية السادسة من سورة الغاشية أنّ طعام أهل النار هو الضريع: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾.

وفي سورة الدخان: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامٌ لِلْآثِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾^(١).
في الآية ٣٦ ورد: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ﴾، لذا فقد يكون (الزقوم) و(الضريع) طعام واحد و(غسلين) هو شرايهم، يعني عندهم نوع واحد من الطعام ونوع من الشراب.
ويمكن أن يكون لكل فريق من أهل النار طعام خاص به، فريق له ضريع، وفريق زقوم وفريق غسلين.

التعاليم:

- ١ - لا يرتاح أهل النار، لا من الناحية النفسية: ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾؛ ولا من الناحية المادية: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَسِيلِينَ﴾.
- ٢ - عدم الإيمان بالله تعالى وعدم الاكتراث بالمحتاجين هو ذنب لا يُغْتَفَرُ: ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْفَاطُونَ﴾.
- ٣ - كل الوجود له أهمية في النظرة الإلهية؛ لأن الله قد أقسم بكل الوجود: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِنَا يُبْصِرُونَ وَمَا لَا بُدَّ لَهُمْ﴾.
- ٤ - لا تحصروا أنفسكم في الماديات، فإنّ الأشياء غير المرئية كثيرة: ﴿وَمَا لَا بُدَّ لَهُمْ﴾.
- ٥ - في فنّ الإدارة، يجب أن تدافعوا عن الكوادر السليمة وتبعدوا الشبهات عنها: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ شَاعِرٌ... وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ﴾.
- ٦ - إنّ الله يُتَمِّ حجته، فينزل ربّ العالمين الوحي وواسطة الوحي هو الرسول الكريم: ﴿لَقَوْلِ رَسُولٍ كَرِيمٍ... نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.
- ٧ - لا يجب على المبلّغ أن يتوقع إيمان الناس جميعاً أو أغلبهم: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

(١) سورة الدخان: الآيتان ٤٣، ٤٤.

- ٨ - لا يكفي الإيمان وحده، بل إن الذكر ضروري أيضاً، من الممكن أن يكون الإنسان مؤمناً ولكنه غافل: ﴿قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ... قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾.
- ٩ - لا تسكتوا عن قول الحق وإن عارضت الأثرة: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ... قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ لَقَوْلٌ عَلَيْنَا بِمَعْصَى الْآفَاقِلِ ۖ﴾ (٤٤) ﴿لَاخِذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ (٤٥) ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٤٦) ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ (٤٧) ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لِّلشَّاقِينَ﴾ (٤٨) ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُّكَذِّبِينَ﴾ (٤٩) ﴿وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٥٠) ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ (٥١) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (٥٢)

إشارات:

- «تَقَوْلُ» يعني نَسَبَ الكلام إلى الشخص الذي لم يقله.
- «الوتين» هو الشريان الذي يغذي القلب بالدم وإذا قطع مات الإنسان.
- القرآن في الدنيا والآخرة، سبب لحسرة الكفار. يتحسرون في الدنيا لعدم مقدرتهم على الإتيان بمثله، وفي الآخرة يتحسرون لعدم إيمانهم به.
- الأخذ بـ(اليمين) كناية عن القدرة؛ لأن اليد اليمنى لها قدرة أكبر.
- إن الله تعالى لا يخجل من أحد، ندماً يخاطب الله نبيّه بهذا الأسلوب على البقية أن يحذروا.
- للقرآن خصائص، من بينها: ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿لَذِكْرٌ لِّلشَّاقِينَ﴾، ﴿لَحَقٌّ أَلْبِينٌ﴾.
- لم ينسب الرسول الأكرم أي شيء غير صحيح إلى الله تعالى؛ لأن كلمة (لو) تُستخدم في الموارد التي يكون فيها الأمر غير قابل للتحقق.
- دافع الله تعالى في الآية السابقة عن نبيّه أحسن الدفاع؛ ولكنه في هذه الآية يُهدد بأنه إن نسب إلى الله كلاماً لم يقله سيقطع شريانه الرئيس بكل اقتدار.

التعاليم:

- ١ - الله تعالى هو حافظ الوحي ولا أحد يملك القدرة على الإضافة إليه أو التقيص منه: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾.
- ٢ - يجب على النبي كما الآخرين أن يحفظوا حرمة الوحي: ﴿وَلَوْ نَقُولَ﴾.
- ٣ - كل الناس سواسية أمام القوانين الإلهية، حتى النبي: ﴿وَلَوْ نَقُولَ... لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.
- ٤ - إِنَّ القرآن ليس كلام كاهن ولا شعراً وهو ليس كلام النبي كذلك: ﴿وَلَوْ نَقُولَ...﴾.
- ٥ - إِنَّ التساهل والتسامح في قانون الله وكلامه ممنوع: ﴿وَلَوْ نَقُولَ...﴾.
- ٦ - التعاطي مع الأمور بشكل حاسم، يمنع الآخرين من الطمع بالتصرف: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.
- ٧ - يتمتع القرآن بالحفظ والصيانة التامنين: ﴿وَلَوْ نَقُولَ﴾.
- ٨ - الدفاع عن الحق أهم من الشخص؛ فمن الممكن أن تؤخذ روح أفضل الأشخاص لأجل حفظ الوحي: ﴿وَلَوْ نَقُولَ... لَأَخَذْنَا...﴾.
- ٩ - يجب الكلام بشكل حاسم عند الدفاع عن حرمة القرآن وحدوده: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.
- ١٠ - الذنوب العظيمة لها عقاب عظيم: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ... ثُمَّ لَقَطَعْنَا...﴾.
- ١١ - يجب أن تكون الحراسة مشددة أكثر على الشيء ذي القيمة الأكبر: ﴿تَنْزِيلَ يَنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ... وَلَوْ نَقُولَ... لَأَخَذْنَا... لَقَطَعْنَا...﴾.
- ١٢ - يعاقب الله الأشخاص الذين يتعدون على حرمة الوحي بالهلاك: ﴿لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾.
- ١٣ - لا يملك أي أحد أي قدرة على المقاومة في مقابل العذاب الإلهي: ﴿فَمَا يَنْكُرُ مِنْ أَحدٍ عَنْهُ حَبِيزِينَ﴾.
- ١٤ - تأثير القرآن على المتقين جذبي وحتمي: ﴿وَلِئِنَّهُ لَنتَذَكَّرُهُ لِلشَّقِيقِينَ﴾.

- ١٥ - التقوى هي شرط لتقبل النصيحة: ﴿لَذِكْرُكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.
- ١٦ - ثمة مكذبون في مقابل المتقين: ﴿لِلْمُتَّقِينَ... مِنْكُمْ مُكْذِبِينَ﴾.
- ١٧ - لا ينبغي أن يتوقع المبلغ أن يُسلم كل الناس له: ﴿مِنْكُمْ مُكْذِبِينَ﴾.
- ١٨ - فليعلم المكذبون أنهم تحت رقابة الله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ أَنْ مِنْكُمْ مُكْذِبِينَ﴾.
- ١٩ - سيروا في طريقكم تحت عين الله في مقابل تموضع المكذبين: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.
- ٢٠ - تسبيح الله تعالى هو في سبيل تربية الإنسان: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْمَعَارِجِ

السورة: ٧٠ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٤٤



ملامح سورة المعارج

تحتوي هذه السورة على أربع وأربعين آية وهي من السور المكيّة، وإن كانت آياتها الأولى قد نزلت في المدينة. اسم السورة مأخوذ من الآية الثالثة والمعارج هي مكان عروج الملائكة في السموات.

وهي كغيرها من السور المكيّة تتحدث عن المعاد وإنذار المشركين والمخالفين. والجزء الآخر من السورة يتحدث عن أحوال الكافرين في يوم القيامة وصفات أهل النار وأهل الجنة وخصائصهم.

تحدث الآيات الأولى للسورة عن نزول العذاب بأحد منكري ولاية الإمام علي عليه السلام الذي أدى إلى هلاكه، وسيرد تفصيل الحادثة في ذيل الآية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

إشارات:

□ «المعارج» من العروج بمعنى محل العروج والصعود، والمقصود بها السموات التي هي محل عروج الملائكة وصعودهم.

□ نقل المرحوم العلامة الأميني رحمته الله ثلاثين اسماً لكبار المفسرين والمحدثين من القرن الثالث الهجري إلى القرن الرابع عشر في كتابه الشريف الغدير^(١)، إذ قال هؤلاء: يرتبط سبب نزول الآية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ بشخص كان قد قال للنبي: أكان تنصيب أمير المؤمنين للخلافة يوم الغدير من قبلك أم من قبل الله؟! أمرتنا بالحج والزكاة وقبلنا، ولم ترض إلا أن تؤمر ابن عمك علينا! ثم قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَاباً مِنْ السَّمَاءِ﴾^(٢)، فنزل حجر عليه فأهلكه، ثم نزلت هذه الآية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

التعاليم:

١ - من الضروري التذكير بالحوادث الفردية والجزئية حتى يعتبر الآخرون ويجب أن تُحفظ هذه الحوادث. (إنَّ السائل كان شخصاً واحداً وقد أهلكه الله بعذابه، ولكن الله تعالى ذكر هذه القصة في القرآن حتى يقرأها كل الناس عبر التاريخ): ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

٢ - يمكن أن يكون الطلب الذي ليس في محله والناشئ عن العناد، سبباً لوقوع أحداث عظيمة: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾.

٣ - طالما أنّ العذاب الإلهي لم ينزل بعد، فإنّ باب التوبة ودفع العذاب بالصدقة مفتوح؛ ولكنّ العذاب النازل ليس له دافع: ﴿يَعَذَابُ وَاقِعٌ... لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

﴿فَأَمَّا صَبْرًا جَيِّلاً ۝ إِنَّمَا يُرَوِّدُهُ بَعِيدًا ۝ وَزَنَّهُ قَرِيبًا ۝ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِ ۝﴾
وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝﴾

إشارات:

□ ما قاله بعض المسلمين والمخالفين لنبي الإسلام ﷺ من تجريح وتأنيب عند تنصيبه الإمام علياً عليه السلام لخلافة يوم غدیر خم كان شديداً لدرجة أنّ الله تعالى أمر نبيه بالصبر على أذاهم: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ... فَأَمَّا صَبْرًا جَيِّلاً﴾.

□ كان الكافرون يعتقدون بأنّ وقوع المعاد أمر بعيد ومجاوٍ للذهن والعقل، في حين أنّ الله تعالى يقول إنّ المعاد أمر حتمي وواقع وقريب جداً: ﴿إِنَّمَا يُرَوِّدُهُ بَعِيدًا وَزَنَّهُ قَرِيبًا﴾.

□ دعا الله تعالى نبيه في القرآن الكريم إلى الصبر ما يقارب العشرين مرّة، دعاه إلى الصبر الجميل الذي ليس فيه جزع وفزع أو كلام بذيء. ووجه الخطاب بالصبر إلى النبي الأكرم وإلا فإنّ الصبر واجب على كل الأمة.

□ سيتغيّر النظام الحاكم على الأرض والسماء بشكل كلي لكي تقوم القيامة. وردت في القرآن تعبيرات عدّة تبين هذه التغيرات، والمثال على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾^{(١)(٢)}.

التعاليم:

١ - حتى النبي يحتاج إلى توصية بالصبر والثبات: ﴿فَأَمَّا صَبْرًا جَيِّلاً﴾.

٢ - من يرى أنّ القيامة قريبة، يصبر ويثبت أمام المشاكل: ﴿فَأَمَّا صَبْرًا... وَزَنَّهُ قَرِيبًا﴾.

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠٤.

(٢) لمزيد من التفصيل، انظر: كتاب المعاد للمؤلف.

٣ - سيتهي النظام الموجود في السماء في يوم من الأيام ويفنى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِّ﴾.

﴿وَلَا يَنْتَلِ حِمِيْدٌ حِمِيْمًا ۝١٢ يَصْرُوْنَهُمْ يَوْمَذُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِيْمٍ بِبَنِيهِ ۝١٣ وَصَنَجَبَتِهِ وَأَخِيهِ ۝١٤ وَفَصِيْلَتِهِ الَّتِي تُتَوْبَةُ ۝١٥ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيْعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۝١٦ كَلَّا إِنَّهَا لَلْفَىٰ ۝١٧ نَزَاعَةٌ لِلشَّوَىٰ ۝١٨ تَدْعُوْنَ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ۝١٩ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ۝٢٠﴾

إشارات:

□ «يفتدي» بمعنى إعطاء الفدية مقابل الخلاص والنجاة. والفصيلة هي العائلة التي انفصل الإنسان منها. «تؤويه» من (ماوى) بمعنى اللجوء. اللظى لهب النار الخالص. أوعى من (وعاء) والمقصود بها حفظ شيء بالوعاء. والشوى تُطلق على جلد أطراف الجسم.

□ يتمنى المجرم يوم القيامة ثلاث أمنيات:

(أ) أن يتساوى بالأرض: ﴿لَوْ سُوَّىٰ يَوْمَ الْأَرْضِ﴾^(١).

(ب) أن يتعد عن أعماله: ﴿أَمَدًا بَعِيْدًا﴾^(٢).

(ج) أن يفتدي نفسه بالمال أو غيره: ﴿يَوْمَذُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي...﴾.

□ لا يختار المجرم فرداً أو مجموعة ليفتدي بهم، بل إنه يقول: خذوا الجميع وخذوا سبيلي، خذوا الولد، الزوج، الأخ، القريب وكل الناس على الأرض. (عُطِفَتِ الكلمات بحرف الواو وليس بحرف أو).

في ذلك اليوم، يضحي الإنسان بعاطفته على ولده، وغيرته على زوجه، وحبّه لأخيه، وحماية العائلة والمعارف والناس، ولكن ما النفع؟

□ بحسب هذه الآيات ثمة أربعة عوامل تؤدي إلى جهنم هي: أن يدير الشخص

(١) سورة النساء: الآية ٤٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٣٠.

ظهره للحق ﴿أَذْبَرَ﴾، أن ينفر بقلبه ويُشيع بوجهه: ﴿تَوَلَّى﴾، أن يجمع الثروة: ﴿جَمَعَ﴾، ألا يعطي الآخرين: ﴿فَأَوْعَى﴾.

التعاليم:

- ١ - لا تتعلقوا بالصدقة والروابط الدنيوية الحميمة؛ فإنها لا تنفع في الآخرة: ﴿وَلَا يَنْتَلِ حِمِيٌّ حِمِيًّا﴾.
- ٢ - يكون العذاب يوم القيامة جسدياً ونفسياً. عرض أقرباء الإنسان وأصدقائه الحميمين عليه وبالعكس، هو أكبر تعذيب نفسي له: ﴿يَصْرُوْهُمْ﴾.
- ٣ - يريد المجرم في ذلك اليوم أن ينجو من العذاب بأي قيمة: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي... بِبَنِيهِ وَصَنْجَبَتِهِ وَأَخِيهِ... وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.
- ٤ - فلنحذر في الدنيا ألا نجعل أنفسنا من أصحاب النار لأجل ترفيه أزواجنا وأولادنا وإرضاء أصدقائنا وأقاربنا؛ لأنهم لن ينقذونا في ذلك اليوم ولن ينفعونا: ﴿لَوْ يَفْتَدِي... بِبَنِيهِ وَصَنْجَبَتِهِ وَأَخِيهِ﴾.
- ٥ - غريزة حب الذات من أقوى الغرائز: ﴿لَوْ يَفْتَدِي... وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾.
- ٦ - نار جهنم لها شعور، وتعرف المجرم: ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ (١٩) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۝ (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ (٢١) إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۝ (٢٢) الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۝ (٢٣)﴾

إشارات:

- الهلوع هو الإنسان عديم الصبر والحريص.
- سؤال: ذكر الله تعالى في بعض الآيات أن خلق الإنسان هو الأحسن: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١)، وأنه أحسن الخالقين ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(٢)؛ ولكن

(١) سورة التين: الآية ٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

هذه الآيات تقول إنَّ الإنسان خُلِقَ هلوَعاً وبخيلاً، فكيف يمكن جمع المعنيين معاً؟

الجواب: جُعِلت في الإنسان أمور متضادة عند خلقه، وهذا هو سر التكامل. نفس الإنسان تسوقه إلى الشر: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(١) ولكن عقله يمنعه: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٢)، ويوصل الإنسان إلى الرشد باختياره بين هذه الأضداد، وهذا ما يؤدي إلى التربية والتزكية.

□ تفيد روايات عدة، أن أحسن الأعمال هي ما ندوم عليه^(٣): ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.

□ وردت روايات عدة حول الحرص^(٤) وسنذكر بعضها:

- ١ - «الحرص لا يزيد في الرزق».
- ٢ - «من كثر حرصه.. ذلَّ قدره».
- ٣ - «رب حريص قتله حرصه».
- ٤ - «ليس لحريص غناء».
- ٥ - «الحرص يزري بالمروة».
- ٦ - «الحرص مطية التعب».
- ٧ - «لا حياء لحريص».
- ٨ - «الحريص أسير».
- ٩ - «الحرص علامة الفقر».
- ١٠ - «الحرص يفسد الإيقان».
- ١١ - «الحرص موقع في كثير العيوب».
- ١٢ - «لا يلقى الحريص مُستريحاً».

(٣) تفسير نور الثقلين.

(٤) غرر الحكم.

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) سورة النازعات: الآية ٤٠.

التعاليم:

- ١ - الدليل على الحرص أمران: الجزع عند المصيبة والبخل عند الغنى: ﴿هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾.
 - ٢ - البخل والحرص هما أساس الكثير من الأزمات: ﴿جَزُوعًا... مَنُوعًا﴾.
 - ٣ - قدرة الإنسان على التحمل ضئيلة جداً، فما أن يواجه مشكلة، حتى تجده يشتكي ويبخل: ﴿مَسَّهُ... مَسَّهُ﴾.
 - ٤ - المداومة على الصلاة هي طريق النجاة من الأخلاق السيئة: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا... إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾.
 - ٥ - يميل طبع الإنسان المادي إلى الحرص والبخل، وتلجم الصلاة وذكر الله ذلك الطبع: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا... إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾.
 - ٦ - يكون الإنسان مضطرباً من دون الصلاة: ﴿جَزُوعًا... مَنُوعًا... إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾.
 - ٧ - تظهر آثار الصلاة عند المداومة عليها: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.
- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مِّمَّا لِلنَّاسِ مِنَ الْغُرُوبِ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّعُونَ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۚ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۚ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۚ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۚ﴾

إشارات:

- يرى عدد من المفسرين أن هذه الآية نزلت قبل تشريع الزكاة والخمس.
- سئل الإمام الصادق عليه السلام عن: ﴿حَقٌّ مِّمَّا لِلنَّاسِ مِنَ الْغُرُوبِ﴾، فقال: «هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال، فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة الآلاف والأقل والأكثر، فيصل به رحمه ويحمل به الكلَّ عن قومه»^(١).

وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الآية كذلك، فأجاب بأنّ الحقّ المعلوم هو شيء آخر غير الزكاة^(١).

□ نقرأ في نهج البلاغة: «إنّ الله سبحانه فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء؛ فما جاع فقير إلا بما مُتّع به غني والله تعالى سائلهم عن ذلك»^(٢).

□ تشير عبارة: ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾ إلى أنّ بعض المحتاجين في المجتمع لا يسألون ولا يُبدون حاجتهم؛ لذا على الأغنياء أن يبحثوا عنهم ويعرفوهم ويؤدّوا إليهم حقوقهم.

□ يجب أن نواجه العادات والتقاليد والرسوم غير المنطقيّة وألا نسمح بتحريم حلال الله. بعض العادات والتقاليد في المجتمع تمنع زواج الفتاة والشاب في الوقت المناسب أو تمنع العروس وزوجها من أن يكونوا سوياً، وإذا ما تمّ الزواج في سنّ مبكرة يلومهم الناس ويؤتخونهم؛ في حين أنّه من وجهة نظر القرآن لا يجب أن يُلام هؤلاء الأشخاص ويجب أن يُؤبّخ الأشخاص الذين ييغون طريقاً غير الزواج.

□ الاستمناء ذنب كبير. فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن الاستمناء، فقال عليه السلام: «إثم عظيم نهى الله عنه في كتابه»، فسألوا: في أي آية؟ فتلا عليه السلام آية: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى زَوَّجَةً فَلَوْلَاكَ هُزُّهُمُ الْعَادُونَ﴾.

□ ورد في رواية عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال لولده: «خَفِ الله خوفاً لو أتيت بحسنات الثقلين لعذبك، وارْجُ الله رجاءً لو أتيت بذنوب الثقلين لعفا عنك»^(٣).

□ يساعد الإيمان بالقيامة والخوف من العذاب على الاهتمام بالصلاة والإنفاق.

التعاليم:

١ - الهلوع عنده جزع وبخل، أمّا المصلي فعنده الصلاة والإنفاق: ﴿هَلُوعًا.. جَزُوعًا... مَنُوعًا... إِلَّا الْمَصْلِينَ... حَتَّى مَعْلُومٍ لِّلْسَائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾.

(٣) تفسير نمونه.

(١) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٩٥.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة ٣٢٨.

- ٢ - ثمة علاقة غير منفكة بين الصلاة ومساعدة المحتاجين: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ... حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾.
- ٣ - يُعَدَّلُ الإنفاق من تُخْلَقُ الحرص والبخل: ﴿خُلِقَ هَلُوعًا... وَجَعَ فَأَوْعَى... فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾.
- ٤ - لا يعتبر المؤمن والمصلي الحقيقي نفسه مالكا لكل ممتلكاته ويعتقد بأن قسماً منها هو حق الآخرين: ﴿فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾.
- ٥ - المحتاجون شركاء للمقتدرين في أموالهم ولهم فيها حق: ﴿حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾.
- ٦ - لا يمكن تشخيص فقر الناس من مظهرهم الخارجي؛ إذ قد يعتمد بعض المحتاجين إلى إعطاء انطباع بأنهم مرتاحون ولا يسألون الناس شيئاً: ﴿وَالْمَرْغُورِ﴾.
- ٧ - سعادة الفرد ليست بمعزل عن سعادة المجتمع: ﴿الْمُصَلِّينَ... لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾.
- ٨ - شرط المساعدة هو الاحتياج، سواء أكان مؤمناً أم لم يكن: ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾.
- ٩ - الدين الجامع يعني الاهتمام بالمسائل الاجتماعية: ﴿حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُورِ﴾؛ وبالمسائل العقدية: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْرَ الَّذِينَ﴾.
- ١٠ - الإسلام دين فطري. يجب فيه إرضاء الغرائز بالطريقة الصحيحة ويجب كذلك الحؤول دون وقوع الفحشاء والمنكر: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاجِهِمْ حَافِلُونَ﴾ ﴿إِلَّا عَلَى أَرْوَاجِهِمْ﴾.
- ١١ - يعارض الإسلام كبح الغريزة الجنسية: ﴿إِلَّا عَلَى أَرْوَاجِهِمْ﴾.
- ١٢ - يترصد الخطر بنا دائماً: خطر الانحراف، وسوء العاقبة، والموت قبل التوبة، وخطر عدم قبول الأعمال، وخطر حبط الأعمال، و...: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُتَشَفِّقُونَ﴾.
- ١٣ - لا يجب أن يُلام أي شخص في أي زمان وفي أي مكان، في أي سن كان على الزواج المشروع: ﴿فَلَا تَهْمُ غَيْرَ مُلُومِينَ﴾.

١٤ - إرضاء الغريزة الجنسية عن طريق الحرام نوع من أنواع الاعتداء: ﴿فَنِ اتَّقِ رِئَةَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتَنِيَّتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ (٢٢) وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٢٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَّمُونَ ﴿٢٥﴾

إشارات:

□ رسمت الآيات ٢٢ إلى ٣٥ من سورة المعارج، صورة الأمة الإسلامية والمجتمع المثالي:

- عندهم ارتباط دائم وكامل بالله تعالى عن طريق الصلاة.
- يهتمون بمشاكل المحرومين ويعتبرون أنّ جزءاً من أموالهم هو حق للمحرومين.
- تحكم التقوى على أنكارهم وأقوالهم وأفعالهم، لإيمانهم بالمعاد وخوفهم من الحساب.
- يحافظون على الأمانات ويحفظون العهود.
- يثرون لأجل حقوق الناس، وإذا دعوا للشهادة لا يرفضون.
- يتبعون الطريق الحلال لإرضاء غريزتهم الجنسية وتشكيل العائلة والسلالة الطاهرة.
- تشمل الأمانة، الأمانة المعنوية كذلك، مثل المسؤوليات، وأسرار الناس، وحفظ ماء وجههم.
- كل عهد هو لازم الإجراء: مع الناس، مع الله، مع القادة الدينيين، مع الزوج إلخ.
- قد يكون المقصود من عبارة: ﴿عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(١) عدم ترك الصلاة.

والمقصود من: ﴿عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ الاهتمام الجدي بالصلاة، وكذلك انتظار الصلاة، التوضؤ قبل دخول وقت الصلاة، صلاة الجماعة، والصلاة في المسجد، ومراعاة شروط صحة الصلاة وقبولها وكمالها^(١).

□ ورد في رواية عن النبي الأكرم ﷺ، أنه عَدَّ الخيانة في الأمانة، وعدم الوفاء بالعهود، والكذب من علامات النفاق^(٢).

التعاليم:

١ - لا يكون الإيمان فقط بالإنفاق والصلاة، بل إن المحافظة على العهد والالتزامات الاجتماعية من شروط الإيمان كذلك: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

٢ - السكوت عن علم جريمة، والشهادة بالحق دليل على الإيمان: ﴿بَشَاهِدَتِهِمْ قَائِمُونَ﴾.

٣ - التوجه إلى الصلاة هو أساس كل الكمالات ومنتهاها؛ قال في البدء: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾، ويقول في الختام: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾.

٤ - أهل الجنة مُؤْمِنُونَ من الناحية المادية: ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾، والمعنوية: ﴿شُكْرُوتٍ﴾.

﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَطِيعُ كُلَّ أَمْرٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

إشارات:

□ «مُهْطِعِينَ» بمعنى مد العنق أو التحديق أو السعي بسرعة للبحث عن شيء.

ذُكِرَ المنافقون عند أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقال: «وما زال رسول الله ﷺ يتألفهم ويقربهم ويجلسهم عن يمينه وعن شماله حتى أذن الله ﷻ له

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير.

(٢) سفينة البحار، ج ٢، ص ١٣١.

في إبعادهم»، وأشار إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ مُهْطِئِينَ﴾^(١)؛ لأن الكفر هو عدم التسليم وليس عدم المعرفة. مثل الشيطان الذي كان يعرف الله ويعترف بالقيامة فقد قال: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٢) إلا أنه لم يكن مسلماً لله. وعلى كل حال، فإن العلم غير الإيمان، فقد كان المنافقون يعرفون النبي؛ ولكنهم لم يُسلموا ولذلك أطلق عليهم لقب الكافرين.

□ (قَبِلَ) بمعنى مقابل؛ و(عَزِينَ) جمع عِزَّة بمعنى المجموعات المتفرقة.

□ قال عمر بن سعد لأصحابه صباح يوم عاشوراء؛ وهو يحرضهم على قتل الحسين عليه السلام: «يا خيل الله اركبي وأبشري بالجنة»^(٣).

□ كان الكفار يقولون بسخرية: إذا كان كلام النبي عن الجنة صدقاً فنحن أيضاً سنكون من أصحاب الجنة وسندخلها قبلهم: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

التعاليم:

١ - للقرآن جاذبية، حتى المعارضون للنبي ﷺ كانوا يجتمعون حوله ويمدّون أعناقهم ليستمعوا إليه: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّكَ مُهْطِئِينَ﴾.

٢ - كان النبي واسع الصدر فحتى المخالفون كانوا يجتمعون حوله: ﴿عَنِ الْيَسِينِ وَعَنِ الزَّيْنِ عَزِينَ﴾.

٣ - لا تفرحوا بكل تجمهر واستقبال حار من الناس: ﴿مُهْطِئِينَ عَنِ الْيَسِينِ وَعَنِ الزَّيْنِ عَزِينَ﴾.

٤ - قد يتواجد الأعداء حول المؤمنين لمعرفة أخبارهم وقراراتهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا... عَنِ الْيَسِينِ وَعَنِ الزَّيْنِ عَزِينَ﴾.

٥ - كان الكفار يُعرضون عن النبي ﷺ وكان المنافقون يتقربون إليه: ﴿عَنِ الْيَسِينِ وَعَنِ الزَّيْنِ عَزِينَ﴾.

٦ - يَغْتَرَّ الْمُنَافِقُ بِعَمَلِهِ وَيَطْمَعُ بِالْجَنَّةِ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

٧ - يَظُنُّ الْمُنَافِقُونَ أَنَّهُمْ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ مِنْ دُونِ إِيمَانٍ أَوْ عَمَلٍ: ﴿يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

٨ - رُدُّوا عَلَى الْأَعْدَاءِ آمَالَهُمُ الْوَاهِيَةَ بِشَكْلِ قِطْعِي: ﴿أَيَطْمَعُ... كَلَّا﴾.

٩ - لِمَاذَا يَغْتَرُّ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ أَنَّنَا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَيَعْتَقِدُونَ مَعَ كُلِّ كُفْرِهِمْ أَنَّهُمْ سَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

١٠ - الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مِمَّا خَلَقْنَاهُمْ يَجِبُ أَنْ يَعْلَمُوا كَذَلِكَ أَنَّنَا قَادِرُونَ عَلَى خَلْقِهِمْ مَرَّةً أُخْرَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ (٤٠) عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٤١) فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (٤٢) يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ (٤٣) خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِقُهُمْ ذُلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ (٤٤)

إشارات:

□ المقصود من: ﴿الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾ مشرق الشمس ومغربها؛ لأن الشمس تُشْرِقُ وتُغْرِبُ من مواقع مختلفة في كل يوم من أيام السنة، فتشرق من نقطة وتغرب بأخرى، ولا تُشرق أبداً من النقطة التي أشرقت منها بالأمس ولا تغرب بنقطة الغروب نفسها السابقة كذلك^(١).

□ المقصود من ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ أي أحسن منهم إيماناً. يعني نحن نستطيع أن نهلك المنافقين ونأتي مكانهم بأناس مؤمنين يتبعون الحق ولا ينكرونه.

□ وردت ثلاثة تعبيرات في القرآن الكريم حول المشرق والمغرب:

بصيغة المفرد: ﴿الْشَّرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾^(١)، وبصيغة المثنى: ﴿الْشَّرِقَيْنِ وَالْمَغْرِبَيْنِ﴾^(٢)، وبصيغة الجمع: ﴿الْشَّرِيقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

بشكل عام فإن ثمة جهة للمشرق وجهة للمغرب. ومن جهة أخرى، يوجد تغيير في المدار في الصيف والشتاء إذ إن مدار الصيف في الشمال ومدار الشتاء في الجنوب، إذ أن للشمس مشرقان ومغربان. وبنظرة أدق إلى هذا الموضوع، فكل يوم له نقطة شروق ونقطة غروب يعني ٣٦٥ نقطة شروق و٣٦٥ نقطة غروب. وثمة حديث للإمام علي عليه السلام يؤكد هذا المعنى^(٣).

□ هدد الله تعالى الكافرين والمشركين والمنافقين في آيات عدة مضافاً إلى الآية ٤١ من هذه السورة، بأنه قادر على أن يهلكهم ويأتي بمن هم أفضل منهم: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾^(٤)، ﴿وَلَنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾^(٥).

□ الآية ٤٢ من هذه السورة شبيهة بالآية ٨٣ من سورة الزخرف: ﴿فَذَرُوهُمُ يُغْوَسُوا...﴾.

□ يكون الخروج من القبر مصاحباً للانتشار: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يَرَوْنَ﴾، كما يقول في موضع آخر: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾^(٦)، أو قوله: ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُوكَ﴾^(٧).

□ تُطلق كلمة «نُصِب» على العلامة التي تُنصب في الطريق للاستدلال. قال بعض المفسرين باستنادهم إلى آية: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾^(٨) إن المقصود من النُّصُب في هذه الآية، كما في تلك الآية هو الأصنام، وهذا المعنى بعيد عن كلام الله^(٩).

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| (١) سورة البقرة: الآية ١١٥. | (٦) سورة القمر: الآية ٧. |
| (٢) سورة الرحمن: الآية ١٧. | (٧) سورة يس: الآية ٥١. |
| (٣) تفسير نور الثقلين. | (٨) سورة المائدة: الآية ٣. |
| (٤) سورة فاطر: الآية ١٦. | (٩) الميزان في تفسير القرآن. |
| (٥) سورة محمد: الآية ٣٨. | |

□ ورد في سورة القلم، الآية ٤٤: ﴿فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ يَنْدَا لَلْحَدِيثِ سَتَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾.

□ معارضة الرسول سبب للذل في الدنيا: ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلَئِكَ فِي الْآذَانِ﴾^(١)؛ وفي الآخرة: ﴿رَعَفَهُمْ ذَلَّةٌ﴾.

□ ذلك الذي يؤدي رسول الله بنظراته في الدنيا: ﴿لِيَرْفُؤَنَّكَ بِأَبْصَرِهِ﴾^(٢)؛ سوف تكون نظراته خجلى يوم القيامة: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾.

التعاليم:

١ - يجب أن يُحَقِّزَ قَسَمُ الله تعالى بالمشرق والمغرب، الإنسان على التفكير فيهما: ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

٢ - المشرق والمغرب خاضعان للربوبية الإلهية: ﴿رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

٣ - نظام الوجود قائم على الحكمة والنظم، بشكل يمكن معه محاسبة طلوع كل يوم وغروبه في مكانه بدقة: ﴿الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾.

٤ - الخلق بيد الله وتبديله كذلك: ﴿خَلَقْنَاهُمْ... تُبَدِّلُ خَيْرًا نَبْتُمْ﴾.

٥ - لا تظنوا أبداً أنكم الأحسن؛ فإن الله قادر على تبديلكم بمن هو أحسن منكم: ﴿تُبَدِّلُ خَيْرًا﴾.

٦ - يجب الإرشاد طالما أنه يُحتمل الأثر؛ ولكن بعد اليأس من الهداية يجب الترك: ﴿فَذَرَّهُمْ﴾.

٧ - الكلام الفارغ الذي ليس له أساس عن الدين وعن القادة الدينيين، يُغرق الإنسان في مستنقع الذنوب ويشغله: ﴿يَحْوِضُونَ وَيَلْعَبُونَ﴾.

٨ - الدعوة والإرشاد واجبان ما دامت توجد أرضية للقبول؛ ولكن إذا ما خاض المدعوون في الحديث وأخذوه لهواً، فيجب تركهم بحال سبيلهم: ﴿فَذَرَّهُمْ يَحْوِضُونَ وَيَلْعَبُونَ﴾.

- ٩ - ترك الناس المعاندين هو بمثابة إعطائهم المهلة: ﴿فَذَرَّهُمْ يُخَوِّضُوا﴾.
- ١٠ - المعاد جسماني: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾.
- ١١ - السرعة بين الناس المزدحمين، دليل على وحشة الكفار واضطرابهم يوم القيامة: ﴿سِرَاعًا﴾.
- ١٢ - يكون الكافرون يوم القيامة منغمسين في الفضيحة والذل: ﴿تَرْمَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾.
- ١٣ - كان الأنبياء دائماً يُحذرون الناس من يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ يُوْعَدُونَ... الْيَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ نُوحٍ

السورة: ٧١ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾ قَالَ يَفْقَرُونَ إِلَيَّ لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ② أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ③﴾

إشارات:

□ وردت قصة نبي الله نوح بالتفصيل في سور: الأعراف، هود، المؤمنون، الشعراء، القمر، ونوح. وأكثرها تفصيلاً كان في سورة هود من الآية ٢٥ إلى الآية ٤٩.

□ نسب قوم نوح الضلال لنوح: ﴿إِنَّا لَنَرَنَّكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ①﴾، وكانوا دائماً يسخرون منه: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا ②﴾، كانوا ينعتونه بالجنون وخفة العقل: ﴿بَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ③﴾؛ ولكنه ﷺ ظل يدعوهم إلى الهدى.

□ أعظم رسالة للأنبياء، الدعوة للتوحيد: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ ④﴾، إطاعة المبعوث الإلهي: ﴿وَأَطِيعُوا ⑤﴾، ورعاية التقوى: ﴿وَاتَّقُوا ⑥﴾.

□ يجب أن يكون التبليغ خطوة خطوة. في البداية حذر النبي نوح قومه: ﴿إِلَىٰ قَوْمِهِ ⑦﴾، ورويداً ورويداً بلغ رسالته لكل الناس، وبعد عنادهم دعا عليهم: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِبَابًا ⑧﴾.

(٣) سورة القمر: الآية ٩.

(٤) سورة نوح: الآية ٢٦.

(١) سورة الأعراف: الآية ٦٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٦.

خصائص النبي نوح ﷺ في القرآن الكريم:

- تسليم الله عليه: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ نُوحٌ فِي الْمَلَأَيْنِ﴾^(١)، لقد سلم الله تعالى على إبراهيم وموسى وهارون وإلياس وعباده الصالحين، ولكن لم يرد مع أي سلام كلمة: ﴿فِي الْمَلَأَيْنِ﴾.
- هو النبي الوحيد الذي ذكرت مدة نبوته في القرآن الكريم (٩٥٠ سنة).
- النبي الوحيد الذي خالفه زوجه وابنه وقومه.
- النبي الوحيد الذي عمّر طويلاً، وصنع السفينة بأمر من الله، وكانت سفينته وسيلة نجاة البشرية والإبقاء على الحيوانات ولُقب بـ(أبي البشر الثاني).
- أول نبي امتلك كتاباً وشريعة عالمية^(٢).
- النبي الذي أغرق الله الأرض استجابة لدعائه.
- النبي الذي لم يصل عدد أصحابه إلى عشرة من بعد دعوة دامت ٩٥٠ سنة.

التعاليم:

- ١ - يجب الاكتفاء بالأحداث البناءة عند نقل تاريخ السابقين، والابتعاد عن نقل التفاصيل الزمانية والمكانية، التي ليس لها أثر في التربة: ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾.
- ٢ - يجب تحذير الناس الغافلين لا تبشيرهم: ﴿أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ﴾.
- ٣ - لا يجوز العقاب قبل البيان: ﴿أَنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ﴾.
- ٤ - يجب أن تكون التحذيرات الدينية واضحة ومشفقة: ﴿إِنِّي لَكُرْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.
- ٥ - اتباع الأنبياء هو نتيجة الإيمان بالله وبالمعاد. التوحيد والتقوى أولاً، ثم الدعو إلى إطاعة النبي: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا﴾.

﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَيِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(١)

إشارات:

□ للإنسان أجلان:

- أجل يتأخر بالعبادة والتقوى ويتقدم بالذنوب والمعصية.

- أجل نهائي غير قابل للتغيير واسمه (الأجل المسمى).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «يعيش الناس بإحسانهم أكثر مما يعيشون بأعمارهم ويموتون بذنوبهم أكثر مما يموتون بأجالهم»^(١).

التعاليم:

١ - تُغفر الذنوب المتقدمة بالإيمان: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ... يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾.

٢ - قسم من الذنوب فقط قابل للغفران وهو المتعلق بحق الله: ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾. (وأما حق الناس، فيجب أن يسامح فيه صاحب الحق).

٣ - الإيمان والعمل الصالح سبب في طول العمر ودفع البلاء: ﴿وَيُخَيِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ﴾.

٤ - حب الحياة والنجاح هو مطلب طبيعي؛ ولهذا كان ثواباً على الأعمال الحسنة: ﴿وَيُخَيِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ﴾.

٥ - إن للعمر نهاية وأجلاً غير قابل للتغيير: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

٦ - اخشوا الموت وآمنوا: ﴿إِنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ... إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

٧ - لا يعلم الإنسان بالعلاقة بين العمل الصالح وطول العمر: ﴿لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَعًا ﴿٧﴾ إِذَانِهِمْ فِي أَعَانِهِمْ وَأَنصَرُوا وَاسْتَكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾

إشارات:

□ كان الشخص من قوم النبي نوح يأخذ بيد ابنه ويذهب به إلى النبي نوح ويقول لابنه: كما أوصانا آباؤنا، أوصيك بألا تتبع هذا الرجل.
□ ثمة أوجه شبه بين كفار زمان النبي نوح وبين كفار زمان النبي الأكرم عليه السلام، من بينها:

١ - الفرار من الحق:

- فرار قوم نوح: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

- فرار قوم النبي: ﴿إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(١).

٢ - الدعوة إلى المغفرة:

- النبي نوح: ﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾.

- نبي الإسلام: ﴿تَمَآلَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّآءُ رُءُوسِهِمْ﴾^(٢).

٣ - التكبر والاستكبار:

- كفار زمان النبي نوح: ﴿وَاسْتَكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾.

- كفار زمان النبي الأكرم: ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ وَاسْتَكَبَرَ﴾^(٣).

٤ - عدم الاستماع إلى الوحي:

- كان كفار زمان النبي نوح يضعون أصابعهم في آذانهم لكي لا يسمعوا:

﴿جَعَلُوا أَصْوَعًا فِيْٓ أَذَانِهِمْ﴾.

(٣) سورة المدثر: الآية ٢٣.

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٣.

(٢) سورة المنافقون: الآية ٥.

- كان كفار زمان النبي الأكرم لا يسمعون للقرآن كذلك، وعندما كان النبي يتلو القرآن كانوا يُحَدِّثُونَ جلبة وضجة لعلهم ينتصرون: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - إِنَّ الله عليم بكل أحوال الإنسان ولكن المناجاة ضرورية: ﴿رَبِّ إِنِّي﴾.
- ٢ - الشكوى إلى الله، هي أسلوب الأنبياء: ﴿رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي﴾.
- ٣ - يجب أن يكون إرشاد الناس وتبليغهم مستمراً: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا﴾.
- ٤ - لن تُسفر دعوة النبي عن أي نتيجة إذا لم يكن ثمة استعداد للقبول: ﴿لَيْلًا وَنَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾.
- ٥ - الناس أحرار، فهم يستطيعون أن يصبروا على المخالفة في مقابل إصرار الأنبياء على الهداية: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾.
- ٦ - كانت دعوة نوح دائماً ما تواجه بردة فعل سلبية: ﴿كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ... جَعَلُوا أَسْمِعُ﴾.
- ٧ - يصل العناد بصاحبه إلى مرحلة، لا يسمع فيها: ﴿جَعَلُوا أَسْمِعُ فِي آذَانِهِمْ﴾؛ لا يرى: ﴿وَأَسْتَفْشُوا فِي آيَاتِهِمْ﴾؛ ويصبر على عمله: ﴿وَأَمَرُوا﴾؛ ولا يتنازل: ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا أَتَكْبَارُ﴾.
- ٨ - يجب أن تؤخذ حالة الناس وظرف المكان والزمان بالاعتبار عند التبليغ. فأحياناً يجب أن يكون سرياً وخاصاً وأحياناً يجب أن يكون عاماً وعلنياً: ﴿دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا... دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا... وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْهَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

□ ﴿مِدْرَارًا﴾ من الدر بمعنى هطول المطر الغزير.

□ ورد في مواضع عدة من القرآن الكريم الحديث عن الارتباط العميق بين العقيدة والعمل الفاسدين بالقحط والفقر، وكذلك ارتباط العقيدة والعمل الصالحين بالأمن والرفاه.

كما قال تعالى في أحد المواضع: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾^(١)، ويقول في موضع آخر: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾^(٢).

□ هدف الأنبياء هو إنقاذ الناس من العذاب الإلهي. تحدثت الآيات من أولها إلى الآن ثلاث مرّات عن الاستغفار. الآية الرابعة: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾، الآية السابعة: ﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾، وهذه الآية: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾.

التعاليم:

١ - على الإنسان الاستغفار، ومن الله الغفران: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

٢ - المغفرة والعفو من الشُّنن الإلهية: ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾.

٣ - التحفيز المادي والمعنوي ضروريان للدعوة إلى الخير: ﴿غَفَّارًا... مِدْرَارًا﴾.

٤ - غفران الذنوب ممهد لاستقبال اللطاف الإلهية اللاحقة: ﴿اسْتَغْفِرُوا... يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾.

٥ - المطر أحد أهم النعم الإلهية: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾.

٦ - تحسُّن الحياة المادية من آثار الإيمان: ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ... وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ﴾.

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٢) سورة الروم: الآية ٤١.

٧ - قد تكون كثرة الأموال والأولاد والماء والحدائق، ميزة وثواباً إلهيين: ﴿بِأَمْوَالٍ وَيَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَ... أَنْهَرَكُمْ﴾.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ (١٤) ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ (١٥) ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ فِيهَا نُورًا وَجَعَلَ النَّهَارَ فِيهَا سَبْعًا﴾ (١٦) ﴿وَاللَّهُ أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِمَا آتَاكُمْ ثُمَّ يُدْعِيكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ مِنْهَا﴾ (١٧) ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِسَاطًا﴾ (١٨) ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ (١٩)

إشارات:

□ كلمة (وقار) بمعنى الثبوت والشيء الباعث على العظمة. (أطوار) جمع (طور) بمعنى الحالة، المرحلة أو الصنف.

□ (بساط) من (بسط) بمعنى الواسع. و(فجاج) جمع (فج) بمعنى الطريق الواسع.

□ تأتي كلمة (الرجاء) في مقابل اليأس، وإذا ما جاءت مع أداة نفي تكون بمعنى الخوف، يعني: ما لكم لا تخافون من عظمة الله؟ عن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير هذه الآية: «لا تخافون الله عظمة»^(١).

يعتقد بعض أن المقصود من الرجاء هو الاعتقاد؛ لأن الشخص الذي يملك رجاء بشيء فهو حتماً يعتقد به. ويكون معنى هذه الآية: ما بالكم لا تعتقدون بعظمة الله^(٢)؟

□ إما أن تكون (طباقاً) بمعنى الموافق والمطابق أو بمعنى طبقة فوق طبقة.

□ الإنسان مشابه لسائر النباتات في كون نشأته من عناصر الطبيعة والأرض وفي رشده التدريجي وهرمه وجفافه، كونه مُثْمِراً أم غير مُثْمِر، في تغذيته من الأرض وفي حاجته الدائمة للمزارع والمُربّي: ﴿أُنَبِّئُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِمَا آتَاكُمْ﴾.

التعاليم:

- ١ - التحذير بصيغة السؤال هو أحد أساليب التربية: ﴿مَّا لَكُمْ﴾.
- ٢ - التأمل في مراحل الخلق، ينبّه الإنسان إلى عظمة الله: ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾.
- ٣ - كان نبي الله نوح الذي عاش قبل النبي موسى والنبي عيسى بآلاف السنين، يدعو الناس إلى معرفة الكون وعلم الأحياء: ﴿خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا... سَبَّحَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾.
- ٤ - معرفة الطبيعة طريق إلى المعرفة الله: ﴿أَلَمْ تَرَوْا...﴾.
- ٥ - كل الوجود هو مكان للتعلم: ﴿خَلَقَكُمْ، خَلَقَ اللَّهُ سَبَّحَ سَمَوَاتٍ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ، أَنْبَتَكُمْ، يُعِيدُكُمْ، وَيُخْرِجُكُمْ﴾.
- ٦ - كل الأعمال الإلهية هادفة: ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا لِّتَسْلُكُوا﴾.
- ٧ - الالتفات إلى دور الشمس والقمر في حياة البشر هو طريق إلى معرفة الله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ... نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا﴾.
- ٨ - يحتاج الإنسان إلى السير والسفر والطرق الواسعة: ﴿لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾.

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكُرُوا مَكْرًا كِبَارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾

إشارات:

□ وردت كلمات (أصنام)، (أوثان)، (نُصُب)، (تماثيل) في القرآن الكريم بمعنى الصنم؛ ولكن الأسماء الخاصة بأصنام المشركين المشهورة ذكرت بشكل خاص. ورد في هذه الآية أسماء خمسة أصنام وأما (اللات) و(عزى) و(مناة) فقد وردت في سورة النجم.

التعاليم:

- ١ - ييئ رجال الله شكواهم إلى الله: ﴿رَبِّ إِنِّهْمْ عَصَوْنِي﴾.

- ٢ - الإخبار عن ما وقع من الظلم هو درسٌ وعبرة للآخرين: ﴿عَصَوْنِي﴾.
- ٣ - من لا يتبع الداعي إلى الحق، يتبع الضالين: ﴿عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَزَّ يَزِيدُهُ... إِلَّا خَسَارًا﴾.
- ٤ - كان نوح يشكو من ضلال الناس لا من غربته: ﴿عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَزَّ يَزِيدُهُ مَالَهُ، وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾.
- ٥ - ليس كل مال وولد، نعمة: ﴿لَزَّ يَزِيدُهُ مَالَهُ، وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾.
- ٦ - القدرتان الاقتصادية والاجتماعية عاملان لجذب الناس وانقيادهم والتأثير عليهم: ﴿وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَزَّ يَزِيدُهُ مَالَهُ، وَوَلَدُهُ...﴾.
- ٧ - الأنبياء هم المحور المخالف لأصحاب المال والسلطة الماكرين: ﴿عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَنْ لَزَّ يَزِيدُهُ مَالَهُ، وَوَلَدُهُ... وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا﴾.
- ٨ - لم يتوان قوم نوح عن أي عمل: عصوا نوحاً، اتبعوا الضالين، مكروا وتواطؤوا، وأصرّوا على الاحتفاظ بالأصنام: ﴿عَصَوْنِي... أَتَّبِعُوا... مَكْرُوا... قَالُوا...﴾.
- ٩ - قانون الشرك حافظ لمنافع أصحاب المال والمقام: ﴿لَا تَدْرِيءَ إِلَهَكَ﴾.
- ١٠ - قد يكون من الضروري أحياناً ذكر أسماء الرؤساء الذين هلكوا ليعتبر الآخرون: ﴿وَدَا... سَوَاعَا... يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.
- ١١ - يجب على القائد الإلهي أن يعرف رؤوس الفساد: ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.
- ١٢ - تُفتح طرق متعددة للانحراف أمام الشخص الذي يخرج عن الصراط المستقيم: ﴿يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (٢٤)
 ﴿مِمَّا خَطَبْتَنِيهِمْ أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهَا دُونَ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ (٢٥)

إشارات:

□ ظاهر جملة: ﴿أَغْرِقُوا فَادْخُلُوا نَارًا﴾ هو أنهم بعد أن غرقوا أدخلوا إلى النار وبالتأكيد فإن هذه غير نار جهنم التي سيدخلونها بعد قرون، وهي نار البرزخ.

□ عَرَفَ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَفْرَاداً وَأُمُوراً عَلَى أَنَّهُمْ وَسِيلَةٌ لِلانْحِرَافِ، مِنْ بَيْنِهَا: كَلَامُ اللَّهِ، نَشْرُ الْأَكَاذِيبِ وَالشَّائِعَاتِ، الْإِسْتِفَادَةُ السَّيِّئَةُ مِنَ الْمَقْدَسَاتِ، التَّزْوِيرُ، الشَّيْطَانُ، الطَّاغُوتُ، الْفَنَانُ الْمُنْحَرِفُ، الْعُلَمَاءُ غَيْرُ الْمُلْتَزِمِينَ، الَّذِينَ يَبِيعُونَ دِينَهُمْ وَيَكْتُمُونَ الْحَقِيقَةَ، الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَرْجَحُونَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَالْمُنَافِقِينَ^(١).

التعاليم:

- ١ - كُلُّ شَيْءٍ يَأْخُذُ مَكَانَ الْحَقِّ يَكُونُ سَبَباً لِلانْحِرَافِ وَالضَّلَالِ: ﴿لَا تَذَرْنِ الْهَكَرَ... قَدْ ضَلُّوا﴾.
- ٢ - لِلدَّعَايَةِ السَّيِّئَةِ آثَارُهَا: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْهَكَرَ... وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيراً﴾.
- ٣ - تَوْجِدُ دَرَجَاتٍ لِلضَّلَالِ وَالانْحِرَافِ: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾.
- ٤ - الْعِقَابُ وَالْعَذَابُ الْإِلَهِيَّانِ هُمَا نَتِيجَةُ لِأَعْمَالِنَا: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا﴾.
- ٥ - الشُّرْكُ أَسَاسُ الْخَطَايَا: ﴿لَا تَذَرْنِ الْهَكَرَ... مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا﴾.
- ٦ - كَانَ غَرَقَ قَوْمِ نُوحٍ كَفَّارَةً لِبَعْضِ خَطَايَاهُمْ: ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ﴾.
- ٧ - تَوْجِدُ نَارِ الْبَرْزَخِ حَتَّى فِي وَسْطِ الْمَاءِ: ﴿أُغْرِقُوا فَأَذْنَلُوا نَارًا﴾.
- ٨ - جَزَاءُ تَرْكِ رَسُولِ اللَّهِ هُوَ الْبَقَاءُ بِلَا نَاصِرٍ: ﴿عَصَوْنِي... فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾.
- ٩ - مَنْ يَنْصُرِهِ اللَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ نَاصِرٌ وَاحِدٌ، بَلْ أَنْصَارٌ: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾.
- ١٠ - لَا تَجْزِي الْأَمْوَالُ وَالشُّرُوءُ وَالْأَصْنَامُ وَالْمَكْرُ وَالْحِيلَةُ شَيْئاً أَمَامَ الْعَذَابِ الْإِلَهِيِّ: ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾.

(١) سورة لقمان: الآية ٦؛ سورة الأنفال: الآية ١٤٤؛ سورة النساء: الآيتان ٤٤ و ٦٠؛ سورة المنافقون: الآية ٢؛ سورة الأنفال: الآية ٣٦؛ سورة طه: الآيتان ٧٩ و ٨٥؛ سورة الأحزاب: الآية ١٠؛ سورة آل عمران: الآية ٦٩؛ سورة التوبة: الآية ٩؛ سورة إبراهيم: الآية ٣.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ۚ إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾

إشارات:

□ ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ﴾^(١) مضافاً إلى ذلك فإن تجربته في التبليغ التي دامت ٩٥٠ سنة كانت كافية ليعرف قومه وليعرف أن هذا الجيل والجيل اللاحق له لن يهتدوا، ولهذا دعا عليهم.

□ «ديّار» من دار بمعنى الشخص الساكن في الدار.

□ لا يفكر رجال الله بأنفسهم وإنما يفكرون بهداية جيل اليوم وجيل الغد. مع أن النبي نوحاً قد أهدى وعذب إلا أنه دعا على قومه بسبب انحرافهم وضلالهم.

التعاليم:

- ١ - يجوز الدعاء بالشر في المراحل الأخيرة: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ...﴾.
- ٢ - كانت رسالة النبي نوح، رسالة عالمية: ﴿عَلَى الْأَرْضِ﴾.
- ٣ - استخدموا في كلامكم المفردات التي يستخدمها الناس. في مقابل: ﴿لَا تَذَرْنَ، وَلَا تَذَرُنَّ وَذًا﴾ قال النبي نوح: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾.
- ٤ - سلامة فكر المجتمع، مقدّمة على سلامة جسم الفرد. لو يهلك الأشخاص الذين يضلون الناس، لكان أفضل: ﴿لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ... يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾.
- ٥ - تلعب الوراثة دوراً مهماً في التربية: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾.
- ٦ - يوصل الإنسان نفسه إلى مرحلة لا يبقى معها مجال لإصلاح عقيدته وعمله: ﴿فَاجِرًا﴾ في العمل و﴿كَفَّارًا﴾ في العقيدة.

﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾ ﴿٢٨﴾

إشارات:

- يجب أن يكون الداعي نافذ البصيرة. لينظر إلى الماضي والحاضر، ويشمل الدعاء النفس والأقارب وكل المؤمنين في التاريخ.
- سئل الإمام الرضا عليه السلام عن مسجد الكوفة فقال: «فإنَّ مسجد الكوفة بيت نوح، لو دخله الرجل مئة مرة لكتب الله له مئة مغفرة؛ لأنَّ فيه دعوة نوح حيث قال: ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾...».
- ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه تجنَّب قتل بعض الناس في كربلاء؛ لأنَّه كان يرى في أصلابهم ذريَّة مؤمنة^(١).

التعاليم:

- ١ - فلنستفد من كلمة «رب» المباركة في دعائنا بالخير والشر: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي... رَّبِّ اغْفِرْ لِي﴾.
- ٢ - لم يُصَبِّ الأنبياء بالغرور على الرغم من الجهود التي بذلوها. النبي الذي قال: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾، يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي...﴾.
- ٣ - تقديم النفس على الغير عند طلب المغفرة هو أمر مستحسن: ﴿اغْفِرْ لِي وَلِوَلَدَيَّ...﴾.
- ٤ - تشمل العناية الأقارب السبيين والنسيين في حال كانوا قريبين فكراً كذلك: ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾.
- ٥ - اطلبوا في دعائكم الرحمة والمغفرة للمؤمنين والهلاك والفناء للظالمين: ﴿رَبِّ اغْفِرْ... لِلْمُؤْمِنِينَ... وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا نَبَارًا﴾.

والحمد لله رب العالمين،

سورة الجن



سُورَةُ الْجِنِّ

السورة: ٧٢ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٢٨



سورة الجن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾

إشارات:

□ «نفر» تُطلق على المجموعة المؤلفة من ثلاثة إلى سبعة أو أحد عشر شخصاً.
□ الكون في الرؤية الكونية الإلهية، ليس محصوراً في الأشياء المادية والمحسوسة، ولا في ما نراه في هذه الدنيا.

لا ينبغي بالإنسان الذي اكتشف مجرة فيها المليارات من النجوم تفصل بينها سنين ضوئية أن يعتقد بأنه تعرّف على الكون بشكل كامل. ولذا، يجب أن نضع أنفسنا تحت تصرّف الوحي وأن نعتقد بما ورد في القرآن الكريم.

ثمة آيات عدة في القرآن الكريم تتحدّث عن الجن، سنشير هنا إلى بعضها:

كان خلق الجن قبل خلق الإنسان: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْتُهُ مِن قَبْلُ﴾^(١).

للجن مكانة خاصة كما للإنسان؛ لأن الهدف من خلقه هو الهدف نفسه من خلق الإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِعِبَادُونِي﴾^(٢).

يُوجّه إليهم الخطاب والعتاب: ﴿يَتَمَشَرُّ الْجِنَّ وَالْإِنسُ﴾^(٣).

عندهم القدرة على الاختيار، لذا منهم الكافر ومنهم المؤمن.

خُلِقوا من نار، والشيطان من هذا الجنس: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾^(٤).

(٣) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

(١) سورة الحجر: الآية ٢٧.

(٤) سورة الكهف: الآية ٥٠.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

هم يروننا وإن كنا نحن لا نراهم: ﴿إِنَّهُ يَرَنكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(١).

يستطيع الجن أن يكون خادماً لأولياء الله. ورد في القرآن أنهم كانوا يعملون عند النبي سليمان: ﴿يَعْمَلُونَ لَكَ﴾^(٢).

□ كل الأمور المبتكرة الباعثة على التعجب تصبح عادة بعد أيام عدة؛ ولكن القرآن كتاب عجيب أبدي ولا يصبح عادياً أبداً. يقول الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: «لا تفنى عجائبه»^(٣).

□ كل الأمور العجيبة، تكون عجيبة من إحدى جوانبها، أما القرآن فهو عجيب من جهات لا تُحصى، إذ قال رسول الله ﷺ: «لا تُحصى عجائبه»^(٤)، ليس للقرآن مثل من جهة لفظه، ومحتواه، وجامعيته وتناغمه مع الفطرة.

□ نقرأ في الحديث: «ما جالس أحد هذا القرآن إلا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى أو نقص من عمى»^(٥).

□ توجد ردات فعل مختلفة حيال القرآن:

الاستماع إليه والإيمان به: ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا... فَآمَنَّا﴾.

الاستماع إليه وزيادة الإيمان به: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾^(٦).

الاستماع إليه والتهرب منه: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ... اسْتَفْذَنَكَ أَوْ لَوَّا الْغُلُولَ مِنْهُنَّ﴾^(٧)، ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ تُحْكَمُ فِيهَا الْقِسَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾^(٨).

القبول الاختياري: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾^(٩).

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٧.

(٢) سورة سبأ: الآية ١٣.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٧٥.

(٤) الكافي، ج ٢، ص ٥٩٩.

(٥) غرر الحكم.

(٦) سورة الأنفال: الآية ٢.

(٧) سورة التوبة: الآية ٨٦.

(٨) سورة محمد: الآية ٢٠.

(٩) سورة البقرة: الآية ٨٥.

الاستماع إليه واتهامه: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(١)، ﴿بَلْ قَالُوا أَضْغَنْثُ أَحْلَمٍ﴾^(٢).

الاستماع إليه والاستخفاف به: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٣).

الدعوة إلى عدم الاستماع إليه: ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْقَوَا فِيهِ﴾^(٤).

□ أدرك الجن مميزات القرآن وقالوا: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾؛ ولكن العرب المعاندين قالوا إنه ليس قرآنًا عجيبيًا ولو أردنا في إمكاننا الإتيان بمثله: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾^(٥).

□ طريق الرشd هو طريق الحق بعينه: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾^(٦) واللطيف أن التعبيرين وردا على لسان الجن.

التعاليم:

١ - لم ير النبي الأكرم الجن؛ ولكنه عليم من طريق الوحي أنهم استمعوا إليه: ﴿أُوحِيَ إِلَيْكَ أَنَّهُ أَسْتَمَعَ﴾.

٢ - صحيح أن الجن ليس مخلوقًا من تراب؛ ولكنه يسمع كلام الإنسان: ﴿أَسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.

٣ - يؤثر الاستماع إلى تلاوة القرآن في وجود المستمع: ﴿أَسْتَمَعَ... فَقَالُوا... قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

٤ - يختلف القرآن الكريم عن كل الكتب الأخرى من حيث المحتوى واللفظ: ﴿قُرْآنًا عَجَبًا﴾.

٥ - يجب أن نستمع إلى الكلام الذي يوصلنا إلى الرشd: ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا... يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

(٤) سورة فصلت: الآية ٢٦.

(٥) سورة الأنفال: الآية ٣١.

(٦) سورة الأحقاف: الآية ٣٠.

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٥.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣١.

٦ - يمتلك الجن القدرة على السمع: ﴿سَمِعْنَا﴾، التكلم: ﴿قَالُوا﴾، وعلى التجزئة والتحليل: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

٧ - هداية القرآن دائمة: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

٨ - رشد الإنسان الحقيقي هو رشده المعنوي: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾.

٩ - لا يكفي امتلاك أداة الرشد، بل الرشد نفسه مهم: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾.

١٠ - الإيمان والإخلاص دليلان على الرشد: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ﴾.

١١ - إذا امتلك الإنسان الاستعداد فإنه سيفهم الحقيقة بمجرد استماعه لكلمات عدة من القرآن، وسيدعو الآخرين إليها كذلك وسيأخذ موقفاً قاطعاً من الانحراف: ﴿سَمِعْنَا... يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

١٢ - الإيمان الكامل لا يجتمع مع الشرك أبداً: ﴿فَأَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (٣) ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ (١) ﴿وَأَنَا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ (٥)

إشارات:

□ كلمة «جدّ» تعني العظمة، وإن كانت تُستعمل في حق والد الأب فهذا للإشارة إلى مكانته الكبيرة والعظيمة وسط عائلته.

□ «الشطط» هو الكلام الظالم المجاني للحق. والمقصود من السفه إمّا الناس السُّفهاء أو شخص إبليس الذي كان من الجن واعترض على الله وابتعد عن الحق.

التعاليم:

١ - معرفة الله هي الخطوة الأولى في طريق الرشد: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ... وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾.

- ٢ - حتى الجن يعرف أن الله ليس له زوجة وولد: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.
- ٣ - الحاجة إلى الزوجة والولد منافية لمقام توحيد الله وتنزهه عن الحاجة: ﴿تَعْلَنَ جَذُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾.
- ٤ - قول الباطل دليل على السفاهة: ﴿يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾.
- ٥ - لدى الجن علم بمعتقدات الإنسان وأفكاره: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَمِيتَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ (٨)

إشارات:

- «الرهق» هو الفعل القبيح والخطيئة التي تحيط بالإنسان.
- ورد في الروايات، أن المقصود بالاستعاذة برجال من الجن، هو الذهاب إلى أشخاص يدعون العلاقة بالجن ويتلقون إلهامهم من الشيطان، وطلب حل المشكلات منهم^(١).
- من ملأ القرآن قلبه نوراً وأدى به إلى الرشد، ينجو من كل الانحرافات الفكرية والعملية. ذكر القرآن بعد جملة: ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾، أمثلة من الانحرافات العقدية، من مثل نسبة الزوجة والولد لله: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾، وقول الباطل: ﴿يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾، والالتجاء إلى غير الله: ﴿يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾، والاعتقاد بعدم وجود قيامة: ﴿لَن يَمِيتَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

التعاليم:

- ١ - الالتجاء إلى الجن لغو وسفاهة: ﴿يَقُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾.
- ٢ - الجن كالإنسان فيه ذكر وأنثى: ﴿بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ﴾.

٣ - نتيجة الارتباط بالجن، بهدف الوصول إلى المقاصد الخاطئة، هي ضلال الطرفين: ﴿يُؤْذِرْنَ... فَرَادَوْهُمْ رَهَقًا﴾.

٤ - لا يستند المنكرون للقيامة إلى دليل وبرهان علمي؛ ولكنهم يتبعون الظن والتخمين: ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾.

٥ - الجن عالم بمعتقدات الإنسان: ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾.

٦ - بعض الجن كافر ومنكر للقيامة: ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾.

٧ - يستطيع الجن أن يتصل بالسماء: ﴿لَسْنَا السَّمَاءَ﴾.

٨ - لا تسمحوا بدخول الضالين إلى أي مكان: ﴿نَوَجِّدُهَا مُلْكًا حَرَسًا شَدِيدًا﴾.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا ۖ ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۖ ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قَدَدًا ۖ ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا ۖ ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

□ «الرصد» اسم جمع لراصد بمعنى الحارس والمراقب. «القدد» جمع «قد» بمعنى المقطوع، و(طرائق قددًا) بمعنى الطرق المتعددة.

□ يستفاد من هذه الآية أن الجن المؤمن مضافاً إلى أنه عرف القرآن، فهو أيضاً أدرك ضعفه وعظمة الله وقدرته وأدرك بأنه يملك القدرة على الاختيار والانتخاب.

التعاليم:

١ - لنزول القرآن أثر في السموات كذلك. كان الجن يسترق السمع إلى الأخبار السماوية قبل نزول القرآن؛ ولكنه مُنع من ذلك بعد نزول القرآن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا... فَمَنْ يَسْمَعُ آلَانَ﴾.

٢ - لا يعلم الجن بمستقبل البشر والكون: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي...﴾.

- ٣ - المواجهة الشديدة هي جزاء استراق السمع: ﴿شَهَابًا رَصَدًا﴾.
- ٤ - نسب القرآن الخير والإحسان إلى الله تعالى؛ ولكنه لم ينسب الشر والسوء إليه ففي التعبير عن الشر استخدمت صيغة المجهول: ﴿أَشْرُ أُرِيدَ... أَرَادَ بِهِمْ رُؤُوسَهُمْ رَشَدًا﴾.
- ٥ - الإرشاد هو من شؤون الربوبية: ﴿رُؤُوسَهُمْ رَشَدًا﴾.
- ٦ - الجن ليس مفطوراً على الفساد والشيطنة، بل إن من الجن من هو صالح ومنه من هو غير صالح: ﴿وَمِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾.
- ٧ - من لوازم الحرية وحق الاختيار، الانقسام إلى مجموعات: ﴿كُنَّا طَرِيقَ قَدَدًا﴾.
- ٨ - لا يمكن إعجاز الله لا بالمقاومة ولا بالفرار: ﴿لَنْ تُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾.

﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ (١٣)

﴿وَأَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ (١٤)

﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ (١٥)

إشارات:

- «بخس» بمعنى الإنقاص الظالم، و«الرهق» تأتي بمعنى السفاهة، والطغيان، والذنب، والكذب، والظلم^(١).
- «قسط» بمعنى سهم ونصيب ويُطلق وصف «قاسط» على الشخص الذي يأخذ سهم الآخر و«مقسط» للشخص الذي يعطي الآخرين سهامهم. وبمعنى آخر، أنها لو كانت من باب إفعال لكانت بمعنى إجراء العدالة، أما لو كانت ثلاثياً مجرداً فهي بمعنى ظلم الآخرين.
- «تحرّوا» أي قصدوا.

□ بما أن كلمة ﴿الْفَاسِطُونَ﴾ جاءت في مقابل ﴿الْمُسْلِمُونَ﴾ يعني هذا أن أهل التسليم يجب أن يكونوا عادلين.

□ تتحدث آيات هذه السورة حتى الآن عن لسان الجن الذين سمعوا القرآن وعمّا قالوه وما نقلوه من معتقدات وأفكار لسائر الجن، وإنّ التوجه إلى طريقتهم في الكلام ومحتوى مطالبهم، يمكن أن يكون مفيداً للمبلغين الدينيين في تبليغهم. وسنمر على بعض النقاط بإجمال:

- الاستماع باهتمام: ﴿أَسْتَمَعْ﴾.
- الحضور الجماعي: ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾.
- الابتهاج بالحق وإبراز الأحاسيس: ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾.
- الإبلاغ: ﴿فَقَالُوا...﴾.
- إظهار العقيدة والتوجه: ﴿فَأَمَّا يَوْمٌ﴾.
- إظهار البراءة من الانحراف: ﴿وَلَن تَنُوكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾.
- رد المعتقدات الباطلة: ﴿مَا آتَخَذَ صَاحِبُهُ وَلَا وَلَدًا﴾.
- تحقير السفهاء: ﴿يَقُولُ سَفِهْنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾.
- الأسف على انحراف الآخرين: ﴿ظَنَنَّا أَن لَّن نَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾.
- نفي الخرافات والأفكار الباطلة: ﴿رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾.
- بيان عظمة الحق: ﴿فَمَن يَسْتَعِجِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ سِيبًا رَّصَدًا﴾.
- بيان قدرة الحق: ﴿لَن نُّعْجِزَ اللَّهَ﴾.
- بيان ضعف الإنسان: ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾.
- إعطاء الأمل لأهل الإيمان: ﴿فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾.
- المقارنة بين المسلمين والظالمين: ﴿وَمِنَ الْمُسْلِمُونَ وَمِنَ الْفَاسِطُونَ﴾.
- دعوة الآخرين عن طريق العمل: ﴿سَمِعْنَا أَلْهُدَىٰ ءَامَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ...﴾.

- إبراز الصلاح والصالحين: ﴿وَأَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَا دُونَ ذَلِكَ﴾.
- الابتداء بالمسائل المحورية والأساسية: ﴿يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ، سَمِعْنَا قُرْآنًا، وَلَكِنْ نُفِجِرُهُ، لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

التعاليم:

- ١ - القرآن هدى مطلق: ﴿سَمِعْنَا قُرْآنًا... سَمِعْنَا الْهُدَى﴾.
- ٢ - الإسراع في عمل الخير يزيد من قيمته: ﴿لَمَّا سَمِعْنَا... آمَنَّا بِهِ﴾.
- ٣ - الإيمان بالقرآن يعني الإيمان بخالق العالم: ﴿سَمِعْنَا... آمَنَّا بِهِ... يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ﴾.
- ٤ - الإيمان هو ضمان للجزاء غير المنقوص: ﴿فَلَا يَخَافُ بَعْثًا وَلَا رَهَقًا﴾.
- ٥ - المسلم طالب للعدالة: ﴿مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾.
- ٦ - مع أن الجن هو موجود لطيف، إلا أن عذابه جسماني: ﴿لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا﴾.
- ٧ - الإنسان المجرم حطب لجهنم: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١)، وكذلك الجن المنحرف: ﴿فَكَانُوا لِيَجْهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

﴿وَالْوَلِيُّ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لَنَفْنِئَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

إشارات:

- «غدق» بمعنى الكثرة و«صعدا» بمعنى الصعب والمشكل.
- عن الإمام الباقر عليه السلام أنه فسر الاستقامة على الطريقة بالثبات على ولاية أهل البيت عليه السلام. ونُقل عن الإمام الصادق قوله في تفسير الآية: «معناه لأفدناهم علماً كثيراً يتعلمونه من الأئمة»^(٢).

□ أسلوب المقارنة هو من أفضل الأساليب التربوية. ورد في آية: الاستقامة والمطر، وفي الآية التالية: الإعراض والعذاب، وبمقارنة هاتين الحالتين تصبح مسألة الحق والباطل واضحة وشفافة أكثر.

□ الإعراض عن ذكر الله يجعل الحياة الدنيا قاسية: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾^(١) ويكون جزاء الإنسان في الآخرة عذاباً عظيماً وصعباً: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾.

التعاليم:

- ١ - الأهم من الإيمان هو البقاء والثبات عليه: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقْنُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾.
- ٢ - من بين كل الطرق، ثمة طريق واحد فقط مقبول للحق: ﴿طَرِيقَ قَدَدًا... عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾.
- ٣ - أفضل طريقة للدعوة هي توضيح آثار الإيمان وبركاته: ﴿وَأَلْوِ اسْتَقْنُوا... لَأَسْقِيَنَّهُمْ﴾.
- ٤ - لا تظهر آثار الإيمان في الآخرة فقط وإنما تظهر في الدنيا كذلك: ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾.
- ٥ - الاستقامة على طريق الحق هي ميزة، وليس لكل استقامة قيمة، فأحياناً يكون الثبات ناشئاً عن العناد: ﴿اسْتَقْنُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾.
- ٦ - توسيع الرزق هو أحد وسائل الامتحان: ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾ (مثلما اعتبر النبي سليمان توسيع الرزق عليه وسيلة للامتحان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِبَلَوِّكَ﴾)^(٢).
- ٧ - الثبات على طريق الحق له آثار على الطبيعة: ﴿مَاءً غَدَقًا﴾.
- ٨ - الرفاه سبب للغفلة: ﴿مَاءً غَدَقًا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾.
- ٩ - لا تغترّوا بسعة رزقكم: ﴿لِنَفْسِهِمْ فِيهِ﴾.

(١) سورة الجن: الآية ١٧.

(٢) سورة النمل: الآية ٤٠.

- ١٠ - إذا ما استقمتم على طريق الحق ونلتم ثوابكم فلا تظنوا أنّ عملكم قد انتهى، فالآن يجب أن تواجهوا امتحاناً جديداً: ﴿مَاءٌ عَذَقَا لَيْفَنِيْمٌ فِيْهِ﴾.
- ١١ - الله عنده الرحمة وعنده العذاب: ﴿مَاءٌ عَذَقَا... عَذَابَا صَعَدَا﴾.
- ١٢ - الإعراض عن ذكر الله هو أحد عوامل الانقياد إلى جهنم: ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابَا صَعَدَا﴾.
- ١٣ - قد يكون نزول المطر أحياناً وسيلة للامتحان، فإذا ما قوبل بالجحود، فيصبح سبباً للعذاب: ﴿عَذَابَا صَعَدَا﴾.

﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾

إشارات:

- «مساجد» جمع «مسجد» بمعنى محل السجود.
- عن الإمام الصادق عليه السلام، في كلام له مع أحد أصحابه: «ملعون ملعون من لم يوقر المسجد، أتدري يا يونس لم عظم الله حق المساجد وأنزل هذه الآية ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ...﴾؟ كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم أشركوا بالله تعالى، فأمر الله سبحانه نبيه ﷺ أن يوحد الله فيها ويعبده»^(١).
- «ليداً» بمعنى التراكم والازدحام.
- الدعاء في جملة: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بمعنى العبادة، بدليل آية: ﴿أَدْعُوِيْ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِيْنَ يَسْتَكْبِرُوْنَ عَنْ عِبَادَتِيْ﴾^(٢)؛ لذا فإن دعاء غير الله بقصد العبادة شرك. وأما الدعاء العادي فليس شركاً.
- المقصود من ازدحام الناس عند عبادة النبي الأكرم في الآية: ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾، إما أن يكون ازدحام المخالفين للاستهزاء والمضايقة، أو تجمع الراغبين من الجن والإنس للتعلم.

(٢) سورة غافر: الآية ٦٠.

(١) بحار الأنوار، ج ٧٣، ص ٣٥٥.

- ٥ - اعتبر الله تعالى المسجد بيته، وجعل أفضل الناس أي إبراهيم وإسماعيل، النبيين العظيمين، جعلهما خادمين للمسجد: ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾^(١).
- ٦ - أوصي بالتزین عند الحضور إلى المسجد: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٢).
- ٧ - إن لم يكن المسجد مبنياً على أساس التقوى، فسيكون عامل تفرقة ويجب هدمه: ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾^(٣).
- ٨ - للمسجد قداسة لدرجة أنه لا يمكن لأي أحد أن يبني مسجداً: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَقْمَرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾^(٤)، وهذا الأمر مخصوص بالمؤمنين المتقين: ﴿إِنَّمَا يَقْمَرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ... وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾^(٥).
- ٩ - إن للمسجد وسائر دور عبادة اليهود والنصارى (الأديرة، والصوامع، والمعابد) مكانة رفيعة، بحيث يجب المحافظة عليها وفداؤها بالدماء: ﴿...مَلَكَمْتُ صَوْمِعُ وَيَبِيعُ وَصَلَوْتُ﴾^(٦).
- ١٠ - للمسجد آداب، من بينها عدم التحدث فيه بصوت عال، أو بالكلام الباطل، ولا يُتحدث فيه عن البيع والشراء، وأن يُتجنب اللغو فيه.
- ١١ - ثمة ثواب على كل خطوة تخطى في طريق الذهاب إلى المسجد.
- ١٢ - الجلوس في المسجد وانتظار الصلاة له ثواب.
- ١٣ - يشتكي المسجد الذي لا يُصلى فيه إلى الله تعالى.
- ١٤ - لا صلاة لجار المسجد، إلا في المسجد.
- ١٥ - يرفع الله العذاب عن الآخرين، كُرمى لأهل المسجد^(٧).
- ١٦ - أقر سارق في عهد المعتصم العباسي بالسرقة وطلب إقامة الحد عليه، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن القطع إلى أين يجب أن يكون، فاختلفت

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٥.

(٤) سورة التوبة: الآية ١٧.

(٣) سورة التوبة: الآية ١٠٧.

(٦) سورة الحج: الآية ٤٠.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٨.

(٧) الموارد من ١٠ إلى ١٥ هي على أساس روايات وردت في ميزان باب الحكمة، باب المسجد.

كلماتهم في ذلك واستند كل منهم إلى آية من القرآن لإثبات وجهة نظره، فأنفتى أحدهم بالقطع من المعتصم لقوله تعالى: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١)، وقال آخر تقطع من المرفق لقوله تعالى: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾؛ وعندها توجه المعتصم إلى الإمام الجواد عليه السلام وسأله رآيه فقال عليه السلام: القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف، قال: لِمَ؟ قال: لقول رسول الله ﷺ: السجود على سبعة أعضاء: الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين فإذا قُطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وما كان لله لم يقطع، قال: فأعجب المعتصم ذلك فأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف^(٢).

التعاليم:

- ١ - أماكن العبادة خاصة بالله وحده: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾.
- ٢ - المواضع السبعة التي توضع على الأرض عند السجود هي ملك لله، ولا يجوز السجود لغير الله: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ﴾.
- ٣ - المكان الذي يُبنى بقصد المسجد ويصلى فيه، تُصبح له أحكام خاصة: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.
- ٤ - بحسب القرآن، يمكن لبعض الأماكن أن تكون لها قداسة خاصة: ﴿وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا...﴾.
- ٥ - لا تدعو مع الله أو إلى جانب الله أي أحد: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.
- ٦ - مقدمة كل الكمالات والرسالات هي العبودية لله: ﴿فَأَمَّ عَبْدُ اللَّهِ﴾، (أعطى الله تعالى للنبي صفة (عبد الله)).

- ٧ - تحتاج عبادة الله إلى القيام، والرغبة، والتصميم، والنشاط: ﴿قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾.
- ٨ - يجب أن نعلن عن موقفنا من الاعتقادات الخاطئة بصراحة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾.
- ٩ - الدعاء الخالص هو الدعاء ذو القيمة: ﴿أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.
- ١٠ - من يدعو الناس للإخلاص يجب أن يكون هو مخلصاً: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾.
- ١١ - نفي الشرك ضروري إلى جانب التوحيد: ﴿أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.
- ١٢ - المنفعة الحقيقية رهينة بالهداية ومن لا يتبع سبيل الرشاد يضر بنفسه. أجل فليس ثمة شيء مقابل للرشاد إلا الضرر: ﴿ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.
- ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ (٢٢) إِلَّا بَلَّغْنَا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَمَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣)

إشارات:

- وردت كلمة (قل) في القرآن أكثر من ثلاثمئة مرة وكانت إما جواباً على أسئلة طُرحت، أو جواباً عن أسئلة قد تُطرح، أو كانت موقفاً مقابلاً للتوهمات، والاعتقادات، والتوقعات الخاطئة.
- تفكير الإنسان في الشخص الذي يمكن أن يدفع عنه البلاء، هو أحد طرق الداعية إلى الإخلاص: ﴿لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾.
- كان الأنبياء الإلهيون يدعون الناس إلى الله تعالى ولم ينسبوا إلى أنفسهم أي امتياز خاص: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾^(١)، ﴿وَمَا أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِي﴾^(٢)، ﴿أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾^(٣)، ﴿لَنْ يُخِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٠.

(١) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٩.

التعاليم:

- ١ - الكل سواسية أمام القانون الإلهي ولا أحد يملك حصانة خاصة: ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾.
- ٢ - ليس أني لا أملك لكم نفعاً وضراً وحسب، بل إنني كذلك لا أستطيع دفع البلاء حتى عن نفسي: ﴿لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾.
- ٣ - حتى النبي غير مصون من العذاب الإلهي إذا أخطأ: ﴿لَنْ يُخَيِّرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ﴾.
- ٤ - أداء الوظيفة والرسالة هو الطريق الوحيد للنجاة من العذاب الإلهي: ﴿إِلَّا بَلَاغًا... وَرِسَالَتِي﴾.
- ٥ - النبي معصوم؛ لأن مخالفته جعلت موازية لمخالفة الله: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعُفٌ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ۖ قُلْ إِنْ أَذْرَيْتَ أَقْرَبُ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لِمُرِّيٍّ آمَدًا﴾ (٢٥)

إشارات:

- يفتخر جماعة من الناس بقولهم: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾^(١)، لذا يقول القرآن: ستعرفون يوم القيامة أن لا المال ينفعكم ولا الولد.
- عدم معرفة موعد يوم القيامة مفيد للاستعداد من جهة ولعدم الخوف من جهة أخرى: ﴿قُلْ إِنْ أَذْرَيْتَ أَقْرَبُ﴾.

التعاليم:

- ١ - تتوضح المسائل بمرور الزمان: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾.
- ٢ - سيلاقي رؤوس الشر عاقبتهم في الآخر: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾.

٣ - يوم القيامة، هو يوم ظهور ضعف الإنسان وعجزه، وعجز كل ما اعتمد عليه: ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا﴾.

٤ - لا يعلم النبي شيئاً عن المستقبل دون إرادة الله: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾.

٥ - قول لا أدري ليس عيباً: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي﴾.

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَيْبَهُمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾

إشارات:

□ فن الإدارة يستلزم إعطاء المعلومات اللازمة للمسؤول: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾، والمحافضة عليه ﴿فَأِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ...﴾، والرقابة الدقيقة على عمله ﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَكَ رَيْبَهُمْ﴾.

علم الغيب:

يوجد كلام كثير حول ما إذا كان أحد غير الله يعلم الغيب؟ وإذا ما كان أحد يعلم، فكيف هو علمه وكم مقداره؟ من هم الذين يعلمون؟ وهل هذا العلم بإرادتهم أم لا؟ دائم أم مؤقت؟ جزئي أم كلي؟ موروث أم مُهدى؟ لذا راجعت البحث الذي قمت به في أيام شبابي والملاحظات التي دونتها من سنين، ولخصتها لأنقلها هنا.

الأصل الأول: لا أحد غير الله تعالى يعلم الغيب بشكل مستقل؛ لأنه المالك الوحيد لفتح الغيب وخزائنه ومنبعه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(١) وإذا اطلع الآخرون على الغيب فهذا من عند الله، وعلى هذا الأساس تقول بعض الآيات: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾^(٢).

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٩.

(٢) سورة هود: الآية ٤٩.

ورد في القرآن الكريم أَنَّ النبي عيسى قال للناس: ﴿وَأَنْتُمْ كُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُلُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾^(١).

أجل، فإن معرفة الآخرين بالغيب تكون بإرادة الله تعالى ومشيئته: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾^(٢).

الأصل الثاني: يقول الله تعالى في الآية ٢٦ من سورة الجن: ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ أَرَادَ مِنْ رَّسُولٍ﴾ ويقول في الآية ١٧٤ من سورة آل عمران: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾^(٣).

ولذلك فإنَّ حساب الكهنة، والسحرة، والعرافين الذين ليس عندهم أي ارتباط معنوي ويستغلون وقاحتهم وبسطة الناس، ويتنبؤون على أساس الظن والتحليل، هو بمعزل عن حساب أولياء الله.

الأصل الثالث: يستفيد أولياء الله من علم الغيب في موارد خاصة فقط وذلك بإذن الله تعالى، ولا يستفيدون منه في حل مشاكلهم الشخصية. كما كان النبي الأكرم ﷺ يعتمد في قضائه على القسم والشهود وظواهر الأمور ولم يكن يعتمد علم الغيب.

لو استفاد أولياء الله من علم الغيب والمعجزات في حياتهم الشخصية لما استطاعوا أن يكونوا أسوة للناس، لو أَنَّ الإمام الحسين كان قد أنهى العطش في كربلاء بالدعاء والمعجزة، كيف كان سيصبح إماماً للناس الذين لا يملكون هذه الإمكانيات؟

أحد أسرار نجاح القدوات الدينية هو صبرهم على المشكلات الشخصية، الفناعة والحلم والزهد والتقوى في تلك الظروف.

الأصل الرابع: الغيب نوعان: نوع خاص بالله تعالى، ونوع يُعطى للأنبياء والملائكة والأئمة المعصومين. كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ يَخْتَارُ عِلْمِينَ:

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

علماً عنده لم يُطلع عليه أحداً من خلقه وعلماً نبذه إلى ملائكته ورسله، فما نبذه إلى ملائكته ورسله فقد انتهى إلينا^(١).

لذلك فإنّ المقصود من الآيات التي تقول إنّ علم الغيب مختص بالله تعالى هو النوع الأول من العلم، والآيات التي تقول إنّ غير الأنبياء يعلمون علم الغيب، تقصد النوع الثاني. كذلك نقرأ في الدعاء: «وبحق علمك الذي استأثرت به لنفسك».

الأصل الخامس: يستطيع الله تعالى أن يُغيّر أمور العالم كيفما شاء، وبتعبير القرآن أن يُمحي ويثبت؛ لذلك فإنه ليس من الممكن لأولياء الله أن يمتلكوا العلم القطعي بالمستقبل. وقد روي عن الإمام السجاد عليه السلام: قوله: «لولا آية في كتاب الله لحدّثكم بما كان وبما يكون إلى يوم القيامة». فُسِّلَ عن هذه الآية فأشار إلى قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ...﴾^{(٢)(٣)}.

الأصل السادس: يكون الكمال أحياناً بعلم الغيب وأحياناً يكون بعدم العلم به. مثال ذلك، كان كمال الإمام علي عليه السلام في الليلة التي نام فيها في فراش الرسول، في أنّه لم يكن يدري هل سيقتله الأعداء أم لا؟ لأنه إن كان يعلم بأنهم لن يقتلوه، عندها لن يكون نومه في فراش النبي أمراً مهماً إلى الدرجة.

قال القادة الدينيون: «يبسط لنا فنعلم ويقبض عنا فلا نعلم»^(٤) أجل، فإنّ قبض علم الغيب وبسطه بيد الله تعالى. كما يُخاطب الله تعالى نبيّه في القرآن قائلاً: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾^(٥) أنت لا تعلم من هم المنافقون في المدينة، ويقول ردّاً على الناس الذين سألوا عن زمان يوم القيامة: ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَيْتُ﴾^(٦) يعني قل لهم لا أدري.

(٤) الكافي، ج ١، ص ٢٥٦.

(١) الكافي، ج ١، ص ٢٥٥.

(٥) سورة التوبة: الآية ١٠١.

(٢) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٦) سورة الجن: الآية ٢٥.

(٣) الميزان في تفسير القرآن، ج ١١، ص ٤٢٠.

التعاليم:

- ١ - الوجود ليس عبارة عن الأمور المرئية فقط، بل ثمة العديد من الأمور الخافية عن أعيننا وغير القابلة للرؤية: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾.
- ٢ - الأشخاص الذين يدعون علم الغيب كالعرافين، والكهنة، والمنجمين هم كاذبون؛ لأن الله تعالى يُعطي علم الغيب فقط لأمثال الأنبياء: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾.
- ٣ - لا يوجد من لا يحتاج إلى مراقب وناظر: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ... رَصَدًا﴾.
- ٤ - يُحافظ الملائكة على الوحي الإلهي: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾.
- ٥ - الرسول مصان في استقباله للوحي وتبليغه: ﴿رَصَدًا لِّئَلَّا تُفْلِتُوا رِسَالَتِ رَبِّهِمْ﴾.
- ٦ - الحماية الإلهية عن طريق الملائكة هي حماية شاملة جامعة: ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾.
- ٧ - علم الله ليس إجمالياً، بل إنه شامل، ومحيط، ومحصٍ لكل شيء: ﴿لِيَعْلَمَ... أَحَاطَ... وَأَخَصَّى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾.

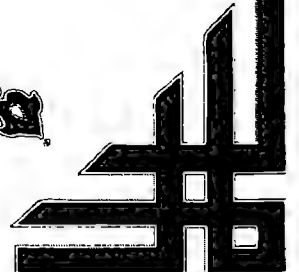
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْمُزَّمِّلِ

السورة: ٧٣ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٢٠



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَتَأْتِيَهَا الْمَزْمَلُ ① قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② يَصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ③ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ ④ تَرْتِيلًا ⑤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾

إشارات:

□ التزمّل هو لفّ الإنسان الرداء أو القماش حول نفسه. قال بعض: إنّ المراد بها هو رداء النبوة، وقال بعض آخر: المراد هو أنّ الرسالة لا تتناسب مع الانزواء والعزلة. قال آخرون: المراد منها أنّ الرسالة لا تتناسب مع الاستراحة ويجب عليك أن تنهض بأعباء الرسالة.

□ الترتيل قراءة القرآن بصورة صحيحة بترتّب ومن دون عجلة.

□ عن الإمام علي عليه السلام: «بيّنه تبياناً ولا تهذه هذ الشعر ولا تنثره نثر الرمل؛ ولكن أفزعوا قلوبكم القاسية، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة»^(١).

□ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أنّ الترتيل هو طلب الجنة من الله عند قراءة آيات الجنة، والاستعاذة بالله من النار عند قراءة آياتها، وفي رواية أخرى أنّ الترتيل هو القراءة بصوت حسن»^(٢).

□ المقصود من «القول ثقیل» كما قال المرحوم طيّب في كتابه تفسير أطيّب البيان، إعلان خلافة وإمامة علي بن أبي طالب عليه السلام، حيث كان ذلك الأمر

صعباً على النبي، وليس المقصود به القرآن الكريم؛ لأنه تعالى يأمره بترتيل القرآن؛ لأنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً. فالقرآن قبل القول الثقيل.

□ القرآن كلام ثقيل، بحيث إنه لو نزل على جبل لفتته قطعة قطعة: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ عَلَى الْقُرْآنِ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشُوعًا مُّتَصِّدِعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(١)، وكذلك تلقى الوحي وتبلغ القرآن في المجتمع هو عمل شاق وثقيل جداً: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

□ مع أن النبي موسى ﷺ ظل في جبل الطور يُناجي ربه أربعين يوماً وليلة، إلا أن الله تعالى لم يذكر سوى الليالي: ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾^(٢)، وقد يكون هذا لأن الليالي تتناسب مع المناجاة أكثر من النهار.

التعاليم:

١ - يجب على قائد المجتمع الإسلامي أن يُقلل من أوقات استراحته: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّيْدُ قُرْ آلِيلَ إِلَّا نَيْلًا﴾.

٢ - الليل هو من أفضل الأوقات للعبادة: ﴿قُرْ آلِيلَ﴾.

٣ - يوجد تأكيد إلهي على صلاة الليل: ﴿قُرْ آلِيلَ﴾.

٤ - كانت عبادة الليل واجبة على النبي الأكرم ﷺ: ﴿قُرْ آلِيلَ﴾؛ (كما جاء في موضع آخر: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ﴾^(٣)).

٥ - الاستعداد المعنوي ضروري لتحمل المسؤوليات الثقيلة: ﴿يَا أَيُّهَا الزَّيْدُ قُرْ آلِيلَ... إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾.

٦ - يجب على القادة الدينيين أن يقوموا في الليل لعبادة الله: ﴿قُرْ آلِيلَ...﴾ وأن يقوموا في النهار لينذروا العباد: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾^(٤).

٧ - ليس ثمة حدود لمقدار إحياء الليل: (نصف، ثلث أو ثلثي الليل؛ يجب ألا

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

(٤) سورة المذثر: الآية ٢.

(١) سورة الحشر: الآية ٢١.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤٢.

نُضَيِّقُ عَلَى النَّاسِ لِلْقِيَامِ بِالْأُمُورِ الْعِبَادِيَّةِ. فَلَا يُمْكِنُ وَصْفُ الدَّوَاءِ نَفْسَهُ لِكُلِّ النَّاسِ فِي أَيِّ زَمَانٍ: ﴿يُضَفُّهُ أَوْ أُنْقَضَ مِنْهُ... أَوْ زِدَ عَلَيْهِ﴾.

٨ - يجب الاستراحة جزءاً من الليل، لكي تُؤدَّى العبادة بنشاط: ﴿يُضَفُّهُ أَوْ أُنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلاً أَوْ زِدَ عَلَيْهِ﴾.

٩ - أفضل وسيلة لإيجاد الاستعداد الروحي وكسب القدرة هي الصلاة في الليل وقراءة القرآن: ﴿قُرْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلاً... وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

١٠ - توجد آداب لتلاوة القرآن وأول آدابه هو الترتيل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾.

١١ - تلاوة كل جزء من القرآن هي مقدمة للجزء الآخر: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ... سَتَلْقَى عَلَيْهِ قَوْلًا نَفِيلاً﴾.

١٢ - في فن الإدارة، لا تنظروا إلى كل الظروف بعين واحدة، على القائد أن يتوقع الأعمال الثقيلة منذ البداية: ﴿سَتَلْقَى عَلَيْهِ قَوْلًا نَفِيلاً﴾.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرِ نَوْمَكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾

إشارات:

□ «ناشئة الليل» هي الاستيقاظ من النوم، كما ورد في رواية عن الإمام الصادق والإمام الباقر عليهما السلام (١).

□ «الوطء» وضع القدم على الشيء وجعله تحت القدم. وفي الآية تعني، وضع القدم في طريق العبادة، عن الإمام الصادق في تفسير ﴿أَشَدُّ وَطْأً﴾ أن المراد هو القيام من الفراش في حال أنه لا يريد غير وجه الله (٢).

□ «التبتل» أي الابتعاد عن هوى النفس والتوجه إلى الله.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام أن التبتل هو رفع اليدين في تكبير الصلاة. وعن الإمام الصادق عليه السلام: «التبتل هو رفع يدك إلى الله وتضرّعك»^(١).

صلاة الليل في الروايات:

عن الرسول الأكرم عليه السلام: «خيركم من أطعم الطعام، وأنشى السلام، وصلى والناس نيام»^(٢).

وعنه عليه السلام أنه قال ثلاث مرّات للإمام علي: «عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل، عليك بصلاة الليل»^(٣).

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «أن صلاة الليل هي شرف المؤمن». وفي رواية أخرى أنها فخره وزينته^(٤).

أتى رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: إني قد حُرمت الصلاة بالليل، فقال عليه السلام: «قد قيدتك ذنوبك»^(٥).

وكان في ما أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: «يا موسى، كذب من زعم أنه يحبني، فإذا جثّه الليل نام عتي»^(٦).

عن النبي الأكرم عليه السلام: «الركعتان في جوف الليل أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها»^(٧).

وقد وصفت صلاة الليل في عدد من الروايات بأنها تساهم في: سعة الرزق، وأداء الدين، ورفع الهم والغم، وإبعاد الحسد^(٨).

وفي روايات عدّة أن صلاة الليل سبب لغفران معاصي النهار^(٩).

بيّن الله تعالى في القرآن الكريم ثواب بعض الأعمال؛ ولكنّه يقول عن ثواب صلاة الليل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ...﴾^(١٠).

(٦) الديلمي، أعلام الدين، ص ٢٦٣.

(٧) علل الشرائع، ص ٣٦٣.

(٨) سفينة البحار، ج ٢، ص ٤٦.

(٩) فروع الكافي، ج ٣، ص ٣٦٦.

(١٠) سورة السجدة: الآية ١٧.

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٤٥٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٣٦٠.

(٣) وسائل الشيعة، ج ٥، ص ٢٦٨.

(٤) بحار الأنوار، ج ٨٧، ص ١٤٠.

(٥) المصدر نفسه، ج ٨٠، ص ١٢٨.

التعاليم:

- ١ - عنصر الزمان مؤثر في العبادة: ﴿نَاسِئَةُ أَلِيلٍ﴾.
- ٢ - الليل منشأ لبعض البركات والإفاضات: ﴿نَاسِئَةُ أَلِيلٍ﴾.
- ٣ - عتمة الليل تؤمن البيئة المناسبة لعبادة كلها خشوع، وخضوع، وبعيدة عن الرياء: ﴿نَاسِئَةُ أَلِيلٍ﴾.
- ٤ - تأثير عبادة الليل على الروح أكثر بقاء: ﴿أَشَدُّ وَطْأً﴾.
- ٥ - صلاة الليل عامل لتقوية عقيدة المؤمن وتثبيته: ﴿أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.
- ٦ - حتى النبي محتاج إلى مناجاة الله وذكره: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَتَّيَلَّأُ﴾.
- ٧ - يحتاج التوفيق في النهار إلى كسب القوة من مناجاة الليل: ﴿فَرُّ أَلَيْلٍ... إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا طَوِيلًا﴾.
- ٨ - تقتضي ربوبية الله أن نذكره دائماً: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٩ - في الوصول إلى الكمالات يجب أن تكون أعلى المراتب هي محل نظرهم: ﴿وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَتَّيَلَّأُ﴾.
- ١٠ - الذكر في النهار والعبادة في الليل هما مقدمة للانقطاع الكامل إلى الله تعالى: ﴿وَتَبْتَئِلْ إِلَيْهِ تَتَّيَلَّأُ﴾.
- ١١ - ربوبية الله للمشرق والمغرب هي دليل على وحدانيته وعلى لزوم التوكل عليه: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْلُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ١١ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ١٢ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مِهْلًا ١٤﴾

إشارات:

□ «الهجر» هو الانفصال عن الآخر والانزواء عنه، سواء أكان الانفصال بالقلب أم بالجسد.

□ «نِعْمَة» بكسر النون، تعني الشيء الذي أعطاه الله للإنسان، و«نِعْمَة» بفتح النون، تعني النجاح والعيش والعشرة.

□ «أنكال» جمع نكل وتعني العجز، والنكول هو العجز عن أداء الدين أو القيام بالعمل. وتُطلق كلمة أنكال على السلسلة أو القيود التي تُربط بها يدا الإنسان.

□ جاء في الروايات، أنه أَلَمَّ وجع ضرر شديد بالإمام علي عليه السلام فتعجب من شدة الألم وتذكر العذاب الأليم في الآخرة وتلا قوله تعالى^(١): ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾.

□ «الكثيب» هو تل من الرمال، و«مهيل» الرمل الجاري المنهمر.

□ الإعراض والانزواء عن المعارضين، لا يعني تركهم الدائم والتخلي عن الهدف، ولكنه خطة مؤقتة في مراحل التبليغ. كما ورد في سورة النساء: ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ﴾^(٢).

□ يمكن أن يكون التهديد في هذه الآية ناظراً إلى هزيمة المشركين في مقابل المؤمنين أو إلى العذاب الإلهي في الآخرة: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾.

التعاليم:

١ - ذكر الله، الانقطاع عن الآخرين والتوكل على الله، هي العوامل المساعدة على الصبر في الأزمات: ﴿وَاذْكُرْ... وَبَتَّلْ... فَأَجِدْهُ... وَكَيْلًا... وَأَصْبِرْ﴾.

٢ - من الشروط المهمة للقائد: الصبر وسعة الصدر: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٣ - على القائد أن يتوقع أي نوع من الاتهامات والكلام الجارح: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾.

٤ - قد يجب على قائد المجتمع الإسلامي أن يقاطع أفراداً أو جماعة ويعتزلهم: ﴿وَأَهْجُرْهُمْ...﴾.

٥ - في البدء، يجب الصبر ثم الاعتزال. والصبر مُقَدَّم على الهجر: ﴿وَأَصْبِرْ... وَأَهْجُرْهُمْ﴾.

- ٦ - من السهل على الشخص الذي اتخذ الله وكيلاً لنفسه أن يهجر الآخرين: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا... وَأَهْجُرْهُمْ﴾.
- ٧ - يجب أن يتخذ إبعاد الآخرين شكلاً جميلاً ويكون مناسباً لقائد المجتمع: ﴿هَجَرًا جَمِيلًا﴾.
- ٨ - الشخص الذي يتخذ الله وكيلاً، يفوض أمر الكاذبين إلى الله: ﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا... وَأَهْجُرْهُمْ... وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾.
- ٩ - يواسي الله نبيه في تكذيب الأعداء إياه: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾.
- ١٠ - حماية الله اللامتناهية هي التي تُلهم الإنسان الصبر وتُطمئن قلبه: ﴿وَأَصْبِرْ... وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾.
- ١١ - عادة ما يكون المكذبون من الطبقة المترفة: ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ﴾.
- ١٢ - إن لم تملكوا القدرة على مواجهة أصحاب المال والمقام، فلا تقلقوا؛ لأن الله قادر على مواجهتهم: ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ﴾.
- ١٣ - إمهال المخالفين، سُنّة إلهية: ﴿وَمَهْلَكُهُمْ﴾.
- ١٤ - فترة الترفيه وتكذيب الحق ليست طويلة، وفرصة المكذبين قليلة في الدنيا: ﴿وَمَهْلَكُهُمْ قَلِيلًا﴾.
- ١٥ - إعطاء الله تعالى المهلة للكافرين المرفهين ليس دليلاً على أنه راضٍ عنهم، بل إنها مهلة حتى تحين القيامة: ﴿وَمَهْلَكُهُمْ... إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾.
- ١٦ - على الكافرين ألا يغترون بنجاحاتهم العابرة، فإن من ورائها قيوداً وسلاسل وناراً مسعرة وطعاماً ذا غصة: ﴿أُولَى النَّعْمَةِ... أَنْكَالًا وَجَحِيمًا... ذَا عَصَةِ﴾.
- ١٧ - تبديل الحياة المرفهة بعذاب أليم، هو أمر هين على القادر على أن يبذل الجبال إلى رمال: ﴿أُولَى النَّعْمَةِ... ذَا عَصَةٍ... وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾.
- ١٨ - تبديل الجبال إلى رمال متحركة فيه إشارة إلى عظمة اهتزاز الأرض وزلزال يوم القيامة: ﴿تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً﴾.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ۖ^(١٥)
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ۖ﴾

إشارات:

□ «وبيل» هو الوحيم والثقيل.

□ الشهادة تعني أن الإنسان يرى الشيء ويسمعه بحواسه، واستناداً إلى آيات القرآن الكريم والروايات، فإن النبي الأكرم والأولياء المعصومين عليهم السلام شهود على الأعمال كلها.

□ تكررت كلمة (رسول) في هذه الآيات، لتشير إلى أن مخالفة الأنبياء كانت فقط بسبب مقام رسالتهم، وكذلك تكرار كلمة (فرعون) كان للتأكيد على أن أعتى قدرة لا تقدر على الدفاع أو المواجهة في مقابل العذاب الإلهي.

□ وصف القرآن الكريم الرسول الأكرم عليه السلام بأنه شاهد في آيتين أخيرين^(١).

□ بُعث كل الأنبياء إلى أقوامهم. ما عدا النبي موسى عليه السلام الذي أمر منذ البدء بأن يذهب إلى مجلس فرعون ويدعوه. أجل، فإن محاربة الطاغوت هي في رأس برنامج الأنبياء في المجتمع الذي يحكمه حاكم ظالم: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ۖ﴾

التعاليم:

١ - النبي الأكرم عليه السلام عنده رقابة كاملة على أمته وهو شاهد عليها: ﴿رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكَ ۖ﴾.

٢ - الرسول الأكرم عليه السلام شاهد على الأعمال في الدنيا: ﴿شَهِدًا عَلَيْكَ ۖ﴾، ويُدلي بشهادته في الآخرة: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ۖ﴾^(٢).

٣ - أداء الرسالة مصاحب للرقابة: ﴿رَسُولًا شَهِدًا ۖ﴾.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٥؛ سورة الفتح: الآية ٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٤١.

- ٤ - فلسفة بعث الأنبياء واحدة في كل الأزمنة: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ... كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٥ - خذوا الحكمة من التاريخ، فإنه مرآة العبر: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ... فَمَعَصَى... فَأَخَذْنَاهُ﴾.
- ٦ - عند محاربتكم للمنكرات، اقصدوا رأس الفساد: ﴿أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾.
- ٧ - أعطوا مثلاً عملياً إذا ما وعدتم أو توعدتم الناس، (ذكر الله تعالى بعاقبة فرعون عندما هدد الكافرين المرفهين): ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِيَ النَّفْسِ... فَمَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.
- ٨ - عصيان أمر رسول الله، سبب للابتلاء: ﴿فَمَعَصَى فِرْعَوْنَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾.

﴿كَفَيْكَ تَنَقُّونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ (١٧) السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِئْسَ كَانَ وَعْدُهُ
مَفْعُولًا (١٨) إِنَّ هَٰذَا تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)

إشارات:

- «ولدان» جمع وليد، بمعنى حديث الولادة و«شيب» جمع أشيب بمعنى الكبير في السن ذي الشعر الأبيض. يمكن تفسير الآية ١٧ بطريقتين:
- (أ) يوم القيامة شديد إلى درجة أنه يُصبح فيه الطفل حديث الولادة، عجوزاً.
- (ب) ذلك اليوم طويل لدرجة أن الطفل يكبر حتى يصبح شائباً.
- كلمة «هذه» في: ﴿إِنَّ هَٰذَا تَذَكُّرٌ...﴾ قد يُقصد منها الإشارة إلى نافلة الليل التي ذكرت في أول السورة، مثلما ورد في الآية ٢٩ من سورة الدهر بعد أن أمر بالسجود والتسبيح الطويل في الليل، قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾. أي أن العبادة في جوف الليل هي الطريق إلى الله، من شاء فليسلكه.

التعاليم:

- ١ - لا يوجد سبيل لفرار الكفار من جهنم يوم القيامة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾.
- ٢ - لم يستطع أصحاب النفوذ أن يمنعوا عذاب الله في الدنيا، فكيف بعذاب الآخرة! ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾.
- ٣ - الحزن والغم، المآسي، المصاعب والفشل هي أسباب للشيخوخة المبكرة وابتضاخ شعر الرأس والوجه: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾.
- ٤ - تؤثر أخطار يوم القيامة على الإنسان: ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾؛ وكذلك على السموات: ﴿السَّمَاءُ مُنْفِطِرٌ بِيَوْمٍ﴾.
- ٥ - خلق الإنسان حرّاً: ﴿فَمَنْ شَاءَ...﴾.
- ٦ - معرفة أخطار يوم القيامة عامل للتذكر: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾.
- ٧ - تقتضي ربوبية الله علينا أن نختار سبيله: ﴿أَتُخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي إِلِيلٍ وَصَفَهٗ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ الْإِلَّ وَالنَّهَارَ عَلِيمٌ أَن لَّنْ نَّحْضُوهُ فَنَابَ عَلَيْهِ فَأَقْرَهُوَا مَا يَشَرُّ مِنَ الْفَرَسِ إِنْ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَّرْضًى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَلْتَقُونَ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يَقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَهُوَا مَا يَشَرُّ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَّجِدْهُ عِنْدَ اللَّهِ هَرُ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

إشارات:

- تقول هذه الآية: لا تغفروا إذا ما قمتم بأعمال حسنة من قبيل صلاة الليل وقراءة القرآن ومساعدة المحرومين؛ لأنكم مع هذا بحاجة للاستغفار أيضاً.
- تُبين هذه الآية كيف أنّ الإسلام دين جامع لدمع الليل وجهاد النهار، للارتباط بالله ومساعدة الفقراء، لتلاوة القرآن والأسفار التجارية، وللقيام بأعمال الخير والاستغفار.

□ ورد في الآيات السابقة: قوموا نصف أو ثلث أو ثلثي الليل. تقول هذه الآية: محاسبة هذه الأوقات أمر صعب لن تقدرُوا عليه؛ لذا فقد عفا الله عنكم ومن الآن فصاعداً، قوموا للعبادة متى ما استطعتم وبالمقدار الذي تقدرُون عليه وصلُّوا وقرأوا القرآن. وبالأخص إن كنتم مرضى أو مسافرين.

□ نقل الإمام الرضا عليه السلام عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال في تفسير آية: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾: اقرأوا القرآن طالما امتلكنم الخشوع وصفاء القلب^(١).

□ جاء في هذه الآية السفر للتجارة إلى جانب السفر للجهاد، مع أن الأول أمر دنيوي والثاني أمر أخروي. استناداً إلى الروايات، إذا ما اتقى التاجرُ الله، واجتنب البخس والتطفيف في الميزان، والاحتكار، والاحتيال، وأمن معيشة الناس، فهو كالمجاهد الذي يجول في الميدان ليقتل العدو ويضمن الأمن لمجتمعه^(٢).

□ تلاوة القرآن ليست أمراً واجباً، إلا أنه أوصي بها بشكل كبير. إذ ذكر الأمر مرتين في الآية الواحدة وأكد عليه: ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ...﴾.

□ تتناسب أحكام الإسلام مع قدرات الإنسان وإمكاناته، ولا تُسبب أي عسر أو حرج، مثل تشريع التيمم بدل الوضوء للمريض، وأن يصلي بالوضعية المريحة له، ورفع تكليف الصيام عنه فيعطي كفارة بدلاً منه. سنشير هنا إلى بعض الآيات التي تبين هذه الأوامر الإلهية الخاصة:

﴿عَلِمَ أَن لَّنْ نَّخْصُوهُ فَنَابَ عَلَيْنَا﴾، ﴿فَاقْرَءُوا مَا يَنْسَرُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾، ﴿الَّذِينَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾^(٣)، ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَغْنَوْا﴾^(٤)، ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ﴾^(٥)، ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(٦)، ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا أَتَاهَا﴾^(٧)، ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(٨)، ﴿فَلَمْ

(٥) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٨٦.

(٧) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٨) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(١) تفسير مجمع البيان.

(٢) تفسير الدر المنثور.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٦.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

يَحْذُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا^(١)، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾^(٢)، ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ... وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ﴾^(٣).

التعاليم:

- ١ - علم الله بأحوال عباده هو أحسن دافع للقيام بأعمال الخير: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾.
- ٢ - من بركات العبادة في الليل أن الله تعالى وحده من يعلم بها وهي بعيدة عن أي رياء أو تظاهر: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾.
- ٣ - يعمل النبي وفقاً للأمر الإلهي. قال تعالى في الآيات السابقة: ﴿فَرِ الْإِلَّ... يَصْفَهُ، أَوْ أَنْصَبْ... أَوْ زِدْ...﴾؛ ويقول في هذه الآية: ﴿تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي إِلَّالِ وَيَصْفَهُ، وَتُلُتُّهُ﴾.
- ٤ - ترك الله تعالى الإنسان حرّاً في تعيين مقدار عبادة الليل، حتى يقدر أشخاص أكثر على أدائها، ويصلي كل شخص بمقدار استطاعته: ﴿تُلُتُّنِي إِلَّالِ وَيَصْفَهُ، وَتُلُتُّهُ﴾.
- ٥ - كان من عادة بعض أصحاب النبي القيام في الأسحار: ﴿وَمَا كَانَتْ مِنْ الَّذِينَ مَعَكَ﴾.
- ٦ - من أفضل آداب إحياء الليل، تلاوة القرآن وإقامة الصلاة: ﴿تَقُومُ... فَأَقْرَأُوا﴾.
- ٧ - التكاليف الإلهية يسيرة ولا تلقى الإنسان في مشقة: ﴿فَأَقْرَأُوا مَا يَسَّرَ﴾.
- ٨ - الارتباط بالقرآن وتلاوته في كل الأحوال هو أمر ضروري، حتى على فراش المرض أو السفر والجهاد: ﴿مَرَّيْنِ... يَصْرِيُونَ فِي الْأَرْضِ... يَقْلِيلُونَ... فَأَقْرَأُوا...﴾؛ (إذا كانت تلاوة القرآن ضرورية في الأوقات العصيبة، فهي لازمة في الأوقات العادية من باب أولى).

(١) سورة النساء: الآية ٤٣.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

- ٩ - كسب المال الحلال فضل من الله: ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.
- ١٠ - إمكانات المعيشة هي من فضل الله تعالى ولطفه وإن كان الإنسان يحصل عليها بسعيه: ﴿يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.
- ١١ - يدل ذكر الأسفار التجارية والاقتصادية إلى جانب الأسفار الجهادية والحربية على أهمية التجارة من وجهة نظر الإسلام: ﴿وَأَخْرُجُوا فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَيُخْلِقُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.
- ١٢ - يجب أن يُعطى القرض بأسلوب حسن، بأن يُعطى بإخلاص وبسرعة وبعيداً عن أي منة: ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾.
- ١٣ - إحياء الليل، وتلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، وإعطاء الزكاة، وإقراض الآخرين هي أمثلة على أعمال الخير: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾.
- ١٤ - تزودوا بأعمال الخير لأنفسكم قبل الموت، إما بأنفسكم وإما بالوصية: ﴿تُقَدِّمُوا﴾.
- ١٥ - أعمال الخير ذخركم ليوم القيامة: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.
- ١٦ - تُحفظ أعمال الخير عند الله تعالى ولا تضيع أبداً: ﴿يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ﴾.
- ١٧ - الثواب عند الله مضاعف وعظيم: ﴿هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا﴾.
- ١٨ - لا يظنن أحد أنه بعيد عن القصور والتقصير؛ لأنه وإن أدينا كل التكاليف نحتاج أيضاً للاستغفار: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾.
- ١٩ - ضَمِنَ الله تعالى المغفرة لأهل الاستغفار: ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ...﴾.
- ٢٠ - غفران الله تعالى لمصاحب للرحمة: ﴿عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْمُلْكِ

السورة: ٧٤ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الْمَذْثَرُ ① قُرْ فَأَنْذِرْ ② وَرَبِّكَ فَكْذِرْ ③ وَيَا بَكَ فَطَعِرْ ④ وَالرُّجْزَ فَأَهْجِرْ ⑤ وَلَا تَمْنُنْ ⑥ تَنْكَيْزُ ⑦ وَلِرَبِّكَ فَأَمْصِرْ ⑧﴾

إشارات:

□ وردت كلمة «قم» في القرآن مرتين، وفي المرتين كانت خطاباً للنبي الأكرم ﷺ، إحداهما لصلاة الليل وبناء النفس: ﴿قُرْ أَيْلَ﴾، والأخرى للإرشاد وبناء المجتمع: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾.

□ «مذثر» من (ذثار) وهو اللباس الذي يوضع على الجسم فوق الثياب الملبوسة أو يستخدم كغطاء عند النوم. (ويقابله «شعار» وهو اللباس السفلي).

□ نلاحظ الأمر بالتكبير في تكبيرات الأذان، والإقامة، وتكبيرة الإحرام، وكذلك التسيحات الأربع في الصلوات الواجبة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام أنه فسر تطهير الثياب في الآية بالتقصير. فقد كان لباس كبار القوم في الجاهلية طويلاً لدرجة أن جزءاً من الثوب كان يزحف وراءهم على الأرض وكانوا يستأجرون أفراداً ليحملوا لهم ذلك الجزء.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام أنه فسر ذلك برفعها كي لا تصيبها أوساخ الأرض^(١).

□ كلمة «رُجْز» مرادفة لـ (رجس) بمعنى الفسق والنجاسة؛ ولهذا تُستخدم في

- موارد الذنب، الشرك، الأصنام، العذاب وكل عمل أو خلق سيئ.
- طرحت السورة السابقة برنامج عبادة الليل والارتباط بالله تعالى: ﴿قُرْ أَيْلَ﴾، وتطرح هذه السورة برنامج النهار والعلاقة مع الناس: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾.
- المصداق الواضح للعمل بهذه الآية هو ذكر (الله أكبر): ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾.
- تكبير الله يعني تصغير غيره. مثل الطائفة، كلما ارتفعت في الجو، تُصبح الأرض وما عليها أصغر. من يكون الله عنده كبيراً ويقول الله أكبر من صميم وجوده، تكون الدنيا عنده صغيرة ولا يخشى أي قوة^(١). كما نقرأ من بين صفات المتقين في خطبة همام في نهج البلاغة: «عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دون ذلك».
- إنَّ الله كبير بالمطلق. أكبر وأعظم من كل المراتب، المسموعات، المكتوبات، الأفكار والتوصيفات ... إلخ.
- ثمة نقاط عدّة تؤثر في الإرشاد والإنذار: الطهارة الظاهرية: ﴿وَرَبَّكَ فَطَهِّرْ﴾، الطهارة المعنوية: ﴿وَالْزَّجَرَ فَاغْزُرْ﴾، الإخلاص في العمل: ﴿وَلَا تَنْنُ تَنْكِرْ﴾، الصبر والسعي: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

التعاليم:

- ١ - تشمل عناية الله الخاصة واهتمامه، كل أحوال النبي الأكرم: ﴿يَأْتِيهَا الْمُنِيرُ﴾.
- ٢ - نجاة الناس مشروطة بتحريك القادة الدينيين وتركهم للاستراحة والانزواء: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾.
- ٣ - يُعطي الأنبياء البشارة وكذلك الإنذار، وإيقاظ الناس من غفلتهم يجب إنذارهم لا تبشيرهم: ﴿قُرْ فَأَنْذِرْ﴾.

(١) كان الإمام الخميني عليه السلام يعتقد بأهمية التكبير ولهذا كان يقول: لا تستطيع أمريكا أن ترتكب أي حماقة.

- ٤ - الإنسان مُعرّض لأنواع من المخاطر، ووظيفة الأنبياء هي تحذير الناس من الأخطار الدنيوية والأخروية: ﴿فَأَنذِرْ﴾.
- ٥ - قوموا بكل وجودكم لتنفيذ الأوامر الإلهية: ﴿فَزُ فَأَنذِرْ﴾.
- ٦ - قام الأنبياء بعد أمر الوحي إياهم، لا طلباً للزعامة أو هوى النفس: ﴿فَزُ فَأَنذِرْ﴾.
- ٧ - كبروا الله بقلوبكم ورووحكم وكذلك بلسانكم: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.
- ٨ - من يعتقد بأن الله هو الكبير، يرى العدو وحيّله ومكره وأذيته، صغاراً: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.
- ٩ - الكبير خاص بالله تعالى لا بالآخرين. (جاءت كلمة (ربك) قبل كلمة (فكبر) وهذا يدل على الحصر).
- ١٠ - لكي يكون كلام القائد السماوي نافذاً، يجب أن يكون القائد طاهراً من كل دنس: ﴿وَيَبَّاكَ فَطَهِّرْ﴾.
- ١١ - ذكر النظافة والطهارة إلى جانب التوحيد والتكبير دليل على اهتمام الدين بالنظافة: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَيَبَّاكَ فَطَهِّرْ﴾.
- ١٢ - لا يهتم الإسلام بنظافة الجسم فقط، بل يهتم بنظافة اللباس كذلك: ﴿وَيَبَّاكَ فَطَهِّرْ﴾.
- ١٣ - يجب على قائد المجتمع الإسلامي الابتعاد عن كل أنواع الرجس، لكي يكون أسوة وقدوة للجميع: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.
- ١٤ - بناء النفس مقدّم على بناء المجتمع. من يريد أن يطهر المجتمع من كل أنواع النجاسات، يجب أن يطهر نفسه أولاً: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾.
- ١٥ - لا تمنّ على الله بالعبادة والإنفاق، وتظنّ بأن أعمالك كثيرة ولا تمنّ على خلق الله بما تعطيهم: ﴿وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكَبِرْ﴾.
- ١٦ - المنّ في الإنفاق والعطية دليل على فساد الروح: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمَنَّ تَسْتَكَبِرْ﴾.

١٧ - أحد شروط نجاح القائد والمبلغين هو الابتعاد عن المن والاستكثار: ﴿فَذَرِّ فَاَذَرِّ﴾.

١٨ - لا يجب على القائد الديني أن ينتظر شيئاً من الناس: ﴿وَلَا تَمُنْ تَسْكَرُ﴾.

١٩ - يكون للصبر والثبات مكانة قيمة إذا ما كان في سبيل الله، وفي غير هذه الحالة فهو عناد ليس أكثر: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

٢٠ - السعي والإصرار وسيلتان لرشد الإنسان: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

٢١ - يلزم الصبر على المصيبة، والمعصية والطاعة؛ ولكن هداية الناس يلزمها صبر خاص: ﴿فَذَرِّ فَاَذَرِّ... وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾.

٢٢ - يجب أن تكون مقاومة القائد الإسلامي جامعة: الصبر على الاتهام، على الأذية، التكذيب، والصبر والثبات في التبليغ، والإنذار، والعبادة: ﴿فَذَرِّ... فَاصْبِرْ﴾.

٢٣ - تحتاج دعوة الناس إلى عزيمة صادقة: ﴿فَاَذَرِّ... فَاصْبِرْ﴾.

﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّاوَرِ ۝٨ فَذَلِكَ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠ ذَرِّ وَمَنْ خَلَقْتُ وَجِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۝١٢ وَبَيْنَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤﴾

إشارات:

□ «الناقور» الشيء الذي يُدقّ عليه لإصدار صوت، من مثل الطبل، أو يُنفخ فيه كالبوب، والمقصود به هنا هو النفخ في الصور كما ورد في آية أخرى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ ۝١﴾، ومن هذه الكلمة جاءت تسمية منقار الطائر، إذ إنها وسيلة للدق وصنع الثقوب، وكذلك صوت البوق فكأنه يثقب الأذن ويدخل إلى الدماغ.

□ ورد في القرآن الكريم موردين للنفخ في الصور: النفخة الأولى يموت علي أثرها الجميع، والنفخة الثانية يحيا بها الجميع مرة أخرى.

□ كان ثمة مركز باسم (دار الندوة) بجانب المسجد الحرام، وكان المشركون يجتمعون فيه للمشاورة. كان الوليد بن المغيرة، شخصاً مشهوراً ومعروفاً بعقله ودرايته، قال مرة في أحد مجالس ذلك المركز: دعونا نؤحد كلامنا لمواجهة محمد، ونعطي زائري الكعبة جواباً واحداً حول محمد. قال أحدهم: فلنقل إنّ محمداً شاعر، وقال آخر: نقول إنّ كاهن، وقال ثالث: إنّه مجنون. عبس الوليد وقال: لقد سمعنا شعراً كثيراً ولكن كلام محمد لا يشبه الشعر في شيء، وليس فيه أثر من جنون، وكلامه مختلف عن كلام الكهنة. فقرروا أخيراً أن يقولوا إنّ محمداً ساحر ويُفَرِّق بين أبناء الأسرة الواحدة، والأشخاص الذين آمنوا به قد انفصلوا عن أفراد عائلتهم في البيت الواحد.

يقول الله تعالى في هذه الآيات عن الوليد: لقد خلقته وجعلت له الكثير من المال والبنون؛ ولكنه أساء استخدام فكره وقدراته وواجه النبي، فليهلك إذاً.

□ المقصود من «وحيداً» في: ﴿خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هو أحد المعاني التالية:

١ - (وحيد) صفة للمخلوق، أي أنّه كان وحيداً عاجزاً وفقيراً وأنا أنعمت عليه.

٢ - (وحيد) صفة للخالق، أي أنا خلقته وحدي وأنا من سآحاسبه وحدي.

التعاليم:

١ - يُصاحب نهاية هذا الكون وبداية الكون الجديد، صوت مُرعب وعظيم: ﴿تَفَرَّ فِي الْآفَاقِ﴾.

٢ - يوم القيامة صعب جداً على الكافرين، ولا يستطيع الكافر مع مرور الزمان أن يعتاد تلك الصعاب ولا تُصبح سهلة عليه: ﴿عَسِيرٌ... غَيْرَ يَسِيرٍ﴾.

٣ - يواسي الله تعالى نبيه ويقول له اترك العدو لي: ﴿ذَرْنِي...﴾.

٤ - أصل الخلق وكذلك أمور الحياة، كلها بيد الله تعالى: ﴿خَلَقْتُ... وَجَعَلْتُ﴾.

٥ - لا ينبغي أن نغتر اليوم إذا ما امتلكننا الأموال والأولاد، ولا ننس بأننا قد جئنا بمفردنا وسنذهب يوماً ما بمفردنا: ﴿خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾.

٦ - ترتبط ممتلكات البشر بإرادة الله ومشيبته. لا تظنوا أن النعم التي أعطيت لكم هي نتيجة علمكم وذكاكم: ﴿وَجَعَلْتُ... وَمَهَّدْتُ﴾.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ١٥ ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عِينِدًا﴾ ١٦ ﴿سَأَرْهُقُهُ صُعُودًا﴾ ١٧ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ ١٨ ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ١٩ ﴿ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ٢٠ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ٢١ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ ٢٢ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ ٢٣ ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾ ٢٤ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ٢٥

إشارات:

□ «عنيد» من العناد، أي أن الكافرين قد فهموا الحق؛ ولكنهم لم يقبلوه بسبب عنادهم.

□ «أرهقه» من الإرهاق أي حث شخص ما على عمل صعب.

□ «صعود» يعني الطريق المرتفع وتعني المشقة الصعبة التي يكون العبور منها وتجاوزها أمراً شاقاً وصعباً.

□ المراد من «قَدَّرَ» هو التقدير، أي المقارنة بين القرآن والسحر والشعر والتكهن.

□ استخدم القرآن كلمة «قُتِلَ» مرّة واحدة في حديثه عن الكفر والكذب: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾^(١)، ﴿قُتِلَ الْفَرَّاصُونَ﴾^(٢).

ولكن في حديثه عن المؤامرة على النبي الكريم والقرآن، كرّر الكلمة مرتين: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

□ قال الله تعالى في الآية ٢٣: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾، سوف نرى الآن ما هو جزاء الذي يُعرض عن الحق ويخالفه؟

يقول القرآن الكريم إن الأشخاص الذين يعرفون الحق ويكفرون به ويُعرضون عنه لهم عقوبات متعددة من بينها:

(١) سورة عبس: الآية ١٧.

(٢) سورة الذاريات: الآية ١٠.

- يَفْقَدُونَ طَرِيقَهُمْ وَهَدَفَهُمْ فِي الْحَيَاةِ: ﴿أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ﴾^(١)،
- يُبْتَلُونَ بِضِيقِ الصَّدْرِ: ﴿يَجْعَلُ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا﴾^(٢)،
- يُبْتَلُونَ بِضِيقِ الْعَيْشِ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^(٣)،
- يُتَسَلَّطُ عَلَيْهِمُ الْفُشْلُ وَالْتِعَاسَةُ: ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالْسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٤)،
- يُحْرَمُونَ الْإِسْتِفَادَةَ الصَّحِيحَةَ مِنَ النِّعَمِ الْإِلَهِيَّةِ. يَقُولُ الْقُرْآنُ: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةً﴾^(٥)،
- أَعْمَالُهُمْ كَسْرَابٍ وَرَمَادٍ مُتَطَايِرٍ: ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَامٍ يَفِيعَةٍ﴾^(٦)، ﴿أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ أَشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾^(٧)،
- تَزْدَادُ خَسَارَتُهُمْ كُلَّ لَحْظَةٍ: ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٨)،
- بَعِيدُونَ عَنِ الْحَقِّ دَائِمًا: ﴿صَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٩)،
- لَيْسَ لَهُمْ طَرِيقٌ إِلَّا جَهَنَّمُ: ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ﴾^(١٠)،
- وَبَنَعَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْضَ النَّاسِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ إِذْ إِنَّ الْعَدُوَّ يَخْطُطُ وَيَنْفِذُ وَهُمْ غَافِلُونَ: «تَكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ.. لَا يَنَامُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ»^(١١)،
- يَفْقَدُ الْأَشْخَاصُ الْعَنِيدُونَ عَادَةَ اعْتِدَالِهِمْ بِشَكْلِ كَامِلٍ وَيَتَعَامَلُونَ بِأَسْلُوبِ قَاسٍ. مَعَ أَنَّ كَلِمَتِي (عَبَسَ) وَ(بَسَرَ) تَحْمِلَانِ الْمَعْنَى نَفْسَهُ تَقْرِيْبًا، إِلَّا أَنَّ ذِكْرَ الْكَلِمَتَيْنِ مَعًا دَلِيلٌ عَلَى شِدَّةِ الْقِسْوَةِ. إِذَا كَانَ الْإِعْرَاضُ نَاشِئًا عَنِ الْإِسْتِكْبَارِ قَدْ تَأْتِي (عَبَسَ وَبَسَرَ) مَعًا، وَلَكِنْ وَرَدَ فِي الْآيَاتِ كِلْتَا كَلِمَتِي الْإِدْبَارِ وَالْإِسْتِكْبَارِ كَذَلِكَ: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾.

(٧) سورة إبراهيم: الآية ١٨.
 (٨) سورة فاطر: الآية ٣٩.
 (٩) سورة النساء: الآية ١٦٧.
 (١٠) سورة النساء: الآيتان ١٦٨، ١٦٩.
 (١١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣٤.

(١) سورة الأنعام: الآية ٧١.
 (٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٥.
 (٣) سورة طه: الآية ١٢٤.
 (٤) سورة النحل: الآية ٢٧.
 (٥) سورة البقرة: الآية ٧.
 (٦) سورة النور: الآية ٣٩.

التعاليم:

- ١ - الإنسان البعيد عن الله، طماع وطالب للمزيد: ﴿يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾.
- ٢ - لن يصل العدو إلى كل أمانيه: ﴿يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا﴾.
- ٣ - واجهوا التوقعات غير المنطقية بإحكام وحزم: ﴿يَطْمَعُ... كَلَّا﴾.
- ٤ - إذا ما تمكّن العناد من الإنسان، فإنه سيكذب الآيات الإلهية: ﴿كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾.
- ٥ - العناد سبب لزوال النعمة: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾.
- ٦ - العناد سبب للعذاب المهلك: ﴿عَنِيدًا سَأَزِيدُهُ صَعُودًا﴾.
- ٧ - ينتج عن الرفاه والغفلة الدنيوية، عذابات شديدة في يوم القيامة. (أجل، فورا كل هبوط، صعود): ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا... سَأَزِيدُهُ صَعُودًا﴾.
- ٨ - يعمل العدو بناءً على برنامج وتفكير: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.
- ٩ - يخطط العدو لمحاربة القرآن والآيات الإلهية: ﴿كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا... إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾.
- ١٠ - ليس لكل فكر قيمة، وليس لكل مفكر مقام: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.
- ١١ - فليعلم المتواطئون أنهم ملعونون حتى من اللاحقين: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.
- ١٢ - الدعاء على العدو ليس جائزاً فحسب، بل إنه لازم كذلك: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.
- ١٣ - يجب اللعن الدائم على القادة الفاسدين والأشخاص الذين يُضِرّون بالثقافة عن طريق أفكارهم واقتراحاتهم: ﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.
- ١٤ - التفكير السيئ هو مقدمة للقرار الخاطيء والخطير. (الآية الشريفة بدل من أن تقول (فقتل كيف فكّر) قالت مرتين: ﴿قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾).
- ١٥ - لحظة من التفكير تستطيع أن تكون مقدمة للخير أو للشر لفترات طويلة. تكررت كلمة (فكّر) مرّة واحدة في حين تكررت كلمة (قدّر) ثلاث مرّات.

١٦ - يحافظ العدو على استمرارية أفكاره وأطروحاته ويقويها عن طريق الرقابة والتقدير: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ... ثُمَّ نَظَرَ﴾.

١٧ - لا تتوقعوا أن يضحك العدو ويتسم لكم: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾.

١٨ - ينتظر العدو وقتاً طويلاً ويصبر ليصل إلى النجاح: ﴿ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ، ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ (تُستعمل كلمة (ثم) عادة في الموارد التي تقع بينها فواصل زمنية طويلة).

١٩ - حتى في نظر الكافرين، فإن القرآن كلام مليء بالجازبية والسحر: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ﴾.

﴿سَاطِئِهِ سَقَرٌ ۖ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا بُدَّ لَكَ ۖ وَلَا تَذَرُ ۚ لَوَاسِئٌ لِلْبَشَرِ ۚ﴾
﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۚ﴾

إشارات:

□ «سَقَر» من أسماء جهنم، وتعني في الأصل، الذوبان مقابل حرارة الشمس^(١).

□ التلويع بمعنى تغير اللون إلى الأسود أو الأحمر.

□ «بَشَر» جمع «بشرة» وتعني ظاهر الجلد.

□ جاء في التاريخ أن أبا جهل حين سمع أن لجهنم تسعة عشر مأموراً، قال لأصحابه: كل عشرة أشخاص منكم يغلبون واحداً منهم. فقال أحد أقوياء قريش: أنا أغلب سبعة عشر منهم وأنتم أغلبوا الاثنين المتبقين^(٢).

□ قال بعضهم: المقصود من الآية ﴿لَا يُبْقِي وَلَا يَذَرُ﴾ أن نار جهنم لا تقتل ولا تبقي على الحياة، على نسق آية: ﴿لَا يَبُوتُ فِيهَا وَلَا يَخْيَى﴾^(٣)، وكذلك آية: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾^(٤).

(٣) سورة الأعلى: الآية ١٣.

(٤) سورة النساء: الآية ٥٦.

(١) مفردات الراغب.

(٢) تفسير مجمع البيان.

التعاليم:

- ١ - لا يمكن إدراك حقيقة جهنم إلا عن طريق الوحي: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَعَرُ﴾.
- ٢ - نار جهنم واسعة شاملة: ﴿لَا بُقْيَ﴾، ولا تنطفئ كذلك: ﴿لَا تَذَرُ﴾.
- ٣ - المعاد جسماني: ﴿لَوَاةٌ لِلْبَشَرِ﴾.
- ٤ - جزاء من يُغيّر الوحي الإلهي ويصور للناس أنه سحر هو أن يتغير جلد جسمه في نار جهنم: ﴿لَوَاةٌ لِلْبَشَرِ﴾.
- ٥ - إذا كان بمقدور ملاك واحد أن يقبض روح جميع الناس، وبمقدور ملاكين اثنين أن يخسفوا مدينة لوط ويهلكوا أهلها، فبإمكان تسعة عشر ملاكاً أن يتولوا مسؤولية تعذيب المجرمين: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ﴾.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَسْعَبَ النَّارِ إِلَّا مَلَكَةً وَمَا جَعَلْنَا عَذَابَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَفِينَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَلَا يُرَايَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا مِنَّا إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

إشارات:

□ يقول الفخر الرازي في التفسير الكبير: يبعث العدد ١٩ اليقين عند أهل الكتاب والمسلمين من جوانب عدة:

(أ) لأنّ هذا العدد نفسه قد ورد في الكتب السماوية السابقة أي التوراة والإنجيل، قال أهل الكتاب: كيف لشخص لم يقرأ ويدرس أن يطلع على هذا؟ حتماً إنه قد أوحى إليه إذاً.

(ب) سيكون إيمان أهل الكتاب بحقانية القرآن سبباً في ازدياد إيمان المسلمين.

(ج) تعيين عدد المأمورين بتسعة عشر، قد يكون دافعاً لسخرية بعضهم وتعجبهم، والإنسان عادة لا يقول شيئاً ليضحك الناس منه. وبما أن

القرآن قد ذكر هذا العدد على أنه تعداد الملائكة الموكلين بجهنم، فيُصبح واضحاً عندها أنه كلام الوحي.

□ نسبت بعض آيات القرآن إضلال الناس إلى الله تعالى. مثل هذه الآية التي تقول: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾؛ لكن يجب أن نعلم أن المقصود من الإضلال هو ترك الشخص بحال نفسه؛ أي أن الله يكل الطالحين إلى أنفسهم. مثل المزارع الذي يترك الحبوب الفاسدة ويضعها جانباً ويحتفظ بالحبوب الجيدة ويهيئ لها الأسباب للنمو.

□ أحد طرق زيادة إيمان المؤمنين، مطالعة التوراة والإنجيل ومقارنتهما بالقرآن. فهذه الطريقة، يستخرجون الموارد المحرّفة في تلك الكتب السابقة وسيجدون كذلك موارد مشتركة عدة مما يثبت أن القرآن حق.

□ يجب أن نتعامل مع الأحكام والمطالب الدينية باحترام، وألا نحقر أو نُهين أي أمر قد يُثير تعجبنا.

بيان عدد الملائكة وأنهم تسعة عشر هو وسيلة للامتحان ليتّضح من سيتقبل الأمر ممن سيسخر منه.

□ إدارة أمور الوجود وتديرها أمر محسوب ودقيق جداً. الموظفون بتنظيم الوجود، يتخذون مواقعهم على حسب الحاجة إليهم، لا واحد أكثر ولا واحد أقل.

بناءً على العلم الإلهي، فإن تسعة عشر ملاكاً يكفون لإدارة جهنم وأهلها. إذا لن يُضاف فرد واحد، وهذا أفضل درس للمدراء عند تعيين الموظفين، أن يُوظفوا بناءً على الحاجة والضرورة.

التعاليم:

- ١ - الموكلون بالنار هم من الملائكة: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾.
- ٢ - الشخص النقي من الدنس، المنزه عن ارتكاب ما ينهى الآخرين عنه هو من يستطيع أن يُجري القوانين والأحكام الإلهية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾.

- ٣ - ذكر تعداد ملائكة جهنم هو امتحان للكفار: ﴿إِلَّا نَشْتَهُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.
- ٤ - ثمة أشخاص منصفون بين أهل الكتاب يؤمنون إذا ما رأوا أن الإسلام حق: ﴿لَيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾.
- ٥ - يُخبر القرآن عما سيقوله مرضى القلوب في المستقبل: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾.
- ٦ - لا يبتدىء الله تعالى الكافرين بالاضلال، وإنما هو عقاب لهم. (مثل اللص الذي يدخل إلى المنزل فتغلق الباب بوجهه، في هذه الحالة حبس اللص هو جزاء له على عمله): ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾.
- ٧ - يتفق الكفار والمنافقون في عداوتهم للإسلام والمسلمين: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ﴾.
- ٨ - أحياناً، قد يكون أمر بسيط سبباً في هداية بعض الناس واضلال بعض آخر: ﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.
- ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٢١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ﴿٢٢﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴿٢٣﴾ إِنَّهَا لَآخِذَى الْكُبَرِ ﴿٢٤﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾
- لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٢٧﴾﴾

إشارات:

- «أسفر» من (سفر) بمعنى كشف الستار والإظهار، وتطلق كلمة «سافرات» على النساء غير المحجبات.
- «كُبرى» جمع (كُبرى) أي أن العذاب الذي ذكر في الآيات السابقة، ليس إلا أحد عذابات الله الكبيرة وثمة عذابات أخرى كبيرة.
- القمر من آيات الله الكبرى، فهو يدور حول الأرض، يُنير في المساء، يُعتبر تقوياً طبيعياً، يُسبب الجزر والمد وله أدوار أخرى في الكون، ولهذا استحق أن يكون موضعاً للقسم.
- أقسم الله بكل الأوقات مرة واحدة؛ ولكنه أقسم بالسحر ثلاث مرات:

﴿وَالْفَجْرِ﴾^(١)، ﴿وَالصُّحَى﴾^(٢)، ﴿وَالضُّحَى﴾^(٣)، ﴿وَالْمَصْرِ﴾^(٤)، ذُكِرَتْ كُلُّهَا مَرَّةً واحدة؛ ولكن ذكر الوقت الذي ينتهي فيه الليل ويأتي السحر بثلاثة تعبيرات: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٥)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾^(٦)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ﴾^(٧).

□ عن الإمام الكاظم عليه السلام، أنه فسر قوله تعالى: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾، بالتقدم والتأخر عن جهنم وإليها، وربط ذلك باختيار ولاية أهل البيت ورفضها.

التعاليم:

- ١ - تتمتع مخلوقات الله الطبيعية بأهمية تجعلها أهلاً للقسم: ﴿وَالْمَصْرِ﴾.
- ٢ - تحذيرات نبي الإسلام موجهة إلى البشر جميعاً: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾.
- ٣ - تحذيرهم أمر ضروري لإرشادهم: ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾.
- ٤ - يملك الإنسان الإرادة والاختيار: ﴿لَمَنْ شَاءَ﴾.
- ٥ - الإنسان المتدين متقدم على الآخرين والإنسان الذي لا دين له متأخر: ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾ (٣٨) ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾ (٣٩) ﴿فِي جَنَّاتٍ يَسَاءَلُونَ﴾ (٤٠) ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٤١) ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) ﴿قَالُوا لَرَنَّا مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾ (٤٣) ﴿وَلَرَنَّا مِنْ تِلْكَ الْكَلْبِ الْمُنِزِّلِ﴾ (٤٤) ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاطِمِينَ﴾ (٤٥) ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٤٦) ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (٤٧)

إشارات:

□ المقصود بأصحاب اليمين هم الفريق نفسه الذي ذكر في الآية ٢٧ من سورة

(٥) سورة المدثر: الآية ٣٣.

(٦) سورة الفجر: الآية ٤.

(٧) سورة التكويد: الآية ١٧.

(١) سورة الفجر: الآية ١.

(٢) سورة المدثر: الآية ٣٤.

(٣) سورة الضحى: الآية ١.

(٤) سورة المصير: الآية ١.

الواقعة: ﴿وَأَحْتَبُ الْيَقِينَ مَا أَحْتَبُ الْيَقِينَ فِي سِدْرِ تَحْضُرٍ﴾ وهم الأشخاص الذين يحملون كتاب أعمالهم يوم القيامة بيدهم اليمنى.

□ تكثر في يوم القيامة الحوارات المريرة والسعيدة، السلام أو اللعن، السؤال والتوبيخ، تحميل الذنب للآخرين وإلقاء اللوم عليهم ولعنهم، وقد جاء في القرآن تحاور المؤمنين مع المؤمنين، المجرمين مع المجرمين، المجرمين مع المؤمنين، والمؤمنين مع المجرمين، وكذلك تحاور الملائكة مع المؤمنين والمجرمين.

□ إما أن يكون المقصود من إطعام المسكين الزكاة الواجبة والتي يستلزم تركها جهنم، وإما المقصود أنه وإن أدت الزكاة إلا أنه ثمة جوعى في المجتمع إطعامهم واجب، وعدم الاهتمام بهم سبب لدخول جهنم.

□ قد يكون المقصود من إطعام المسكين هو كل احتياجاته من لباس ومسكن، لا الطعام والشراب فقط.

□ تكذيب يوم القيامة مقدمة للذنب: ﴿أَزَعَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْيَقِينِ ۖ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَقِينَ ۖ﴾^(١). وكذلك، فإن الذنوب تجر الإنسان إلى الكفر والتكذيب: ﴿ثُمَّ كَانَ عِقَبَةَ الَّذِينَ آسَأُوا السُّؤَالَ أَنْ كَذَّبُوا﴾^(٢)، وعلى هذا فإن ما في الآية: ﴿وَكَاكَ نَكَذِّبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ قد يكون السبب في الأعمال التي قام بها المجرمون أو تكون نتيجة لذنوبهم.

□ المقصود من «اليقين» في هذه الآية هو الموت. إما لأنه أكثر أمر متيقن عند الجميع ولا يشك أحد بوقوعه، وإما لأن الحقائق كلها تتكشف للإنسان عند الموت ويصل الجميع إلى درجة اليقين والتصديق: ﴿حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ﴾

□ الصلاة التي تُصلى أحياناً ويُتغاضى عنها مرة أخرى، هي صلاة لا تجعل الإنسان من المصلين: ﴿لَوْ أَنَّكَ مِنَ الْمَصْلِينَ﴾ أي أن صلاتنا لم تكن دائمة. جاء أيضاً في سورة الماعون: ﴿نُؤَيِّلُ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ

سَاهُونَ^(١) وهكذا صلاة لا تجعل الإنسان مشمولاً بشفاعاة الشافعين: ﴿لَرَّكَ مِنْ الْمُصَلِّينَ... فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(٢)، وهو الحديث نفسه المعروف عن الإمام الصادق عليه السلام الذي قاله عند شهادته إذ قال: أحضروا أقاربي وقال لهم: «لا ينال شفاعتنا من استخف بالصلاة»^(٣).

□ الناس إما فائز وإما خائض. يعني إما أن يصلوا للفوز والفلاح، وإما أن يخوضوا في الباطل ويغرقوا فيكونوا خائضين.

□ نقل القرطبي، أحد المفسرين المعروفين عند أهل السنة، عن الإمام الباقر عليه السلام قوله: «نحن وشيعتنا أصحاب اليمين وكل من أبغضنا أهل البيت فهم المرتهنون»^(٤).

التعاليم:

- ١ - تصرفات الإنسان هي التي تبني شخصيته: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾.
- ٢ - تتعلق نجاة الإنسان في يوم القيامة وخلاصه من العذاب الإلهي بجوابه عن الأسئلة في محكمة العدل الإلهي: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾.
- ٣ - طرح الأسئلة المتتالية على المجرمين يوم القيامة هو ضرب من التعذيب النفسي: ﴿يَسْأَلُونَ عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾.
- ٤ - لا يذهب الشخص إلى النار للذنوب واحد اقترفه، وإنما هو الإصرار والاستمرار على الذنب والفساد الذي يؤدي به إلى جهنم. (تشير عبارتا (لم نك) و(كنا) على استمرارية العمل).
- ٥ - إطعام المسكين واجب وإن لم يكن مسلماً: ﴿لَرَّكَ مِنْ الْمُصَلِّينَ﴾.
- ٦ - قضاء العمر بالباطل هو أمر لا يغتفر: ﴿وَكُنَّا نَحْضُ مَعَ الْخَافِضِينَ﴾.
- ٧ - الانخراط بالجماعة الفاسدة هو أحد أسباب دخول جهنم: ﴿وَكُنَّا نَحْضُ مَعَ الْخَافِضِينَ﴾.

(٣) الكافي، ج ٣، ص ٢٧٠.

(٤) تفسير القرطبي.

(١) سورة الماعون: الآيتان ٤ و ٥.

(٢) سورة المذثر: الآية ٤٣ و ٤٨.

- ٨ - رفيق وجليس السوء سبب ممهد لجهنم: ﴿وَكُنَّا نَحْوُ مَعَ الْخَافِضِينَ﴾.
 ٩ - الموت ليس فناء؛ ولكنه تحرر من الأسر المادي للدنيا ورؤية للحقائق الماورائية: ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ حَتَّى أَتْنَا الْيَقِينَ﴾.

﴿فَمَا نَفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٤٨) ﴿فَمَا لَمْ يَنْتَفِعُوا بِتُورِ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (٤٩) ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَفِيرَةٌ﴾ (٥٠)
 ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ (٥١) ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةٌ﴾ (٥٢) ﴿كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ
 الْآخِرَةَ﴾ (٥٣) ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ﴾ (٥٤) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكُرْهُ﴾ (٥٥)

إشارات:

- «حُمُر» جمع «حمار» وتطلق على الحمار الوحشي.
 □ توجد نقاط عدة كامنة خلف تشبيه القرآن الفرار من القرآن بفرار الحمر الوحشية من الأسد:
 أ) فرار الحُمُر من الأسد لا يكون مبنياً على العقل والشعور.
 ب) يكون هذا الهروب مصاحباً للخوف.
 ج) لا يكون للفرار هدف خاص.
 د) ليس للفرار قدرة على الاستراحة وتجديد طاقته وستكون نهايته الحتمية هي الأسر.

□ «قَسُورَةٍ» من «قَسَر» بمعنى القهر والغلبة وهو أحد أسماء الأسد وتستخدم في بعض المواضع بمعنى الصياد. والظاهر أنّ المقصود هو فرار الحُمُر من الصياد أو من الأسد.

□ جاء في بعض الروايات أن أبا جهل وجماعة من قريش قالوا لنبي الإسلام ﷺ: لن نؤمن بك حتى تأتي لنا بكتاب من السماء كُتب فيه: من خالق العالمين إلى فلان بن فلان ويرد فيه أمر صريح لنا، عندها سنؤمن بك^(١).

□ ورد في آيات من القرآن الكريم حديث عن توقعات الكفار غير المنطقية: ﴿وَلَنْ تُؤْمِنَ لِرَفِيقِكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ﴾^(١). وفي سورة الأنعام كذلك ورد ما يشابه هذا القول: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتِيَ مَثَلًا مِمَّا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ﴾^(٢)، ويقول الله تعالى جواباً عن هذه التوقعات الفارغة: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٣).

شفعاء يوم القيامة:

جاء في القرآن والروايات أنّ أشخاصاً يُسمح لهم يوم القيامة بأن يشفعوا للآخرين. نقرأ في رواية للنبي ﷺ: «أنا أول شافع»^(٤).

- القرآن: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «من يشفع له القرآن يوم القيامة يشفع فيه»^(٥).

- الأنبياء: ورد في الروايات أنّ الأنبياء يشفعون يوم القيامة: «يشفع الأنبياء»^(٦).

- الأئمة المعصومون والشيعة الحقيقيون: نقرأ في رواية عن الإمام المعصوم: «لنا شفاعة ولأهل مودتنا شفاعة»^(٧).

- الملائكة: «يؤذن للملائكة والشهداء أن يشفعوا»^(٨).

- الشهداء: يشفع كل شهيد يوم القيامة لسبعين فرداً من عائلته^(٩).

- العبادات: عبادة العبد من أسباب الشفاعة يوم القيامة «الصيام والقرآن شفيعان للعبد يوم القيامة»^(١٠).

شروط الانشمال بالشفاعة:

عرّف القرآن والروايات، المُشفّعين بأنهم من يملكون الخصائص الآتية:

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الإسراء: الآية ٩٣. | (٦) مسند أحمد، ج ٣، ص ١٢. |
| (٢) سورة الأنعام: الآية ١٢٤. | (٧) الخصال، ص ٦٢٤. |
| (٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٥. | (٨) مسند أحمد، ج ٥، ص ٤٣. |
| (٤) صحيح مسلم، ج ٢، ص ١٣٠. | (٩) سنن أبي داود، ج ٣، ص ١٥. |
| (٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦. | (١٠) مسند أحمد، ج ٢، ص ١٧٤. |

- (أ) أن يكونوا من أهل الإيمان والصلاة والإنفاق في سبيل الله، وألا يكونوا قد أضاعوا عمرهم هدرًا: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.
- (ب) أن يأذن الله بأن يُشفع لهم: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(١).
- (ج) أن يرحلوا عن الدنيا وهم مؤمنون.
- (د) أن تكون ثمة علاقة بين الشافع والمشفوع له. من لا صلة له بالشفعاء، فلن يُشفع له.

التعاليم:

- ١ - الاستخفاف بالصلاة والإنفاق وإطعام المحتاجين وإهدار العمر، أسباب للحرمان من الشفاعة يوم القيامة: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.
- ٢ - يأذن الله تعالى يوم القيامة لأشخاص بأن يشفعوا للآخرين؛ ولكن لا يملك كل الناس شروط استحقاق الشفاعة: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.
- ٣ - الشفعاء متعددون يوم القيامة: الأنبياء، والأوصياء، والشهداء، والقرآن... إلخ: ﴿الشَّافِعِينَ﴾.
- ٤ - لا يملك المخالفون للإسلام أي دليل على رفضهم للآيات الإلهية وكلام الوحي: ﴿فَمَا لَكُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُّعْرِضِينَ﴾.
- ٥ - لا يتمتع المعرضون عن كلام الحق بالتعقل والتفكير: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ﴾.
- ٦ - التوقعات غير المنطقية من الله (مثل انتظار كتاب من الله)، دليل على حماقة: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ... يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾.
- ٧ - الكفار مغرورون ويتوقعون بأن ترسل لكل واحد منهم دعوة خاصة تهديه إلى الحق: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثْنَةً﴾.
- ٨ - ردّوا على التوقعات الفارغة بنفي قاطع. (لقد أتم الله الحجة بإرسال البرهان والمعجزة وليس ثمة حاجة لإرسال رسالة خاصة إلى كل شخص وحده): ﴿كَلَّا﴾.

- ٩ - طلبات الكفار غير المنطقية للإيمان، هي ذرائع ليس إلا: ﴿يُرِيدُ... كَلَّا﴾.
- ١٠ - عدم الخشية من الآخرة هو سبب لإنكار النبوة: ﴿عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ... بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾.
- ١١ - يملك الإنسان الإرادة والحرية في اختيار العقيدة والفكر: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾.
- ١٢ - القرآن أرضية مناسبة لهداية البشر؛ ولكن الاستفادة من هذه الأرضية والاهتداء مرتبط بإرادة الإنسان: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾.

﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾ (٥٦)

التعاليم:

- ١ - صحيح أن الإنسان يملك الاختيار: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾؛ ولكن إرادته وحدها ليست كافية، فإن لم يرد الله فلن يحدث شيء: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٢ - لا يمكن الاستفادة من المواعظ الإلهية إلا بتوفيق من الله: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٣ - الكفار المعاندون صعبو المراس لا يؤمنون بأي قيمة كانت، إلا أن يشاء الله ويُجبرهم على ذلك؛ (ولن يقوم الله بهذا): ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٤ - فقط الله تعالى يستحق أن نتقيه ونخشاه، وإذا ما أخطأنا فهو وحده من يستطيع أن يغفر لنا ويعفو عنا: ﴿هُوَ أَهْلُ النَّفْوَى وَأَهْلُ الْغَفَرَةِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْقِيَامَةِ

السورة: ٧٥ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٤٠



ملامح سورة القيامة

نزلت هذه السورة في مكة، وعدد آياتها أربعون آية. اسمها مأخوذ من الآية الأولى.

محور حديث هذه السورة كما هو جلي من اسمها، يدور حول المعاد ويوم القيامة. في البداية، طُرحت أحداث نهاية هذا العالم الصعبة والثقيلة ومن ثم وُصفت الوجوه السعيدة والحزينة للصالحين والطالحين.

وبعد ذلك تُبيّن الآيات حالات الإنسان عند تسليم الروح والاحتضار وتختتم بالحديث عن خلق الإنسان من قطرة ماء مهين، وفي هذا دليل على قدرة الله على خلق الإنسان مرّة أخرى.

تتحدث الآيات الأربع الوسطى في السورة عن القرآن وطريقة نزوله وقراءته. ضُمِنَت الروايات للأشخاص الذين يداومون على قراءة هذه السورة ويعملون بما جاء فيها، العبور على الصراط والحضور في يوم القيامة بوجه بشوش ضاحك.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ ۖ﴾ (٢) اَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَجْمَعَ عِظَامَهُ ۖ ﴿٣﴾
بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيْهِ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ۖ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرَهُ أُمَامَهُ ۖ ﴿٥﴾ يَسْتَلُ أَيَّانَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ۖ ﴿٦﴾

إشارات:

□ بدأت هذه السورة وكذلك سورة البلد بجملته «لا أقسم». بناءً على قول العديد من المفسرين، فإنَّ حرف (لا) هو للتأكيد ولكن بعضاً يعتقد أنه للنفي، أي أنَّ الموضوع واضح إلى درجة أنه لا يُقسم عليه.

□ يمكن أن يكون وجه الشبه بين القيامة والنفس اللوامة اللتين أقسم بكليتهما هو أنه في دنيا وجود الإنسان الصغيرة توجد محكمة باسم النفس اللوامة، وفي عالم الوجود ثمة أيضاً محكمة باسم القيامة^(١).

□ عن النبي الأكرم ﷺ أنه قال لابن مسعود: «يا ابن مسعود، أكثر من الصالحات والبرِّ، فإنَّ المحسن والمسيء يندمان. يقول المحسن يا ليتني ازددت من الحسنات، ويقول المسيء: قصرت، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ﴾»^(٢).

النفس في القرآن:

□ صَوَّرَ القرآن والأدعية والزيارات، أنواعاً عدة لنفس الإنسان:

(أ) النفس الأمارة: هي التي تأمر الإنسان دائماً بعمل السوء، وإذا لم تُكبح بالعقل والإيمان فإنها تؤدي بالإنسان إلى السقوط والضياع. ورد في القرآن: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالشُّوْءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾^(٣).

تظل هذه النفس تكرر مطالبتها وتُلحَّ على الإنسان حتى تورطه. عن الإمام

(٣) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(١) تفسير نمونه.

(٢) البحار، ج ٧٤، ص ١٠٤.

علي عليه السلام: «النفس الأمارة تتملق تملق المنافق، وتتصنع بشيمة الصديق الموافق، حتى إذا خدعت وتمكنت تسلطت...»^(١).

يخبرنا القرآن الكريم في سورة يوسف أنه بعد أن ترك إخوة يوسف بنيامين في أرض مصر، ورجعوا إلى أبيهم وأوضحوا له ما جرى من أمر السرقة وأخذ بنيامين، قال النبي يعقوب عليه السلام: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾^(٢).

نقرأ في حديث آخر: اطلبوا من الله بعد صلاتكم أن: «إلهي لا تكنني إلى نفسي طرفة عين أبداً»^(٣).

يقول الإمام زين العابدين في مناجاة الشاكين: «إلهي إليك أشكو نفساً بالسوء أماراً، وإلى الخطيئة مبادرة، وبمعاصيك مولعة، ولسخطك متعرضة، تسلك بي مسالك المهالك، وتجعلني عندك أهون هالك، كثيرة العلل، طويلة الأمل، إن مسّها الشر تجزع، وإن مسّها الخير تمنع، مبالغة إلى اللعب واللهو، مملوءة بالغفلة والسهو، تُسرّع بي إلى الحوبة وتسوّفني بالتوبة».

(ب) النفس اللوامة: هي التي ذُكرت في هذه السورة، ويمكن أن يكون المراد بها الضمير الأخلاقي. أجل، فإنّ الإنسان يمتلك حالة يلوم فيها نفسه في الدنيا عند القيام بعمل سيّء أو قلة العمل الحسن، وكذلك في الآخرة. هذا اللوم، هو الندم نفسه الذي يكون مقدمة للتوبة أو أرضية لليأس والانهازم.

(ج) النفس المطمئنة: وهي التي تتكون على أثر الصلاة وذكر الله ويجد الإنسان عندها الاطمئنان. يقول القرآن الكريم في آية: ﴿وَأَقِمْ الصَّلَاةَ لِلذِّكْرِ﴾^(٤)، ويقول في آية أخرى: ﴿أَلَا يَنْذِرُ اللَّهُ نَظْمِينَ الْقُلُوبِ﴾^(٥).

لا يخاف الإنسان المطمئن من الموت؛ بل يشاق للشهادة، ولا يكثر بريق الدنيا ومظاهرها ويرضى دائماً بالمقدّرات الإلهية.

(٤) سورة طه: الآية ١٤.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(١) غرر الحكم.

(٢) سورة يوسف: الآية ٨٣.

(٣) الكافي، ج ٣، ص ٣٤٦.

□ يطرح منكرو المعاد أحياناً أسئلة لإنكار القيامة، من بينها قولهم: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(١). وأحياناً ينكرون القيامة بشكل مباشر وصريح: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حِكْمَانَا الَّذِي نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾^(٢).

□ يؤكد القرآن القدرة الإلهية على إحياء الإنسان في مقابل تشكيك مخالف في المعاد، وسنشير إلى أمثلة على ذلك:

﴿قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾^(٣)، ﴿يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾^(٤)، ﴿عَلَى رَجُوعٍ لِقَادِرٍ﴾، ويقول في هذه الآية لسنا قادرين فقط على إحياء الإنسان بل حتى خلق بصمات إصبعه ليس أمراً مهماً عند الله: ﴿بَلَى قَدِيرِينَ عَلَى أَنْ تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾.

□ توجد خطوط خاصة في أصابع كل إنسان مختصة به، ولا يوجد شخصان لهما الخطوط نفسها؛ ولهذا تُستخدم بصمة الأصبع لمعرفة المجرم. أجل، فإن علم الله وقدرته يجري على أدق ذرات الوجود: ﴿تُسَوَّى بَنَانُهُ﴾.

التعاليم:

١ - إن وقوع القيامة حتمي عند الله تعالى؛ ولذا يُقسم الله به: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾.

٢ - إحدى خصائص الإنسان هي الضمير الأخلاقي، والمعرفة الفطرية للحسنات والسيئات، والتأنيب ولوم النفس والآخرين عند القيام بعمل سيئ: ﴿بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

٣ - من بين الأنفس الثلاث اللوامة، والأمانة، والمطمئنة، النفس التي تشبه يوم القيامة بحسراته وتوبيخاته هي النفس اللوامة: ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ... بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾.

٤ - الإيمان بالمعاد مانع من الفسق والفجور؛ لذلك يشكك الفاسقون والفاجرون بالمعاد: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِفَجْرٍ آمَنَهُ يَنْتَظِرُ الْيَوْمَ الْقِيَمَةَ﴾.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٩٩.

(٤) سورة الأحقاف: الآية ٣٣.

(١) سورة يس: الآية ٧٨.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٣٧.

٥ - ينكر الكفار المعاد بناءً على الظن والخيال لا على الاستدلال والبرهان والدليل: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُجَمَّعَ عِظَامُهُ﴾.

٦ - الأعضاء والجوارح والعظام البالية والمشتتة، قابلة للجمع يوم القيامة: ﴿يُجَمَّعُ عِظَامُهُ﴾.

٧ - المعاد جسماني، ووجود الإنسان يوم القيامة يتشكّل من عظامه: ﴿يُجَمَّعُ عِظَامُهُ﴾.

٨ - يجوز نقل الاعتقادات الخاطئة والرد عليها: ﴿أَيَحْسَبُ... بَلَىٰ قَدِيرِينَ﴾.

٩ - خلق الله في الدنيا تابع للنظم والنظام: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾^(١)، وكذلك في الآخرة: ﴿تُسَوَّىٰ بَنَاتُهُ﴾.

١٠ - إنسان يوم القيامة هو نفسه الإنسان الدنيوي: ﴿بَلَىٰ قَدِيرِينَ عَلَيَّ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَاتُهُ﴾.

١١ - أعطى الله الإنسان القدرة على الانتخاب والاختيار والإرادة، ويستطيع الإنسان أن يتصرّف على خلاف عقله وفطرته ومعرفته: ﴿بَلَىٰ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا أَمَامَهُ﴾.

١٢ - لا يملك الكثير من الأشخاص الذين ينكرون المعاد مشكلة علمية؛ ولكنهم من الناحية النفسية يظنون أنّ إنكارهم يفتح الطريق أمام رغباتهم: ﴿يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجَرًا أَمَامَهُ﴾.

﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ۖ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ۖ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ إِنَّ الْفَجْرَ ۚ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ ۚ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ۚ (١٢) يُبَيِّنُوا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۚ (١٣) بَلَىٰ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ (١٤) بَصِيرَةٌ ۚ (١٥) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ۚ﴾

إشارات:

□ عندما تُنسب كلمة «برق» إلى العين، تعني حالة من الخوف الشديد والوحشة.

□ «وَزَّر» يعني ملجأ كالجبل أو القلعة، ويكون بحث الإنسان عن ملجأ يوم القيامة إما نتيجة لخجله واستحيائه من الله، وإما هروباً من الكتاب والحساب، أو من جهنم، أو من الفضيحة، ويمكن أن تكون كل هذه الأمور مجتمعة.

□ «معاذير» جمع معذرة وتعني البحث عن شيء لمحو آثار الذنوب. سواء أكان عذراً مقبولاً أم غير مقبول.

□ يلجأ الإنسان عادة إلى خلق الأعذار، وسنشير هنا إلى أمثلة على ذلك من القرآن الكريم:

يقول أحياناً إني غفلت: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

وقد يقول أضلني رؤسائي وسادة قومي: ﴿مَكُولَاءَ أَضَلُّونَا﴾^(٢).

وأحياناً يقول إن الشيطان قد أضلني، فيجيبه الشيطان: ﴿فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْأَنَفُسِكُمْ﴾^(٣).

□ يقول الإمام الباقر عليه السلام في توضيحه للآية: ﴿يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾: «فما سنّ من سنة ليستنّ بها من بعده فإن كان شراً كان عليه مثل وزرهم... وإن كان خيراً كان له مثل أجورهم»^(٤).

التعاليم:

١ - سيزول النظام الحاكم على العالم يوم القيامة: ﴿وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

٢ - تؤثر الوحشة الناشئة عن يوم القيامة على وجود الإنسان كله:

- العين: ﴿بَرَقَ الْبَصَرُ﴾.

- القلب: ﴿تَلَوُّهُنَّ وَاجِفَةً﴾.

- العقل: ﴿وَزَرَى النَّاسَ سُكَارَى﴾.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٧٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣٨.

٣ - يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْجَرَائِمِ الَّتِي ارْتَكَبَهَا: ﴿يُنْبَأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَ قَدَمَ وَلَئِنْ﴾.

٤ - يتحمل الإنسان، مضافاً إلى أعماله، مسؤولية الأعمال التي اتبعه فيها الآخرون من بعده: ﴿قَدَمَ وَلَئِنْ﴾.

٥ - أفضل شاهد على الإنسان في محكمة يوم القيامة هو ضميره: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بِصِيرَةٍ﴾.

٦ - حتى الإنسان نفسه لا يؤمن بالأعذار التي يخلقها: ﴿وَلَوْ أَلْفَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۖ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۖ (١٧) فَإِذَا قَرَأَهُ فَالْفَجَّ قُرْآنَهُ ۖ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۖ (١٩)﴾

إشارات:

□ نقرأ ما يشابه هذه الآيات في الآية ١١٤ من سورة طه: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾.

نزل القرآن على النبي الأكرم دفعة واحدة في ليلة القدر، ومن ثم نزل مرة أخرى بالتدريج على النبي في المناسبات المختلفة خلال السنين الثلاث والعشرين من نبوته؛ لذا تدل آية: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ على أن النبي ﷺ كان يعلم آيات القرآن من قبل ولهذا السبب يقول الله تعالى لا تعجل بتلاوته وافرأه بعد أن نقرأه نحن: ﴿فَإِذَا قَرَأَهُ فَالْفَجَّ قُرْآنَهُ﴾.

□ تحدثت بعض آيات القرآن عن كيفية نزول الوحي على النبي وتلاوته على الناس. وفي هذه الآية أيضاً يقول الله تعالى لنبيه: لا تُقدم على قراءة الآيات عند نزول الوحي قبل أن تكتمل الآيات. ولا تعجل بكلامي ولا تخف من نسيانها؛ لأننا نتعهد بحفظها. دع نزول الوحي يكتمل ثم اقرأ الآيات.

التعاليم:

- ١ - ثمة آداب للاستماع، وإن تكرار كلام المتحدث ليس أمراً مستحسنًا: ﴿لَا تُخَرِّكْ بِهِ...﴾.
- ٢ - القرآن مصون من أي تحريف أو تغيير: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ...﴾.
- ٣ - ألفاظ القرآن هي من عند الله: ﴿قَرَأْتَهُ...﴾.
- ٤ - يتعهد الله تعالى تبين الوحي للنبي وتوضيحه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ...﴾.

﴿لَا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَتَّظَّنُّ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

إشارات:

- «ناصرة» حيوية ونضارة الوجه الناشئة عن النعم الكثيرة. كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿نَضْرَةٌ لِلْيَعْيَرِ﴾^(١).
- قد يكون المقصود من «ناطرة» هو انتظار الحصول على النعمة. كما ورد في رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: «مشرقة تنتظر ثواب ربها»^(٢).
- صحيح أن هذه الآية تقول: ﴿إِنَّ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾؛ ولكن بناءً على آية أخرى نقول: ﴿لَا تُذَرِّكُهُ الْآبَصَرُ﴾^(٣)، فإن الله لا يرى بالعين الباصرة وينظر الناس يوم القيامة إلى ألطاف الله تعالى.
- «باسرة» بمعنى عابسة ومقطبة.
- «فاقرة» من فقار بمعنى فقرات الظهر. ومنها جاءت كلمة فقير، وتعني أن الشخص الذي لا يملك شيئاً كأن فقرات ظهره متكسرة. والمقصود من فاقرة أنها كاسرة للظهر.

(١) سورة المطففين: الآية ٢٤.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) تفسير نور الثقلين.

التعاليم:

- ١ - للسؤال والجواب جذور نفسية؛ فالسؤال عن القيامة ناتج عن التعلق بالدنيا: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ... كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.
- ٢ - يكون التعلق بالدنيا سبباً وموجباً للتوبيخ إذا كان شديداً: ﴿لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾^(١) أو ملازماً لنسيان القيامة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.
- ٣ - حب الدنيا عامل مهم لإنكار المعاد: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.
- ٤ - الدنيا زائلة. وكأن الدنيا تستعجل للوصول وتمضي بسرعة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.
- ٥ - لا يمكن لقلب واحد أن يحب اثنين متضادين: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.
- ٦ - ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٢). وإذا لم يتحكم بنفسه بالعقل والوحي، لا يفكر إلا بالدنيا العاجلة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾.
- ٧ - المقارنة بين الكفر والشواب هي إحدى وسائل التربية: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ... وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَةِ﴾.
- ٨ - تؤثر المسائل النفسية والروحية على وجه الإنسان. لون الوجه ينبئ عن سر الضمير: ﴿وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ... وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَةِ﴾.
- ٩ - الناس الذين عبدوا الله وحده في الدنيا: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾^(٣)، وتوكلوا عليه وحده: ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾^(٤)، يخشعون له وحده ولا يخافون غيره: ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا﴾^(٥)، يطلبون العون منه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِثُ﴾، وفي ذلك اليوم ينظرون فقط إليه: ﴿إِنْ رِجَاءَ نَاطِرَةٍ﴾.
- ١٠ - حب الدنيا ونسيان الآخرة سببان للحزن والكآبة يوم القيامة: ﴿تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ... وَجُودٌ يُؤْمِنُ بِآيَةِ﴾.

(١) سورة العاديات: الآية ٨.

(٤) سورة الملك: الآية ٢٩.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٣٧.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٣٩.

(٣) سورة غافر: الآية ١٤.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٦٨﴾ وَالَّتِلْكَ أَلْسَانُ بِالْسَاقِ ﴿٦٩﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَمُتُّ ﴿٣٣﴾ أَوَّلَ لَكَ فَأَوَّلَى ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوَّلَى لَكَ فَأَوَّلَى ﴿٣٥﴾﴾

إشارات:

- «التراقي» جمع ترقوة وهو العظم المحيط بالحلق.
- «راق» هي في الأصل راقٍ اسم فاعل من رقى. ويُطلق على الأوراد والأذكار التي تشفي المريض «الرُقِيَّة»، إِذَا (راق) هي كل ما فيه نجاة للمريض من الموت.
- تأتي كلمة «ظن» أحياناً بمعنى العلم، مثلما جاء في هذه الآية: عند الاحتضار، يتيقن الإنسان بالفراق.
- جاء في الروايات أنه عند الموت، يتجلى مال الإنسان وأولاده وأعماله أمام ناظره، يقول المال: أنا خارج من يدك، ويقول الولد: أنا سأبقى معك حتى القبر؛ ولكن الأعمال تقول: أنا سأبقى معك إلى الأبد^(١).
- ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ يكون السُّوق أحياناً إلى الجنة بواسطة ملائكة الرحمة، أو إلى جهنم بواسطة ملائكة العذاب.
- ورد في الحديث: «من ترك الصلاة متعمداً فقد كفر»^(٢). وقد ذكر القرآن كذلك أن نتيجة ترك الصلاة هي الكفر: ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾.
- ذهب بعض المفسرين إلى أن سبب نزول الآية ٣١ وما بعدها، هو الإشارة إلى تكبر أبي جهل وغروره، وعلى فرض صحة هذا الكلام، فلا يضر هذا بعموم الموضوع.
- كلمة «يتمطى» إما من مطّ بمعنى مد الرجل، أو من مطاء بمعنى إدارة الظهر والتولي والمعنيان هما كناية عن التكبر والتبختر.

□ ترسم هذه الآيات مشهد احتضار المنحرفين؛ لأنه وحسب ما روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) فإن احتضار المؤمن كشّم أجمل الروائح^(١).

□ نقرأ في الحديث: ذكر الموت يقتل الشهوات، ويقضي على الغفلة، ويقوي القلب بالوعود الإلهية، يجعل طبع الإنسان لطيفاً ويجلي عنه القسوة، ويُخمد نار الحرص ويصغر الدنيا في عين الإنسان، وهذا هو معنى كلام النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»^(٢).

□ وصف الإمام علي (عليه السلام) اللحظات الأخيرة من عمر الإنسان وعند احتضاره بهذه الصورة:

«حيث لا إقالة ولا رجعة، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة على ما كانوا يوعدون، فغير موصوف ما نزل بهم: اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففترت لها أطرافهم، وتغيرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحبيل بين أحدهم وبين منطوقه، وإنه لبين أهله ينظر ببصره، ويسمع بأذنه، على صحة من عقله، وبقاء من لُبّه، يفكر في ما أفنى عمره، وفي ما أذهب دهره! ويتذكر أموالاً جمعها، أغمض في مطالبتها، وأخذها من مصرحاتها ومشتبهاتها، قد لزمته تبعات جمعها، وأشرف على فراقها، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها، ويتمتعون بها، فيكون المهناً مهناً لغيره، والعبء على ظهره، والمرء قد غلقت رهونه بها، فهو يعرض يده ندامة على ما أصحّر له عند الموت من أمره، ويزهد في ما كان يرغب فيه أيام عمره، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه! فلم يزل الموت يبالغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه، ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم، يرى حركات ألسنتهم، ولا يسمع رجع كلامهم. ثم ازداد الموت التباطؤ به، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده، فصار جيفة بين أهله، قد أوحشوا من جانبه وتباعدوا من قربه، لا يسعد باكياً،

(١) بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٥٢.

(٢) تفسير نمونه؛ بحار الأنوار، ج ٦، ص ١٣٣.

ولا يُجيب داعياً. ثم حملوه إلى مخط في الأرض، فأسلموه فيه إلى عمله، وانقطعوا عن زورته»^(١).

□ قد لا يقبل الإنسان شيئاً ما أحياناً؛ ولكنه لا يردّه كذلك؛ لأنّ عنده شكاً. كما قالوا للنبي صالح: ﴿وإِنَّا لَنُفِي شَكِّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾^(٢)، ولكن أحياناً لا يرد الأمر فحسب بل إنه ينكره ويكذبه وهذا ناشئ عن العناد، مثل ما ورد في الآيات: ﴿فَلَا مَلَذَّةَ... وَلَكِنْ كَذَبَ وَتَوَكَّلَ﴾.

«أولى لك» مماثلة لـ «ويلٌ لك» للتحقير والمذمة. فسر الإمام الرضا عليه السلام آية: ﴿أَوَّلُ لَكَ فَأَوَّلُ﴾ بقوله: «بعداً لك من خير الدنيا وبعداً لك من خير الآخرة»^(٣).

□ «سُدَى» بمعنى مُهْمَل، ويُقال للإبل الشاردة «سُدَى».

□ لم يُبين المقدار الذي يستحقه المتكبرون كجزاء لهم؛ لأنه سيشمل كل أنواع التعاسة والسوء: ﴿أَوَّلُ لَكَ فَأَوَّلُ﴾.

التعاليم:

١ - توصيف لحظات الاحتضار، هو أفضل وسيلة لترك التعلق بالدنيا: ﴿تُحْيُونَ الْمَاطِلَةَ... كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾.

٢ - أصعب لحظات الاحتضار، عندما تصل الروح إلى الحلق: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾.

٣ - الموت ليس له علاج. سيأتي زمن سيُظهر الجميع عجزهم أمام قدرة الله وسيُعبرون عن حيرتهم: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

٤ - تعلق الإنسان بالدنيا شديد إلى درجة أنه حتى في لحظة الموت، يكون ظاناً ولا يصل إلى اليقين: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾.

(٣) تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٤٦٦.

(١) نهج البلاغة، الخطبة رقم ١٠٩.

(٢) سورة هود: الآية ٦٢.

- ٥ - الأشخاص الذين يُحِبُّون الدنيا وينسون الآخرة، يجب أن يعلموا أنهم في يوم ما سيفصلون عن محبوبيتهم: ﴿يَحْيُونَ الْعَالَمَةَ... أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.
- ٦ - لحظة الموت هي لحظة الفراق بين المرء وأولاده، وأمواله، ومقامه، وإمكاناته...: ﴿وَلَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.
- ٧ - تبقى الروح بعد الموت. (كلمة الفراق تعني الابتعاد لا الفناء): ﴿وَلَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾.
- ٨ - لحظة الموت، لحظة صعبة جداً ومريرة: ﴿وَأَلْفَنِي السَّائِي بِالسَّائِي﴾.
- ٩ - لا طريق غير الرجوع إلى الله واللجوء إليه: ﴿إِنِّي رَيْكَ يَوْمَئِذٍ السَّائِي﴾.
- ١٠ - العقائد مقدّمة للأعمال، من لا يصدّق الحق، فإنّه بالتأكيد لن يُصلي: ﴿فَلَا مَكَّدَ وَلَا مَكَّنَ﴾.
- ١١ - يجب التصديق بكل حقائق الدين، وإذا ما كذّب شخص بإحدى ضروريات الدين، فكأنه كذّب بالدين كلّ: ﴿فَلَا مَكَّدَ وَلَا مَكَّنَ﴾.
- ١٢ - الصلاة هي أوّل دليل على الإيمان وتصديق الدين: ﴿فَلَا مَكَّدَ وَلَا مَكَّنَ﴾.
- ١٣ - البُعد عن الدين والتكاليف الدينية، سبب للغرور والتكبّر: ﴿ذَهَبَ إِلَيَّ أَهْلِيهِ يَتَطَهَّرُ﴾، ونقرأ في موضع آخر: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَيَّ أَهْلِيهِ انْقَلَبُوا فَكَيْهِنَ﴾^(١).
- ١٤ - التهديدات المتتالية واجبة في مقابل الإنكارات المتتالية: ﴿فَلَا مَكَّدَ وَلَا مَكَّنَ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ (تكرار كلمة (أولى) أربع مرّات دليل على أنه في مقابل التكبّر المتكرر، يلزم تحقير متكرر): ﴿أَوَّلَكَ لَكَ فَأَوَّلَكَ﴾.
- ١٥ - تحسن إهانة المتكبرين: ﴿يَتَطَهَّرُ، أَوَّلَكَ لَكَ فَأَوَّلَكَ﴾.

﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَعًا مِنْ مَنِيٍّ يُتَقَى ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى ﴿٣٨﴾ فَعَمَلَ فِيهِ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَوْثَ ﴿٤٠﴾﴾

إشارات:

□ بدأت هذه السورة بالقسم بيوم القيامة وتختتم بالحديث عن قدرة الله على إحياء الموتى يوم القيامة.

□ الذين ينكرون المعاد، لا يعرفون الله حق معرفته؛ ففناء الإنسان بالموت لا ينسجم مع حكمة: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾، ويقول في موضع آخر: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

□ أشارت هذه الآيات في البداية إلى الحكمة الإلهية من يوم القيامة ومن ثم أشارت إلى قدرة الله على خلق الإنسان والتي تُبين إمكانية خلق الإنسان مرة أخرى. وقد أعطى الله أنبياءه في هذه الدنيا أمثلة أخرى لقدرته على إعادة الخلق:

- أحيى النبي عيسى ﷺ طائرين من الطين بالنفخ فيهما.
- أحيى النبي إبراهيم ﷺ الطيور المذبوحة المخلوط لحمها، بمناداتها.
- مات السبعون شخصاً الذين ذهبوا مع النبي موسى ﷺ عندما تجلّى الله لجبل الطور، وأحياهم الله مرة أخرى.

التعاليم:

- ١ - من يرى أنّ الإنسان مخلوق بلا هدف أو مسؤولية، يستحق الإهانة المتكررة: ﴿أَوَلَمْ يَكُ فَاوَكًا ثُمَّ أَوَّلَى لَكُ فَأَوَّلَى يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.
- ٢ - إنّ الله حكيم، والإنسان موجود مسؤول ومكلّف وله هدف، إذاً لا بد من أن تكون ثمة قيامة: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.
- ٣ - الكثير من حسابات الإنسان باطلة. جاء في بداية السورة: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أن لن نجمع عظامه وجاء في آخر السورة: ﴿يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.

أجل، فإنَّ الإنسان موجود متخيّل، وإن لم يكن ثمة أنبياء يهدونه سينحرف: ﴿يَحْسَبُ... يَحْسَبُ﴾.

٤ - الخلق الأول دليل على إمكان الخلق ثانية وقدرة الله عليه: ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً...﴾.

٥ - فليعرف المتكبرون أنهم لا شيء وأنهم ضعفاء: ﴿يَسْتَطِيعُ... مِنْ مِّنِّي يَتَنَبَّأُ﴾.

٦ - خُلق الإنسان بصورة كاملة بعيدة عن أي نوع من النقص أو الزيادة: ﴿فَنَلَقَ قَسْوَى﴾.

٧ - من طرق معرفة المعاد، دراسة مراحل وطريقة خلق الإنسان: ﴿نُطْفَةً ... عَلَقَةً... الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾.

٨ - التوازن بين الجنسين الذكر والأنثى، دليل على القدرة والحكمة الإلهية: ﴿يَجْمَلُ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾.

٩ - عدم البعث يفقد خلق الإنسان أهدافه: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى... أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يُحْيِيَ الْلَّوْثَ﴾.

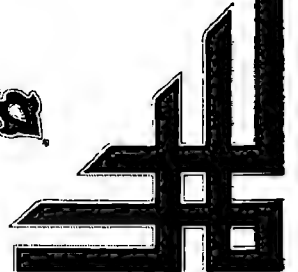
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْإِنشَاءِ

السورة: ٧٦ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٣١



ملاحح سورة الإنسان

ورد في الروايات: أن الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام مرضا في الصغر. فعادهما النبي ﷺ في أناس معه، وأشار على أمير المؤمنين عليه السلام بنذر صيام ثلاثة أيام لشفائهما، وبعد شفاء الحسنين، بدأوا بالصيام وفاءً بالنذر، ولم يكن لديهم طعام يأكلونه، فاقترض أمير المؤمنين من شمعون اليهودي مقداراً من الشعير، وصنعوا به أقراصاً من الخبز. وعند الإفطار، وقف مسكين على باب الدار وطلب طعاماً، فأعطوه خبزهم وأفطروا على الماء، وفي اليوم التالي واصلوا صيامهم وعند الإفطار، أعطوا خبز شعيرهم ليتيم كان قد طلب الطعام، وأفطروا مرة أخرى على الماء فقط، وواصلوا صيامهم في اليوم التالي، وعندما حلّ وقت الإفطار لليوم الثالث أعطوا طعامهم لأسير وقف على بابهم يطلب الطعام. وقد أنزل الله تعالى هذه السورة في وصف إيثارهم.

المهم في الأمر أنّ النبي ﷺ لم يكن شريكاً معهم في هذا العمل المقدس، حتى يكون جلياً أن هذه السورة نزلت في أهل البيت فقط^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْفَةٍ
أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾

إشارات:

- «الدهر» بمعنى الزمان والوقت، «أمشاج» جمع «مشيج» بمعنى المخلوط.
- عن الإمام الباقر (عليه السلام): «كان شيئاً لم يكن مذكوراً»^(١).
- وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «كان شيئاً مقدراً، ولم يكن مكوّناً»^(٢).
- وعن الإمام الباقر (عليه السلام) في تفسير كلمة «أمشاج» قوله: «ماء الرجل والمرأة إذا اختلطاً»^(٣).

□ قد تُطرح المسائل الحتمية في قالب السؤال لإيقاظ الضمير النائم، مثل أن تسأل الوالدة ولدها: ألم أرضعك؟ وفي هذه الآية كذلك فإن كلمة «هل» هي بمعنى «قد»: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ...﴾ أي أنه قد جاء على كل إنسان وقت لم يكن فيه شيئاً مذكوراً.

□ كون الإنسان ليس شيئاً أمر طبيعي أحياناً: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ولكن أحياناً قد يوصل الإنسان نفسه بسبب الأعمال غير المناسبة إلى حد اللاشيء، كما قال تعالى: ﴿يَتَأْهَلَلُ الْكِتَابُ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ...﴾^(٤).

□ ذكر القرآن الكريم خلق الإنسان من نطفة ١٢ مرة؛ لكي تتضح قدرة الله على خلق الإنسان من نطفة، ولكي لا يُصاب الإنسان بالغرور والتكبر.

التعاليم:

- ١ - يجب أن يفكر الإنسان في منشأ وجوده: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.

(٣) تفسير نور الثقلين.

(٤) سورة المائدة: الآية ٦٨.

(١) تفسير البرهان.

(٢) تفسير كنز الدقائق.

- ٢ - الإنسان مخلوق جديد وحديث: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.
- ٣ - يطوي الإنسان مراحل في مسيرة وجوده نحو التكامل: في البداية لم يكن شيئاً مذكوراً: ﴿وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾^(١)، وبعد أن جاء إلى الوجود لم يكن شيئاً قابلاً للذكر كذلك: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.
- ٤ - تذكير الإنسان بضعفه، يزيل غروره ويجعله مسلماً لله: ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.
- ٥ - خلق الإنسان من نطفة لا تُذكر، هو من تجليات العظمة الإلهية: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ...﴾.
- ٦ - يُظهر الله تعالى قدرته بجعل الماء أشكالا: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾.
- ٧ - خُلق الإنسان لحكمة وهدف: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ... بُنْيَانِهِ﴾.
- ٨ - الإنسان موجود مسؤول ومكلف. (الابتلاء دليل على التكليف): ﴿بُنْيَانِهِ﴾.
- ٩ - يمر كل البشر على طول التاريخ بالامتحان الإلهي: ﴿بُنْيَانِهِ﴾.
- ١٠ - تخضع كل أعضاء الجسم للامتحان، وذكرُ حاستي السمع والبصر هو من باب المثال: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾.

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(٢)
 ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾^(٣)

إشارات:

□ للهداية أنواع عدة:

- قد تكون هداية فطرية. كما يقول القرآن: ﴿فَأَلَمُهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢).
- النوع الآخر هو الهداية التي تتحصل عن طريق الدراسة، التعقل، المشاورة، التجربة والمطالعة.
- النوع الثالث هو الهداية عن طريق تبليغ الأنبياء والأولياء وإرشادهم.

□ أحياناً قد يكون الشكر قلبياً، أي أن نعتبر كل النعم من عند الله؛ وقد يكون عملياً، أي أن يستخدم الإنسان النعم الإلهية في سبيل الحق فقط، وأحياناً يكون باللسان، أي أن يقول الإنسان: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

□ «سلاسل» جمع «سلسلة»، و«أغلال» جمع «غُل» وهو الطوق الذي يوضع حول الرقبة. و«سعير» تعني النار المتأججة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾: «عرفناه، إمّا أخذ وإمّا تارك»^(١).

□ ﴿سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا﴾ تعني سلاسل في الأقدام وأغلالاً على الرقبة.

□ يمر الإنسان بمراحل ضعيفة أو متوسطة في مسيرة شكره لله؛ ولكنه يمر بمراحل استعلائية في مسيرة تمرده وعصيانه. في الشكر، فهو شاكر (ليس شكوراً)، ولكن في الكفر فهو كفور: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ أي أن شكره عادي؛ ولكن كفره شديد. لاحظوا أمثلة أخرى في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُ لَيَشُورٌ﴾^(٢)، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ﴾^(٣)، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(٤)، ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ فَتُورًا﴾^(٥)، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾^(٦)، ﴿إِذَا مَسَّهُ الْبَأْسُ جَزُوعًا﴾^(٧)، ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾^(٨).

التعاليم:

١ - امتحان الإنسان، على أساس العلم والحرية:

العلم الداخلي بواسطة العين والأذن والعقل والفطرة، والهداية الخارجية؛ وحرية الاختيار التي أعطيت لكل البشر: ﴿بَنَيْنَاهُ... سَيِّمًا بَصِيرًا... هَدَيْنَاهُ... إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١٠٠.

(٦) سورة المعارج: الآية ١٩.

(٧) سورة المعارج: الآية ٢٠.

(٨) سورة العاديات: الآية ٦.

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) سورة هود: الآية ٩.

(٣) سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

(٤) سورة الإسراء: الآية ١١.

- ٢ - لقد أتم الله الحجة على الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ﴾.
- ٣ - طريق الحق هو واحد لا أكثر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ﴾ (كلمة (سبيل) مفردة).
- ٤ - الهداية، نعمة تستحق الشكر: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ إِنَّمَا شَاكِرًا﴾ (اتباع طريق الدين هو شكر، والانحراف عنه جحود وكفران).
- ٥ - يصل الأشخاص الذين لا يقبلون هداية الأنبياء إلى أعلى مراتب الكفر. (بدل أن يقول (إمّا كافراً) قال ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كُفُورًا﴾؛ لأن كفوراً هي قمة الكفر).
- ٦ - من لا يكون شاكراً، يكون كفوراً، ولا يوجد خيار ثالث: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كُفُورًا﴾.
- ٧ - يلعب التحذير دوراً أكبر من التبشير في تربية الإنسان، (لذا فإن القرآن يبشّر في البدء ثم يُحذّر): ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ...﴾.
- ٨ - العذاب الإلهي له ملاك ومعيّار: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾.
- ٩ - لكل اختيار نتيجة، الكفر له جهنم والشكر له الجنة: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كُفُورًا... إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ... إِنَّ الْأَبْرَارَ...﴾.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾

إشارات:

□ «الأبرار» إمّا أن تكون جمعاً لبرّ (مثل (أرباب) جمع (رب)) وإمّا أن تكون جمع بار (مثل (أشهاد) جمع (شاهد)). على أي حال فإن «برّ» صفة لصاحب النفس الواسعة والمنفتحة والذي يقوم بالأعمال لأجل حُسْنِهَا، ولا يكون هدفه هو الوصول إلى المال والمقام، بل يفكر بأبعد منهما^(١).

- «الكافور» نبتة طيبة الرائحة ويضرب المثل في بياضها وبرودتها.
- «تفجير» أي الفتح أو التمزيق، ويُقال لمن يُمزَّق ثوب الحياء (فاجر). ويُطلق على النور الذي يَشُقُّ عتمة الليل (فجر).
- بناءً على الروايات، فإنَّ المقصود من الأبرار في هذه الآيات هم أهل البيت عليهم السلام، الذين صاموا وفاءً لنذرهم وأعطوا إفطارهم لليتيم والمسكين والأسير، وقد جاء ذكرهم في الآيات اللاحقة.
- مع أن بعضاً اعتبر أنَّ هذه السورة مدنية، إلا أنَّ بعض المخالفين والمغرضين يقولون: إنَّ سورة الإنسان مكّية، وقد ولد الحسنان في المدينة، ولم تنزل هذه الآيات في أهل البيت؛ لأن مرضهم وعبادة النبي لهم وصيام والديهم كان في المدينة!
- نقول في الجواب: توجد العديد من الآيات المدنية في السور المكيّة وأفضل شاهد على ذلك كلمة (أسير) التي جاءت في الآيات المكية، فلم يكن ثمة أسارى في مكة ويعود الأسرى إلى الحروب التي وقعت بعد الهجرة.

التعاليم:

- ١ - الإحسان بيان لشكر الهداية الإلهية: ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا... إِنَّ الْأَبْرَارَ...﴾.
- ٢ - شراب الجنة مخلوط بمواد معطرة زكية الرائحة: ﴿كَانَ مِزْجُهَا كَأُورًا﴾.
- ٣ - يحصل الأشخاص الذين يوصلون أنفسهم إلى مرحلة العبودية على نِعَم الجنة: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.
- ٤ - يُجَبَّر في يوم القيامة الحرمان المؤقت لعباد الله في الدنيا: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.
- ٥ - حاز أهل البيت على لقب (أبرار) لاعتنائهم بالمحرومين. ولُقّبوا بعباد الله لإطاعتهم لله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ... عِبَادَ اللَّهِ﴾.
- ٦ - يُحسن عباد الله إلى الآخرين، والمحسنون هم عباد الله: ﴿الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ... يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.

٧ - إرادة أهل الجنة نافذة وينالون كل ما يريدون وإن أرادوا أي أمر يتحقق: ﴿يَفْجَرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.

﴿يُؤْنَسُونَ بِالْأَنْدَرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ (٧) وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَيْسَرَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا تَطْعِمُهُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُوبًا فَطَرِيرًا ﴿١٠﴾

إشارات:

□ «مستطير» من «سيطرة» وتعني السلطة وهي من مادة: «طير»، بمعنى التوسع.

□ «قمطير» بمعنى الشر الشديد.

□ وفقاً لبعض الروايات، فإنَّ إطعام اليتيم، والأسير، والمسكين كان في ليلة واحدة، ووفقاً لروايات أخرى كان على ثلاث ليال متتالية، وكل ليلة كان يأتي أحدهم.

□ المقصود من: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ أن أهل البيت على الرغم من أنهم كانوا يحبون الطعام إلا أنهم قد أعطوه للآخرين، مثلما يقول القرآن في موضع آخر: ﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (١).

يقول صاحب تفسير الميزان: طُرحت محبة أهل البيت لله تعالى في الآية التالية: إذ يقولون: ﴿إِنَّمَا تَطْعِمُهُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ والمقصود من: ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾، أي حب الطعام، وفي هذه الحالة فيثبَّت إخلاصهم مضافاً إلى إيثارهم.

□ إن لم تسعوا إلى الشهرة، سيجعل الله اسمكم خالداً. ما فعله أهل البيت لم يكن له قيمة مادية كبيرة؛ ولكنه كان خالصاً ولهذا خلّده الله تعالى.

□ في هذه الآية، جاءت كلمات يتيم وأسير ومسكين بصيغة النكرة لكي نخبرنا بأنه لا يحسن التمييز عند الإطعام، بل يجب الإنفاق على أي محتاج.

□ نقول بروين اعتصامي حول الإخلاص في الإنفاق:

(١) محاسن برقي، تفسير البرهان، ج ٢، ص ٣٩٧.

أعطى أحد العظماء فقيراً درهماً وقال له اذكرني حين دعائك
ضحك أحدهم وقال هذا الدرهم لا يستحق البيع والشراء فيه
لا تُظهر الطاعة التي تؤذيها أبداً لا تجعل عملك مظهرة ورياء
اعمل الخير للمسكين والمحتاج وعملك هذا سيكون سبباً في الدعاء
عندما تُنفقين وتتصدقين يا برون لا ينبغي أن يكون في قلبك غير الله
□ الخوف من الله بمعنى الخوف من مقامه، مثلما قال تعالى في موضع آخر:
﴿وَلَمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ (١).

التعاليم:

- ١ - الكمال الواقعي في أن يكون الإنسان مطبوعاً على الإحسان. (ذكرت جميع الأفعال بصيغة المضارع وذلك يدل على استمرارية الفعل): ﴿يُؤْتُونَ، وَيَخَافُونَ، وَيُطْعِمُونَ﴾.
- ٢ - يكون للإنفاق قيمة أكبر حين يكون ثمة حب وحاجة للشيء المنفق منه: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾.
- ٣ - يدافع الإسلام عن المساكين، واليتامى، والأسارى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ... مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾.
- ٤ - بعض يحب الطعام وبعض آخر يحب الإطعام: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾.
- ٥ - يكون للإنفاق قيمة أكبر حين يكون من الشخص ويبد الشخص نفسه: ﴿تُطْعِمُكَ﴾.
- ٦ - تكون المساعدة ذات قيمة حين تكون بعيدة عن المنّ وتروّع البدل: ﴿تُطْعِمُكَ لِرَبِّهِ اللَّهِ﴾.
- ٧ - الرغبة الخالصة والإخلاص في العمل هما اللذان يعطيان للعمل قيمة: ﴿تُطْعِمُكَ لِرَبِّهِ اللَّهِ لَا تُبِدُّ مِنْكَ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾.

٨ - لا يطلب المحسنون الشكر من أحد، لا بلسانهم ولا بقلوبهم: ﴿لَا يُبَدُّ... شُكْرًا﴾.

٩ - صحيح أن الأبرار لا ينتظرون جزاء؛ ولكن لا ينبغي للناس أن يكونوا غير مكرثين. ورد في الآية ٢٥ من سورة القصص: أرسل نبي الله شعيب ابنته إلى النبي موسى لتعطيه جزاء ما سقى لهما: ﴿إِنَّ أَيْ يَدْعُوكَ لِجَعْرِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ﴾.

١٠ - لا يُعتبر الزهد في الجزاء وحده دليلاً على الإخلاص، وإنما الزهد في الشكر والتمجيد لازم كذلك: ﴿لَا يُبَدُّ مِنْكَ جَزَاءٌ وَلَا شُكْرًا﴾.

١١ - الوفاء بالنذر واجب. وَلَيْخَشْ عذاب الله من لا يفي بنذره: ﴿يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾.

١٢ - إن كان عملنا لله وحده، فينبغي الخوف منه هو فقط لا من الناس: ﴿خَافَ مِنْ رَبِّنَا﴾.

١٣ - لا يتنافى الدافع الإلهي مع الشوق للشواب والخوف من العقاب، لأن الشواب والعقاب كذلك من عند الله: ﴿لِيُؤَيِّدَ اللَّهُ... إِنَّا خَافَ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾.

١٤ - لا يكون الناس وحدهم عابسين يوم القيامة بل كذلك اليوم يكون عابساً: ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾.

١٥ - لكي تنجوا من ذلك اليوم العبوس، لا تعبسوا اليوم في وجه المسكين واليتيم والأسير: ﴿خَافَ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾.

﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ نَصْرَهُ وَسُرَّوْا ۚ﴾ (١١) ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۚ﴾ (١٢) ﴿مُشْكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۚ﴾ (١٣) ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا ۚ﴾ (١٤) ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِبَاقٍ مِّنْ فَضْلِهِ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ۚ﴾ (١٥) ﴿قَوَارِيرًا مِّنْ فِضْهِ قَدْزُودَهَا نَقِيرًا ۚ﴾ (١٦) ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا ۚ﴾ (١٧) ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسِيلًا ۚ﴾ (١٨)

إشارات:

□ «النصرة» هي الجمال والحيوية، كما ورد في موضع آخر: ﴿وَبُجَّةٌ يَوْمَئِذٍ

نَاضِرَةٌ^(١). «أرائك» جمع «أريكة» بمعنى السرير المُرْتَن.

□ «زمهرير» بمعنى البرد الشديد. و«قطوف» جمع «قطف» بمعنى الحصد.

□ «تذليل» بمعنى الترويض والتطويع.

□ «أكواب» جمع «كوب». و«قوارير» جمع قارورة، و«سلسبيل» اسم عين في الجنة.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام في ذيل آية: ﴿وَجَزَيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾: «يكون جزاء الأبرار مقابل صبرهم على مصائب وفقر الدنيا»^(٢). كما عن الإمام علي عليه السلام: «صبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى»^(٣). ونقرأ عن الإمام الحسين عليه السلام: «لقد عجبت من صبرك ملائكة السموات»^(٤)

□ إقدام الأبرار على الإطعام له هدفان: ﴿لِيُؤْتِيَ اللَّهُ﴾ و﴿تَخَافُ مِنْ رَبِّكَ﴾ ويصلون إلى الهدفين: ﴿فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾.

□ لا يُلاقى الصابرون الثواب فقط في يوم القيامة، بل عليهم في هذه الدنيا صلوات من الله وسلام منه: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾^(٥)، ﴿وَيُؤَيِّرُ الْضَّيِّقِينَ * ... أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾^(٦)، ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾^(٧).

□ النعم الإلهية على أعلى درجة من الحُسن، فالتنوين في كلمات (نَضْرَةً)، (سُرُورًا)، (جَنَّةً)، و(حريراً) هو للتعظيم.

التعاليم:

١ - يوصل الله تعالى المخلصين إلى مُرادهم: ﴿إِنَّا نَخَافُ... فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾.

٢ - ثمرة الخشية من الله، النجاة من عذابه: ﴿إِنَّا نَخَافُ... يَوْمًا عَبُوسًا... فَوْقَهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾.

(٥) سورة الرعد: الآية ٢٤.

(٦) سورة البقرة: الآيات ١٥٥ - ١٥٧.

(٧) سورة المؤمنون: الآية ١١١.

(١) سورة القيامة: الآية ٢٢.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ١٨٦.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٣.

(٤) بحار الأنوار، ج ٩٨، ص ٢٣٩.

٣ - يجب أن يكون الثواب والعقاب متناسبين مع جنس العمل، (إنقاذ المحرومين وحفظهم، سبب لحفظ الإنسان ونجاته يوم القيامة): ﴿فَوَقَدَهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾.

٤ - خوف اليوم سبب للأمن غداً، وإسعاد الناس اليوم سبب لسعادة الإنسان غداً: ﴿تَخَافُ مِنْ رَبِّنَا... فَوَقَدَهُمُ اللَّهُ... وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَبَشِيرَةٌ﴾.

٥ - الثواب الإلهي هو جزاء للصبر: ﴿وَبَشِّرْهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾.

٦ - ينعم أهل الجنة بالراحة والهدوء: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ﴾.

٧ - مناخ الجنة ملائم لراحة الإنسان: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾.

٨ - كل نعم الجنة مدللة للأبرار: ﴿وَذَلِكَ قُطُوفُهَا نَذِيرًا﴾.

٩ - يطوف خدام الجنة حول الأبرار كالفراشات: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾.

١٠ - تُصنع أطباق وقدرور الجنة بأشكال وأحجام مختلفة، طبقاً لإرادة أهل الجنة ورغبتهم: ﴿فَذَرُوهَا تَقْدِيرًا﴾.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُشُورًا ۖ وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلُكًا كِبِيرًا ۖ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٌ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُوا بِأَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَنَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۖ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُم جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَشْكُورًا﴾ (٢٢)

إشارات:

□ سئل الإمام الكاظم عليه السلام: إن الله تعالى قد أنزل «هل أتى» في أهل البيت، وليس شيء من نعيم الجنة إلا وذكر فيه إلا الحور العين، فقال: ذلك إجلالاً لفاطمة عليها السلام^(١).

□ نقل الإمام الصادق عليه السلام عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أنه عند الدخول إلى الجنة ينادي منادٍ ألا إن فلاناً ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، قال: فيدخل،

فإذا هو بشجرة ذات ظلٌ ممدود، وماء مسكوب، وثمارٍ مهدلة يخرج من ساقها عINAN تجريان، فينطلق إلى إحداهما فيغتسل منها فيخرج عليه نضرة النعيم، ثم يشرب من الأخرى فلا يكون في بطنه مغص، ولا مرض، ولا داء أبداً، وذلك قوله تعالى: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾^(١).

نِعَمِ الْجَنَّةِ:

□ ثمة اختلافات عدة بين نعم الجنة ونعم الدنيا، وسنشير هنا إلى شيء منها:

- هي كثيرة جداً: ﴿فَكَثْرَتُ كَثِيرَةً﴾^(٢).
- ليست موسمية ولا منقطعة: ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾^(٣).
- لا يوجد أي مانع من الاستفادة منها: ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾^(٤).
- أهل الجنة لهم الحق في اختيار ما يريدون منها: ﴿وَمَا يَخْشَوْنَ﴾^(٥).
- توجد نعمة مقابل أي شيء يشتهونه: ﴿وَمَا يَشْتَهُونَ﴾^(٦).
- لا ينجم عن الاستفادة منها أي عارض أو سوء: ﴿لَا يُصْذَعُونَ﴾^(٧).
- لا تستلزم أي مشقة للاستفادة منها: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾^(٨).
- يتولى الخدم تأمين كل ما تحتاجون إليه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾.
- يتمتع خدام الجنة بالحسن: ﴿لَوْلَوْا نَشُورًا﴾ والشباب الدائم: ﴿مُحَلَّدُونَ﴾.
- يصلون إلى ما يبتغون وهم بقمّة الراحة: ﴿عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكُونُونَ﴾^(٩).
- لا يجد الحسد والغِلَ طريقه إلى الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾^(١٠).
- النعم مصحوبة بسلام ورضا من الله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(١١)، ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾^(١٢).

(٧) سورة الواقعة: الآية ١٩.

(٨) سورة الإنسان: الآية ١٤.

(٩) سورة يس: الآية ٥٦.

(١٠) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(١١) سورة التوبة: الآية ٧٢.

(١٢) سورة يس: الآية ٥٨.

(١) البحار، ج ٨، ص ٢١٢.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٣٢.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٣٣.

(٤) سورة الواقعة: الآية ٣٣.

(٥) سورة الواقعة: الآية ٢٠.

(٦) سورة الواقعة: الآية ٢١.

- تلحقهم ذرية صالحة ويسعدون بها: ﴿الْمَقْنَا يَوْمَ دُرَيْتَنَّهُمْ﴾^(١)
- هم جيران لأولياء الله: «وهم جيراني»^(٢).
- نَعَم الجنة متنوعة: ﴿وَأَنْهَرُ مِنْ لَبَنٍ... وَأَنْهَرُ مِنْ عَسَلٍ...﴾^(٣).

التعاليم:

- ١ - ثمة مميزات خاصة للاستضافة في الجنة. من بينها:
 - ليس ثمة داع للطلب؛ لأن المضيفين هم في حالة طواف دائم حول - أهل الجنة: ﴿يَطُوفُ﴾.
 - يُشرف المضيفون على أهل الجنة من كل جانب: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾.
 - المضيفون أولاد صغار: ﴿وَلَدَانِ مُغْلَدُونَ﴾^(٤).
 - وجههم كاللؤلؤ البراق: ﴿حَبِيبَتُهُمْ لَوْلُؤًا﴾.
 - حكومة أهل الجنة واسعة: ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾.
 - يرتدي المضيفون لباساً أخضر اللون: ﴿خُضْرًا﴾ وثيابهم مصنوعة من - الحرير الناعم: ﴿سُنْدُسٍ﴾ والسميك: ﴿وَإِسْتَبْرَقٍ﴾.
 - الله تعالى هو ساقى الأبرار: ﴿وَسَقَّيْنَاهُمْ مِنْ رِيبِهِمْ﴾ وشرابهم، شراب طهور: ﴿شَرَابًا طَهُورًا﴾ (وروي عن الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الشراب الطهور: «يطهرهم عن كل شيء سوى الله»^(٥)).

- ٢ - مع أن الجنة لطف وفضل إلهي إلا أن الله تعالى عدها أجراً وثواباً لأهل الجنة لكي يتباهوا بعملهم: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً﴾.

- ٣ - الثواب الإلهي على أساس نية العمل وكيفية القيام به، وليس على أساس كمية العمل، ومقداره، والمبلغ المعطى. (استحق إعطاء رغيفين من الخبز كل

(٤) سورة الطور: الآية ٢٤.

(٥) تفسير مجمع البيان.

(١) سورة الطور: الآية ٢١.

(٢) دعاء التوبة.

(٣) سورة محمد: الآية ١٥.

هذا الجزاء؛ لأن العمل كان عن إخلاص وإيثار: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

٤ - من لا يطلب من الناس لا شكراً ولا ثواباً: ﴿لَا تَبْتَغُوا مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا﴾ يعطيه الله تعالى الجزاء ويشكره كذلك: ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

٥ - شكر المحسنين وتقديرهم، صفة إلهية: ﴿سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

٦ - تصل النطفة عديمة القيمة: ﴿تُطْفِئُ أَشْجَارًا﴾ نتيجة الإيمان، والعمل، والإخلاص، والإيثار إلى مكان يشكرها فيه خالق الكون: ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ (٢٣) فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِيعْ مِنْهُمْ ءَايَةً أَوْ كَفُورًا (٢٤)
وَاذْكُرْ أَمْرَ رَبِّكَ بِكُرَّةٍ وَأَصْلًا (٢٥)

إشارات:

□ «بكرة» تُطلق على الفترة بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، «الأصيل» هو الفترة بين العصر والمغرب وآخر اليوم، ويمكن أن يكون المقصود من هاتين الكلمتين، ذكرُ الله في بداية اليوم ونهايته وإقامة الصلاة.

التعاليم:

- ١ - عليكم بمقاومة اتهام القرآن بالسحر والكهانة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾.
- ٢ - نزل القرآن بالتدريج: ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾.
- ٣ - إطاعة أوامر القرآن تستلزم الصبر والثبات: ﴿نَزَّلْنَا... فَاصْبِرْ﴾.
- ٤ - الثبات والصبر على أداء الأوامر الإلهية له قيمة، لا الإصرار لأجل الأهواء الشخصية: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٥ - الأوامر الإلهية هي لرشد الإنسان: ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٦ - يحتاج الأنبياء إلى الموعظة الإلهية: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾.

- ٧ - يسعى المخالفون والمذنبون للنفوذ في قيادة المسلمين: ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا﴾.
- ٨ - يجعل ذكرُ الله الإنسانَ مقاوماً وصبوراً: ﴿فَأَصْبِرْ... وَأَذْكُرْ... بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.
- ٩ - أول اليوم ونهايته، من الأوقات المناسبة لذكر الله: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ فَاسْتَجِدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾^(٢٦)
 إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا^(٢٧) ﴿

إشارات:

- الأمر بالعبادة وتكرار كلمة (الليل) في آية قصيرة، فيه إشارة إلى أهمية الليل في العبادة ودوره.
- سألوا الإمام الصادق والإمام الرضا عليهما السلام: عن المقصود من: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾؟، فقالا: «صلاة الليل»^(١).

التعاليم:

- ١ - حب الدنيا والتعلق بها هو رأس كل ذنب وكفر، وهو من علائم المذنبين: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَائِمًا أَوْ كَفُورًا... إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.
- ٢ - الدنيا عابرة وفانية: ﴿الْعَاجِلَةَ﴾.
- ٣ - حب الدنيا والنفور من الآخرة، عامل ممهد للذنب: ﴿ءَائِمًا... يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.
- ٤ - يوم القيامة، يوم صعب جداً وثقيل: ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.
- ٥ - من العوامل التي تساعد على التقليل من حب الإنسان للدنيا، الالتفات إلى أن الدنيا دار ممر وأن يوم القيامة يوم صعب وثقيل: ﴿الْعَاجِلَةَ... يَوْمًا ثَقِيلًا﴾.

﴿مَنْ خَلَقْتَهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَلْنَا أَمْتَهُمْ بَدِيلًا﴾ (٢٨) ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٢٩) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (٣٠) ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٣١)

إشارات:

□ «الأسر» أي القبض على الشيء، و«الأسير» الشخص المقبوض عليه، والمقصود من ﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ أي جعلنا مفاصل الإنسان مُحكمة.

التعاليم:

- ١ - الكفر والطغيان سببان في هلاك الإنسان: ﴿إِنَّمَا أَوْ كَفَرُوا... بَدَلْنَا أَمْتَهُمْ﴾.
- ٢ - قدرة الله على خلق الإنسان، دليل على إهلاكه: ﴿خَلَقْتَهُمْ... بَدَلْنَا أَمْتَهُمْ﴾.
- ٣ - لقد أتم الله الحُجة على الناس: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾.
- ٤ - القرآن وسيلة للتذكير والتنبية: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾.
- ٥ - طريق الله ليس إجبارياً، من يريد أن يصل إلى السعادة، يجب عليه أن يختار هو الطريق ويتبعه: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.
- ٦ - إرادة الإنسان ليست مستقلة عن إرادة الله وليست أعلى منها، ولكن أي شيء يريده الإنسان، إن كان مطابقاً لإرادة الله فإنه يتحقق: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٧ - مشيئة الله عالمة وحكيمة وليست عابثة: ﴿يَشَاءَ اللَّهُ... عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.
- ٨ - يُدْخِلُ الله تعالى، بناءً على مشيئته الحكيمة، من يشاء في رحمته: ﴿يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ﴾.
- ٩ - الأشخاص البعيدون عن الرحمة الإلهية، هم من اختاروا طريق الظلم: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ

السورة: ٧٧ الجزء: ٢٩

عدد الآيات: ٥٠

ملاحح سورة المرسلات

نزلت هذه السورة في مكة وعدد آياتها خمسون.

اسم السورة مأخوذ من أول آية فيها: ﴿وَأَلْمُرْسَلَتِ﴾، والمقصود هو الملائكة الذين يرسلهم الله تعالى للقيام بالمهام المختلفة.

هذه السورة مثل سور: الأنبياء^(١)، القمر^(٢)، الحج^(٣)، الواقعة^(٤)، الحاقة^(٥)، القيامة^(٦)، النبأ^(٧)، التكويد^(٨)، الانفطار^(٩)، الانشقاق^(١٠)، الغاشية^(١١)، القارعة^(١٢) والزلزلة^(١٣)، تبدأ بآية مرتبطة بالمعاد.

وتبدأ بالقسم بالملائكة مثل سور: فاطر، الذاريات، والنازعات.

تكررت في هذه السورة آية: ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ عشر مرات، مثلما تكررت آية: ﴿فَإِنِّي مَآلَاءٌ رَّبِّكُمْ تَكْذِبَانِ﴾ في سورة الرحمن، وآية: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ في سورة القمر.

- | | |
|---|---|
| (١) ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾. | (٨) ﴿إِذَا الْفَتْحُ كُوِّنَتْ﴾. |
| (٢) ﴿أَقْرَبِي السَّاعَةِ﴾. | (٩) ﴿إِذَا السَّاعَةُ انْفَلَتَتْ﴾. |
| (٣) ﴿إِنَّكَ الْبَاسِ السَّاعَةِ شَفِ عَظِيمٌ﴾. | (١٠) ﴿إِذَا السَّاعَةُ انشَقَّتْ﴾. |
| (٤) ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾. | (١١) ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ النَّفِيَّةِ﴾. |
| (٥) ﴿لَمَّا تَفَقَّهَ مَا لِلْقَارِعَةِ﴾. | (١٢) ﴿أَلْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾. |
| (٦) ﴿لَا أَقِيمُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. | (١٣) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا﴾. |
| (٧) ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾. | |

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝١﴾ ﴿فَالْمُصَفِّتِ عَصْفًا ۝٢﴾ ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝٣﴾ ﴿فَالْفَرْقَتِ فَرًا ۝٤﴾
﴿فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا ۝٥﴾ ﴿عِذْرًا أَوْ نَذْرًا ۝٦﴾ ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاعٍ ۝٧﴾

إشارات:

□ كلمة «عُرف» تعني متتالٍ، ويُطلق على الشعر النابت في محدب رقبة الفرس، «عُرف»، وتأتي هذه الكلمة أيضاً بمعنى الجود والمعروف.

□ وردت ثلاثة تفسيرات للأمور الخمسة التي ذكرت في الآيات الأولى أي: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ، وَالْمُصَفِّتِ، وَالنَّاشِرَاتِ، وَالْفَرْقَتِ، فَالْمُلْقِيَتِ﴾:

(أ) يعتقد بعض المفسرين أن المراد بها هو الرياح والعواصف^(١).

(ب) يعتقد بعض أن المراد بها هو أنواع من الملائكة^(٢).

(ج) يعتقد بعض أن الآيتين الأولى والثانية مرتبطة بالرياح والعواصف، والآيات الثالثة إلى الخامسة مرتبطة بالملائكة، وسبب هذا التفكيك هو حرف العطف؛ لأن حرف العطف (واو) في أول الآية يدل على التفكيك وحرف (الفاء) في أول الآية يدل على الوصل.

□ «العاصفات» جمع (عاصف) بمعنى الريح الشديدة، مثل ما ورد في الآية ١٢ من سورة يونس: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾، وكلمة (عصف) تعني الرياح السريعة، مثل: ﴿كَمَصْفٍ مَّاكُولٍ﴾^(٣)، ﴿وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾^(٤).

□ إذا اعتبرنا أن المقصود بالعاصفات هم الملائكة، فيكون معنى الآيات: أنهم يقومون بتنفيذ الأوامر الإلهية بشدة وبسرعة، مثل ما جاء في الآيات: ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٥)، ﴿وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقْمَلُونَ﴾^(٦).

(٤) سورة الرحمن: الآية ١٢.

(٥) سورة النحل: الآية ٥٠.

(٦) سورة الأنبياء: الآية ٢٧.

(١) التفسير الكبير لفخر الرازي.

(٢) الميزان في تفسير القرآن.

(٣) سورة الفيل: الآية ٥.

- يمكن أن يكون القسم بالملائكة والرياح سوياً، للشبه بين الريح والملاك، فكلاهما خفيف وسريع، ولكلاهما دور في الخلق وتدبير الأمور.
- كلمة «ملقيات» جاءت بصيغة الجمع، وقد يكون بسبب أنه في بعض الأحيان تنزل ملائكة مع ملاك الوحي أي جبرائيل، وقد يكون بسبب أن الملائكة وأحياناً أفراداً ما وأموراً أخرى يكونون سبباً في تذكير الإنسان ويلقون أموراً إلى الإنسان.
- يجب أن يُتم الله تعالى الحجة على الناس ويسد الطريق أمام أي عذر أو حجة: ﴿عُذْرًا﴾. ونقرأ أيضاً في الآية ١٣٤ من سورة طه: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتِّعَ بِإِيتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّزِلَ وَتَحْزَنَ﴾.
- ثمة سِرٌّ طبيعي للصفات الثلاث: الناشرات، الفارقات، والملقيات. بالبداية يجب على الملائكة أن تنشر المعارف: ﴿وَالنَّاشِرِينَ﴾، ثم تُفرِّق بين الحق والباطل، وبين الحلال والحرام في ظل المعرفة: ﴿وَالْفَارِقِينَ﴾، وبعد هذا يُلقون الذكر: ﴿وَالْمُلْقِينَ﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - كل ما يُرسل من قِبَل الله تعالى مقدس ويجوز القسم به: ﴿وَالْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٢ - ألطاف الله دائمة ومستمرة^(٢): ﴿وَالْمُرْسَلِينَ عُرْفًا﴾.
- ٣ - ما ينزل من عند الله فهو خير^(٣): ﴿وَالْمُرْسَلِينَ عُرْفًا﴾.
- ٤ - لا يقع شيء مصادفة في نظام الوجود، حتى الريح، يرسلها خالق الكون: ﴿وَالْمُرْسَلِينَ﴾.
- ٥ - يجب أن تُنفذ الأوامر الإلهية بسرعة: ﴿عَصَا﴾.

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) بناء على أن العرف بمعنى التابع والتالي.

(٣) إذا كانت عُرْف بمعنى الخير والمعروف مثل ما ورد في آية ﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾.

٦ - في النظرة الإلهية إلى الكون، لكل من الشدة واللطافة مكانهما وقيمتها: ﴿عَرَفْنَا... عَصَفَا﴾.

٧ - الانتشار والتوسعة لا يعني غض النظر عن المبادئ والأصول: ﴿وَالنَّشِيرَتِ نَشَرَا فَالْفَرِيقَتِ فَرَقَا﴾.

٨ - الأعمال مُقسَّمة في نظام الوجود، وقد أعطي كل فرد أو مجموعة وظيفته، وهذا هو سر النجاح في الإدارة: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ، وَالنَّشِيرَتِ، فَالْفَرِيقَتِ﴾.

٩ - في النظام الإلهي التشريع والتكوين متلازمان: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ... فَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾.

١٠ - يجب السعي إلى تفهيم المطلب للمخاطب في الأوامر الإرشادية: ﴿وَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾.

١١ - أي نوع من الذكر، الإلهام، العلم، وخطور الحق هو من عند الله تعالى: ﴿وَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا﴾.

١٢ - لقد أتم الله الحجة بالفوارق التي وضعها بين الحق والباطل: ﴿عُذْرًا﴾ وقام بالإنذار كذلك: ﴿نُذْرًا﴾.

١٣ - يجب أن يُسدَّ الطريق أمام الاعتذار والتحجج في المهام الإرشادية: ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾.

١٤ - القسم بأشياء متعددة ومفيدة يفتح الطريق للحديث عن أمور مهمة من مثل وقوع القيامة: ﴿وَالْمُرْسَلَتِ، فَالْمُصَفَّتِ، وَالنَّشِيرَتِ، فَالْفَرِيقَتِ، فَالْمُلْقِيَتِ، إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ﴾.

١٥ - الإنسان بحاجة دائمة للتذكير بالقيامة: ﴿وَالْمُلْقِيَتِ ذِكْرًا... إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعَ﴾.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۖ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۖ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفِفَتْ ۖ وَإِذَا الرَّسْدُ أَفْنَتْ ۖ﴾^(١١)
 ﴿لَا يَبْقَىٰ يَوْمَ الْبَاسِ إِلَّا الْيُورُ الْفُضْلُ ۖ وَمَا أَذْرَكَ مَا يَوْمَ الْفُضْلِ ۖ﴾^(١٢)

إشارات:

□ «الطمس» هو الهلاك والمحو، وقد يكون المقصود هو ذهاب نورهم.

□ «الفرج» بمعنى الشَّق، و﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ﴾ تعني انشقاق السماء وتشتتها إلى قطع.

□ «أُفَّت» من وقت وتعني تحديد الوقت ليشهد الأنبياء يوم القيامة، وقد أشير إلى هذا الأمر مرّات عدة في القرآن الكريم، مثل ما ورد في سورة المائدة: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾^(١).

□ «يوم الفصل» هو أحد أسماء يوم القيامة ويعني يوم التفريق. جاء في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾^(٢).

□ عبّرت هذه الآيات عن عظمة يوم القيامة بثلاثة تعبيرات: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا يَوْمَ أُتِلَّتِ لَوْحُ الْفَصْلِ وَمَا آذَنَّاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ وتكرار كلمة (يوم) يدل على عظمة ذلك اليوم.

□ توجد آيات أخرى في القرآن الكريم مشابهة لهذه الآيات:

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُيَسَتْ﴾ ويقول في مكان آخر: ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾^(٣).

﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾^(٤).

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِفَتْ﴾ ويقول في موضع آخر: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾^(٥).

﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِنَّتْ﴾ إذ يقول في آية أخرى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾^(٦).

التعاليم:

١ - يتغيّر النظام الحالي للخلق في يوم القيامة، فتمحى النجوم وتشقق السماء، وقد ذكر هذا التغير مرّات عدة في القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُيَسَتْ وَإِذَا السَّمَاءُ فُجِّرَتْ﴾.

٢ - الوحي هو السبيل الوحيد لمعرفة حقيقة القيامة: ﴿وَمَا آذَنَّاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.

(٤) سورة الانشقاق: الآية ١.

(٥) سورة طه: الآية ١٠٥.

(٦) سورة المائدة: الآية ١٠٩.

(١) سورة المائدة: الآية ١٠٩.

(٢) سورة الحج: الآية ١٧.

(٣) سورة التكوين: الآية ٢.

٣ - لقد عُيِّنَ وقت محدد للأنبياء ليشهدوا على أَمَمِهِم يوم القيامة: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا فِي يَوْمٍ أُتِلَّتْ﴾.

﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝١٦ ثُمَّ نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ ۝١٧ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝١٨ وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝١٩﴾

إشارات:

□ تكررت في هذه السورة جملة: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ مرّات عدة، ونلاحظ هذا التحذير عند نهاية كل آية.

□ تستخدم كلمة «ويل» للتحذير والتهديد بالعذاب والهلاك، وبناءً على بعض الروايات فإنه اسم وادٍ في جهنم أو اسم لأحد أبوابها.

التعاليم:

١ - المكذبون يبيوم الدين هم في معرض الهلاك وعذاب الله لهم هو سنة إلهية: ﴿وَبَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾.

٢ - أيقظوا الضمائر الغافلة بتذكيرها بتاريخ السابقين: ﴿أَلَمْ تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾.

٣ - التذكيب بالدين له تاريخ عريض: ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ... الْأَوَّلِينَ﴾.

٤ - ستؤول الحضارات البشرية إلى الأفول والسقوط لو تخطت حدود الدين وستعطي مكانها لحضارات أخرى: ﴿تُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ... نُنْعِمُهُمُ الْآخِرِينَ﴾.

٥ - تكذيب الدين والقيم الدينية هو منبع الإجرام والفساد في المجتمع: ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ... الْمُجْرِمِينَ﴾.

٦ - عذاب الله تابع لقانون، ولا يشمل إلا المذنبين والمجرمين: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾.

٧ - العذاب الإلهي ليس مبنياً على الانتقام؛ ولكنه مبني على استحقاق الإنسان له: ﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿أَلَمْ تَخْلُقْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿٢٥﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿٢٦﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢٧﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ
الْقَدِيرُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ الْمَكْذِبِينَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

- «مهين» بمعنى الضعيف، والحقير، والقليل، و«مكين» بمعنى المُحْكَم والثابت.
- ثمة مواد وظروف لازمة لصناعة أي مُنتج، من بينها: تعيين الهدف، تأمين المواد، الدراسة والتخطيط، تعيين جدول زمني لمراحل العمل، خدمة الصيانة بعد التصنيع، الترميم والإصلاح، ولقد أخذت كل هذه المراحل بعين الاعتبار وأُجريت عند خلق الإنسان:
- الهدف: هو التكامل الاختياري والمعنوي للإنسان: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).
- المواد الأولية: التراب والنفطة: ﴿مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾.
- مكان التصنيع: ﴿فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾.
- خطة وبرنامج التصنيع: ﴿تُطْفِئُ، عُلْفَةً، مُضْفَكَةً﴾.
- الجدول الزمني: ﴿إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾.
- البرمجة الداخلية: ﴿فَأَلَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٢) وذلك مصاحب للتحكم الخارجي: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾^(٣) و﴿إِنَّا عَلَيْنَا لِلْهُدَى﴾^(٤).
- خدمة ما بعد الإنتاج: ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتُهُمْ﴾^(٥).
- الإصلاح والترميم: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾^(٦)، ﴿فَأَنَّهُ عَفْوَورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٧).
- تكمن عظمة الخلق في أَنَّ الله تعالى خلق الإنسان بكل تعقيداته من قطرة ماء إذ لا يستطيع أي فنان ماهر أن يُشكل شيئاً من الماء: ﴿تَخْلُقُكَ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾.

(٥) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٦) سورة التوبة: الآية ١٠٤.

(٧) سورة الأنعام: الآية ٥٤.

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٢) سورة الشمس: الآية ٨.

(٣) سورة الإنسان: الآية ٣.

(٤) سورة الليل: الآية ١٢.

□ لقد أعطى الله تعالى في أحد المواضع لنفسه وساماً: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^(١) لخلقه الإنسان، وطرح هنا تعبير: ﴿فَتَنَمَّ الْقَدِيرُونَ﴾.

□ يمكن تفسير: ﴿فَتَنَمَّ الْقَدِيرُونَ﴾ بصورتين:

(أ) مع أخذ عبارتي: ﴿إِنَّ قَدِيرٌ﴾ و﴿فَقَدَرْنَا﴾ بالاعتبار، وقد وردتا قبل هذه العبارة، فيكون المقصود من «القادرون» هو القياس وأن الله تعالى قد استخدم أفضل المقاييس في خلقه للإنسان.

(ب) بالنظر إلى أن البحث يدور حول الخلق ومراحلته وهو يحتاج إلى القدرة، فيكون المقصود من «القادرون»، القدرة وأن الله تعالى قد استخدم كمال قدرته في خلق الإنسان.

□ الله هو الأحسن في كل شيء:

- في النصرة والإعانة: ﴿وَتَنَمَّ الْمَوَلَّى وَتَنَمَّ النَّصِيرُ﴾^(٢).
- في الدعم والتأييد: ﴿وَتَنَمَّ الْوَكِيلُ﴾^(٣).
- في التمهيد والتهيئة: ﴿فَتَنَمَّ الْمَهْدُونَ﴾^(٤).
- في الإجابة: ﴿فَلَنَنَمَّ الْمُجِيبُونَ﴾^(٥).
- في الإثابة: ﴿وَتَنَمَّ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾^(٦).
- في القدرة: ﴿فَتَنَمَّ الْقَدِيرُونَ﴾.

التعاليم:

- ١ - يدل خلق الإنسان من ماء مهين على العظمة والقدرة الإلهية ويدل كذلك على المعاد وإحياء الإنسان مرة أخرى: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.
- ٢ - يُذهب ذكر الضعف وهوان القيمة، غرور الإنسان وتكبره: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.

(٤) سورة الذاريات: الآية ٤٨.

(٥) سورة الصافات: الآية ٧٥.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٣٦.

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

- ٣ - استفيدوا الأمور المحسوسة عند الدعوة والتبليغ: ﴿أَلَمْ تَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ﴾.
- ٤ - فلتتعلم من الله تعالى، ولنسع للإحكام والتمكين في العمل والتصنيع: ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾.
- ٥ - من أصول الخلق الإلهي، التقدير والجدول الزمني: ﴿إِنْ قَدَرِ مَّعْلُومٍ فَقَدَرْنَا﴾.
- ٦ - رشد الجنين تابع للقياسات الإلهية الدقيقة: ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْفَعْدِرُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۖ (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۖ (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً قُرَاتًا ۖ (٢٧) وَبِلََّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨) أَنْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ۖ (٢٩) أَنْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ۖ (٣٠) لَا ظِلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ الْلَّهَبِ ۖ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۖ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَلَتٌ صُفْرٌ ۖ (٣٣) وَبِلََّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)﴾

إشارات:

□ «كفات» المكان الذي يوضع ويُجمع فيه الشيء. ورد في الروايات أَنَّ الإمام الصادق (عليه السلام) نظر إلى القبور وقال: «هذه كفات الأموات»، ونظر إلى البيوت وقال: «هذه كفات الأحياء»^(١).

□ المقصود من: ﴿ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ الظل الذي يتكوّن على أثر الدخان العظيم لنار جهنم، ومن الجلي أَنَّ هذا الظل ليس غير مريح وحسب، بل إِنَّه مؤذٍ وحارق، يتراكم هذا الدخان ويتعاضم لدرجة أَنه يتشعب إلى ثلاث شُعب، شُعبة تُحيط بأهل جهنم من فوقهم، شُعبة عن شمالهم، وشُعبة عن اليمين، وتدخلهم في جوفها.

□ الشُعب التي تخرج من نار جهنم شبيهة بقصور الدنيا العالية وبالجمال صُفر اللون، وكأنَّ القرآن يهدد ساكني القصور وكانزي الذهب بأن انتبهوا أَلَّا يأكلكم لهب جهنم الشبيه بالقصر.

□ «شامخات» يعني الجبال العالية، و«فراة» يعني الماء العذب.
 □ «الظل الظليل» هو الدائم. و«لا ظليل» يعني الظل عديم الفائدة لا يحمي من الحرارة.

□ «جماليات» جمع جمل، و«صُفر» جمع أصفر.

□ خلق الله تعالى الأرض على أنسب وجه من حيث السعة، طريقة الحركة، تأمين الأمن عن طريق الجبال، تأمين الماء الذي يحتاجه الإنسان والنباتات والحيوانات، وجعل التراب أفضل طريقة للتخلص من النفايات، ومياه الصرف، ودفن الأموات، وجعل فيها خاصية قتل الجراثيم فأصبحت كمصفاة تأخذ الماء المعكر وتحوله إلى ماء زلال، هذه المصفاة، طبيعية، مجانية، دائمة وعامة، ولا تتعرض لأي نقص فني، في الواقع لو لم تكن الأرض موجودة لملاأت الرائحة الكريهة والمتعفنة كل مكان.

□ يحيط عذاب الله بالمجرمين من كل جهة فلا يوجد سبيل للهرب والطريق الوحيد المفتوح هو طريق جهنم: ﴿أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾، ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرِجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرِ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^(١)، ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾^(٢).

التعاليم:

١ - سطح الأرض هو أفضل مكان ليعيش الأحياء عليه، وباطن الأرض أفضل مكان للأموات: ﴿أَرَأَيْتُمْ تَجْمَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَآمُوتًا﴾.

٢ - الجبال هي من منابع تأمين الماء اللازم: ﴿رَوَّيْنِي شَيْخَلَتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً﴾.

٣ - مشهد يوم القيامة شديد وصعب جداً لدرجة أن الذهاب إلى جهنم كأنه نوع من التحرر للمجرمين: ﴿أَطْلِقُوا إِلَى...﴾.

٤ - يحيط بجهنم دخان غليظ له ظل، ولكن لا يوجد فيه أي راحة: ﴿ظِلِّي...﴾.

(١) سورة الحج: الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف: الآية ٢٩.

٥ - القصور والأموال التي جُمعت في الدنيا بالباطل، ستتحول يوم القيامة إلى السنة لهب جهنم: ﴿كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ خُمُودٌ﴾.

٦ - إذا كانت السنة اللهب لنار جهنم شبيهة بالقصور العالية والجمال العظيمة، فما حال النار نفسها؟! ﴿يَشْكُرُ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ خُمُودٌ﴾.

٧ - العقائد الفاسدة هي أساس كل جُرم، فمن لا يملك الاعتقاد ويكذب الحق، سيقدم على أي عمل فاسد: ﴿وَيَلَّيْزُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيَلَّيْزُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٣٩﴾ وَيَلَّيْزُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

إشارات:

□ للقيامة مواقف متعددة، في أحد المواقف، يُختم على الأفواه فلا يستطيع الشخص أن يتكلم: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ و﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾^(١)، وفي مواقف أخرى ثمة تحاور، ولقد بيّنت آيات عدة في القرآن الكريم هذه الحوارات وشكوى المجرمين يوم القيامة.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «الله أجلّ وأعدل من أن يكون لعبده عذر لا يدعه يعتذر به؛ ولكنه فليج من لم يكن له عذر».

□ يستطيع الإنسان في الدنيا أن يخدع نفسه أو أن يخدع الآخرين عن طريق المال، والقوة، والتزوير، أو عن طريق الرشوة، والتهديد، والوعيد، أو أن ينتفع من أقاربه ومعارفه، ولكن في يوم القيامة يُسد الطريق أمام كل هذه الأمور: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا﴾.

التعاليم:

- ١ - لا ينطق المجرمون يوم القيامة إما بسبب الخوف، أو لعدم وجود فائدة، أو أنه قد خُتم على أفواههم، أو لأن الأمور واضحة: ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطُقُونَ﴾.
- ٢ - لا ينبغي أن يتعب المُرتبي أو المُبلّغ من تكرار التحذير. تكررت آية: ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ الْكَافِرِينَ﴾ عشر مرّات في هذه السورة.
- ٣ - القيامة هي يوم الجمع وهي يوم الفصل كذلك: ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْتُمْ﴾؛ (من جهة، يحضر الجميع ولا يتغيّب أحد: ﴿وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(١)) ومن جهة أخرى يفصل بين الصالحين والمجرمين وسيُفَرّق بينهم، حتى أهل الجنة لهم درجات مختلفة في الجنة).
- ٤ - يوم القيامة هو يوم الحساب والقضاء، وليس يوم الاعتذار: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ... هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾.
- ٥ - لا يوجد فرار يوم القيامة، ولا خداع، ولا تُقبل فدية، ولا يوجد طريق للفلاح: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾.
- ٦ - يكون المجرمون يوم القيامة عاجزين، ومتحيرين، ولا يملكون أي سبيل: ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلِّ وَعُيُونٍ ۖ ﴿٤١﴾ وَفَوْكَهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۖ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۖ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۖ ﴿٤٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ الْكَافِرِينَ ۖ ﴿٤٥﴾﴾

إشارات:

□ تحدّث الله تعالى في الآيات السابقة عن خواص جهنّم، ودخانها، والنار ذات الثلاث شُعَب المحيطة بها، وبالمقابل يتحدّث في هذه الآية عن ثلاث نِعَم لأهل التقوى: ﴿ظِلِّلِ وَعُيُونٍ وَفَوْكَهَ﴾.

□ تستخدم كلمة «هينئاً» في الموارد التي لا يكون فيها أي صعوبة أو ضيق ويكون موردها سائغاً وسهلاً بشكل كامل.

□ المقارنة هي من وسائل القرآن في التربية:

(عقاب المجرمين)

(ثواب المتقين)

﴿ظَلِّ ذِي ثَلَاثِ شَعْبٍ﴾

﴿فِي ظِلِّ لَيْلٍ وَعُيُونٍ﴾

﴿كُلُوا وَتَمَنَّوْا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرَمُونَ﴾

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾

﴿كَذَلِكَ نَفْعِلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿أَنطَلِقُوا لَنَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَكَذِّبُونَ﴾

﴿هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

□ سؤال: لماذا جاءت: ﴿وَبَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلشَّكَّارِينَ﴾ بعد الآيات المرتبطة بالجنة أيضاً؟

الجواب: قد يكون بسبب أن حسرة الحرمان من نعيم الجنة هي في حد ذاتها من أعظم العذابات.

التعاليم:

- ١ - لكل من الجنة والنار ظلال مختلفة: ﴿ظَلِّ ذِي ثَلَاثِ شَعْبٍ... فِي ظِلِّ لَيْلٍ وَعُيُونٍ﴾.
- ٢ - يحب الإنسان التنوع، وفي الجنة، فإن البساتين، العيون، الفاكهة، الطعام والأنهار كلها متنوعة: ﴿فِي ظِلِّ لَيْلٍ وَعُيُونٍ وَفَوَازٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾.
- ٣ - وجود الماء إلى جانب الشجر دليل على النعيم الكامل: ﴿فِي ظِلِّ لَيْلٍ وَعُيُونٍ﴾.
- ٤ - يُعَوِّضُ نعيم الجنة على المؤمنين ما حُرِّمُوا منه في الدنيا: ﴿إِنَّ الشَّيْءَ فِي ظِلِّ لَيْلٍ وَعُيُونٍ﴾.
- ٥ - المعاد جسماني وتناسب نعيم المعاد مع احتياجات جسم الإنسان: ﴿وَفَوَازٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾.
- ٦ - يتوقف الحصول على النعمة على عمل الإنسان: ﴿هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.
- ٧ - لا يوجب طعام الجنة أي مشقة أو عارض: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾.
- ٨ - تُحْصَلُ الجنة بالعمل لا بالاعتذار: ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٩ - العمل ذو القيمة هو العمل الدائم الثابت، لا العمل الموسمي المنقطع: ﴿كُنْتُمْ تَقْلُونَ﴾.

١٠ - السعي والإحسان من ضروريات التقوى: ﴿الْمُتَّقِينَ... كُنْتُمْ تَقْلُونَ... الْمُحْسِنِينَ﴾.

١١ - السنة الإلهية في الثواب والعقاب واحدة لكل البشر: ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

١٢ - يدل تكرار التحذير على اللطف الإلهي، فقد يثوب المستكبرون إلى رشدهم ويتوقفون عن التكذيب بالحقائق: ﴿وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾ (٤٦) وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨) وَيَلَّيْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)﴾

إشارات:

□ يسمح الطبيب للمريض بتناول أي طعام في حالتيه: الحالة الأولى أن يكون قد شُفي من مرضه وتعافى، والحالة الأخرى أن يكون مرضه غير قابل للعلاج وقد يشس الطبيب من شفائه. وكذلك في القرآن، فإن أمر ﴿كُلُوا﴾ قد يدل أحياناً على السلامة والأمل، وأحياناً أخرى يدل على العذاب الإلهي، مثلما خاطب الله تعالى المجرمين في الآيات قائلًا: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾، وكذلك آية: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾^(١).

□ أمر النبي الأكرم ﷺ قبيلة ثقيف بالصلاة، فقالوا: نحن لا نركع ونسجد لأحد، فقال ﷺ: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»^(٢).

□ أسلمت هند زوج أبي سفيان بعد فتح مكة، ويروى أن رسول الله ﷺ سألها كيف رأيت دين الإسلام؟ قالت: أفضل دين لولا ثلاثة أشياء فيه. فسألها وسا هي؟ قالت: أحدها التجبية (الركوع والسجود)، والثاني المعجر (الحجاب)،

(١) سورة فصلت: الآية ٤٠.

(٢) البهار، ج ١٧، ص ٥٢.

والثالث صعود هذا الغلام الأسود سطح الكعبة أي أذان بلال. فقال ﷺ: أما التجبية فلا تقبل الصلاة بدونها. وأما الحجاب فهو أفضل لباس للمرأة. وأما الغلام الأسود، فهو من أفضل خلق الله^(١).

□ «الحديث» هو الكلام الجديد والحديث الذي لم يسبق أحد إليه.

□ طلب النبي إبراهيم من الله تعالى بعد أن جدد الكعبة ألا يرزق إلا المؤمنين: ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنْ أَلْفَرَاتٍ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾؛ ولكن الله تعالى قال: سأرزق في الدنيا الكافرين أيضاً وسأحاسبهم يوم القيامة: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ...﴾^(٢).

□ الركوع من أركان الصلاة، وهو شاخص وميزة خاصة بالصلاة؛ لأن السجود بنفسه يمكن القيام به خارج إطار الصلاة، مثل سجدة الشكر، ولكن لا يوجد موضع آخر للركوع غير الصلاة، ولهذا استخدمت كلمة ركوع في الحديث عن الصلاة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾.

التعاليم:

- ١ - متاع الدنيا ليس شيئاً أمام متاع الآخرة: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾.
- ٢ - التمتع بنعيم الدنيا، لا يشير بالضرورة إلى حب الله للشخص: (فالمجرمون يتمتعون أيضاً)، ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ﴾.
- ٣ - استفادة المجرمين من النعم الإلهية هي استفادة مادية فقط: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا...﴾.
- ٤ - مهما كانت الحياة الدنيا طويلة، فهي لا شيء أمام الآخرة: ﴿وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا﴾.
- ٥ - ترك الصلاة من الدلائل على التكذيب العملي بالدين: (جاءت عبارة ترك الصلاة بين كلمتي المكذبين): ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.
- ٦ - إنكار الدين ملازم لارتكاب الجرم: ﴿إِنَّكُمْ تُجْرِمُونَ وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

- ٧ - القرآن هو أفضل وأحدث وأبلغ رسالة للناس: ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ﴾.
- ٨ - لا يصير كلام القرآن قديماً أبداً وهو جديد لكل زمان: ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾.
- ٩ - من لم يؤمن بالقرآن، فبأي كلام بعده سيؤمن؟ ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ النَّبَاِ

السورة: ٧٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤٠



ملاحح سورة النبا

سورة النبا مكية وعدد آياتها أربعون.

اسم السورة مأخوذ من الآية الثانية والتي تصف يوم القيامة بالنبأ العظيم.

استدلت هذه الآيات على وقوع يوم القيامة بالنظام الحكيم الحاكم على الطبيعة، واعتبرت أن القيامة ضرورية لإجراء نظام الثواب والعقاب وأنها من لوازم الحكمة الإلهية وبدونها يكون وجود الإنسان عبثاً وبلا فائدة.

وفي تنمة السورة، تشير الآيات إلى جزء من العذاب الشديد للطغاة وتُبين نعم الجنة وتختتم بتحذير الكافرين بشدة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ بَسَّاءُ لَوْ (١) عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُوَ فِيهِ تُخْتَلِفُونَ (٣)
كَلَّا سَبَّعْتُمُوهُ (٤) ذُو كَلَّا سَبَّعْتُمُوهُ (٥)﴾

إشارات:

□ كلمة «نبا» تعني الخبر المهم والحتمي، ويُفهم من الآيات اللاحقة أن المقصود من هذا الخبر هو وقوع القيامة.

□ عَرَفَت الروايات الإمام علياً عليه السلام على أنه أحد مصاديق النبا العظيم^(١).

□ ينقسم الكفار إلى مجموعات عدة في ما يخص المعاد: ﴿الَّذِي هُوَ فِيهِ تُخْتَلِفُونَ﴾. يعتقد بعضهم أنه بعيد ومستحيل، وبعض آخر يُشكك فيه، وبعض ثالث يعاند فيه.

□ قد يكون السؤال أحياناً لفهم المطلوب وهذا النوع من السؤال يؤديه القرآن ويؤكد عليه، مثل قوله: ﴿فَتَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾^(٢)، ولكن أحياناً يكون السؤال لإيجاد الشك والتردد عند الآخرين خاصة في الأمور الحتمية والقطعية مثل وقوع القيامة، إذ يذم القرآن في هذه الآيات هذا النوع من السؤال.

التعاليم:

- ١ - ابتداء الكلام بالسؤال، يجعل الحديث مؤثراً: ﴿عَمَّ بَسَّاءُ لَوْ﴾.
- ٢ - التشكيك في القيامة هو عمل الكافرين: ﴿بَسَّاءُ لَوْ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ﴾.
- ٣ - إذا كان السؤال طبيعياً يجب الإجابة عنه: ﴿يَسْأَلُونَكَ... قُلْ﴾؛ ولكن إن كان ناشئاً عن المكر والعبث فيجب التصدي له: ﴿كَلَّا سَبَّعْتُمُوهُ﴾.
- ٤ - يجب مواجهة الهمز واللمز على المقدسات والمعتقدات الحتمية بشكل قطعي: ﴿كَلَّا﴾.

- ٥ - يجب تكرار كلام الحق في مقابل التشكيك: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ... كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.
 ٦ - القيامة ليست بعيدة: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾؛ (يشير حرف السين إلى القرب).
 ٧ - يوم القيامة هو يوم كشف الحقائق: ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ۝١ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٢ وَخَلَقْتَكَرَ أَزْوَاجًا ۝٣ وَجَعَلْتَ تَوْمَكُ سُبَاتًا ۝٤
 وَجَعَلْتَ أَيْلًا يَاسًا ۝٥ وَجَعَلْتَ النَّهَارَ مَعَاشًا ۝٦﴾

إشارات:

□ «أوتاد» جمع وتد بمعنى المسمار، وتشبيه الجبل بالمسمار هو من المعجزات العلمية للقرآن الكريم. تمتد الجبال في عمق الأرض، تحول دون حركة طبقات الأرض وحدوث الزلازل الدائمة. الجبال كالمسمار، قد غارت في جوف الأرض بمقدار يساوي أضعاف حجمها الظاهري. وللجبال فوائد أخرى كذلك: تحفظ الثلج للشتاء، تمنع الرياح الشديدة، علامة ودليل للطريق، فيها المعادن والأحجار والكهوف، وهي عامل في تكوين الوديان ولكل منها دوره المهم في الحياة.

□ «سبات» يعني التعطيل والتوقف عن العمل وهو يبعث في الجسم والروح الراحة والاستقرار.

التعاليم:

- ١ - القليل يدل على الكثير. التأمل في الوجود هو من أفضل الطرق لمعرفة الله ومعرفة المعاد: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾.
 ٢ - الإنسان عبد الله في عقله وضميره، وبالإمكان سؤال ضميره عن القدرة الإلهية: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ﴾.
 ٣ - يُستدل على قدرة الله على إحداث القيامة من خلال قدرته على خلق الأرض والسماء والظواهر الطبيعية الأخرى: ﴿الْأَرْضَ... وَالْجِبَالَ... أَيْلًا... النَّهَارَ﴾.
 ٤ - استدلوا على عقائدكم الحقّة بعد نفي الأفكار الباطلة: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ... أَلَمْ تَجْعَلِ﴾.

٥ - يستطيع الإنسان أن يعتبر من الأرض، والزمان، والنوم، والأكل، إن لم يكن معانداً: ﴿الْأَرْضُ... أَيْلٌ... أَلْتَهَارُ﴾.

٦ - تدل قدرة الله وحكمته في خَلْقنا وخلق الوجود على أنه لن يتركنا بعد الموت: ﴿وَخَلَقْتُمْ أَزْوَاجًا... تَوَكَّرُ سُبَّانًا... أَلْتَهَارُ مَعَانًا﴾.

﴿وَبَيَّنَّا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ۝١٦﴾

إشارات:

□ «معصرات» من العصر أي الضغط، أو أنها صفة للسحاب الحامل للمطر، وكأن السحاب يعصر نفسه ليُنزل المطر، أو أنها صفة للرياح التي تجمع السحب معاً وتعصرها لينزل منها المطر^(١).

التعاليم:

١ - بنى الله تعالى إدارته للوجود على أساس نظام محدد: (نظام السببية والعللة والمعلول). (عوامل إنتاج البذور والنبات هم النور، وحرارة الشمس، مضافاً إلى المطر والسحاب): ﴿سِرَاجًا وَهَّاجًا مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾.

٢ - القرآن ليس شعراً؛ ولكن له لحناً موسيقياً خاصاً: ﴿وَهَّاجًا، ثَجَّاجًا، نَبَاتًا﴾.

٣ - لا ينبغي أن تجرنا الأسباب والعوامل الطبيعية إلى الغفلة عن الله تعالى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ...﴾.

٤ - الله الذي أحيا الأرض الميتة بنزول المطر وجعلها بستاناً أخضر، ليس بعاجز عن أن يحيي الموتى: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا... وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا﴾.

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾ (١٧) ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَأَتُونَ أَفْوَاجًا﴾ (١٨)
 ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ (١٩) ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ (٢٠)

إشارات:

□ من جهة، فإن القيامة هي يوم الجمع؛ لأن الكل يجتمع فيها، ومن جهة أخرى فهي يوم الفصل؛ لأنه يُفصل فيها بين الصالحين، والطالحين، والحق، والباطل.

□ جاء في الروايات أنه في يوم القيامة يُقسَّم الناس إلى مجموعات مختلفة ولكل مجموعة هيئة؛ النّمامون على هيئة قرد، آكلو السحت على هيئة خنزير، آكلو الربا على هيئة مقلوبة، يكون القاضي الظالم أعمى، المغرور يكون أبكم وأصم، العالم بلا عمل يمضغ لسانه، الجار المؤذي يُحشر بلا يدين وساقين، ويُعلّق الواشي في النار، ويُحشر من اتبع هواه كريبه الرائحة، والمتكبرون يُحشرون بلباس من نار جهنم^(١).

□ حركة الجبال هي مقدمة لارتطامها ببعض، وتفتتها، وتشتت أحجارها، حتى تصبح في النهاية كالرمال الجارية، وتُرى من بعيد كأنها سراب: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

التعاليم:

- ١ - الدنيا مقدمة للقيامة، وكل هذه النعم ليست عبثاً أو بلا فائدة: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾.
- ٢ - وقت يوم القيامة معروف عند الله من قبل: ﴿كَانَ مِيقَتًا﴾.
- ٣ - للقيامة نظام كذلك: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾.
- ٤ - يتغير نظام السماء والأرض يوم القيامة: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ... وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾.
- ٥ - لا يُترك الإنسان ولا يُنسى بالموت: ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا﴾.

٦ - لا تفرحوا بالعلاقات والارتباطات الدنيوية، فسيأتي يوم يُفَرَّق فيه بين كل شيء: ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾.

٧ - يتسع ارتباط أهل السماء والأرض في يوم القيامة: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ﴾.

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِلطَّاغِينَ مَنَابًا ﴿٢٢﴾ لِيُثَبِّتَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وَفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّمَا كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

إشارات:

□ «مرصاد» يعني كمين، و«طاغين» من الطغيان أي التمادي في المعصية إلى أبعد الحدود.

□ «مآب» من الأوب بمعنى الرجوع، ويقال لعاقبة المرء، مآب؛ لأن الإنسان يصنعها بعمله وسيعود إليها الآن.

□ «أحقاب» جمع حُقب وتعني الفترة الزمنية الطويلة.

□ جاء في الروايات: «أحقاب» جمع حُقب وكل حقبة ستين سنة، ويقول بعض: إنه ثمانون سنة؛ إذ إن كل يوم فيها كآلف سنة مما تعدون في الدنيا^(١).

□ «حميم» الماء الحار، و«غساق» الماء الأصفر الذي يخرج من الجرح، والدم، والقيح.

□ قد يكون معنى الآية هو أن جهنم تنتظر الجميع بالمرصاد، ولكن المتقين يعبرون منها ويبقى المجرمون فيها: ﴿لِلطَّاغِينَ مَنَابًا﴾.

□ مع أخذ العدل الإلهي بعين الاعتبار فإنَّ العذاب والجزاء متناسبان مع جنس العمل: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ والعذاب الزائد الذي ذُكر في الآية: ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ هو نتيجة للكفر الزائد والفرار من الحق: ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(٢)

كان فرار الكفار يزداد في مقابل كل دعوة للأنبياء، ولهذا سيزيد الله تعالى من عذابهم.

□ في جهنم، توجد حرارة في مكان البرودة، وثمة غساق وهو مكان الشراب: ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا جِيمًا وَغَسَاقًا﴾.

التعاليم:

- ١ - جهنم بالمرصاد للمجرمين من الآن: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾.
- ٢ - وقوع المجرمين بالكمين هو أمر حتمي: ﴿مِرْصَادًا لِلظَّالِمِينَ﴾.
- ٣ - الطغيان هو من علائم أهل النار: ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾.
- ٤ - عقاب الله تعالى، عادل: ﴿جَزَاءً وَكَافًا﴾.
- ٥ - مجرد احتمال الحساب والعقاب في يوم القيامة هو كاف للتحكم بالإنسان: ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾.
- ٦ - عدم الاعتقاد بيوم القيامة هو سر الطغيان: ﴿لِلظَّالِمِينَ... لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾.
- ٧ - يُمهّد إنكار القيامة لإنكار كل شيء: ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾.
- ٨ - ثمة حساب وكتاب للأعمال الصغيرة منها والكبيرة وقد أحاط علم الله تعالى بكل شيء وهذه الإحاطة ثابتة وباقية (الكتابة هي رمز الثبات والبقاء): ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَزْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ «المفاز» إمّا بمعنى مكان الفوز وإما الفوز نفسه. «حدائق» جمع (حديقة) وهي البستان المسور. «كواعب» جمع كاعب وتُطلق على الفتاة التي برز صدرها حديثاً. «أتراب» جمع ترب أي المماثل في السن والشكل والصفات. وقد يكون

المقصود هو أنه لا توجد أفضلية في الجمال بين حور الجنة. كلمة «كأس» تعني الرعاء البلوري، و«دهاق» أي ممتلئ إلى آخره، وقد اعتبر بعضهم أن دهاق من مادة «دَهَقَ» أي العُقد المتواصلة أي أنّ كؤوس الشراب تُعرض الواحدة تلو الأخرى.

□ للعب مكانة خاصة بين الفاكهة ولهذا ذكر بشكل منفرد: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾.

التعاليم:

١ - يجب أن يكون الخوف والرجاء متلازمين. جاء في هذه السورة جزاء المتقين إلى جانب عقاب الطاغين: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِلطَّاغِينَ... إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾.

٢ - إن الفوز والفلاح هما في ظل النعم المادية والمعنوية: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾؛ كلمة «حدائق» هي رمز للنعم المادية، وعبارة «لا يسمعون» رمز للنعم المعنوية).

٣ - لا تَجُرْ نِعَمَ الْجَنَّةِ الْإِنْسَانَ إِلَى الْغُرُورِ والتكبر والغفلة وقول الزور: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾.

٤ - الجلسات التي لا يكون فيها لغو ولا كذب، هي كجلسات الجنة: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا﴾.

٥ - ليس العذاب وحده هو العادل: ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾، بل الثواب كذلك له حساب وكتاب: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾.

٦ - لا يكذب أفراد مجتمع الجنة بعضهم بعضاً ويسود بينهم الاطمئنان والثقة: ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾.

٧ - الثواب الإلهي، تفضل وعطاء من الله، وليس له أي تبعة: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً﴾.

٨ - نظام الثواب والعقاب هو من لوازم الربوبية: ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ﴾.

٩ - ثواب الله للمتقين له حساب. من كان تقاه أكثر كان ثوابه أكبر: ﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾.

﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ (٢٧)

التعاليم:

- ١ - تدبير أمور الوجود سيان عند الله. لا تتفاوت عنده السماء والأرض وما بينهما: ﴿رَبِّكَ... رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
 - ٢ - للنبي الأكرم مقام رفيع جداً. كأنه في كفة وباقي العالم كله في كفة أخرى: ﴿رَبِّكَ... رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.
 - ٣ - ربوبية الله مبنية على أساس الرحمة: ﴿رَبِّكَ... الرَّحْمَنُ﴾.
 - ٤ - ليس للحق معارضون ومخالفون يوم القيامة: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾.
- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَكُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ (٢٨) ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ﴿٢٩﴾

إشارات:

- تأتي كلمة «الروح» في القرآن الكريم أحياناً بصورة مطلقة، مثل هذه الآية والآية ٤ من سورة القدر: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ﴾ وتكون عادة مقابلة للملائكة في هذه الموارد. وأحياناً تأتي مقيدة من مثل روح القدس، روح الأمين.
- يُستنتج من الروايات أنَّ الروح إما أن تكون مخلوقاً أعظم من الملاك، وإن كان ملاكاً فإنه أعظم الملائكة. كما جاء في رواية عن الإمام الصادق (عليه السلام): «الروح ملاك، أعظم من جبرائيل وميكائيل»^(١).
- ورد في الروايات أنَّ المقصود من: ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) إذ إنَّ الله يأذن لهم ويقولون حقاً وصواباً^(٢).

التعاليم:

- ١ - لا يحضر الإنس والجن فقط في يوم القيامة، بل حتى الملائكة يحضرون: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾.
- ٢ - من خصائص ملائكة الله أنهم يراعون النظام والانضباط ومستعدون لتنفيذ الأوامر: ﴿يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾.
- ٣ - الشفاعة يوم القيامة منوطة بالإذن الإلهي: ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.
- ٤ - الإنسان حر في اختيار الطريق: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾.
- ٥ - وقوع يوم القيامة حق، ويعمل فيه بالحق كذلك: ﴿الْيَوْمَ الْحَقُّ﴾.
- ٦ - لأن القيامة حق، فعلينا اختيار الطريق الذي يؤدي بنا إليها: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَاجَا﴾.

﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ
وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾

التعاليم:

- ١ - التحذير والتنبية بالنسبة إلى الأفراد الغافلين، أهم من البشارة: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَكُمْ﴾.
- ٢ - من علائم الغفلة، اعتقاد الناس بأن القيامة بعيدة: ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾.
- ٣ - الندم، دليل على أن الإنسان مختار: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.
- ٤ - ينظر الإنسان إلى عمله يوم القيامة: ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.
- ٥ - المصير الأخروي لكل شخص، في يد الشخص نفسه: ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾.
- ٦ - تأخذ الأرض بذرة، فتثبت عنقوداً؛ ولكن الكفار يسمعون مئة دليل وبرهان ولا يقبلون بواحد منها. إذاً فإن التراب أفضل من الكافر: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾.

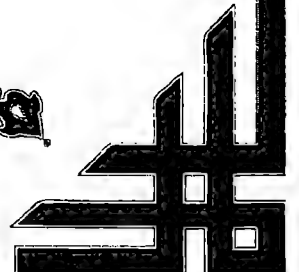
والحمد لله رب العالمين



سُورَةُ النَّازِعَاتِ

السورة: ٧٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤٦



ملامح سورة النازعات

آيات سورة النازعات ست وأربعون آية، وهي من السور المكيّة. اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى وهو بمعنى الملائكة النازعة للروح. كباقي السور المكيّة وكسورة النبأ التي سبقتها، فإنّ محور مطالب هذه السورة يدور حول المعاد والقيامة.

تبدأ هذه السورة بالقسم بأنواع الملائكة، إذ إنّ الملائكة هي المسؤولة عن أخذ روح الكافرين والمؤمنين وتدبير أمور كل العباد.

توضيح جزء من الأحداث التي جرت بين موسى وفرعون وطغيانه في مقابل الحق والذي استحق على أثره الجزاء الإلهي الشديد في الدنيا، هو مقدمة لتوضيح الأصل الكلي الذي مفاده أنّ الطغيان وعبادة الدنيا يوصلان الإنسان إلى جهنّم، في حين أنّ محاربة هوى النفس وتقوى الله يقودان الإنسان إلى جنة السعادة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْتَرَعَدَتِ غَرَقًا ۝١ وَالنَّشِيطَاتِ نَشَاطًا ۝٢ وَالسَّيِّدَاتِ سَيِّبًا ۝٣
فَالسَّيِّدَاتِ سَيِّبًا ۝٤ فَاَلْمُذِرَاتِ أَمْرًا ۝٥﴾

إشارات:

□ «النزاع» بمعنى فصل الشيء بالاختلاف أو السحب. «الغرق» بمعنى الشدة. و«النشط» بمعنى فك العقدة و«النشاط» يعني التخلص من العقد الروحية. على عكس بعض الناس الذين يؤدون صلاتهم بكسل أو ينفقون وهم كارهون، فإن ملائكة الله يقومون بأداء مهامهم بكل نشاط. و«الناشط» تُطلق على الشخص الذي يؤدي العمل برغبة. وتُطلق هذه الكلمة أيضاً على الشخص الذي يسحب الدلو من البئر، وكأنّ الملائكة يسحبون روح المؤمنين بهدوء^(١).

□ في الواقع فإنّ (نازعات) و(ناشطات) وصفان لطائفة من الملائكة ولأنّ كلمة (طائفة) مؤنث فقد جاءت هاتان الصفتان بصيغة المؤنث كذلك.

□ «السابحات» من سبح بمعنى الحركة السريعة في الماء أو في الهواء. وفيها إشارة إلى سرعة الملائكة في تأدية الأوامر الإلهية.

□ عن الإمام علي عليه السلام، في وصف قبض الملائكة أرواح المؤمنين: «يقبضون أرواح المؤمنين يسلّونها سلّاً رقيقاً»^(٢).

□ قَسَمُ الله تعالى بالملائكة فيه دليل على أهمية الملائكة ومقامهم في نظام الوجود وكذلك أهمية الأمر الذي أقسم من أجله.

□ قد تكون الصفات الخمس التي وردت في هذه الآيات متعلقة بخمس مجموعات من الملائكة، وقد تكون لمجموعة واحدة إذ تعني أنّه بمجرد صدور

الأمر، فإنها تقوم من مكانها وتسعى بنشاط وتتحرك بسرعة وتتسابق في ما بينها لأداء الأمر بتدبير^(١).

التعاليم:

- ١ - كل من كان تعلقه بالماديات أكثر، يكون انتزاع هذا التعلق من قلبه أصعب: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾.
- ٢ - لحظة الموت، هي بداية الجزاء والعقاب: ﴿غَرْقًا، نَشْطًا﴾.
- ٣ - كل طائفة من الملائكة، مأمورة بعمل خاص: ﴿وَالنَّازِعَاتِ، وَالنَّاطِقَاتِ، وَالسَّابِقَاتِ﴾.
- ٤ - النشاط عند تأدية الوظيفة هو ميزة: ﴿وَالنَّاطِقَاتِ نَشْطًا﴾.
- ٥ - كل الوجود، ميدان عمل للملائكة: ﴿وَالسَّابِقَاتِ سَبَاقًا﴾.
- ٦ - تتسابق الملائكة في ما بينها لتأدية الأوامر الإلهية: ﴿فَالسَّابِقَاتِ﴾.
- ٧ - تقوم الملائكة بعملها على أحسن وجه: ﴿غَرْقًا، نَشْطًا، سَبَاقًا﴾.
- ٨ - مع أنّ التدبير الإلهي بيد الله ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾^(٢)، إلا أنه يأذن للملائكة بأن يدبروا: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.
- ٩ - يلزم الملائكة مهارة خاصة لإدارة الأمور وتديرها: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.
- ١٠ - يحتاج تدبير الأمور وإدارتها إلى السرعة والنشاط والسبق: ﴿وَالنَّاطِقَاتِ، وَالسَّابِقَاتِ، فَالسَّابِقَاتِ، فَالْمُدَبِّرَاتِ﴾.
- ١١ - نظام الوجود قائم على أساس التدبير، لا الصدفة: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ...﴾.
- ١٢ - التدبير ميزة تستحق أن يُقسم بها: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۖ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ ۖ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۚ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ ۚ يَقُولُونَ أَوَنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۚ أَوَإِذَا كُنَّا عِظْلًا مَخِرَّةً ۚ قَالُوا تِلْكَ إِذَا كَرَّ خَاسِرَةٌ ۚ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۚ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۚ﴾

إشارات:

□ «الراجفة» بمعنى الاضطراب والاهتزاز الشديد. ويُقال لكلام الفتنة الباعث على الاضطراب: «أراجيف».

□ «رادفة» من رديف وتعني اللحاق في الأثر، وتقال لتتابع الزلزال. قد تكون الهزة الأرضية الأولى بسبب نفخ الصور الأول حيث يموت الجميع، وعندها يكون المقصود من رادفة النفخ الثاني في الصور إذ يحيا الجميع، كما صرّحت بهذين الأمرين الآية ٦٨ من سورة الزمر.

□ «واجفة» تقال للحركة أو الاضطراب السريع والشديد، وتُطلق (خاشعة) على الشخص المطأطء رأسه المُحدّق إلى الأرض.

□ «حافرة» تعني بداية أي شيء. ولهذا يتعجب الكافرون من العودة إلى الحياة الأولى. وقد تكون حافرة بمعنى محفورة أي القبر المحفور في الأرض، في هذه الحالة يُصبح المعنى: هل سنُخَرَّج بعد الموت من قبورنا ونحيا مرة أخرى^(١)؟

□ «نخرة» العظام البالية التي تنفتت عند أقل ملامسة.

□ القلوب التي ترجف في الدنيا خوفاً من الله: ﴿وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ﴾^(٢) تكون في مأمن يوم القيامة: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣) والقلوب الغافلة الهادئة في الدنيا، تضطرب يوم القيامة: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾.

□ «الزجر» هو الطرد المصاحب للصراخ والجلبة، و«زجرة» قد تكون هي النفخة

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٣) سورة يونس: الآية ٦٢.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢.

الثانية في الصور وهي مقدمة لإحياء كل الأموات، و«ساهرة» هي أرض الحشر ليوم القيامة، ففي تلك الأرض لا تنام العيون وتظل ساهرة.

التعاليم:

- ١ - تغيير نظام الطبيعة هو من مقدمات القيامة: ﴿تَرْجُفُ الرَّجِفَةُ﴾.
 - ٢ - زلازل يوم القيامة ليست في مرحلة واحدة، بل هي متتالية: ﴿الرَّجِفَةُ... الرَّادِفَةُ﴾.
 - ٣ - لا يضطرب الجميع يوم القيامة، بعض القلوب تكون مضطربة: ﴿قُلُوبٌ﴾.
 - ٤ - ثمة ارتباط عميق بين الروح والجسم: ﴿قُلُوبٌ... وَاجِفَةٌ، أَبْصَرَهَا خَشِيعَةً﴾.
 - ٥ - ينكر بعض الناس وقوع القيامة بطرح أسئلة تكرارية: ﴿يَقُولُونَ أَوْنَا لَمَرْدُودُونَ﴾.
- ﴿هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَٰهٌ إِلَّا أَن تَرْكَى ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَخَنَسَ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

- الوادي يُطلق على المنحدر بين جبلين أو تلّين و«طوى» هو واد في أسفل جبل الطور.
- «الخشية» هي الخوف الناشئ عن الإيمان بعظمة الله.
- «تركى» من زكاة ولها معنيان: الرشد والنمو والنقاء والطهارة.
- يجب أن يكون المكان الذي يُتحدث فيه إلى الله، طاهراً ومقدساً. كما قال في هذه الآية: ﴿نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾، ونقرأ في آيات أخرى، قول الله تعالى لنبّيه إبراهيم: ﴿وَلَمَّا بَيْنَىٰ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾^(١)، وفي آية أخرى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾^(٢)، ﴿إِنْ أَوْلِيَٰؤُهُ إِلَّا الْأَلْمُتُونَ﴾^(٣)، ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(٤).

(١) سورة الحج: الآية ٢٦.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٣٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٧.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٣١.

التعاليم:

- ١ - ابتداء الكلام بالسؤال يزيد عند الناس الشوق إلى الاستماع: ﴿هَلْ أَنتَ﴾.
- ٢ - يساعد نقل أخبار الأنبياء السابقين إلى الأنبياء اللاحقين على تقوية عزيمتهم: ﴿هَلْ أَنتَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.
- ٣ - يقوي القادة الإلهيون ارتباطهم بالله تعالى قبل أن يواجهوا الطاغوت: ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ... أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَى﴾.
- ٤ - تتمتع بعض الأماكن بالاحترام والقداسة: ﴿يَا لَوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.
- ٥ - الأنبياء هم رأس الحربة في مواجهة الطاغوت: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ ظَنَى﴾.
- ٦ - تقصوا جذور المشكلة عندما تنهون عن المنكر: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ﴾.
- ٧ - لا تياسوا من اعتداء أي أحد حتى فرعون، وأتموا الحجة على الأقل، بإبلاغه كلام الحق: ﴿أَذْهَبَ إِلَيَّ فِرْعَوْنُ... فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾.
- ٨ - تكلّموا برفق عندما تنهون عن المنكر، حتى مع الطاغين: ﴿إِنَّهُ ظَنَى فَقُلْ هَلْ لَكَ﴾.
- ٩ - أيقظوا الفطرة بالسؤال: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾.
- ١٠ - عند التبليغ، لا تنسوا اللحن الرقيق والعاطفي في حديثكم: ﴿هَلْ لَكَ﴾.
- ١١ - هدف دعوة الأنبياء هو تزكية الإنسان: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾.
- ١٢ - عند تبليغ الناس ودعوتهم، استخدموا كلمات يتقبلها ويستحسنها كل إنسان: ﴿إِلَّا أَن تَزُكَّ﴾.
- ١٣ - سيقى سعي الأنبياء بلا نتيجة إن لم يوجد ميل للتزكية: ﴿تَزُكَّ... وَأَهْدِيكَ إِلَيَّ رَبِّكَ﴾.
- ١٤ - في مذهب الأنبياء، يجب وعظ الطغاة قبل بدء محاربتهم: ﴿إِنَّهُ ظَنَى وَأَهْدِيكَ إِلَيَّ رَبِّكَ﴾.
- ١٥ - الخوف والخشية دليل على القابلية للهداية: ﴿وَأَهْدِيكَ... فَخَشَى﴾.

- ١٦ - يدعو الأنبياء الناس إلى الله لا إلى أنفسهم: ﴿إِلَّا رَبِّكَ﴾.
- ١٧ - الطغيان مصاحب للوقاحة والفساد. (يقول تعالى: اذهب إلى فرعون الطاغية وحذثه عن التزكية والخشية أي أنه جسر على الحق وفسد): ﴿إِنَّهُ طَغَى... أَنْ تَزَكَّى... فَتَخْشَى﴾.
- ١٨ - يرتبط إصلاح الأفراد بإرادة الأفراد أنفسهم واختيارهم: ﴿هَلْ لَكَ إِلَهٌ أَنْ تَزَكَّى﴾.

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ ﴿٢٥﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى ﴿٢٦﴾

إشارات:

- كان فرعون يقول: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، فقال له موسى في مقابل ذلك: ﴿وَأَمْرِي إِلَهُ رَبِّكَ﴾.
- «نكال» هو العقاب أو الجزاء الذي يتجنب كل شخص يراه، أن يرتكب مثله. سُمي عذاب الآخرة النكال؛ لأن كل شخص يسمع فيه يتجنب ارتكاب أي عمل يؤدي به إلى ذلك العذاب^(١).

التعاليم:

- ١ - يجب الإتيان بأكبر المعاجز لأشخاص مثل فرعون: ﴿الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾.
- ٢ - يستمد الطغاة العون من المنحرفين لحفظ كيانه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾.
- ٣ - يحتاج ادعاء النبوة وتوقع تسليم الآخرين لها، إلى معجزة: ﴿وَأَمْرِي... فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾.
- ٤ - حتى أكبر المعاجز لا تؤثر في بعض المتكبرين: ﴿الْآيَةَ الْكُبْرَى فَكَذَّبَ﴾.
- ٥ - معجزات الأنبياء ليست متساوية: ﴿الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾.

- ٦ - تكذيب الأنبياء ناتج عن الرغبة في التحرر من قيود الدين وحدوده وعدم اتباع تعاليم الأنبياء: ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾.
- ٧ - الأشخاص العاجزون عن الحوار المباشر والاستدلال، يسعون إلى ذلك من خلف الكواليس: ﴿فَكَذَّبَ... ثُمَّ أَذْبَرَ يَتَعَنَّ﴾.
- ٨ - من أساليب الفراعنة، الشعارات والجلبة وإثارة أجواء معيقة: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾.
- ٩ - يستغل الطواغيت امتلاك الناس لفطرة باحثة عن الله ويوجهونها إلى أنفسهم: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾.
- ١٠ - سيذل المستكبرون يوماً ما: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ... فَأَخَذَهُ اللَّهُ﴾.
- ١١ - التاريخ وسيلة للاعتبار، لا للتسلية وملء وقت الفراغ: ﴿لَعِبْرَةٌ﴾.
- ١٢ - انقلوا الأحداث المفيدة والحاوية للعبير من التاريخ: ﴿لَعِبْرَةٌ﴾.
- ١٣ - العبر كثيرة، والاعتبار هو المهم ويحتاج إلى الاستعداد النفسي: ﴿لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَتَذَكَّرُ﴾.

﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ۖ رَفَعَ سَعْتَهَا فَسَوَّيَهَا ۖ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضَمْنَهَا ۖ (٢٧)
وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۖ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۖ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ۖ (٢٨)
مَتَّعَا لَكُمْ وَلَأَنفَعِكُمْ ۖ (٢٩)﴾

التعاليم:

- ١ - طرح السؤال أسلوب مهم جداً في التبليغ: ﴿أَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَرِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.
- ٢ - التنبيه إلى نعم الله هو أفضل طريق إلى معرفة الله. يجب الاستفادة من المحسوسات لإدراك المعقولات: ﴿رَفَعَ سَعْتَهَا فَسَوَّيَهَا﴾.
- ٣ - نحن لسنا للعالم، بل الدنيا لنا: ﴿مَتَّعَا لَكُمْ﴾.
- ٤ - يتساوى الإنسان مع ذوات الأربع في الاستفادة المادية. (الكلمات المعنوية هي ما يميز الإنسان): ﴿مَتَّعَا لَكُمْ وَلَأَنفَعِكُمْ﴾.

٥ - جُعِلَت النُّعْمُ لِيَسْتَفِيدَ مِنْهَا الْإِنْسَانُ، وَلَا يَوْجَدُ مَعْنَى لِلتَّحْرِيمِ وَالرِّيَاضَاتِ
الروحية الفارغة: ﴿مَنْعًا لَكُمْ وَلِتَنْفَضِكُوا﴾.

٦ - تَوْسِيعُ الْأَرْضِ وَجَعَلُهَا فِي مَدَارٍ فِي الْفَضَاءِ كَانَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ: ﴿وَالْأَرْضَ
بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٣٥﴾ وَبُزِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى ﴿٣٦﴾
فَأَمَّا مَنْ طَغَى ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى
النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٤١﴾﴾

التعاليم:

١ - القيامة أكبر وأعظم حادثة، وتنضوي تحت جناحها كل الحوادث الأخرى:
﴿الطَّائِفَةُ الْكُبْرَى﴾.

٢ - يتذكر الإنسان يوم القيامة، أعماله في الدنيا: ﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾.

٣ - حب الدنيا هو أساس الطغيان: ﴿طَغَى وَءَاثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

٤ - الدنيا ليست سيئة، وإنما ترجيحها على الآخرة هو السيء: ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا﴾.

٥ - إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ مَخِيفًا، وَإِنَّمَا الْإِنْسَانُ يَخَافُ مِنْ مَقَامِ اللَّهِ. كَانَ يَخَافُ الْإِنْسَانُ
مِنَ الْقَاضِي؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا مَا ارْتَكَبَ جَرْمًا، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَعَاقِبُهُ: ﴿خَافَ
مَقَامَ رَبِّهِ﴾.

٦ - الخوف من الله، أساس محاربة هوى النفس: ﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ
الْهَوَىٰ﴾.

٧ - نفس الإنسان أمارة بالسوء، ويجب كبسها: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾.

٨ - القانون الإلهي واحد لكل البشر: ﴿مَنْ طَغَى...مَنْ خَافَ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۚ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۚ﴾ (٤٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا ۚ﴾ (٤٣) ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَحْشُرُهَا ۚ﴾ (٤٤) ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَوْ يَخْبِتُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ۚ﴾ (٤٥)

إشارات:

□ طرح القرآن الكريم مرّات عدّة السؤال عن زمان وقوع القيامة، ولكن لم يقدم جواباً عنه. فإبقاء زمان الموت والقيامة غير معلوم هو من الألفاظ الإلهية، والعلم بزمان وقوعهما سيكون سبباً لفقدان السكينة الداخلية والروابط الخارجية وسيكون سبباً للرشد الاضطراري.

□ المهم هو الإيمان بالقيامة لا العلم بزمان وقوعها.

□ التحذير والإنذار أهم من التبشير بالنسبة إلى الغافلين؛ لذا لا نجد في القرآن: «إنما أنت مبشر» بل نجد: «﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ...﴾».

التعاليم:

١ - بعض الأسئلة عن يوم القيامة ليست في محلها ولا تجب الإجابة عنها:

(كالسؤال عن زمان وقوع يوم القيامة): ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ...﴾.

٢ - لا معنى لمناقشة أمر غير مرتبط بالبشر: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا﴾.


٣ - علم البشر محدود ولا يمكن الوصول إلى منتهى العلم فهو مختص بالله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾.

٤ - وظيفة النبي إنذار الناس، لا إلزامهم وإجبارهم على القبول: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾.

٥ - الاستعداد النفسي لدى الناس واتقاء الذنوب، من شروط قبول دعوة الأنبياء: ﴿أَنْتَ مُنْذِرٌ مَّنْ يَحْشُرُهَا﴾.

٦ - الآخرة عظيمة إلى درجة أن كل عمر الدنيا مضافاً إلى البرزخ لا يساوي ليلة أو يوماً من أيام القيامة: ﴿لَوْ يَخْبِتُونَ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ عَبَسَ

السورة: ٨٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤٢

ملاحح سورة عَبَسَ

سورة عَبَسَ مكية وعدد آياتها اثنتان وأربعون آية. واشتقَّ اسمها من العبوس وهو تقطيب الحاجبين.

على الرغم من أن سبب نزول هذه الآيات هو تصرف غير لائق مع شخص أعمى، إلا أن محور حديث هذه الآيات، مثل باقي السور المكية، يدور حول المعاد وأحداث يوم القيامة العصيبة ومصير المؤمنين والكافرين في ذلك اليوم. جزء آخر من آيات هذه السورة يبيِّن قسماً من نعم الله على الإنسان وجحود الإنسان بهذه النعم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهَ يَرْكَبُ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِكْرَى (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ (٧) وَآمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠)﴾

إشارات:

□ ورد في روايات أهل السنة، أنّ شخصاً باسم عبد الله بن أم مكتوم وقد كان أعمى، دخل إلى مجلس الرسول ﷺ، وكان ﷺ جالساً مع كبار قريش من مثل أبي جهل وعُتْبَة يدعوهم إلى الإسلام، ولأنه كان أعمى ولم يستطع رؤية الحاضرين، فقد طلب من النبي مكرراً أن يقرأ له القرآن ليحفظه. فظهر على وجهه ﷺ شيء من الضيق بذلك. فنزلت الآيات الأولى من سورة عبس، تعاتب النبي وتؤنبه.

في الواقع، لا يوجد في الآيات المطروحة للبحث ما يدل على أنّ الشخص العابس كان النبي ﷺ. وقد طرحت روايات أهل السنة هذا الأمر. ولكن طبقاً لرواية وردت عن الإمام الصادق عليه السلام، نزلت هذه الآيات في رجل من بني أمية كان حاضراً في مجلس النبي، وقد عبس وأدار وجهه عندما دخل ابن أم مكتوم^(١).

□ ردّ المرحوم السيد مرتضى روايات أهل السنة في كتابه متشابه القرآن وقال استناداً إلى آيات أخرى من القرآن الكريم:

لقد مدح الله تعالى أخلاق النبي الأكرم ﷺ وقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، وأمر الله تعالى نبيه الأكرم في موضعين أن يتواضع للمؤمنين: ﴿وَأَخْفِضْ جَانْحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣)، ﴿وَأَخْفِضْ جَانْحَكَ لِمَنْ آمَنَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤).

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة الحجر: الآية ٨٨.

(٢) سورة القلم: الآية ٤.

(٤) سورة الشعراء: الآية ٢١٥.

ومضافاً إلى ذلك، فلو كان هذا هو خلق النبي لم يكن الله ليوفقه في التبليغ. كما قال الله لنبيه: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(١).

□ نزول عشر آيات تنتقد العبوس وتقطيب الوجه في مقابل أعمى لا يميز بين الابتسامة والتقطيب، يدل على حساسية الإسلام بالنسبة إلى التعامل مع الطبقة المحرومة.

□ المقصود من: ﴿مِنْ أَسْتَفَى﴾ إما عدم الحاجة المادية وهو ما يجعل الشخص يشعر بأنه أفضل من الآخرين، أو المقصود هو عدم الحاجة إلى الإرشاد والهداية حيث يرى الشخص البقية ضالين ومنحرفين. ويمكن الجمع بين المقصدين، أي على أثر امتلاك الشخص للثروة الزائدة، يُصاب بالغرور فلا يستمع لكلام الحق من الآخرين.

التعاليم:

١ - لا يدل نقص عضو ما، على نقص في الشخصية. (يجب احترام المكفوفين والمعاقين والأفراد ناقصي الخلقة): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾.

٢ - تكمن قيمة الأخلاق في كمال الأخلاق الذاتي، لا في رضا الآخرين عنها، (لا يتمكن الأعمى من الرؤية، ليفرح أو يحزن على أثر العبوس بوجهه): ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾.

٣ - يُعارض الإسلام خلق الاستكبار وإهانة الآخرين: ﴿وَمَا يَذُرُّكَ لَعَلَّهُ يَزُّكَ﴾.

٤ - لا يمكن الحكم على الآخرين من ظاهريهم. (يكون الأعمى أحياناً طالباً للعلم أكثر من المبصر): ﴿أَلْأَعْمَى... لَعَلَّهُ يَزُّكَ﴾.

٥ - يتفاوت مقدار التقبل بين أفراد المجتمع. فمجموعة تتزكى في مقابل دعوة الأنبياء وإرشادهم، ومجموعة تكفي بالتذكر: ﴿يَزُّكَ أَوْ يَذْكُرُ﴾.

٦ - التذكير له أثره ونتيجته: ﴿يَذْكُرْ فَتَنَّمُهُ الذِّكْرَى﴾.

٧ - الأساس هو إيمان الإنسان، لا ماله وثروته: ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ... أَمَّا مَن... يَخْشَىٰ﴾.

٨ - النبي مسؤول عن إرشاد الناس لا عن إجبارهم: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ﴾.

٩ - إحساس عدم الحاجة ليس مستحسنًا جاءت جملة ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ﴾ في مقام الانتقاد.

١٠ - الإحساس بالكمال وعدم الحاجة هو سبب للحرمان من التزكية: ﴿مَنِ اسْتَغْنَىٰ... أَلَّا يَزَكِّيَ﴾.

١١ - تهرع الطبقة المحرومة مسرعة نحو الإسلام: ﴿جَاءَكَ يَتَوَلَّىٰ﴾.

١٢ - يجب أن يكون الخوف الداخلي مصاحباً للسعي والحركة الخارجية: ﴿يَتَوَلَّىٰ وَهُوَ يُخْشَىٰ﴾.

١٣ - الحضور في محضر النبي أو المعلم الرباني هو الطريق إلى بناء النفس: ﴿جَاءَكَ يَتَوَلَّىٰ﴾.

١٤ - لا يجوز التعامل بطريقتين مختلفتين مع الفقير والغني: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ تَصَدَّىٰ... فَإِنَّ عَنْهُ لَلْغَىٰ﴾.

﴿كَلَّا إِنَّهَا لَنَذْكُرُ﴾ (١١) ﴿مَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ (١٢) ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ (١٣) ﴿مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ (١٤)
﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ (١٥) ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (١٦)

إشارات:

□ «صُحُفٌ» جمع صحيفة بمعنى المكتوب. «سَفَرَةٌ» جمع سافر ويعني الكاتب. و«أسفار» هي جمع سفر وتعني الكتاب، «بررة» جمع بارّ وتعني المُحسن^(١).

□ المقصود من «سَفَرَةٌ» هم السفراء ورسل الوحي، أي الملائكة الذين ينقلون الوحي الإلهي للأنبياء وهؤلاء الملائكة هم أصحاب جبرائيل وتحت إمرته، إذ

يقول القرآن عنهم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(١). طريق الله ميسر وله أرضية فقهية وفطرية وفكرية كذلك.

التعاليم:

- ١ - آيات القرآن وسيلة للتذكّر وعامل لإيقاظ الفطرة البشرية: ﴿إِنَّمَا تَذَكَّرُ﴾.
- ٢ - مقام القرآن ومرتبته أرفع من أن يصل إليه الضالون ويحرفوه ويغيروا فيه: ﴿مَرْفُوعَةٌ مُطَهَّرَةٌ﴾.
- ٣ - يجب وضع القرآن في مقام رفيع: ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾.
- ٤ - يجب أن يسان القرآن من أي تدنيس: ﴿مُطَهَّرَةٌ﴾.
- ٥ - ليس ثمة إكراه أو إجبار في الدعوة إلى القرآن، فمن شاء يستطيع أن يختار القبول به: ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾.
- ٦ - يجب علينا أن نكرم من أكرمه الله: ﴿مُحْفٍ مُكْرَمٌ﴾.
- ٧ - الملائكة الكرام هم من يوصل القرآن الكريم إلى النبي: ﴿مُحْفٍ مُكْرَمٌ... بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كَرِيمٍ﴾ (مصدر القرآن أي الله كريم، وكذلك القرآن نفسه ومنزلوه والشخص الذي نزل عليه).

﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْذَرُ﴾ (١٧) مِنْ أَيْ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ تُطْفِئَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ (١٩) ثُمَّ أَسْبَلَ يَسْرَهُ (٢٠)
ثُمَّ أَمَانَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقِضْ مَا أَمَرُهُ (٢٣)

إشارات:

□ الدفن من الطرق المختلفة للتعامل مع الأموات، فقد علّم الله تعالى الإنسان، الدفن في القبور. ورد في الآية ٣١ من سورة المائدة: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤَرَّى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾ عندما احتار قابيل بما يفعل بجسد أخيه، أرسل الله غراباً يعلمه كيفية الدفن في التراب.

التعاليم:

- ١ - يلعن الله تعالى الإنسان الكافر الجاحد: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾.
- ٢ - في التبليغ، يجب مواجهة بعض الناس بأسلوب حاد: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ﴾.
- ٣ - تأملوا في خلقكم من نطفة مهينة لكي تمتنعوا عن الكفر والغرور: ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ﴾.
- ٤ - خلق الإنسان ليس صدفة، وإنما على أساس الحساب والكتاب والتقدير والقياس: ﴿فَقَدَرَهُ﴾.
- ٥ - الخلق، دليل على القدرة والقياس، ودليل على الحكمة: ﴿خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾.
- ٦ - لماذا يضل بعض الناس السبيل، مع أن سبيل الحق واضح واتباعه سهل؟: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ... ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾.
- ٧ - لقد أتم الله تعالى الحجة بتيسير السبيل إلى التكامل: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾.
- ٨ - يمتلك الإنسان كمالات عدّة، ويصل إلى التكامل باتباع طريق الحق: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ﴾.
- ٩ - لماذا يبقى الإنسان على عناده، مع أنه يرى الموت والقبر؟: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ... ثُمَّ أَنَا لَهُ فَأَقْبَرُهُ﴾.
- ١٠ - كل الأمور منسوبة إلى الله: ﴿أَمَّا لَهُ فَأَقْبَرُهُ﴾.
- ١١ - المعاد جسماني: ﴿فَأَقْبَرُهُ... أَنشَرُهُ﴾ أي هو نفسه الذي دخل إلى القبر، يخرج منه.
- ١٢ - مع أن السبيل مفتوح والحركة فيه ميسرة، إلا أنه توجد مجموعة تخلفت عنه: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُهُ... لَنَا يَقِضَ مَا أَمَرُهُ﴾.
- ١٣ - يطرح التوحيد والنبوة والمعاد معاً: ﴿خَلَقَهُ... السَّبِيلَ يَسْرُهُ... أَنشَرُهُ﴾.
- ١٤ - وقت وقوع القيامة بيد الله وحده: ﴿إِنَّا شَاءَ أَنشَرُهُ﴾.
- ١٥ - من البداية حتى النهاية، يكون الإنسان في يد الله وتحت تدبيره: ﴿خَلَقَهُ... أَنَا لَهُ... أَنشَرُهُ﴾.

﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ ٢٤ أَنَا صَبَبْتُ الْمَاءَ صَبًّا ٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ٢٦ فَأَلْبَنَّا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَغَبًّا ٢٨ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ٢٩ وَحَدَائِقَ غُلَابٍ ٣٠ وَنَكِيعَةً ٣١ وَأَبْنًا ٣٢ مَسْعَا لَكُمْ وَلَآتِمِكُمْ ٣٣ ﴿٣٢﴾

إشارات:

- الصَّبُّ بمعنى تساقط الماء من مكان مرتفع ويشمل نزول المطر من السماء ونزول الماء من الشلالات أيضاً.
- «القضب» تُطلق على الخضروات التي تُقطف وتُؤكل طازجة، وتشمل علف الحيوانات كذلك.
- المقصود من ﴿شَقَقْنَا الْأَرْضَ﴾، شق الأرض عن طريق براعم النباتات، إذ إنها تشق الأرض لتخرج منها ثم تتابع نموها.
- المقصود من «الحب» الحبوب التي يصرفها الإنسان كطعام له، مثل القمح، والشعير، والحمص، والعدس، وأمثالها.
- «حدائق» جمع حديقة بمعنى البستان المحاط بسور، و«غلب» جمع غلباء وتعني الشجرة الكبيرة والكثيفة.
- يجب أن ينظر الإنسان إلى طعامه هل هو حلال أم حرام، هل يملك الآخرون الطعام أم لا، كيف سيصرف الطاقة التي حصل عليها من الطعام وكيف حصل على هذا الطعام؟ عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية: ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ أنه فسّر الطعام، بالعلم الذي على الإنسان أن ينظر عمّن يأخذه^(١). والطعام شامل للطعام المعنوي.

التعاليم:

- ١ - أمر الإنسان بالتفكير في طعامه، باعتباره إحدى النعم الإلهية، فالأكل من دون تفكير هو عمل الحيوانات: ﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.

- ٢ - لو لم تكن ثمة قيم معنوية، لتساوى الإنسان والحيوان في الاستفادة من الطعام والطبيعة: ﴿مَنْعًا لَّكَزٍّ وَلَا تَنْفِكُزٍّ﴾.
- ٣ - التدقيق في إيجاد النعم، وسيلة للبعد عن الكفر: ﴿قِيلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ... فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.
- ٤ - الوجود، مدرسة لمعرفة الله، سواء في السير التكاملي لباطن الإنسان أو خارجه: ﴿مِنْ تُلْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ... أَمَانَهُ... أَنْشَرَهُ... مَبِيتًا أَلَمًا مَبِيتًا... شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾.
- ٥ - ثمة هدف لنزول المطر ونمو أنواع النباتات والأشجار، ومن إحدى حِكَمه، تهيئة الطعام للإنسان والحيوان: ﴿أَنَّا مَبِيتًا أَلَمًا... شَقَقْنَا الْأَرْضَ... فَأَبْيْنَا فِيهَا حَبًّا... مَنَعًا لَّكَزٍّ وَلَا تَنْفِكُزٍّ﴾.
- ٦ - العنب والزيتون والتمر، من الفاكهة التي أوصي بها في القرآن: ﴿رَبْعَنَا... وَزَيْتُونًا وَغُلًّا﴾.

﴿إِذَا جَاءَتِ الصَّلَاةُ ۖ يَوْمَ يَفِرُّ الْرُّءُوسُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمَمٌ وَأُمَمٌ ۖ وَصَلْبِيَّةٌ وَبَنِي ۖ لِكُلِّ أَمْرٍ ۖ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ ۖ﴾

إشارات:

- «الصَّاخَّة» تعني الصوت المرعب الذي يكاد يصم الأذن. والمقصود به إمّا الصيحة لوقوع القيامة أو صراخ الناس وصياحهم في ذلك اليوم.
- تحدثت الآيات السابقة عن المعاش، وتحدثت هذه الآيات عن المعاد.
- يمكن طرح أمور عدّة حول دافع الإنسان للفرار من الأب، والأم، والزوج، والأولاد، من بينها أن يفر لكي لا يطالبه أخوه بحقوقه ويُضَيَّقَ عليه. يفر لكي لا يطالبه الآخرون، يفر لكي لا يُفتضح أمره أمام الآخرين، يفر لينهي عمله ويحدد مصيره بأسرع وقت: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ ۖ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِئُهُ﴾.

التعاليم:

- ١ - القيامة هي يوم الفرار. فرار الأخ من أخيه، الولد من أبيه وأمه، الزوج من زوجته، الوالد من ولده: ﴿إِذَا جَاءَ يَوْمَ يُنْفَخُ﴾.
- ٢ - تتفكك الروابط العائلية يوم القيامة: ﴿يَفْرُقُ أَلْفَةً مِنْ أَخِيهِ﴾.
- ٣ - يفكر كل شخص يوم القيامة في نجاة نفسه: ﴿لِكُلِّ أَنْفٍ... نَأْنُ يُنْفِخُ﴾.
- ٤ - ليس ثمة فرصة في يوم القيامة للاهتمام بشؤون الآخرين: ﴿لِكُلِّ أَنْفٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنُ يُنْفِخُ﴾.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ (٣٨) ﴿صَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ (٣٩) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ (٤٠) ﴿تَرْفَعُهَا قَفَرَةٌ﴾ (٤١)
 ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (٤٢)

إشارات:

- «مستبشرة» من سماع خبر سعيد، تُشرق على أثره البشرية. «الغبرة» والغبار وهو التراب الدقيق العالق على الشيء. «قفرة» هو الدخان الأسود و«رهق» بمعنى التغطية والتغطية.
- تقسم هذه الآيات الناس يوم القيامة إلى مجموعتين: أهل السعادة وأهل الشقاء، وكل مجموعة تُعرف بسيماها ووجهها؛ لأن وجه الإنسان مرآة سيرته، ويظهر فرحه وحزنه الداخليان على وجهه.
- بدأت هذه الآيات بتقطيب الوجه في الدنيا، وتختتم بالوجوه المسودة في يوم القيامة: ﴿عَبَسَ... تَرْفَعُهَا قَفَرَةٌ﴾.
- «كفرة» جمع كافر، و«فجرة» جمع فاجر. في الأولى إشارة إلى فساد العقيدة وفي الثانية إشارة إلى فساد العمل.

التعاليم:

- ١ - المعاد جسماني: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ...﴾.

- ٢ - الوجه المشرق الضاحك، ميزة: ﴿تُسْفِرُهُ، ضَاحِكَةً﴾.
- ٣ - الضحك في القيامة ناتج عن التبشير بمستقبل مشرق: ﴿ضَاحِكَةً مُسْتَبِيرَةً﴾.
- ٤ - التلوث بالذنوب في الدنيا سبب لتلوث الوجه في القيامة: ﴿رَهْمَهَا قَرَّةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾.
- ٥ - الكفر سبب لارتكاب الذنوب والفسق والفجور: ﴿الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾.
- ٦ - وجه أهل الإيمان والتقوى، مشرق وضاحك: (في المقابل فإن وجه أهل الكفر والفجور مكفهر)، ﴿وُجُوهُ يُؤْمِرُ مُسْفِرَةٌ وَوُجُوهُ يُؤْمِرُ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾.
- ٧ - المقارنة، هي من أفضل الطرق في التبليغ: ﴿وُجُوهُ... وَوُجُوهُ﴾.
- ٨ - يؤدي الذنب إلى تغطية وجه الإنسان النقي والرياني، بنقاب أسود بشع: ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ رَهْمَهَا قَرَّةٌ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

السورة: ٨١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٩

ملاحح سورة التكوير

نزلت هذه السورة في مكّة وعدد آياتها تسع وعشرون آية. اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني اللف والتدوير وانطفاء الضوء. يدل محتوى هذه السورة على أنها نزلت في بدايات البعثة؛ لأن الكفّار كانوا ينعنون النبي بالجنون في بداية البعثة، وهذه السورة مثل سورة القلم التي نزلت في بداية البعثة، تتحدث عن تنزيه النبي من هذه التهم^(١). يُبيّن الجزء الأول من هذه السورة التغيرات العظيمة التي تصيب الكون كمقدمة ليوم القيامة، والجزء الثاني يبين المقام الرفيع للقرآن الكريم ودوره وتأثيره في روح البشر. ورد في الروايات، أنّ تلاوة هذه السورة يوجب التذكّر ويمنع غفلة الإنسان، ودُكر لتلاوتها فضائل عدّة^(٢).



(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ① وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ② وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ③ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ④ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ⑤﴾

إشارات:

- «التكوير» يعني اللَّف، وتكوير الشمس يعني جمع ضوئها وانطفاءها.
- حركة الجبال يوم القيامة ناتجة عن الزلزال العظيم الذي يؤدي إلى تفتت الجبال وتلاشيها، وكما ذكر في آيات أخرى تصوير الجبال كرمال الصحراء.
- «العشار» جمع عشاء وتعني الناقة التي مضى على حملها عشرة أشهر، وتُعدّ عند العرب من الأموال القيّمة؛ ولكن عند وقوع القيامة تترك وحدها ولا يهتم بها أحد.
- «وحوش» جمع وحش وهو الحيوان الذي لا يأنس مع الإنسان أبداً مثل الحيوانات المفترسة. استند بعض إلى الآية: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُنْمِئَتْ أَشْأَلُكُمْ مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْكَ رَيْبُهُمْ يُخْتَرُونَ﴾^(١) وقالوا إنّ المقصود من هذه الآية كذلك هو حشر الحيوانات يوم القيامة. ولكن بالنظر إلى سياق الآيات المرتبط بعلائم ما قبل يوم القيامة، قال مفسرون آخرون: المقصود أنه قبل حدوث القيامة وعلى أثر الزلزلة، تخرج جميع الحيوانات من جحورها وأعشاشها وتتجمع بعضها إلى جانب بعضها الآخر^(٢).

التعاليم:

- ١ - سيتغير يوماً ما النظام الحاكم على الشمس والنجوم في السماء والجبال والبحر والأرض: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ...﴾.

٢ - الوجود محكوم بإرادة الله تعالى، وعندما يريد، سيتغير نظام العالم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَ...﴾.

٣ - قد تُبعث الحيوانات المفترسة يوم القيامة كذلك: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ① وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ② وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُيِّلَتْ ③ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُنِلَتْ ④ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ⑤ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ⑥ وَإِذَا الْجَبَلُ سُعِرَتْ ⑦ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلِفَتْ ⑧ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ⑨﴾

إشارات:

□ توجد معاني عدة لـ «سُجِّرَتْ»:

١ - الغليان،

٢ - الالتحام،

٣ - امتلاء البحر،

وإفاضة الماء منه، وكلها حوادث طبيعية، فمن جهة سوف تتحرك الجبال من مواضعها وستتصل البحار ببعضها، ومن جهة أخرى ستزلزل الأرض وتخرج ما فيها من حرارة، فتغلي المياه وتتبخر.

□ سيتزوج أهل الجنة السعداء من حور الجنة يوم القيامة. كما ورد في آية أخرى: ﴿وَنَزَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾^(١)، وسيتزوج أهل النار من قرنائهم الشياطين. كما ورد في آية أخرى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٢)، وقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام في ذيل آية: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: «أما أهل الجنة فزوّجوا الخيرات الحسان، وأما أهل النار فمع كل إنسان منهم شيطان يعني قرنت نفوس الكافرين والمنافقين بالشياطين فهم قرناؤهم»^(٣).

(٣) الميزان في تفسير القرآن.

(١) سورة الدخان: الآية ٥٤.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٦.

□ «الموؤودة» البنت التي دُفنت حية. كان وأد البنات خوفاً من العار والفقر من عادات الجاهلية السيئة جداً.

□ ولاية الوالدين على أولادهم محدودة، وهم لا يستطيعون منعهم من حقوقهم الطبيعية مثل حقهم في الحياة. لا يستطيع الأب أن يقول هذا ابني وبإمكاني اتخاذ أي قرار في حقه، وكذلك ليس بمقدور الأم أن تقول أنا لم أرغب بالإنجاب لذا من حقي أن أسقط الجنين الذي في بطني.

التعاليم:

١ - لا فرق بين المسلم والكافر في الدفاع عن المظلوم. مع أن البنات الموؤودات لم يكنّ مسلمات إلا أن الإسلام دافع عنهنّ: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ﴾.

٢ - لا فرق في الدفاع عن المظلوم بين الرجل والمرأة، الكبير والصغير، الفرد والجماعة، يجب الدفاع حتى عن الطفلة الصغيرة: ﴿يَا أَيُّ ذُنُبٍ قُتِلَتْ﴾.

٣ - أيقظوا الضمائر بالسؤال: ﴿يَا أَيُّ ذُنُبٍ قُتِلَتْ﴾.

٤ - ولاية الوالد على ابنه لا تعطيه الحق في قتله: ﴿يَا أَيُّ ذُنُبٍ قُتِلَتْ﴾.

٥ - يكون للخوف والرجاء أثر إذا ما كانا إلى جانب بعضهما: ﴿الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ... الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

٦ - في يوم القيامة، تقترب كل من الجنة والنار من أهلها: ﴿الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾؛ (وتقول الآية ٣٣ من سورة الفجر: ﴿وَسَاءَ يَوْمَئِذٍ يَجْمَعُ﴾).

٧ - تُثبت أعمال الإنسان في الدنيا وتنشر صحيفة أعمال كل شخص في يوم القيامة: ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ تُرِيتْ﴾.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْخَنَسِ ①٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ①٦ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَسَ ①٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ①٨ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ①٩ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ②٠ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ②١﴾

إشارات:

□ «خُنَس» جمع خانس وتعني العائد. «الجواري» جمع جارية أي سائرة وفي حالة

جريان. و«الكُتُس» جمع كانس ويعني المخفي. أخذ المفسرون الآيات اللاحقة التي تتحدث عن زوال الليل وطلوع الصبح، بعين الاعتبار ففسروا الآيات: ﴿فَلَا أَقِيمُ بِالْخُسِّ الْجَوَارِ الْكُتُسِ﴾ على أنها تتحدث عن النجوم التي تظهر في الليل وتختفي عند طلوع الشمس. وتبقى النجوم في حالة حركة حتى عند اختفائها ولهذا تعود في الليلة اللاحقة إلى مكانها.

□ «عَمَس» تعني الظلام الخفيف والذي يظهر في نهاية الليل كما قال الإمام علي عليه السلام^(١). ولهذا تكون آية: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَمَسَ﴾ مشابهة لآية: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٢).

□ «تنفَس» بمعنى تنفس الصبح وطلوعه. وكأنَّ الصبح قد تحرر من أسر الليل وتنفس الحرية.

□ قسم الله تعالى بتنفس الصبح، واختفاء النجوم، وحركة الأجرام السماوية في زمان كان الناس يعيشون فيه بالجاهلية، يدل على اهتمام الإسلام بالطبيعة وبالتأمل فيها.

التعاليم:

- ١ - يوم القيامة، يوم الشهود وتجسّم الأعمال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾.
- ٢ - يطلع الإنسان يوم القيامة على جزئيات أعماله: ﴿أَحْضَرَتْ﴾.
- ٣ - ملاك الوحي، كريم، أمين، قوي ومطاع: ﴿كَرِيمٌ، ذِي قُوَّةٍ، مَكِينٌ، مُطَاعٌ، أَمِينٌ﴾.
- ٤ - من الشروط اللازمة للإرشاد وتبليغ الرسالة: الكرامة والمكانة العظيمة، القدرة والتمكن، السلطة والطاعة، والأمانة: ﴿كَرِيمٌ، ذِي قُوَّةٍ، مَكِينٌ، مُطَاعٌ، أَمِينٌ﴾.
- ٥ - بين يدي جبرائيل مأمورون يمثلون أمره: ﴿مُطَاعٌ﴾.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِجَنُونَ﴾ (٢٢) وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُنْفِ الْمَيِّينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾
 وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيزٍ ﴿٢٥﴾

إشارات:

□ «ضنين» من ضَنَّ بمعنى البخل. لم تستخدم هذه الكلمة غير مرة واحدة في القرآن.

□ كان مخالفو النبي ينسبون إليه صفة الجنون، وكانوا يقصدون بذلك ارتباط النبي بالجن، وفي الحقيقة كانوا يعتبرون أنَّ القرآن هو من إلقاءات الجن على النبي؛ لذا جاءت هذه الآيات في مقام رفع هذه التهم عن النبي الأكرم إذ قالت: لقد رأى النبي ملاك الوحي بوضوح وتلقى القرآن منه، ولم يلق الشيطان شيئاً على قلبه ليعتقد بأنه وحي إلهي.

التعاليم:

- ١ - أحياناً، يجب ألا تترك الأسئلة بدون أجوبة، ويجب الرد عليها: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِجَنُونَ﴾.
- ٢ - كان النبي يعيش مع الناس وإلى جانبهم: ﴿صَاحِبُكُم﴾.
- ٣ - أفضل دليل على أنَّ عقل النبي سليم هو أنكم عشتُم معه وصاحبتموه عمراً ولم يصدر عنه أي فكر أو عمل أو تصرف غير لائق: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِجَنُونَ﴾.
- ٤ - كان النبي الأكرم يرى جبرائيل: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾؛ (كما ورد أيضاً في الآية ١٣ من سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾).
- ٥ - في مقابل الإهانة، يجب تكريم الشخص الذي أهين: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُنْفِ الْمَيِّينِ﴾.
- ٦ - ليس ثمة شك في أنَّ النبي قد لاقى جبرائيل: ﴿بِالْأُنْفِ الْمَيِّينِ﴾.
- ٧ - الشكر على العلم هو إبراز لذلك العلم، والبخل في العلم أمر غير مستحسن: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.

- ٨ - كان النبي الأكرم يعلم بالغيب: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.
- ٩ - لم يكن النبي مبتلى بالجنون: ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾، ولم يكن تحت تأثير إلقاءات الشيطان: ﴿وَمَا هُوَ يَقُولُ سَيُكَلِّمُنِي رَجِيمٌ﴾.
- ١٠ - القرآن محفوظ من أي تحريف في وقت النزول ولم يتصرف فيه جبرئيل أو يتدخل فيه أبداً: ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ... آمِينٌ﴾، وكذلك في مرحلة التبليغ لم يتعرض لأي نقص: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾.
- ١١ - القرآن، كلام ملاك الوحي، لا الشيطان الملعون: ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ... وَمَا هُوَ يَقُولُ سَيُكَلِّمُنِي رَجِيمٌ﴾.

﴿فَإِنْ تَذَهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

التعاليم:

- ١ - لا يوجد إنسان بلا هدف وبلا مذهب، حتى الكفار والمشركون عندهم طريق وهدف: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾. واختيار الطريق الصحيح هو المهم: ﴿فَإِنْ تَذَهَبُونَ﴾.
- ٢ - القرآن هو أفضل وسيلة للنصح والتذكير والموعظة: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾.
- ٣ - القرآن ليس مرتبطاً بمكان وزمان أو قوم معينين، بل هو للعالمين جميعاً: ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.
- ٤ - يجب التذكير عند التبليغ لا الإجبار: ﴿ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.
- ٥ - اتباع الطريق الصحيح والثبات عليه، مرتبط برغبة الإنسان نفسه: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.
- ٦ - طريق القرآن هو الطريق المستقيم وهو بعيد عن أي إفراط أو تفريط واعوجاج: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.
- ٧ - إرادتنا واقعة في مدار إرادة الله، لا إجباره؛ إذ إنه في هذه الحالة تصبح إرادتنا بلا معنى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

٨ - الإنسان ليس عديم الإرادة، وهو ليس مختاراً بنفسه كذلك: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

٩ - مشيئة الله مبنية على ربييته: ﴿يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

١٠ - لأن الله هو رب العالمين وله السلطة على كل شيء، فإن مشيئة الإنسان مشروطة بمشيئة الله كذلك: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

مثال على ذلك، يوجد مقودان في المركبات المخصصة لتعليم القيادة، أحدها في جهة المتعلم والآخر عند المعلم. في هذه المركبة، يستطيع المتعلم أن يستخدم المقود الموجود في جهته، ولكن بشرط أن يشاء المعلم ذلك. ومثال آخر، الحوالات المصرفية التي تُمضى من قبل اثنين، فلا يمكن صرف الحوالة أو الاستفادة منها إلا في حال إمضاء الطرف الثاني عليها كذلك.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

السورة: ٨٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٩



ملامح سورة الانفطار

نزلت هذه السورة في مكة وعدد آياتها تسع عشرة آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني انشقاق السماء.

يدور محور حديث هذه السورة مثل باقي السور المكية حول يوم القيامة وأحوال الناس في ذلك الوقت الرهيب. تتحدث باقي آيات السورة عن الأحداث العظيمة التي تقع عند نهاية الكون وعند قرب القيامة، وعن الملائكة المأمورين بضبط أعمال الإنسان في الدنيا، وعن عاقبة المحسنين والمجرمين، وعن جزء من مشكلات ذلك العصر.

ذُكرت فضائل عدة لتلاوة هذه السورة في الصلوات الواجبة والمستحبة، وتؤكد الفضائل الواردة حاجة الإنسان الدائمة إلى التذكّر لكي لا يغفل عن القيامة ولا يتعلّق قلبه بالدنيا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾

إشارات:

- «الانفطار» هو الانشقاق، «فطر» و«إفطار» يحملان المعنى نفسه كذلك؛ لأن الصيام يُشَقُّ ويُقَطَع بالطعام. (انفطار) و(انشقاق) بالمعنى نفسه ولكن الفرق في أنه بعد الانفطار، نصل إلى شيء على خلاف الانشقاق. تقول العرب عند حفر القناة: «فطرت» لأنه بعد انشقاق الأرض نصل إلى الماء.
- «الانتثار» بمعنى رمي الشيء متفرقاً، ويُقال لما يُرمى على رأس العروس «نثار».
- «فجر» يعني ظهور شق وفتح الطريق، و«تفجير» بيان لعظمة تشقق الجبال.
- تأتي كلمة «بعثر» بمعنى البعث أي الإحياء المجدد، وكذلك بمعنى «نَوَرَ» أي تغير، لذلك قال الراغب في مفرداته: ليس بعيداً أن يكون فعل (بُعِثَ) مرَّكَّب من هذين الفعلين، أي تقلَّب التراب وتغيَّره وإحياء الموتى.
- ترتبط السماء والأرض والبحر والجفاف ببعضهم على نحو إذا ما اختلَّ نظام أحدهم يختل نظام كل شيء.

التعاليم:

- ١ - النظام الحاكم على الأرض والسماء بيد الله تعالى، وعندما يريد يغيِّره: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾.
- ٢ - المعاد جسماني والموتى يُبعثون من القبور: ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثَتْ﴾.
- ٣ - تغير نظام الوجود هو مقدمة للقيامة، والقيامة للحساب والكتاب وجزاء أعمال الإنسان: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ...﴾.

- ٤ - تتسع قدرات الإنسان يوم القيامة، ويتذكر كل ما قام به في الماضي: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾.
- ٥ - يجب أن يفكر الإنسان في ماضيه، فإن كان قد ارتكب ذنباً يتوب منه، ويجب أن يفكر في ما سترك من ذكرى حسنة بعد موته: ﴿مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾.
- ٦ - يطلع الإنسان يوم القيامة على ما قدم من خير أو شر، ويعي آثار تلك الأعمال وعواقبها: ﴿مَّا قَدَّمْتَ وَأَخَّرْتَ﴾.
- ٧ - يدرك الإنسان يوم القيامة الأعمال التي كان بمقدوره أن يقوم بها ولكنه أخرها ولم ينجزها: ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ... وَأَخَّرْتَ﴾ وقد يكون المقصود من «التأخير» الأعمال التي تعود عليه آثارها بعد موته. كتأليف كتاب أو تأسيس لفساد.

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا عَمِلَ بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوِّكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

إشارات:

- «غرّ» من «غرور» بمعنى الغفلة، الخداع، والغرور. «سوّاك» أي الاعتدال والاستقامة من دون أي اعوجاج. و«عدلك» تشير إلى التعادل والتوازن بين أعضاء وجوارح الإنسان.
- اعتمدوا على أعمالكم لا على كرم الله، كان الأنبياء على علم بكرم الله ولكنهم كانوا يعملون.
- إن الله كريم: ﴿بِرَبِّكَ الْكَبِيرِ﴾، وملائكته المؤتمرون بأمره كرماء: ﴿كِرَامًا كَنِينٍ﴾، ورسله كرام: ﴿رُسُلًا كَرِيمًا﴾^(١) وكتابه كريم: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾^(٢) وثوابه كريم: ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٣).
- إن الله كريم، يغفر الذنوب ويستر العيوب ويضاعف الثواب.

(٣) سورة يس: الآية ١١.

(١) سورة الحاقة: الآية ٤٠.

(٢) سورة التكويد: الآية ١٩.

التعاليم:

- ١ - الإنسان موجود غافل ومخدوع ويظن أنه في مأمن من عواقب العمل وعذاب الله: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.
- ٢ - لماذا يغتر الإنسان على الرغم من ضعفه وحاجته؟: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ﴾.
- ٣ - أسوأ أنواع الكبر والغرور، أن يكون الغرور في مقابل الخالق الكريم والموجد: ﴿غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ﴾.
- ٤ - غرور الإنسان وغفلته استغلال سيء للطف الله وكرمه وستره العيوب: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.
- ٥ - لطف الله وكرمه الابتدائيان ليسا مختصين بالمؤمنين بل هما لكل البشر: ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ... بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.
- ٦ - يدل غرور الإنسان على غفلته عن النعم الإلهية وعظمة الخالق: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾.
- ٧ - الالتفات إلى الألفاظ الكريمة علاج للغرور: ﴿الْكَرِيمِ... خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ﴾.
- ٨ - الخلق دليل على القدرة: ﴿خَلَقَكَ﴾، والتسوية دليل على الحكمة: ﴿سَوَّنَكَ﴾، والاعتدال دليل على علم الله بكل الاحتياجات: ﴿فَعَدَّلَكَ﴾.
- ٩ - خلق الإنسان والتوازن بين أعضائه، دليلان على كرم الله: ﴿الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَّلَكَ﴾.
- ١٠ - منشأ الاختلاف في شكل البشر وملاصحتهم هو إرادة الله الحكيمة: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾.
- ١١ - يجب التذكير المتواصل بنعم الله، لتحطيم الغرور: ﴿خَلَقَكَ، فَسَوَّنَكَ، فَعَدَّلَكَ، وَرَكَّبَكَ﴾.
- ١٢ - من خلقك في الدنيا، يخلقك في الآخرة كذلك، بماذا تكذب إذا؟ ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾.

- ١٣ - من يغترّ بالدنيا، يُنكر الآخرة: ﴿غَرَكَ... تُكْذِبُونَ﴾.
- ١٤ - حتى لو أنكرتم القيامة، فإنّ الملائكة سيقومون بعملهم: ﴿تُكْذِبُونَ... وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾.
- ١٥ - توجد ملائكة عدة مسؤولون عن حفظ البشر وحراستهم: ﴿لَحَافِظِينَ﴾.
- ١٦ - الملائكة مسؤولون عن إثبات ما يقوم به البشر وتسجيله: ﴿كِرَامًا كَنِينٍ﴾.
- ١٧ - يتصرف الملائكة المراقبون بكرم عند تسجيلهم للأعمال: ﴿كِرَامًا كَنِينٍ﴾.
- ١٨ - الملائكة متعددون وهم شديداً الملاحظة ويرون كل شيء بدقة: ﴿يَقَامُونَ مَا تَقَعُلُونَ﴾.
- ١٩ - إذا ما التفت الإنسان إلى أنّ الملائكة المعصومين يحصون أعماله، فسيكون ذلك سبباً في حياته وتقواه: ﴿يَقَامُونَ مَا تَقَعُلُونَ﴾.

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِقَائِلِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْآزِفِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمَلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

إشارات:

- «أبرار» جمع بار بمعنى المحسن، و«نعيم» تعني الممتلئ بالنعمة.
- «فجّار» جمع فاجر بمعنى الشق، وتعني الأشخاص الذين يهتكون الستر ويمزقونه.
- «صلّى» أي دخل في العذاب والقهر: ﴿يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الَّذِينَ﴾ و(الصلو) هو الدخول في الرحمة واللفظ كذلك: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾^(١).
- كل الأمور بيد الله في يوم القيامة، وهذا لا يعني انتفاء الشفاعة؛ لأن الشفاعة هي من الأمور التي أمر بها الله^(٢).

التعاليم:

- ١ - من طرق التربية والتبليغ، المقارنة بين مصير الصالحين والسيئين: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ... وَإِنَّ الْفَجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾.
- ٢ - حتى النبي، لا يعلم بعض أمور يوم القيامة: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْذِينِ﴾.
- ٣ - لا يمكن إدراك مسائل يوم القيامة بالعقل العادي، ويجب معرفتها عن طريق الوحي: ﴿مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْذِينِ﴾.
- ٤ - يجب تكرار المواضيع المهمة: ﴿مَا أَدْرَاكَ... ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ﴾.
- ٥ - إنَّ القيامة هي بهدف الثواب والعقاب على أعمالنا الدنيوية: ﴿يَوْمَ الْذِينِ﴾.
- ٦ - يبقى المجرمون في جهنم إلى الأبد: ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِقَائِلِينَ﴾.
- ٧ - يوم القيامة هو يوم سلب الصلاحيات والملكية من كل البشر: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾.
- ٨ - القيامة هي تجلُّ لحكومة الله المطلقة: ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾.

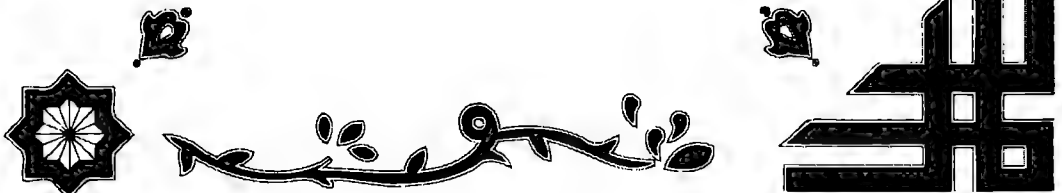
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

السورة: ٨٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣٦



ملاح سورة المطققين

تحتوي هذه السورة على ست وثلاثين آية وقد نزلت في مكة، وإن كانت الآيات الأولى بناءً على بعض الروايات قد نزلت في المدينة.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى وهو يعني المخسرين في البيع.

تبدأ هذه السورة بتهديد الذين يُخسرون في الميزان وتعتبر أنّ السبب في هذا هو عدم التصديق بيوم القيامة.

يتحدث جزء آخر من الآيات عن ماضي الفجار المذنبين المعتدين وتصديهم للآيات الإلهية، وكيف أنّ هذا ناشىء عن انسداد قلوبهم.

ولا شك في أن بيان ما يتمتع به أهل الجنة من النعم الدائمة والسعادة والفرح، يضيء نور الأمل في قلوب المؤمنين ويواسيهم أمام أذى ألسن الكفار، لكي لا يحزنوا من استهزاء الكفار وتحقيرهم إياهم.

ورد في بعض الروايات، أنّ قراءة هذه السورة في الصلاة سبب للأمان من عذاب يوم القيامة، وأنّ الله سيروي قراءتها من شراب الجنة الطهور^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْغَلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

□ «الويل» بمعنى الهلاك والعذاب، وبناءً على الروايات، هو اسم واد في جهنم أو باب من أبوابها.

□ تحمل كلمتا طفيف وقليل المعنى نفسه، و«التطفيف» يعني التقليل وجذرها من (طف) بمعنى جانب. ويقال للبائع الذي يقلل من جوانب الأصناف «مطفف». عن ابن مسعود أنه أيما شخص يقصر في صلاته، تشمله هذه الآية^(١).

□ ثمة تطفيف لكل نوع يتناسب معه: المعلم، العامل، الكاتب، البائع، المهندس، الطبيب، والوظائف الأخرى، كل من يقصر في عمله هو مطفف.

□ يعتقد المطفف أنه حاذق، وهو لا يحب الناس، ولا يعتقد بأن الله هو الرازق وهو يظلم المجتمع اقتصادياً.

□ التطفيف هو من الذنوب الكبيرة؛ وذلك لورود الوعيد بالعذاب عليه.

□ إمكان التطفيف وارد في الكيل أكثر من الميزان، لذا ذكر الكيل في آية وفي الآية اللاحقة لها ذكر الكيل مرة أخرى، ثم ذكر الكيل والميزان معاً.

□ جاء في الروايات: إذا ما ابتلي الناس بالتطفيف، منعت الأرض الناس من نباتها وابتلي الناس بالقحط^(٢).

□ الانضباط والدقة الاقتصادية، هما في رأس برنامج الأنبياء الإصلاحية. كما قال

(٢) الميزان في تفسير القرآن.

(١) تفسير نمونه.

النبي شعيب لقومه: ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَقْنَطُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - اكتشفوا الخطر بكلمات تحذيرية: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.
- ٢ - كسب المال الحرام عن طريق التطفيف، من أسباب سقوط الإنسان: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.
- ٣ - التفريق بين الأخذ والعطاء هو تطفيف. لا يجب أن ترضى للآخرين ما لا ترضاه لنفسك: ﴿أَكَالُوا... يَسْتَوُونَ... كَالَهُمْ... يُخْسِرُونَ﴾.
- ٤ - البخس في الميزان بحق أي شخص وإن لم يكن مسلماً هو عمل مشين: ﴿عَلَى النَّاسِ﴾.
- ٥ - ما هو أعظم من الذنب، هو الأنس به، بحيث يصبح البخس في الميزان شغل الإنسان: ﴿يُخْسِرُونَ﴾ (يدل الفعل المضارع على الاستمرار).
- ٦ - يجب أن نحیی ذكری المعاد في القلوب، للحؤول دون المفاصد الاقتصادية: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.
- ٧ - الاعتقاد بالمعاد حتى لو في حد الظن، يكون رادعاً: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.
- ٨ - أحداث يوم القيامة مخيفة وعظيمة: ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.
- ٩ - نحن مسؤولون أمام الله عن التطفيف وعن حقوق الناس: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْغَالِبِينَ﴾.
- ١٠ - عقاب المجرمين ومجازاتهم، من شؤون الربوبية: ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّهِمُ الْغَالِبِينَ﴾.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَزْكَاكَ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُنَالُ عَلَيْهِ مَائِسًا قَالِ اسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

إشارات:

□ «سجين» من سجن أي الحبس وجاءت على وزن فَعِيل للمبالغة: السجن الشديد والأبدى.

□ «مرقوم» من رقم أي الخط الصحيح والواضح، إذ لا يمكن الاشتباه به بخط آخر. وعليه فإنّ «الكتاب المرقوم» أي سجلّ الفاجرين، هو محدد ومعين بشكل كامل وسوف يبقى أصحابه في سجن جهنم إلى الأبد.

□ المقصود من «الدين» في الآيات المرتبطة بيوم القيامة، هو الجزاء: ﴿يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ وكذلك في سورة الحمد، الآية: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ بمعنى مالك يوم الجزاء.

□ «أثيم» من إثم وتقال للشخص الغارق في الذنوب.

□ يمكن تفسير جملة: ﴿وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ على شكلين:

(أ) ويل للمطففين الذين ينتهي به الأمر بتكذيب يوم القيامة.

(ب) ويل للذين لا يؤمنون بجزاء المطففين في يوم القيامة.

□ «أساطير» جمع أسطورة وهي قصص تتحدث عن أمور جميلة ومحبة؛ ولكنها غير واقعية وتكون من نسج خيال القصاصين: ﴿اسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي أنّ الأولين قد قالوا هذه الأساطير والنبي الآن يكررها.

□ نقرأ في تاريخ عاشوراء أنّ الإمام الحسين عليه السلام وعظ جيش يزيد مرّات عدة وذكرهم بالرسائل التي أرسلوها إليه، وساء لهم عن الذنب الذي يريدون أخذه به، وهل هو حرام أحله أم حلال حرّمه، وبعد ذلك عقّب قائلاً: «فقد ملثت بطونكم من الحرام وطّيع على قلوبكم»^(١).

لا تتعرض اليوم أي من كليات التربية وعلم النفس في الدنيا لمسألة تأثير اللقمة الحلال والحرام في تربية الإنسان وروحه، وعلماء الشرق والغرب في العالم، غافلون عن تأثير التغذية في التربية.

التعاليم:

- ١ - المطفف، فاجر يمزق ستار الدين: ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ... الْفَجَّارِ﴾.
- ٢ - مصير الفجار، واضح وقطعي: ﴿كِتَبَ مَرْثُومٌ﴾.
- ٣ - يحث الذنب الإنسان على الكفر وإنكار الحقائق: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.
- ٤ - الأشخاص الغارقون في الذنوب والطغيان، يقولون إن آيات القرآن أساطير: ﴿كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ٥ - القول إن الوحي أسطورة، هو ذريعة للبقاء على الكفر: ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾.
- ٦ - تسوق اللقمة الحرام الإنسان إلى حد الكفر. (تحدثت بداية السورة عن التطفيف وهو وسيلة للكسب الحرام، وتحدثت الآيات اللاحقة عن الفجور وبعدها عن التكذيب): ﴿وَبَلِّغْ يَوْمَئِذٍ لِلْكَاذِبِينَ﴾.
- ٧ - يؤثر سلوك الإنسان في معتقداته وثوابته. تؤدي الذنوب المتتالية والاعتداء بالإنسان إلى التكذيب: ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.
- ٨ - لا ينبغي الاكتفاء بتذكير وإنذار واحد، يجب التلاوة والتذكير بشكل دائم: ﴿تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾؛ (يدل الفعل المضارع على الاستمرار).
- ٩ - القرآن مليء بالجادبية، حتى بالنسبة إلى الكفار: ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾؛ (تطلق أسطورة على القصص الرائعة المليئة بالجادبية).

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٤) ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ (١٥) ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ (١٦) ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِدِهِ تَكْذِبُونَ﴾ (١٧)

إشارات:

□ «الرين» هو الصدأ الذي يتشكل على بعض المعادن. وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام): «ما من عبد مؤمن إلا وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذن ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء...، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي البياض فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^(١).

□ وعن الإمام الرضا (عليه السلام) في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾: «إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباد؛ ولكنه يعني: أنهم عن ثواب ربهم لمحجوبون»^(٢).

التعاليم:

- ١ - اعتبار القرآن أسطورة ناشئة عن فساد القلب: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.
- ٢ - يُغَيِّرُ الذنْبُ رُوحَ الْإِنْسَانِ وَيَمْنَعُهُ مِنْ إِدْرَاكِ الْحَقِّ: ﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
- ٣ - فطرة الإنسان سليمة، والذنْبُ هو الذي يغطيها: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.
- ٤ - القلب والروح هما مركز إدراك الحقائق في الثقافة القرآنية: ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾.
- ٥ - المداومة والإصرار على الذنْبِ سيان لصدأ القلوب: ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.
- ٦ - العمل هو رأسمال الإنسان، ويكسب به السيئات والحسنات: ﴿كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

(٢) الشيخ الصدوق، التوحيد، ص ١٦٢.

(١) تفسير مجمع البيان.

- ٧ - رين الذنب على القلب المانع لإدراك الحقائق في الدنيا، هو في الآخرة كذلك مانع عن استقبال اللطاف الإلهية: ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾.
- ٨ - يؤنب خزنة جهنم أهل النار: ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهٖ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيَّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَطَّرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خَتَمَهُ مِسْكٌَ ﴿٢٦﴾ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٧﴾ وَبِزَاجِهِمْ مِنْ تَنَبُّعٍ ﴿٢٨﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾

إشارات:

- «عِلِّيَّينَ» جمع عِلِّي بمعنى الدرجات والمراتب العليا إلى ما لانهاية.
- المقصود من كتاب الأبرار أي مصير المحسنين في القيامة، و«مرقوم» يعني مشخصاً ومحددأ حيث لا يمكن خلطه بأي كتاب آخر.
- «أرائك» جمع أريكة أي السرير المزيّن والمجهّز للاستراحة.
- «نضرة» بمعنى الجمال والحيوية، و«النعيم» أي النعم الكثيرة، و«الرحيق» بمعنى الشراب الخالص.
- «التنافس» إمّا من نفيس أي أن يسعى شخصان للحصول على شيء نفيس، وأمّا أنها من (نَفَس) أن يبذل شخصان ما بوسعهما إلى آخر نفس^(١).
- للضيافة في الجنة مراتب ودرجات:
- بعض (يسقون) وبعض آخر ﴿وَسَقَنَهُمْ رَبُّهُمْ﴾^(٢) أي أنّ بعضاً يستقبلون اللطاف الإلهية بواسطة، وبعض آخر بلا واسطة.
- قال بعض: إنّ المراد من المسك في قوله تعالى: ﴿خَتَمَهُ مِسْكَ﴾، هو آنية الشراب المختومة.

□ يشرب المقربون من تسنيم؛ ولكن الأبرار يشربون من الشراب المخلوط بالتسنيم.

□ ثمة أنواع لأشربة الجنة: بعضها في أنهر جارية (أنهار من ماء، أنهار من لبن، أنهار من خمر، وأنهار من عسل)^(١)، وبعضها في أوانٍ مختومة، وبعضها ينزل من السماء، أو من الطبقات العليا وهو التسنيم^(٢).

□ وعن الإمام الباقر عليه السلام: «تسنيم: أشرف شراب في الجنة يشربه محمد وآل محمد صرفاً ويمزج لأصحاب اليمين ولسائر أهل الجنة»^(٣).

التعاليم:

١ - وعود الله بإثابته المحسنين، قطعية: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (كلمة إن وحرف اللام والجملة الاسمية، تبين أن الوعد قطعي).

٢ - تناول النعم في حضور الآخرين، يضاعف اللذة: ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

٣ - من نعم أهل الجنة، المقام العالي والإشراف على المناظر الجميلة: ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ﴾.

٤ - تؤثر الحالة النفسية والروحية للإنسان على جسمه: ﴿تَقَرَّبُ فِي جُوهَرَةٍ﴾؛ (تلاؤ وجه أهل الجنة شيء مشهود للإنسان).

٥ - كون نعيم الجنة جديدة وغير ملموسة من قبل هو ميزة: ﴿مَخْتَوٍ﴾.

٦ - ليس لملذات الجنة أي عوارض جانبية غير مرغوبة: ﴿خِثْمُهُ مِسْكٌ﴾.

٧ - في الثقافة الإسلامية، الدنيا هي ميدان سباق وتنافس، تنافس في سبيل الحصول على النعم الأخروية: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

٨ - لأهل الجنة درجات ومراتب: ﴿الْأَبْرَارُ... الْمُقَرَّبُونَ﴾.

(٣) تفسير برهان.

(١) سورة محمد: الآية ١٥.

(٢) تفسير نمونه.

﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ تُؤِيبُ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

إشارات:

□ الغمز هو الإشارة إلى عيوب الناس بالعين والحاجب.

التعاليم:

- ١ - يجب على المؤمنين أن يكونوا مستعدين لمواجهة فساد المجرمين والمذنبين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾.
- ٢ - لا تجعلوا ضحك الآخرين وغمزهم وأذيتهم تشبط عزيمتكم؛ لأنهم هم المجرمون: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾.
- ٣ - الاستهزاء والإهانة هما أسلوب المجرمين منذ القدم: ﴿كَانُوا... يَضْحَكُونَ﴾.
- ٤ - المجرم غير المقتنع بذنبه، يهين الصالحين ويؤذيهم نفسياً: ﴿يَضْحَكُونَ﴾ ﴿يَتَغَامِرُونَ﴾.
- ٥ - من أساليب المجرمين، السخرية من المؤمنين وجعلهم أضحوكة: ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾.
- ٦ - الإصرار على الذنب، يغير نظرة الإنسان وطريقة حكمه. (الطريف أن المجرمين كانوا يعتقدون أن المؤمنين ضالون): ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾.
- ٧ - يحق للمذنبين أن يحكموا على المؤمنين ويبدوا رأيهم فيهم: ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾.
- ٨ - لا ينبغي للمؤمنين أن ينتظروا تأييد الكافرين: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾.
- ٩ - يظن المجرمون أنهم القيمون على المؤمنين، وينفي الله تعالى هذا الادعاء: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ﴾.

- ١٠ - يكون المؤمنون يوم القيامة عامل تعذيب نفسي للمجرمين؛ لأن المؤمنين سيضحكون عليهم هناك أيضاً: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.
- ١١ - عقاب يوم القيامة، متناسب مع الذنب في الدنيا. (عقاب من يطلق ضحكات الاستهزاء في الدنيا، أن يُصبح أضحوكة في الآخرة): ﴿الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا... يَضْحَكُونَ... الَّذِينَ ءَامَنُوا... يَضْحَكُونَ﴾.
- ١٢ - عقاب يوم القيامة هو انعكاس لأعمال الإنسان نفسه في الدنيا: ﴿هَلْ تُؤَبَّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْأَنْشُقُلِ

السورة: ٨٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٥



ملامح سورة الانشقاق

سورة الانشقاق مكيّة، وعدد آياتها خمس وعشرون آية. اسم السورة مأخوذ من كلمة وردت في أول السورة. والانشقاق هو الصدع والخرق. ومحورها كغيرها من السور المكيّة، هو القضايا العقديّة وخاصّة المعاد ويوم القيامة. ينبئ انقلاب النظام الحاكم على الوجود وتغير نظام الأرض والسماء، عن وقوع القيامة وإحداث نظام جديد في العالم. يُؤتي سعي الإنسان ثمره يوم القيامة ويُعطى المحسنون والمسيئون كتاب أعمالهم بيدهم ليجزوا على أساسه إمّا بالثواب وإما بالعقاب، وهذه سنة الله على طول التاريخ، والكل يُحاسب على هذا الأساس. جاء في الروايات أنّ تلاوة آيات هذه السورة بتدبر، تحفظ الإنسان وتؤمنه من أن يُعطى كتاب أعماله بشماله^(١).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ۖ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۖ وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۖ﴾

إشارات:

□ «الشق» هو إحداث شق أو صدع. وعن الإمام علي عليه السلام: «تنشق [السماء] من المعجزة»^(١).

□ «أذنت» من الأذن أي سماع الأمر وتنفيذه. و«حُقَّت» أي أنها كانت تستحق ذلك.

□ يُقذف يوم القيامة كل ما في بطن الأرض من أموات وكنوز ... إلخ إلى الخارج. مثلما جاء في سورة الزلزلة: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

التعاليم:

١ - تُشق السموات المُحكَّمة: ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾^(٢) عند وقوع القيامة: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾.

٢ - يُسَلِّم الوجود لله تعالى ويطيع أوامره: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾ (وردت هذه الجملة حول الأرض والسماء كذلك).

٣ - في عالم الطبيعة نوع من الشعور يطيع به أوامر الله: ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا﴾.

٤ - التسليم لله تعالى هو وحده التسليم المستحق: ﴿وَحُقَّتْ﴾.

٥ - تتغير الأرض في يوم القيامة بشكل تختفي معه كل تعرجات الأرض ويصبح سطحها ممهداً وواسعاً: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقِهِ ۖ﴾ (٦) فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِمِيزَانِهِ ۖ ﴿٧﴾
 فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَنَقْلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۖ ﴿١٠﴾
 فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصِلَ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾
 إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴿١٥﴾

إشارات:

- تأتي كلمة «كدح» بمعنى الكد والسعي وكذلك تأتي بمعنى الأذى والضرر، أي أن الإنسان يسعى إلى ربه؛ ولكن سعيه هذا مصاحب للتعب والمشقة.
- نقرأ في الحديث: من اتصف بثلاث خصال، سهّل الله حسابَه وأدخله الجنة برحمته: «تعطي من حرمك، تصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك»^(١).
- «يحور» من حور بمعنى الرجوع والعودة والمقصود به الرجعة إلى الحياة الأخروية في القيامة.
- ورد في الآية التاسعة والثالثة عشرة، كلام عن الفرح والسرور بقرب الأهل، أحدها سلبي وكان موضعاً للانتقاد والآخر إيجابي وهو ثواب للمحسنين. أجل، فإن نتيجة الغفلة والسرور بالدنيا، جهنم ونتيجة الإيمان والتقوى في الدنيا، السرور بين الأهل في القيامة.
- رُوي أنه سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَنَقْلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾، فأجاب: «أهل في الدنيا هم أهل في الجنة إن كانوا مؤمنين»^(٢).

التعاليم:

- ١ - يسير الإنسان باتجاه الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾؛ (وكذلك فقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^(٣)).

(٣) سورة البقرة: الآية ١٥٦.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧، ص ٣٢٥.

- ٢ - يواجه الإنسان في حركته إلى الله تعالى مشكلات متعددة: ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ﴾.
- ٣ - وضع الله تعالى في المجتمع والتاريخ قوانين متعددة يتبعها الجميع، فلا يستطيعون التوقف ولا يستطيعون الرجوع أو الحركة في اتجاه آخر: ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا﴾.
- ٤ - نهاية حركة الإنسان هي الوصول إلى الله: ﴿فَمَلْفَيْهِ﴾.
- ٥ - تُدَوَّن أعمال الإنسان في الدنيا، وتُعرض عليه في يوم القيامة بشكل مستند مكتوب: ﴿أَوْقَرَ كِتَابُهُ﴾.
- ٦ - يختلف حساب الناس يوم القيامة، فالمحسنون يحاسبون حساباً يسيراً: ﴿حِسَابًا يَسِيرًا﴾؛ وللضالين حسابٌ عسير: ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾^(١).
- ٧ - لا تغتروا بالسعادة الدنيوية العابرة، فكثروا في سرور يوم القيامة الدائم: (إذا صرفنا اليوم النظر عن الملذات الأسرية وابتعدنا عن أسرتنا بهدف الجهاد أو طلب العلم، فسوف يعوض علينا في المستقبل): ﴿وَنَقْلِبُ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ مَسْرُورًا﴾.
- ٨ - في اليوم الذي يفر فيه الناس بعضهم من بعضهم الآخر: ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ النَّاسُ الْفَيْحَ﴾^(٢)، من يكون حسابه سهلاً ومكانه في الجنة، سيعود إلى أهله: ﴿وَنَقْلِبُ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ مَسْرُورًا﴾؛ (قد يكون المقصود بالفارين من بعضهم، الكافرين).
- ٩ - الغفلة عن المعاد أو إنكاره هو منشأ تعاسة الإنسان: ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾.
- ١٠ - منكرو المعاد، ينكرون بناءً على الظن والتخمين لا على العلم: ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾.
- ١١ - الغفلة عن الآخرة هي السبب في السرور العبثي: ﴿كَانَ فِي أَهْلِيهِ مَسْرُورًا... ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾.
- ١٢ - يقتضي العقل والاحتياط أنه وإن لم يكن عندكم يقين بالقيامة، فعلى الأقل

(١) سورة الطلاق: الآية ٨.

(٢) سورة عبس: الآية ٣٤.

أَنْ تَظُنُّوا بِأَنَّهَا وَاقِعَةٌ ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾^(١) لَا أَنْ تَعْتَقِدُوا بِعَدَمِ وَجُودِ الْقِيَامَةِ، فَهَذَا سَبَبٌ لِلْهَلَاكِ: ﴿ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾.

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾ ١٦ ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ ١٧ ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ ١٨ ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ ١٩ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٢٠ ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ ٢١ ﴿

إشارات:

□ «طبق» بمعنى التطبيق والانطباق، أي وضع شيئين أحدهما فوق الآخر، وتطلق أيضاً على حالة، إذ تكون روح الإنسان متطابقة مع تلك الحالة. إذا يكون معنى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ أنكم تركبون على حالة وخصلة تحملكم كالمركب إلى مقصدكم^(٢).

□ كما تظهر الحمرة في وقت الغروب، ومن ثم يغطيها سواد الليل، فيأتي عندها نور القمر ليضيء الليل، وتحدث هذه الحالات الواحدة تلو الأخرى، فأنتم أيضاً أيها البشر قد جئتم الواحد تلو الآخر وتملكون حالات مختلفة وتتحركون في مسير التكامل إلى الله تعالى.

□ المقصود من: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ مراحل حياة الإنسان المختلفة التي يطويها في مسير حركته إلى الخالق، الحياة الدنيوية، الحياة البرزخية والحياة الآخروية^(٣).

وقد يكون المقصود منها هو أن مصيركم مطابق لمصير الأقوام السابقة. إذا قمتم مثلهم بالإنكار، فستهلكون، وإن آمنتم كما آمنوا، ستلقون النجاة. ويوجد أيضاً حديث يؤيد هذا المعنى.

□ المقصود من السجدة في الآية: ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾، الخضوع

(٣) الميزان في تفسير القرآن.

(١) سورة البقرة: الآية ٤٦.

(٢) تفسير راهنما.

والتصديق والإيمان وإلا لكان لزاماً أن يسجد الناس عند تلاوة كل آية فيها حديث عن السجود.

التعاليم:

١ - يجب أن تكون العبودية والتسليم نتيجة قراءة القرآن: ﴿وَإِذَا قُرِئَ... الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾.

﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ (٢٢) **وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ** (٢٣) **فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** (٢٤) **إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ** (٢٥) ﴿

إشارات:

□ «يوعون» من وعاء والمقصود بها هنا هو وعاء القلب وما يملكه الإنسان في قلبه. «بشر» من بشارة وتُطلق على الخبر الذي يتغير عند سماعه وجه الإنسان وبشرته وعادة تُطلق على الأخبار السعيدة. وقد تأتي أحياناً في معرض التحقير، مثل أن يقال: (بشرى فلان، الموت).

التعاليم:

١ - لا يكتفي الكافرون بعدم التسليم أمام الآيات القرآنية، بل إنهم يكذبون بها أيضاً: ﴿لَا يَسْجُدُونَ... يَكْذِبُونَ﴾.

٢ - من رضي بالكفر نهجاً، يكذب بكل مسألة يواجهها: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾.

٣ - يحيط الله تعالى بأسرار الإنسان الداخلية: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

٤ - قد يسعى الإنسان تحت غطاء الإنكار والتكذيب إلى أهداف أخرى ولكن الله يعلم بها: ﴿يَكْذِبُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

٥ - قد يكذب الإنسان في الظاهر بهدف حفظ مصالحه؛ ولكنه قد يستحسن الأمر في باطنه: ﴿يَكْذِبُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.

- ٦ - صحيح أنّ الثواب والعقاب مبنيان على العمل ولكن قيمة العمل هي في الهدف والدافع إذ إنّ الله عليم بهما: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾.
- ٧ - العمل الصالح والقيّم هو من لوازم الإيمان، في أي مجال كان: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (العبادة هي أحد مصاديق العمل الصالح).
- ٨ - لا ينفك الإيمان عن العمل وهما لازمان ومُلزِمان لبعضهما: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٩ - الثواب الإلهي غير مقطوع، وليس فيه مِتّة: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْبُرُوجِ

السورة: ٨٥ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٢



ملاحح سورة البروج

سورة البروج مكّية وعدد آياتها اثنتان وثلاثون آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والمقصود به النجوم المضئية التي تلمع كالأبراج العالية في السماء.

تبدأ هذه السورة ببيان الجرائم التي قام بها جماعة من المُعذِّبين، الذين كانوا يحفرون حفرة عميقة، ويضرمون فيها ناراً عظيمة، ويهددون المؤمنين بإحراقهم في النار، وكانوا يرمون في النار كل من يتمسك بإيمانه.

وقد وعدهم الله كذلك بنار جهنم الشديدة التي لا يمكن مقارنتها بنار الدنيا وبهذه الطريقة يواسي الله المؤمنين ويدعوهم إلى الثبات في مواجهة الظالمين.

تشير السورة في تمتها باختصار إلى ما جرى على فرعون وقوم ثمود، كيف أنهم مع كل القدرة التي امتلكوها، هُزموا أمام الإرادة الإلهية وهلكوا.

تبين الآيات الأخيرة من السورة عظمة القرآن ومكانة الوحي الإلهي الرفيعة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمَ الْوَعْدِ ۝٢ وَشَاهِدٍ مَّشْهُودٍ ۝٣ قُلْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٩﴾

إشارات:

□ «بروج» جمع بُرج بمعنى الأمر الواضح والظاهر، مثلما أن «التبرج» يعني إظهار الزينة. ويُقال للبناء المرتفع، برج؛ لأنه بارز وواضح مقارنة بالأبنية المحيطة به. المقصود من البروج في هذه الآية، نجوم السماء التي تلمع وتظهر عن بُعد كالبرج المرتفع. كما قال تعالى في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبَةً لِلنَّظِيرِينَ﴾^(١).

□ ذكر ما يقارب الثلاثين مصداقاً لآية: ﴿وَشَاهِدٍ مَّشْهُودٍ﴾، من بينها أن الشاهد هو الله تعالى والمشهود هو ما سوى الله، فيكون القسم: ﴿وَشَاهِدٍ مَّشْهُودٍ﴾ قسماً بالخالق وبكل الوجود.

وقد روي عن الإمام الحسن عليه السلام^(٢): أن الشاهد هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾^(٣)، والمشهود هو يوم القيامة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾^(٤).

□ الوقود هو كل ما يوقد به وتشعل به النار.

□ «الأخدود» هو الحفرة العميقة والمقصود بأصحاب الأخدود، الأشخاص الذين حفروا حفرة عميقة في الأرض وأضرموا فيها ناراً عظيمة ثم ألقوا المؤمنين في النار وأحرقوهم وهم أحياء. كما فعلوا مع النبي إبراهيم عليه السلام لولا أن نجاه الله.

(١) سورة الحجر: الآية ١٦.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

(٢) تفسير نور الثقلين.

(٤) سورة هود: الآية ١٠٣.

وقد وردت روايات عدّة حول من يكون هؤلاء الظالمون ومن هم المؤمنون، ولكن لم يذكر شيء عنهم في القرآن الكريم.

التعاليم:

١ - كل الوجود له مكانة عند الله ويستحق القسم فيه، من مثل: السماء ونجومها: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾.

٢ - لا تكونوا في غفلة عن القيامة، فهي موعد الجميع: ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.

٣ - أنتم وأعمالكم مراقبون من قبل الله تعالى: ﴿وَشَآهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

٤ - يجب إعلان البراءة والنفور من الظالم: ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ﴾.

٥ - المهم هو نقل العبرة عند سرد التاريخ، لا نقل الجزئيات. (لم يُذكر شيء عن مكان الأخدود، وزمان الحادثة، وأسماء الظالمين وعددهم، وعدد الشهداء؛ لأن هذه التفاصيل لا تؤثر في أخذ العبرة): ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ﴾.

٦ - الفكر المُعادي للظلم، المنتقد للظالم هو مبدأ قيم، وإن لم يكن ثمة ظالم. (أصحاب الأخدود ليسوا موجودين اليوم وأبو لهب ليس موجوداً اليوم كذلك، ولكن روحية النفور منهم يجب أن تبقى حيّة دائماً: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾): ﴿قُلْ أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ﴾.

٧ - الحرق هو من أصعب أنواع التعذيب، ومن بين كل أنواع القتل التي تعرض لها المؤمنون ذَكَرَ اللهُ إلقاءهم في النار: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ﴾.

٨ - نقل الظلم والمظلوميّات وذكر المصيبة والعزاء، له سوابق قرآنية: ﴿أَصْحَابُ الْأَخْذُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوُجُوهِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾.

٩ - ارتكاب الذنب قبيح؛ ولكن قساوة القلب والمراقبة والرضا بالذنب أقبح: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

١٠ - فليعلم الظالمون الشاهدون على تعذيب المؤمنين، أنّ الله شاهد عليهم وعلى عملهم: ﴿وَشَآهِدٍ وَمَشْهُودٍ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

١١ - للشبّات على الإيمان جزاء: ﴿وَمَا تَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا﴾؛ (تدل جملة

(يؤمنوا) بدل (آمنوا) تدلّ على أنّ الكفار كانوا منزعين من صمود المؤمنين ولو أنّهم تخلوا عن إيمانهم لما عذبوهم).

١٢ - التهديد والانتقام هما منطق الكافر: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾.

١٣ - الإيمان هو أكبر الجرائم بالنسبة إلى الكفار، ولن يرضوا بأقل من التخلي عنه: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا...﴾.

١٤ - فليعلم الكافرون أنّ الله العزيز هو حامي المؤمنين وأنّ عنده القدرة على الانتقام: ﴿يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾.

١٥ - جاذبية الاتصال بالله القادر، تجيب عن الإشكالات الواردة على الشهادة والتضحية بالنفس في سبيل الله تعالى: ﴿يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

١٦ - السلطة الحقيقية هي لله تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾.

١٧ - الحكومة الإلهية مصاحبة لعلمه وحضوره: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا آمَنُوا بِالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَا يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

إشارات:

□ كلمة «فتنة» في الأصل تعني وضع الذهب في النار لتخليصه من الشوائب. واصطلاحاً تعني التعذيب والأذى أو الامتحانات الصعبة. ولكن في الآية المطروحة للبحث تعني العذاب والأذى^(١). كما ورد في آية أخرى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُقْنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فَتَنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٤﴾﴾^(٢).

□ كان الرجال والنساء دائماً بعضهم إلى جانب بعضهم الآخر على طول أحداث التاريخ القاسية والصعبة، ولا يمكن التغاضي عن دور المرأة في الحركات

الإصلاحية والثورية؛ لذا كان الظالمون المجرمون يعذبون النساء كما الرجال: ﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

التعاليم:

١ - سيقهر الله أصحاب الأخدود وكل المجرمين هوة التعذيب في التاريخ: ﴿الَّذِينَ فتنُوا الْمُؤْمِنِينَ...﴾.

٢ - تحملت النساء المؤمنات التعذيب والأذى إلى جانب الرجال: ﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾.

٣ - لا يوجد فرق بين المرأة والرجل في الدفاع عن المظلوم: ﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾.

٤ - طريق التوبة مفتوح دائماً ولا يوجد طريق مسدود بوجه أحد؛ لذا اليأس من رحمة الله ممنوع. (أجل، لقد دعا الله المجرمين الذين أحرقوا المؤمنين إلى التوبة كذلك): ﴿فَتَبَرَّأ... ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾.

٥ - يقبل الله تعالى التوبة، حتى وإن جاءت بعد فترة طويلة: ﴿ثُمَّ﴾.

٦ - جزاء الإحراق هو الإحراق: ﴿الَّذِينَ ذَاتِ الْقُوْدِ... عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

٧ - يجب أن تتلازم البشارة والإنذار وتكونا معاً: ﴿عَذَابُ الْحَرِيقِ... جَنَّتْ تَجَرَّى...﴾.

٨ - من أفضل المَلَذَّاتِ، التلذذ بالطبيعة: ﴿جَنَّتْ... اللَّاتِهُرُّ﴾.

٩ - للكفار المجرمين عذابان: عذاب الكفر وعذاب الإجرام: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾.

١٠ - الدنيا عابرة؛ سرور الظالمين عابر، وكذلك عذابات المؤمنين. فكروا في الآخرة حيث عذاب أهل جهنم أبدي وثواب أهل الجنة خالد: ﴿فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ... وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ... الَّذِينَ ءَامَنُوا... لَهُمْ جَنَّتْ﴾.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ (١٢) إِنَّهُ هُوَ بَدِئٌ وَبَعِيدٌ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾
 ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

إشارات:

- «البطش» هو الأخذ بالقهر والغلبة.
 □ «العرش» هو كرسي الحكم وهو كناية عن التدبير الإلهي. وقيل أيضاً إنّ العرش هو المكان الذي يضم كل الوجود. لذا فإنّ ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ تعني صاحب كل الوجود ومركز إدارة الكون.

التعاليم:

- ١ - لا يستطيع أحد ولا يستطيع أي شيء أن يكون مانعاً للقهر والغلبة الإلهية: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.
- ٢ - القهر والعقاب من الشؤون الربانية المساعدة على تحقيق أهداف الرسالة ومواساة الأنبياء: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ﴾.
- ٣ - الخلق والإرجاع، عمل الله الدائم: ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئٌ وَبَعِيدٌ﴾.
- ٤ - تساوى قدرة الله تعالى على الخلق والإرجاع: ﴿بَدِئٌ وَبَعِيدٌ﴾.
- ٥ - إنّ الله تعالى هو القاهر والغالب وهو الغفور المحبّ كذلك: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ... وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾.
- ٦ - مضافاً إلى الخلق، فإنّ التدبير والحكم على كل شيء هو الله تعالى: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾.
- ٧ - لا شيء يمنع إرادة الله في المحبة والعقاب: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ... وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ... فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾.
- ٨ - ليس لأعمال الله أي محدودية: ﴿لِمَا يُرِيدُ﴾؛ (من غير أن نقول فمن الواضح أنّ الإرادة الإلهية مصاحبة للحكمة، وأنّ إرادته لا تشمل الأعمال غير الحكيمة).

﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ
مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾

إشارات:

□ كان فرعون وثمود من أرفع الأقوام مرتبة في الحضارة والسلطة والإمكانات وقد أشير إلى ذلك في آيات أخرى من القرآن الكريم. لذا ذكر اسمهما هنا.

□ الإعلان عن قدرة الله على قلع القوى العظمى وقمعها، فيه نوع من التهذئة للمؤمنين.

□ إذا ما جاءت كلمة «قرآن» مع ال التعريف، فيكون المقصود هو القرآن نفسه؛ ولكن بدون ألف ولام فيكون بمعنى المقروء. كما قال تعالى في هذه الآيات: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾ أي أن ألفاظ الوحي قُرئت على النبي ﷺ.

التعاليم:

- ١ - في البداية يجب أن نشوق المستمع، ثم نقول ما لدينا: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾.
- ٢ - يجب أن يكون لدينا اطلاع على تاريخ السابقين وأن نعتبر من تصرف الله تعالى فيهم: ﴿هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.
- ٣ - أقوى الجيوش والجنود لا تساوي شيئاً أمام القهر الإلهي: ﴿الْجُنُودِ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.
- ٤ - يضر الكافرون على تكذيب القرآن وتكذيب وعوده: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾.
- ٥ - الظالمون ليسوا خارج مدار قدرة الله تعالى ولا يملكون أي سبيل للفرار؛ ولكنهم لا يعلمون ذلك: ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾؛ (كلمة: ﴿وَرَاءَهُمْ﴾ تدل على غفلتهم عن علم الله تعالى وقدرته).

- ٦ - الله تعالى صاحب المجد والعظمة وقرآنه كذلك: ﴿ذُرِّ الْعَرْشِ الْمَجِيدُ... بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾.
- ٧ - اللوح المثبت عليه القرآن، ليس معروفاً بالنسبة إلينا؛ ولكنه محفوظ عند الله: ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾.
- ٨ - القرآن الكريم مصان من أي تحريف أو تهديد: ﴿قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾.

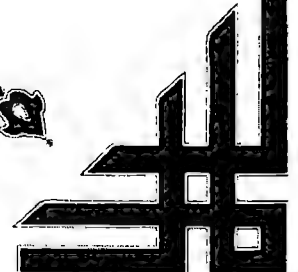
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الطَّارِقِ

السورة: ٨٦ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٧



ملامح سورة الطارق

سورة الطارق مكيّة وعدد آياتها سبع عشرة آية. اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني القارع على الباب وشبهه. يدور محور الحديث في هذه السورة حول أمرين: أحدهما التحذير من المعاد والثاني نعمة القرآن ومقامه الرفيع.

تأمل الإنسان في أصل وجوده أي الماء المهيّن، يُعدُّ الأرضية له ليتقبّل قدرة الله المطلقة على خلقه مرّة أخرى وإحضاره لمحكمة يوم القيامة، وكل هذا مأخوذ من الوحي السماوي الصادق، إذ يظن المخالفون أنّ هذا كلام عبث ولهو، في حين أنّه قطعي وحتمي وكل مساعي الكفّار للتأمر عليه، ستقلب ضدهم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③ إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④
فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦
إِنَّهُ عَلَى رَجِيعِهِ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ بُلَى السَّرَائِرُ ⑨ فَا لَمْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩﴾

إشارات:

□ «الطارق» هو الشخص الذي يأتي ليلاً ويطرق الباب. والطرق هو القرع والدق، و«المطرقة» هي وسيلة القرع والطرق، ويقال للدرب (طريق) لأنه يطرق عليه بالقدم.

□ «ثاقب» من الثقب أي إحداث فتحة، وكأنّ النجوم تثقب سواد الليل بنورها وتُحدث فيه فتحة. «الصلب» أي مُحكم والمقصود به فقرات الظهر، و«الترائب» تطلق على عظام القفص الصدري.

□ «تُبلى» من بلوى بمعنى الامتحان إذ إنه عامل لإظهار الحقائق.

□ في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود من الطارق، كوكب زحل وهو نجم أمير المؤمنين وأوصيائه^(١).

□ أحضر أشعث بن قيس - وكان أحد المنافقين - ليلاً، حلوى للإمام علي عليه السلام وطرق الباب، ليرتكب الذنب في النهار بحلوى الليل، فأسماء الإمام الطارق لأنه طرق الباب ليلاً^(٢).

□ نقرأ في سورة الانفطار ما يشابه الآية الرابعة لهذه السورة: ﴿وَلَوْ عَلَيَكُمُ الْخُفُوفُ كِرَامًا كَذِبِينَ يُعَلِّقُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

التعاليم:

١ - تحافظ ملائكة الله على الإنسان وعلى كل أعماله. (تسجل أعماله وتحفظه من

الحوادث): ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْنَا حَافِظٌ﴾.

٢ - تجب الدراسة الدقيقة لكيفية ولادة الطفل، من انعقاد النطفة إلى خروجه من بطن الأم، فهذا عامل لمعرفة الله ومعرفة المعاد كذلك: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾.

٣ - يجب على الإنسان أن يدقق في خلقه؛ لأنه يملك العقل والعلم والاستعداد: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾.

٤ - التنبيه إلى خلق الإنسان، وسيلة للإيمان بالمعاد: ﴿عَلَى رَجَبِهِ لَقَائِرٌ﴾.

٥ - المعاد جسماني، ويحيا جسم الإنسان مرة أخرى في يوم القيامة: ﴿رَجَبِهِ﴾.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّرْعِ ۝ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ۝ (١٣) وَمَا هُوَ إِلَّا نَزْلٌ ۝ (١٤) وَهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۝ (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا ۝ (١٦) فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْمُهُمْ رُودًا ۝ (١٧)﴾

إشارات:

□ «الرجع» هو المطر، وقد يكون سبب التسمية هو رجوع بخار الماء إلى الأرض على شكل مطر. «الصدع» يعني تشقق الأرض لتخرج منها النباتات. و«الهزل» بمعنى الكلام التافه الفارغ من المحتوى. و«الكيد» أي التصميم والتخطيط بغتة وخفاء.

□ «مهّل» و«أمهّل» بالمعنى نفسه وقد جاءتا مع التأكيد، وكلتاهما تعنيان إعطاء المهلة. «روداً» أي المهلة القصيرة.

□ دور السماء والأرض في إنتاج النبات هو كدور الأب والأم في إنجاب الطفل.

□ نزول المطر واستعداد الأرض هما عاملان مهيذان لرشد النباتات، وكذلك نزول القرآن واستعداد الإنسان عاملان لرشد الإنسان. ذُكر اسم القرآن إلى جانب اسم المطر.

□ يجب التكلم بصورة قاطعة ومنطقية لرفع الشك. ذُكر الله للقسم بشكل متتالٍ هو وسيلة لرفع أي شك أو تردد لدى المخالفين، ولتقوية اعتقاد المؤمنين وإيمانهم.

□ ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ بدلاً من (لقول فاصل) تعني أن القرآن كله كلام فاصل ويفصل بين الحق والباطل. كأن نقول: فلان سُرَّ؛ أي أنه كله حلو.

□ عن النبي الأكرم ﷺ: «ستكون بعدي فتن»، سألوا: وما هو السبيل للنجاة؟ فقال: «كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل» وتلا قوله تعالى. ثم قال: «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله»^(١).

التعاليم:

- ١ - يوم القيامة، هو يوم ظهور أعمال الناس وأفكارهم: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.
- ٢ - تؤثر دوافع الإنسان وروحياته على قيامته: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾.
- ٣ - القيامة هي يوم إفشاء الأسرار والخبيل: ﴿تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾، ولا يستطيع الإنسان أن يكتُم ماضيه أو يعوض ما فاتهُ: ﴿قَالَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.
- ٤ - رجوع الإنسان يوم القيامة، كرجوع الماء المتبخر إلى البحر، من السماء إلى الأرض: ﴿عَلَى رَجَبِهِمْ لَقَائِدٌ... وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾.
- ٥ - قيمة كل موجود مرتبطة بآثاره وبركاته: ﴿ذَاتِ الرَّجْعِ... ذَاتِ الصَّنْعِ﴾.
- ٦ - القرآن هو الفرقان والفاصل بين الحق والباطل، وليس رواية غير واقعية: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْمُزَلِّ﴾.
- ٧ - خداع الكفار دائم وشديد وحتمي، فلا تغفلوا عنه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾.
- ٨ - يتصرف الله تعالى مع الإنسان على أساس عمله. إذا خطا خطوة في طريق الخير، يهديه الله: ﴿جَاهِدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ﴾^(٢) وإذا سعى للكيد، سيُنتلى بالكيد الإلهي: ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا وَآكِدُ كَيْدًا﴾.
- ٩ - القرآن الكريم هو المقياس للتمييز بين الحق والباطل: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.
- ١٠ - الكافرون خصماء لله، وتدير الله شديد: ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا وَآكِدُ كَيْدًا﴾.

- ١١ - إنهم يكيدون للمسلمين، ونحن أيضاً سنكيد لهم: ﴿يَكِيدُونَ... وَأَكِيدُ﴾.
- ١٢ - لا تتعجلوا في ردة فعلكم على الأعداء ولا تستعجلوا الله: ﴿قَهْلِ الْكَافِرِينَ﴾.
- ١٣ - لا تغفلوا أبداً عن العدو؛ ولكن لا مانع من إعطاء المهلة: ﴿أَتِهَلُمَّ﴾.
- ١٤ - سعة الصدر، من أحد الشروط اللازمة للقيادة: ﴿أَتِهَلُمَّ﴾.
- ١٥ - لا ينبغي أن يكون إمهالكم للعدو بالمقدار الذي تُسلب فيه الفرصة منكم: ﴿رَوَّاءُ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْأَعْلَى

السورة: ٨٧ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٩



ملاحح سورة الأعلى

سورة الأعلى مكّية وعدد آياتها تسع عشرة آية.
يُطلق على السور التي تبدأ بتسبيح الله تعالى اسم: «المُسَبِّحات»، وسورة
الأعلى هي آخر سور المسبّحات.
اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى التي تصف الله تعالى بالأعلى. تُقسّم
مباحث السورة إلى قسمين. القسم الأول فيه خطاب إلى نبي الإسلام الأكرم
والقسم الثاني حول المؤمنين والكافرين وعوامل سعادة هذين الفريقين وشقائهما.
أوصت الروايات بتلاوة هذه السورة في الركعة الأولى من صلاة العيدين
(عيد الفطر وعيد الأضحى)^(١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ① الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ② وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ③ وَالَّذِي أَخْرَجَ ④
الْعَرَقَ ⑤ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى ⑥﴾

إشارات:

□ تسبيح اسم الله، لا يعني فقط تنزيه ذات الله عن الشريك؛ بل أن لا نجعل حتى لاسمه شريكاً ولا نجعل أسماء الآخرين مع اسمه تعالى. كما كانت تقول بعض الجماعات التلفيقية: «باسم الله وباسم شعب إيران البطل».

□ نجد في القرآن الكريم والأحاديث دلائل عدّة تشير إلى اهتمام الإسلام باحترام الأسماء المقدّسة. مثلما ورد في هذه السورة: مضافاً إلى تسبيح ذات الله فيجب أن تنزهوا اسم الله كذلك. ويقول في موضع آخر: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾^(١)، وينتقد في موضع آخر تسمية الملائكة بأسماء النساء: ﴿يَسْمُونَ لِلَّيْكَ تَسِيَةً الْأُنثَى﴾^(٢)، وكان النبي ﷺ يغيّر أسماء أصحابه إن لم تكن لائقة.

□ وردت مسألة الخلق والهداية كذلك في الآية الخمسين من سورة طه، إذ سأل فرعون، موسى ﷺ: من ربك؟ قال: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾، وليس خافياً أنّ المقصود من هذه الهداية، الهداية التكوينية التي وضعها الله تعالى في الموجودات. مثال على ذلك تركيب جسم الأم الذي هداه الله لتكوين الحليب وهدى الرضيع لأن يلتقط ثدي والدته ويرضع الحليب.

بمرور الوقت، تُفهم الهداية التكوينية للموجودات بشكل أفضل، فقد اندفع آلاف العلماء إلى البحث واحتملوا ليعرفوا كيف ترجع الطيور والأسماك إلى مواطنها حتى بعد أن تبتعد مئات الكيلومترات عنها. وُضعت الهداية الإلهية في كل

موجود وهي التي تقوده إلى طريق التكامل. تتحول ذرات التراب إلى فاكهة، الفاكهة تصبح نطفة، النطفة تتكامل إلى إنسان، ثم يصبح جسم الإنسان تراباً مرة أخرى.

□ «سوى» بمعنى التنظيم، وهذا التنظيم يشمل المجرات وما فيها؛ بل وحتى النظام الحاكم على الحشرة التي لا ترى بالعين المجردة. «الغشاء» يعني النبات الجاف والحشيش اليابس، و«أحوى» يعني الخضرة المائلة إلى السواد.

□ حتى الورقة الصغيرة والحشيش اليابس لا يترك لحال سبيله. المرج الأخضر الذي تحوّل في نظرنا إلى حشيش يابس وأسود، هو نفسه في نظام الهداية الإلهية يتحول إلى مادة أخرى ضرورية لخصوبة الأرض وقوة الشجر، أو يتجمّع ويبدّل تحت ظروف معينة إلى فحم أو أي مادة مفيدة للتراب.

التعاليم:

- ١ - اسم الله مقدّس، فاجتنبوا أي إهانة لاسمه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٢ - لا تقرنوا الأوصاف غير اللاتقة باسم الله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٣ - لا تُطلقوا أسماء الله الخاصة به على الآخرين: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٤ - تسبيح الله سبب في رشدكم وتربيتكم: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٥ - تقع مسؤولية محاربة الشرك في الدرجة الأولى على عاتق القائد السماوي ومن ثم على عاتق كل المؤمنين: ﴿سَبِّحْ﴾.
- ٦ - يكون التوحيد الكامل، في ظلّ تنزيه ذات الله وتسبيح اسمه: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾.
- ٧ - إنّ الله أعلى من أي شيء قد يقال أو يُكتب أو يُصوّر. إنّّه أعلى من كل الكمالات: ﴿رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.
- ٨ - إنّ الله ليس خالقاً فحسب، بل مضافاً إلى ذلك فإنّه منظم الوجود والموجودات: ﴿خَلَقَ فَمَوْئِدًا﴾.
- ٩ - قدرة الموجودات وهدايتها، دليل على وجود هدف للخلق: ﴿قَدَّرَ فَهَدَى﴾.
- ١٠ - الأوامر الإلهية مصاحبة للحكمة والدليل. سَبِّحْ اسم الله لأنّه الأعلى، وهو الذي خلق وسوى وهدى: ﴿سَبِّحْ... الْأَعْلَى، خَلَقَ فَمَوْئِدًا، وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

١١ - تظهر الهداية التكوينية للموجودات بصُور مختلفة. قد تكون خضراء وأحياناً يابسة ولكن كليهما في مدار الهداية: ﴿أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾.

﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾ ① ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ②

إشارات:

□ «سُقِّرْتُكَ» من مادة «قرأ»، ومن باب إفعال. والإقراء في اللغة أن يقرأ القارئ ويستمع له الأستاذ ويصحح أخطاءه، ولكن في ما يخص نبي الإسلام ﷺ فإنَّ إقراء تعني أننا سنعطيك القدرة على قراءة القرآن بصورة صحيحة وبدون أي نقص وألا تنسى ما يُنزل عليك^(١): ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾.

□ جملة ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ استثناء المقصود منه بيان قدرة الله المطلقة، ليعلموا أنَّ الله قادر على أن يبطل النبي بالنسيان حتى بعد أن أعطاه القدرة على عدم النسيان (مثلما قال تعالى عن أهل الجنة: إن الجنة خالدة لهم وأن عطاء الله غير مقطوع عنهم، مع هذا فقد قال تعالى بين كلمة: ﴿خَالِدِينَ﴾ و﴿عَطَاءٌ غَيْرَ يَجْذُوذُونَ﴾، قال: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾^(٢). وهذا ليبين أنَّ قدرة الله غير محدودة).

التعاليم:

١ - خلق الوجود وهدايته التكوينية هو مقدمة لهداية البشر المعنوية والتشريعية: ﴿سُقِّرْتُكَ﴾؛ (ألا يقدر الله الذي أخرج النبات من باطن الأرض، أن يُبرز استعدادات الإنسان المعنوية؟ ﴿سُقِّرْتُكَ﴾).

٢ - كل ما يملكه الرسول هو من الوحي؛ لذا كان قلقاً من نسيان الوحي في المستقبل، فأعطاه الله الوعد بعدم نسيانه: ﴿سُقِّرْتُكَ فَلَا تَنْسَىٰ﴾.

٣ - رسول الله ﷺ مُصَانٌّ من أي نسيان: ﴿فَلَا تَنْسَىٰ﴾.

- ٤ - كان النبي الأكرم حافظاً للقرآن كله: ﴿فَلَا تَنْسَى﴾؛ (من معجزات النبي الأكرم أنه كان يحفظ حتى الآيات الطويلة إلى الأبد، بمجرد سماعها مرة واحدة).
- ٥ - قدرة الله غير محدودة ويستطيع أن يسترجع ما كان قد أعطاه: ﴿سَتُفْرِكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٦ - صحيح أن الله لا يخلف وعده أبداً: ﴿وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدُهُ﴾^(١)، ولكن وعد الله لا يعني أنه مُجَبَّر: ﴿فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.
- ٧ - إرادة الله حكيمة وعالمة: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ...﴾.
- ٨ - تقتضي بعض الأمور بأن تبقى مخفية: ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ (جاءت كلمة (يخفى) بصيغة المضارع لثبوت أن كون بعض الأمور مخفية هو مما تقتضيه طبيعة هذه الأمور).

﴿وَيُنِيرُكَ لِلْبَيْتِ﴾ ٨ ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعْتَ الذِّكْرَى﴾ ٩ ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْفَى﴾ ١٠ ﴿وَنَجْنِبُهَا الْأَشْقَى﴾ ١١
 الَّذِي يَصِلُ النَّارَ الْكُبْرَى﴾ ١٢ ﴿ثُمَّ لَا يَبُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ ١٣

إشارات:

- طلب النبي موسى ﷺ من الله تعالى أمرين لينجح في تبليغ رسالته، سعة الصدر وتيسير أمر الرسالة: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ ٢٥ ﴿وَيَبِّرْ لِي أَمْرِي﴾ ٢٦^(٢)، وقد أعطى الله تعالى هذين الأمرين لنبي الإسلام دون أن يطلبهما. فقد قال عن سعة الصدر: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٣)، وقال عن تيسير أمر الدعوة في هذه الآية: ﴿وَيُنِيرُكَ لِلْبَيْتِ﴾^(٤).
- المقصود من (نيسرك)، أيها النبي سوف نزود نفسك الشريفة بخلق عظيم وسعة صدر وصفاء وتواضع، لتتمكن من أداء الرسالة بأفضل الطرق وبيسر. سوف نعمل لأن تكون قادراً على اختيار الطريق الأيسر وهو طريق الفطرة^(٥).

(٤) الميزان في تفسير القرآن.

(١) سورة الحج: الآية ٤٧.

(٥) المصدر نفسه.

(٢) سورة طه: الآيتان ٢٥ - ٢٦.

(٣) سورة الشرح: الآية ١.

شروط التذكّر والموعظة:

- (أ) استعداد الواعظ هو شرط للموعظة: ﴿وَيُذَكِّرُ... فَذَكِّرْ﴾.
- (ب) يجب أن تكون الموعظة والتذكير على أساس القرآن الكريم: ﴿سَنُقْرِئُكَ... فَذَكِّرْ﴾.
- (ج) يجب ألا يكون الواعظ من أهل الغفلة والنسيان: ﴿فَلَا تَنسَ... فَذَكِّرْ﴾.
- (د) الواعظ الناجح، هو الذي يأمل المدد الإلهي: ﴿سَنُقْرِئُكَ... وَيُذَكِّرُ... فَذَكِّرْ﴾.

التعاليم:

- ١ - يشتمل تبليغ الدين ودعوة الناس إلى الله، على صعوبات ومشاكل عدّة، وقد أعطى الله وعده بأن يساعد مبلغ الدين وييسر عليه تحمّل الصعوبات: ﴿وَيُذَكِّرُ لِلْيَرَى﴾.
- ٢ - إذا ما كلفتم أحداً بمهمة، فيسروا له مهمته: ﴿وَيُذَكِّرُ لِلْيَرَى فَذَكِّرْ﴾.
- ٣ - ذكّرنا للتسبيح، هو مقدمة ليفتح الله لنا الطريق: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى... وَيُذَكِّرُ لِلْيَرَى﴾.
- ٤ - تذكير الناس هو الهدف من نزول الوحي: ﴿سَنُقْرِئُكَ... فَذَكِّرْ﴾.
- ٥ - الاستعداد لتقبّل النصيحة هو شرط للتذكّر، ولا يتحمل النبي أي مسؤولية تجاه الأشخاص الذين لا يقبلون بالنصيحة: ﴿فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعِيَ الذِّكْرُ﴾.
- ٦ - الأشخاص الذين يخشون الله هم فقط من يقبل النصيحة: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾.
- ٧ - إسداء النصيحة للذين يخشون الله، أسهل: ﴿وَيُذَكِّرُ لِلْيَرَى... سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾.
- ٨ - يجب مواصلة المبلغ والتخفيف عنه بأن عمله ليس دون طائل: ﴿فَذَكِّرْ... سَيَذَكِّرُ﴾.
- ٩ - لا يجدر بالمبلغ أن يتوقع التأثير الفوري: ﴿سَيَذَكِّرُ﴾.
- ١٠ - تكمن مشكلة الكفار في بعدهم عن النبي والقرآن، لا في اتصاف النبي أو القرآن بالنقص أو الضعف المعين: ﴿وَنَجِّنَهَا﴾.

- ١١ - القرآن ميزان. من يقبل بنصحه يُعطى وسام الخشية: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى﴾. ولمن لا يقبل نصائحه وصحة «الأسقى»: ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾.
- ١٢ - الابتعاد عن رسالة القرآن ونصيحته، سبب للشقاء: ﴿وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾.
- ١٣ - الفرار من النصيحة، سنة الأشقياء الأبدية: ﴿وَيَجَنَّبُهَا﴾ صيغة المضارع تدل على الاستمرار والدوام.
- ١٤ - أتعس الناس من لا يخشى الله. جاءت: ﴿الْأَشْقَى﴾ في مقابل: ﴿يَخْشَى﴾.
- ١٥ - لا تتوقعوا إصلاح كل الناس: ﴿سَيَذَكِّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾.
- ١٦ - عامل القبول أو عدم القبول موجود في داخل الإنسان: ﴿يَخْشَى... الْأَشْقَى﴾.
- ١٧ - يكون العقاب على قدر الجرائم: ﴿الْأَشْقَى... أَلْتَارَ الْكُذْبَى﴾.
- ١٨ - تكون جهنم للبعض خالدة وأبدية: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.
- ١٩ - الخلود في جهنم، لا يغير من طبيعة أهل جهنم بحيث يعتادون عليها فلا تؤذيهم نارها، بل يبقون في عذاب دائم: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)

إشارات:

- التزكية هي تطهير الفكر من المعتقدات الفاسدة، والنفس من الأخلاق الفاسدة، والأعضاء من التصرفات الفاسدة، والزكاة هي تطهير للروح من الحرص والبخل وتطهير للمال من حقوق المحرومين.
- في مذهب الأنبياء، المفلحون هم الطاهرون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾، ولكن في مذهب الطواغيت فإن المفلحين هم المتجبرون. كان فرعون يقول: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾^(١).
- ذكر القرآن الكريم الفلاح الحتمي للمؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، وذكره للأشخاص الذين يزكون أنفسهم كذلك: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾.

(١) سورة طه: الآية ٦٤.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ١.

التعاليم:

١ - يقول القرآن الكريم في ختام بعض الآيات: ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾؛ لأن عمل الخير الذي يقوم به الأشخاص الذين لم يُزكوا أنفسهم، يُمَحَق بالرياء والغرور والذنب والمن؛ ولكن يقول القرآن بشكل قاطع عن الذين زكّوا أنفسهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى﴾.

٢ - لا تُنَالُ التزكية تلقائياً، بل يجب السعي للحصول عليها: ﴿زَكَّى﴾.

٣ - لا تُنَالُ التزكية من دون صلاة وعبادة: ﴿زَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ﴾ (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٨﴾
صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴿١٩﴾

إشارات:

□ جاء في الروايات: «حب الدنيا، رأس كل خطيئة»^(١)، الدنيا جسر للعبور وليست مكاناً للتوقف فيه، يجب عبور الدنيا للوصول إلى المقر الأبدي: «خذوا من ممرّكم لممرّكم»^(٢).

□ ترد كلمة الزكاة في القرآن عادة بعد الصلاة: ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾^(٣)؛ ولكن ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في وقت زكاة الفطرة أنّه قبل صلاة العيد، وتلا قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

□ عن عبيد الله بن عبد الله الدهقان قال: دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي: ما معنى قوله: ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾؟ فقلت: كلما ذكر اسم ربّه قام فصلي. فقال لي: «لقد كان الله ﷻ كلف هذا شططاً!» فقلت: جعلت فداك فكيف هو؟ فقال: «كلما ذكر اسم ربه صلى على محمد وآله»^(٤).

(٣) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٤) تفسير نور الثقلين.

(١) الكافي، ج ٢، ص ١٣٠.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٣.

□ الآخرة أفضل من الدنيا لأن فيها الخصائص الآتية:

- ١ - الخلود الأبدي: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(١).
- ٢ - السعة المكانية: ﴿عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢).
- ٣ - تنوع الطعام: ﴿وَأَنْتَرٌ مِنْ عَسَلٍ﴾^(٣)، ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾^(٤).
- ٤ - لا حزن ولا خوف فيها: ﴿مَأْمُونِينَ﴾^(٥).
- ٥ - فيها أصدقاء أوفياء: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٦).
- ٦ - أزواج جميلون: ﴿كَأَمْثَلِ اللَّوْلِيِّ الْمَكُونِ﴾^(٧).

□ نقل أبو ذر (رض) عن النبي الأكرم أن الله أرسل مئة وأربعة وعشرين ألف نبي، ٣١٣ رسولا والبقية كانوا أنبياء وبالمجموع كان عندهم مئة وأربعة كتب^(٨).

التعاليم:

- ١ - حب الدنيا مانع من التزكية: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾.
- ٢ - الدنيا ليست سيئة، وتكون موضع انتقاد إذا ما رُجحت على الآخرة: ﴿تُؤْثِرُونَ﴾.
- ٣ - إذا انتقدتم شيئا، فعليكم بالمقابل تقديم المثل الجيد واقتراح الحل: ﴿تُؤْثِرُونَ... وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾.
- ٤ - ذكر الله الدائم والمستمر، هو الطريق لتطهير قلب الإنسان وفكره: ﴿تَذَكَّرْ وَذَكَرْ أَسَدَ رَبِّهِ فَصَلَّ﴾.
- ٥ - التنبه إلى مظاهر الربوبية، عامل لذكر الله: ﴿وَذَكَرْ أَسَدَ رَبِّهِ فَصَلَّ﴾.

(٥) سورة الحجر: الآية ٤٦.

(٦) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٧) سورة الواقعة: الآية ٢٣.

(٨) الميزان في تفسير القرآن.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢١.

(٣) سورة محمد: الآية ١٥.

(٤) سورة الزخرف: الآية ٧٣.

- ٦ - يجب أن تكون الصلاة على أساس الذكر والتوجه، وألا تكون ناشئة عن الغفلة والعادة: ﴿وَذَكَرْ أَسَدَ رَبِّهِ فَصَلِّ﴾.
- ٧ - سيفلح المصلون إذا ما زكّوا أنفسهم وذكروا الله: ﴿تَزَكَّى وَذَكَرَ أَسَدَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.
- ٨ - الكُتُب السماوية، متناغمة مع بعضها وتصب في جهة واحدة: ﴿إِنَّ هَذَا لِنِي الْمُحْفِ الْأُولَى﴾.
- ٩ - لكتب النبي إبراهيم والنبي موسى مكانة مميّزة بين الكتب السماوية: ﴿مُحْفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

السورة: ٨٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٦



ملاحح سورة الغاشية

نزلت هذه السورة في مكة وعدد آياتها ست وعشرون آية.

«الغاشية» من أسماء يوم القيامة وقد وردت الكلمة في أول آية من السورة وهي اسم السورة كذلك.

تتحدث هذه السورة مثل باقي السور المكية عن أوضاع أهل الجنة وأهل النار في يوم القيامة، وتُنذر المشركين وتبشر المؤمنين.

وتتعرض السورة لبيان دلائل القدرة الإلهية في خلق الأرض والسماء وبعض الموجودات، وفي هذا استدلال على وحدانية مبدأ الوجود ودليل أيضاً على قدرة الله على خلق الإنسان مرة أخرى

في يوم القيامة، وفي النهاية، يأمر الله تعالى نبيه بأن يذكر الناس بشكل دائم ويرشدهم ويجب أن يعلم أنه ليس من المفروض أن يؤمن الجميع به، وقد أراد الله أن يختار البشر طريقهم بأنفسهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُشَقَّى مِنْ عَيْنٍ عَيْنَةٍ ۝٥ لَيْسَ لَهَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ۝٦ لَا يُسْنِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ۝٧﴾

إشارات:

- «الغاشية» بمعنى المُغْطِية، والمقصود بها هو يوم القيامة التي تُلقَى بغطائها على الجميع. «عاملة» أي ساعية، و«ناصبية» العمل الشاق الذي يرهق الإنسان، «حامية» أي ساخنة جداً، و«آنية» هي أقصى درجات الاحتراق.
- قد يكون المقصود من الوجوه في الآية، أصحاب الوجوه المعروفة والمشهورة. أي الوجوه المعروفة من كلا الفريقين السيئ والجيد.
- عن الرسول الأكرم ﷺ أن الضريع هو شيء في جهنم شبيه بالشوك أنتن ريحاً من الجيفة وأحمى من النار ومُرٌّ جداً^(١). قد يكون تسمية هذا الشوك بالضريع لأن تناول هذا الشوك يدفع الإنسان إلى الصراخ والتضرع.
- توجد أعمال شاقة جداً تُنجز في الدنيا ولكنها تُحبط لأنها بدون إخلاص أو لأنها لم تُنجز طبقاً للأوامر الإلهية، أو قد تُحبط لأنها مختلطة بالعُجب والغرور والمُتة والذنب والشرك، وتذهب سُدى، ولا يكون لها أي قيمة يوم القيامة.
- في الرؤية الكونية الإلهية، يجب أن يكون عنصر العمل في جهة عنصر الهدف والقيادة نفسيهما.

التعاليم:

- ١ - حادثة يوم القيامة أخاذة ومذهلة لدرجة أنه لا ينبغي على أحد أن يغفل عن ذكرها: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.

- ٢ - لن يكون كل سعي ومشقة مفيداً في يوم القيامة: ﴿عَالِمَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾.
- ٣ - الفريق المخلص هو فقط من سيستفيد من سعيه: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾.
- ٤ - المعاد جسماني؛ لأن السمنة والنحافة لا تصح إلا في الحديث عن الأجسام: ﴿لَا يَسِينُ﴾.

﴿وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ ٨ ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾ ٩ ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ١٠ ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيَّةٌ﴾ ١١

إشارات:

□ «ناعمة» أي أنها تحيا في نعمة ورخاء، و«لاغية» بمعنى الكلام الفارغ التافه.

التعاليم:

- ١ - تنعكس السعادة والرخاء الحقيقيان على الوجه: ﴿وَجُودٌ... نَّاعِمَةٌ﴾ لون الوجه يُخبر عن سر الضمير.
- ٢ - نعم الجنة والألطاف الإلهية الخاصة هي من نتائج السعي والعمل: ﴿نَّاعِمَةٌ لَسَعِيهَا﴾.
- ٣ - صعوبة العمل في الدنيا هي أمر عابر؛ ولكنها السبب في السعادة والفلاح الآخرين الدائمين: ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾.
- ٤ - الجنة هي نقطة اعتلاء مادية ومعنوية: ﴿جَنَّةٌ عَالِيَةٍ﴾.
- ٥ - الأشخاص الذين يتعدون عن اللغو في الدنيا، سيحيون في العالم الآخر في محيط بعيد عن اللغو: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيَّةٌ﴾.
- ٦ - لا يوجد لغو في الجنة ولا حتى كلام قد يبعث على اللغو: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَئِيَّةٌ﴾.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارُقٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾
وَزَرَائِفٌ مَبْنُوتَةٌ ﴿١٦﴾﴾

إشارات:

- كلمة «عين» تعني النبع، وتقال للنبع الواحد أو لنبابيع عدة، وبديل الآية ١٥ من سورة الذاريات فَإِنَّ فِي الْجَنَّةِ عَيْنًا عِدَّةً: ﴿إِنَّ الْمَعِينَ فِي جَنَّتٍ وَعَيْنُونَ﴾.
- «سُرر» و«سرور» من العُذْر نفسه. وتُطلق سرير على التخت المصنوع بهدف السرور. وتدل كلمة «مرفوعة» على المكانة الرفيعة لسُرر في الجنة الْمُطَلَّة على مناظر الجنة الخلابة.
- «أكواب» جمع كوب وتعني القدر الذي لا عروة له. ورد في الآيات ١٧ و ١٨ من سورة الواقعة، أنواع مختلفة للأكواب: ﴿يَاكُوبُ وَأَبَارِيقُ وَكَأْسٌ مِّن مَّعِينٍ﴾.
- «نمارق» جمع نمرقة بمعنى الوسادة الصغيرة يُتَكأ عليها. «زرايبي» تعني البساط الفاخر المحاك بالذهب.

التعاليم:

- ١ - ليس بالإمكان إدراك عظمة ينبابيع الجنة: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾؛ (جاءت كلمة «عين» بصيغة النكرة).
- ٢ - مقام أهل الجنة رفيع وعالٍ، فلا يجلسون على الأرض: ﴿سُرٌّ مَرْفُوعَةٌ﴾.

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ
نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

إشارات:

- لو امتلك الإنسان روح التأمل والتفكير، فسيكون كل الكون بالنسبة إليه درساً للعبارة. الراعي في الصحراء، وكأنه يجلس في أكبر مكتبة للمطالعة، من فوق السماء ومن تحته الأرض، الجبال من حوله والجمال أمامه، وإذا دقق في كل

منها، فسيكتشف أسراراً عَدة. على سبيل المثال، يركض الجمل أكثر من الحصان، يحمل أحمالاً أكثر من الحمار. يُستفاد من لحوم بعض الحيوانات، ويُستفاد من حيوانات أخرى للركوب فقط، ويُستفاد من لبن حيوانات أخرى. ولكن بالنسبة إلى الجمل، فيُستفاد منه في كل الموارد السابقة. تحمي جفونه عيونه من تراب الصحراء وغبارها، ويدخر في سنامه الدهون والغذاء ويقاوم الجوع، يُخزّن الماء في جسمه ويقاوم العطش. يعرف الطريق، وهو هادئ ومطيع جداً بحيث تنقاد مئة من الإبل لجَمال واحد. خُلِق باطن قدمه لتحمل الحصى والشوك، رقبته سلّم للصعود ووسيلة لحمل الأثقال. وخلاصة لكل هذا فهو كما يقول العرب: سفينة الصحراء. الحيوان الأكثر قوة، الأقل تكلفة، الأكثر فائدة، الأكثر تحملاً وهدوءاً.

□ لم توجد السماوات والجبال والأرض عن طريق الصدفة؛ ولكنها خُلقت وفقاً للحكمة ووضعت في أماكنها.

□ كل نعمة لها جانب بارز (في الجمل، النحو الذي خُلِق عليه. في السماء، ارتفاعها. في الأرض، سعتها. وفي الجبال، طريقة نصبها).

□ تُعتبر السماوات، الكواكب، مدار الكواكب وطريقة نظمها وحسابها والتي يُكتشف كل يوم جزءاً من عجائبها، من المجالات الدائمة للتأمل والمطالعة والكشف.

تحفظ الجبال الأرض من الزلازل الناشئة عن غليان المواد في باطن الأرض، إذ إنّ الجبال راسخة في أعماق الأرض كالمسمار، وتمتد على طول الأرض على شكل سلاسل. تُخزن الجبال الثلج وترسله تدريجياً، تحول دون الطوفان وهي سبب لتنقية الهواء. تُعدّ مخزناً لأنواع المعادن والمواد الصناعية وهي علامات للمسافرين وأرض خصبة لنمو بعض النباتات. تُعد بعض جبال الأحجار الكريمة من مثل العقيق للزينة أو المرمر للبناء، ثروة غير متناهية للبشر. والخلاصة أن هذه الآيات تشير إلى مسألة معرفة الكون وإلى مسائل أخرى مثل الزراعة وتربية المواشي والصناعة وأمور الفضاء.

التعاليم:

- ١ - يؤنب الله تعالى الأشخاص الذين لا يتعمقون في كشف حقائق الوجود: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾.
 - ٢ - تجاوزوا المحسوسات لتصلوا إلى المعقولات: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ...﴾.
 - ٣ - لا تشكوا في المعاد ونعم الجنة الخاصة، ألم تروا عجائب خلق الله في الدنيا؟: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ﴾.
 - ٤ - كما أن أصل الخلق دليل على وجود الله، فإن تركيب المخلوقات وكيفية خلقها كذلك، دليل على قدرته وعلمه وحكمته. (تكرار كلمة كيف).
- ﴿فَذِكْرٌ لَّكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ۚ﴾ (٢١) ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۖ﴾ (٢٢) ﴿فَعَذَابُ اللَّهِ ۖ﴾ (٢٣) ﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ۚ﴾ (٢٤) ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ۖ﴾ (٢٥) ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ۖ﴾ (٢٦)

إشارات:

□ التذكير هو لإتمام الحجّة، لكي لا يقول الكافرون يوم القيامة: ﴿لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَّبِعَ﴾^(١)، بالطبع، فإن أصحاب العقول المفكرة هم فقط من يعتبرون: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾^(٢).

□ أمر الله تعالى نبيه في السورة السابقة (سورة الأعلى) بالتذكّر فقال: ﴿فَذِكْرٌ لَّكَ إِن نَّفَعِيَ الذِّكْرَىٰ سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَىٰ ۖ وَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَىٰ ۖ الَّذِي يُصَلِّ الْأَثَرَ ۖ الْكُفْرَىٰ﴾.

ويقول تعالى كذلك في هذه السورة: عليك بالتذكير ولكن اعلم أنه يوجد من سيُعرض وسيُعذبه الله: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ۖ فَعَذَابُ اللَّهِ ۖ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾. عل كل، فإن: ﴿الْأَثَرَ الْكُفْرَىٰ﴾ في سورة الأعلى و﴿الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾ في هذه السورة هما عقاب الأشخاص الذين لا يتذكرون ويلقون بالنصائح الإلهية وراء ظهورهم.

(٢) سورة الرعد: الآية ١٩.

(١) سورة طه: الآية ١٣٤.

□ ﴿بِمَصْطَرٍ﴾ من (سطر) و(سيطرة) وتُطلق على الشخص الذي يضع الجميع تحت إمرته وينظمهم بالجهة التي يريدونها.

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «كل أمة يحاسبها إمام زمانها ويعرف الأئمة أولياءهم وأعداءهم بسيماهم»^(١) مثلما ورد في سورة الأنعام: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ﴾^(٢).

□ نخطب المعصومين في الزيارة الجامعة بالقول: «ولاياب الخلق إليكم وحسابهم عليكم»^(٣).

وقد نقل هذا المعنى كذلك عن الإمام الكاظم والإمام الباقر والإمام الهادي عليه السلام^(٤).

□ جملة: ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ هي استثناء من جملة: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾. يعني أيها النبي أنت مذكر ولكن تذكر لا يؤثر في الكافرين.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام، أن العذاب الأكبر هو العذاب الشديد الأبدي^(٥).
التعاليم:

١ - النبي مسؤول عن واجبه وتكليفه لا عن النتيجة: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾؛ (كان النبي قلقاً حيال هداية الناس، فقال له الله تعالى: إن مهمتك هي تذكير الناس فقط).

٢ - وظيفة الأنبياء هي التذكير لا التسلّط والإجبار على الإيمان: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَرٍ﴾.

٣ - لا يسقط التكليف بعدم اكتراث الناس: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصْطَرٍ﴾.

٤ - منشأ الكفر هو العناد والابتعاد عن الحق والحقيقة: ﴿مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾.

(٤) الميزان في تفسير القرآن.

(٥) تفسير نور الثقلين.

(١) البحار، ج ٨، ص ٣٣٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٤٦.

(٣) مفاتيح الجنان.

- ٥ - عذاب الله له درجات: ﴿الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ﴾.
- ٦ - لا يمكن لأحد أن يفرّ من العذاب الإلهي: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾.
- ٧ - الحساب هو من السُّنن التي أوجبها الله تعالى على نفسه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سورة الفجر



سُورَةُ الْفَجْرِ

السورة: ٨٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣٠



سورة الفجر



ملاحح سورة الفجر

سورة الفجر مكيّة وعدد آياتها ثلاثون آية. اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى. والفجر هو فترة ما قبل شروق الشمس.

مثل باقي السور المكيّة، فإنّ آيات هذه السورة قصيرة وقارعة ومُنذرة. تحتوي هذه السورة على أجزاء عدة، وتبدأ بالقسم بالأوقات المختلفة مثل الليل والسحر والفجر، وتشير إلى ما آل إليه حال الأقوام الطاغية والمعاندة. وتتحدث سائر آيات السورة عن سنة الله في الابتلاء والامتحان وردة فعل الناس في مقابل الامتحان، وكذلك تتحدث عن حضور الإنسان في محكمة يوم القيامة وإظهار الضالين للحسرة والندم، وإظهار الصالحين للرضا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ١﴾ وَلَيْلٍ عَشْرِ ٢﴾ وَالشَّفْعِ ٣﴾ وَالْوَتْرِ ٤﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٥﴾
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ٥﴾

إشارات:

□ الفجر يعني شقَّ منفذ أو طريق، والمقصود به أن ضوء الصباح يشقُّ الظلام وهو وقت مقدّس وقيّم، وفي ذلك الوقت، تنشط الأحياء وتقوم لتبدأ يوماً جديداً.

وقد ورد في حديث أن الفجر هو القائم عليه السلام، الذي يشقُّ صبحُ قيامه، ليلَ الظلم والفساد^(١).

□ «الحجر» في الأصل هو المنع والمقصود به هنا هو العقل، الذي يمنع الإنسان من ارتكاب مخالفة. مثلما أن «محجور» يعني أنه ممنوع من التصرف.

□ جاءت في الروايات مصاديق عدّة تقول إن «شفع» بمعنى زوج و«وتر» يعني فرد، من بينها ما ورد من أن المقصود من وتر، هو يوم التاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) والمقصود من الشفع، اليوم العاشر من ذي الحجة (يوم عيد الأضحى) أو أن المقصود من الشفع، جبلا الصفا والمروة، والمقصود من الوتر، الكعبة لأنها واحدة. أو أن المقصود من (وتر) الله الواحد والمقصود من (شفع) المخلوقات، حيث إنها أزواج، أو أن المقصود هو صلاة الشفع والوتر المستحبة في وقت السحر، أو أن المقصود من الشفع هو اليومان التاسع والعاشر من ذي الحجة وأن الوتر هو ليلة المشعر^(٢).

□ الوقت، أمر مهم جداً، بل هو أمر مقدّس ولا يجب أن نهدره من دون فائدة. لقد أقسم الله تعالى بكل الأوقات: ﴿وَالصُّبْحِ ٣﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ٥﴾،

(٣) سورة المدثر: الآية ٣٤.

(٤) سورة الضحى: الآية ١.

(١) تفسير البرهان.

(٢) تفسير نور الثقلين.

﴿وَالنَّهَارِ﴾^(١)، ﴿وَالْمَصْرِ﴾^(٢) والمُلَفَت، أن الله تعالى قد أقسم بوقت السحر ثلاث مرّات: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾^(٣)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَمَسَ﴾^(٤)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَذْبَرَ﴾^(٥).

□ إما أن يكون المقصود من (ليال عشر)، العشر الأواخر من شهر رمضان والتي تقع فيها ليالي القدر أو الليالي العشر الأولى من شهر ذي الحجة والتي تشمل يوم عرفة ويوم عيد الأضحى.

التعاليم:

- ١ - الزمان مقدّس ويمكن القسم به: ﴿وَالْفَجْرِ﴾.
- ٢ - تتمتع بعض الأيام بقداسة خاصّة: ﴿وَاللَّيْلِ عَشْرِ﴾.
- ٣ - تتمتع الساعات الأخيرة من الليل، والتي يسلك فيها العارفون السبل المعنوية، بقداسة خاصة: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرُّ﴾.
- ٤ - يخاطب القرآن الكريم، أصحاب العقول: ﴿لَيْلِي جِبْرِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَتَمُودَ الَّذِي جَاءُوا الصَّخَرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾

إشارات:

□ كان قوم عاد فريقين، عاد القديمة وعاد الجديدة؛ بدليل الآية: «عاد الأولى»، وقد قطنوا منطقة الأحقاف بعد النبي نوح عليه السلام. وكانوا أصحاب أجسام قوية وكبيرة وأصحاب قدرة عظيمة وكانت مدينتهم معمورة.

□ إما أن تكون (إرم) الاسم الثاني لقبيلة عاد وإما اسماً لشيء من القبيلة أو اسم

(٤) سورة التكوين: الآية ١٧.

(٥) سورة المدثر: الآية ٣٣.

(١) سورة الشمس: الآية ٣.

(٢) سورة المصّر: الآية ١.

(٣) سورة الفجر: الآية ٤.

منطقة كان قوم عاد يعيشون فيها إذ كان لمساكنهم أعمدة مرتفعة وكبيرة. ذهب بعض إلى أن إرم مما عمره شداد وقال بعض آخر إنها مما عمر الإسكندر في الإسكندرية.

□ «صخر» جمع صخرة وهو الحجر الكبير والصلب، وتُطلق (واد) على المسافة بين الجبل والتلة.

□ العماد يعني بناء مرتفع أو عامود. وتُطلق «ثمود» على أعراب ما قبل التاريخ الذين سكنوا في شمال شبه الجزيرة العربية وهم قوم كان صالح عليه السلام، نبّهم.

□ «جابوا» تعني تقطيع الصخر، وكلمة «جواب» المشتقة من هذا الجذر تعني قطع السؤال بالجواب الصحيح.

□ يظهر أن قوم ثمود جاؤوا بعد قوم عاد لأن اسمهم ذُكر بعدهم.

□ يدل العذاب الذي نزل بعاد وثمود على أن الله للظالمين بالمرصاد.

إنّ الله بالمرصاد يعني أنّه ليس للمجرمين سبيل للفرار وسيقعون في الكمين فجأة. الأبنية المحكمة والعالية لن تمنع القلع والقمع الإلهي ولا ينبغي أن يبعث ارتفاع البناء على الشعور بالأمن من قهر الله.

□ إمّا أن يكون المقصود من (ذي الأوتاد) أن دعائم حكومة فرعون كانت محكمة، وإمّا أن فرعون كان يدق الأوتاد في أجساد المخالفين له، وإمّا أنّه كان يملك جيشاً عظيماً.

□ كلمة «صب» تعني السكب. ويشير تعبير صبّ العذاب إلى أنّ العذاب نزل عليهم بشكل متوالٍ ودائم^(١).

□ كيف لا يكون الله بالمرصاد وهو أقرب إلينا من حبل الوريد؟: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٢).

التعاليم:

- ١ - لا تنسوا تاريخ قلع المعتدين وقمعهم: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٢ - إبادة الطاغين، من مظاهر تجلّي ربوبية الله تعالى: ﴿فَعَلَّ رَبُّكَ بِمَا دَاوُدَ﴾، وكما قال سعدي:

الرحمة على النمر حاد الأنياب هي ظلم في حق الخراف

- ٣ - الاعتبار من التاريخ هو دليل على العقل والفهم: ﴿لِذِي جِئْتُمْ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَّ رَبُّكَ بِمَا دَاوُدَ﴾.
- ٤ - علّم الرسول الأكرم ﷺ بما جرى لعاد وثمود عن طريق الوحي: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٥ - ابتكر قوم عاد العمارة باستخدام الصخر، وكان أمراً خاصاً بهم: ﴿أَلَيْسَ لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي آلِ لُوطٍ﴾.
- ٦ - لا يمنع الاختلاف والتضاد الفكري من بيان فنّ الآخرين وابتكارهم: ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي آلِ لُوطٍ﴾.
- ٧ - القوة والسلطة الخالية من المعنويات، عامل لاختلال الأمن: ﴿جَاءُوا الصَّخْرَ... ذِي الْأَوْتَادِ... طَغَوْا فِي آلِ لُوطٍ﴾.
- ٨ - الطاغية والطغيان ليس لهما حدود: ﴿طَغَوْا فِي آلِ لُوطٍ﴾ (المقصود بالبلاد هو كل المناطق التي كانت أيديهم تصل إليها).
- ٩ - الطواغيت هم رأس الفساد والضلال: ﴿طَغَوْا فِي آلِ لُوطٍ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾.
- ١٠ - إذا لم تكن الحضارة مقرونة بالتقوى والصلاح، فستكون سبباً للسقوط والهلاك: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.
- ١١ - قد يحتاج المربي أحياناً إلى السوط: ﴿رَبُّكَ سَوْطٌ﴾.
- ١٢ - لا يُرفع الطغيان والفساد إلّا بالقهر: ﴿طَغَوْا...﴾.
- ١٣ - لا يغرنكم الإمهال لأنّ الله بالمرصاد: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِلِرِّصَادٍ﴾.
- ١٤ - العذاب الدنيوي مقارنة بالعذاب الآخروي هو كالجلد بالسوط، ألمه مؤقت وآثاره سطحية وتبقى على الجلد فقط: ﴿سَوْطٌ عَذَابٍ﴾.

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥) ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَنَنِ﴾ (١٦) ﴿كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧) ﴿وَلَا تَحْضُوتُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (١٨) ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاكَ أَكْلاً لَمًّا﴾ (١٩) ﴿وَتَحْبُوتُ أَلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (٢٠)

إشارات:

□ ﴿أَكْلاً لَمًّا﴾ يعني الأكل دفعة واحدة، بدون التدقيق في ما إذا كان المأكول حلالاً أم حراماً وهل أضيف إليه من مال الآخرين أم لا. «اللم» مصدر لامت بمعنى الجمع والضم.

□ جَمًّا يعني الكثير والمُخْزَن.

□ قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم معاً في الجنة»^(١).

□ امتحان الناس هو من السُّنن الإلهية الثابتة والحتمية، وبالطبع فإنَّ الامتحان ليس بهدف كسب العلم ولكن لإظهار الصفات ولإبراز سعي البشر، ليُعطى على أساسه الأجر والثواب.

الامتحانات الإلهية متعددة، فقد يمتحن الإنسان أحياناً بالثروة والرفاه وأحياناً قد يُمتحن بالحاجة والمشكلات. ولكن الإنسان العجول الغافل عن الامتحانات الإلهية وأهدافها، يحلل ويفسر الأحداث بطريقة خاطئة ويشتكى من الله.

التعاليم:

١ - الامتحانات الإلهية، هي تجلُّ لترصد الله للإنسان: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَازِرٌ﴾ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ...﴿.

٢ - الامتحان هو وسيلة لتربية الإنسان ورشده: ﴿الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ﴾.

٣ - ما يصل للإنسان هو من لطف الله عليه لا لاستحقاق منه لذلك. إذاً فلا يجب

- أن نغفل عن الامتحان ونُصاب بالعجب والغرور: ﴿...فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾.
- ٤ - الفقر ليس دليلاً على الإهانة والغنى ليس دليلاً على الكرامة، ولكن كليهما وسيلة للامتحان: ﴿أَبْتَلْنَاهُ... فَأَكْرَمَهُ، أَبْتَلْنَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾.
- ٥ - روح اليتيم أهم من جسمه ويجب تقديرها: ﴿تُكْرِمُونَ﴾.
- ٦ - عوّضوا بالاحترام والمحبة عن النواقص الروحية. (أول ما ينتظره اليتيم هو أن تحترموا شخصيته): ﴿تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.
- ٧ - لا تحكموا على أعمال الله بطريقة خاطئة. لا تظنوا أن قلة الرزق ناشئة عن عدم اكتراث الله بكم ولكنه نتيجة لأعمالكم: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾.
- ٨ - الإحسان إلى الآخرين له دور مهم في رزق الإنسان: ﴿لَا تُكْرِمُونَ... فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾.
- ٩ - لا ينبغي أن يبقى المحتاجون جوعى. يجب أن نساعدهم بالإنفاق وبتشجيع الآخرين على مساعدتهم: ﴿تَخَضُّعُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.
- ١٠ - دققوا في مداخيلكم المالية، لا يجب أكل أي خبز حرام: ﴿أَكَلَا لِمَاءً﴾.
- ١١ - حب المال أمر فطري، ولكن التعلق الشديد به هو المذموم: ﴿حُبًّا جَمًّا﴾.
- ١٢ - تكريم الله لكم يجب أن يكون دافعاً لتكرموا اليتيم: (أكرمه) ﴿فَأَكْرَمَهُ... لَا تُكْرِمُونَ﴾.

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۚ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۚ وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّهُ لَهُ الذِّكْرَى ۚ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ۚ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ۚ وَلَا يُؤْنِقُ وُثْقَهُ أَحَدٌ ۚ﴾

إشارات:

- «الدك» يعني الكبس والتسوية، والدكة والدكان هو المكان الذي تُسوى أرضه وتمهد لعرض البضائع.
- عن الإمام الرضا عليه السلام: إن مجيء الله في الآية هو مجيء أمره سبحانه، وليس

مجيئه بنفسه^(١). وفي الآية ٣٣ من سورة النحل يقول سبحانه: ﴿يَأْتِيَ أَثَرُ رَيْكَ﴾.

□ المقصود من: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، أي كشف الغطاء عن جهنم. مثلما ورد في موضع آخر: ﴿وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى﴾^(٢).

□ عندما نزلت آية: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾، اغتم رسول الله ﷺ بشكل لم يجرؤ معه أحد على أن يكلمه^(٣).

التعاليم:

١ - ينهى الله الإنسان عن حب المال الشديد وأكل حق الآخرين: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ... كَلَّا...﴾.

٢ - ذكر القيامة هو العلاج للحرص وحب المال: ﴿وَتَأْكُلُونَ الثَّرَاثَ... وَتُحِبُّونَ الْمَالَ... كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾.

٣ - القيامة هي يوم حكومة أمر الله المطلقة: ﴿وَجَاءَ رَيْكَ﴾.

٤ - تتبين قدرة الملائكة يوم القيامة من رعاية النظم والتراتبية: ﴿وَأَلَمَلَكْ صَفًّا صَفًّا﴾.

٥ - لا ينفع الندم والتذكر يوم القيامة: ﴿وَأَنْتَ لَهُ الْذَكْرَى﴾.

٦ - القيامة، يوم تنبه الإنسان وتذكره لأعماله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانُ﴾.

٧ - تظهر جهنم في يوم القيامة: ﴿وَجَاءَ... بِجَهَنَّمَ﴾.

٨ - يوم القيامة، يوم الحسرة: ﴿يَلَيْتَنِي﴾.

٩ - لا ينفع التمني، بل يجب السعي: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَمْتُ﴾.

١٠ - الحياة في يوم القيامة هي الحياة الحقيقية والأبدية: ﴿لِيَأْتِيَ﴾.

١١ - الله الرحيم، يكون شديداً في موضع لزوم ذلك: ﴿لَا يَعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) البحار، ج ١٠٥، ص ١٠٣.

(٣) سورة النازعات: الآية ٣٦.

١٢ - قد يكون ثمة شبيه لعذاب الله الدنيوي، ولكن العذاب الأخروي ليس له شبيه: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا﴾.

١٣ - لا يمكن الفرار من العذاب يوم القيامة: ﴿لَا يُعَذِّبُ... وَلَا يُثِقُّ﴾.

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ۖ أَرْجَىٰ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مُّرْضِيَةً ۖ﴾ (٢٨)

فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۖ وَادْخُلِي جَنَّاتٍ ۖ﴾ (٢٩)

إشارات:

□ تتحصل النفس المطمئنة والقلب الهادي، بذكر الله: ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَعْلَمِينَ الْقُلُوبُ﴾^(١) وأفضل ذكر لله هو الصلاة: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٢).

□ الرضا والإرضاء من علائم النفس المطمئنة، فهي راضية عن الله والله تعالى راضٍ عنها.

□ سئل الإمام الصادق عليه السلام: هل يرضى المؤمن بتسليم روحه؟ قال عليه السلام: «لا يقبل في اللحظة الأولى، ولكن الملاك المأمور بقبض روحه يواسيه بالقول له أنا أرجم بك من والدك، افتح عينيك، افتح عينيه، فبصر النبي صلى الله عليه وآله وعلياً وفاطمة والحسن والحسين وباقي الأئمة عليهم السلام. فيقول الملاك: هؤلاء هم رفقاؤك، فيرضى المؤمن عند رؤية ذلك المشهد وفي تلك اللحظة يسمع الخطاب القائل: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾»^(٣).

التعاليم:

١ - الإنسان بروحه، والجسم هو مركب للروح: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ﴾؛ (خاطب الله تعالى النفس).

(١) سورة الرعد: الآية ٢٨.

(٢) الكافي ج ٣، ص ١٢٨.

(٣) سورة طه: الآية ١٤.

- ٢ - لا تكون الجنة جنة، من دون أصدقاء ورفقاء: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾.
- ٣ - للجنة أنواع ودرجات: ﴿جَنَّاتٍ﴾، كما ذكر القرآن في مواضع عدة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾.

«والحمد لله رب العالمين،

سُورَةُ الْبَلَدِ

السورة: ٩٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢٠

ملامح سورة البلد

سورة البلد مكيّة وعدد آياتها عشرون آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والمقصود من (البلد) مدينة مكّة، التي أقسم بها الله تعالى.

تبدأ السورة بالقسم، وتعتبر أن الدنيا مكان للمشقة والسعي وتشير إلى نظام التكاثر والتناسل عند الإنسان.

ومن ثم توبّخ الناس المغرورين الغافلين، وتشير إلى النعم القيّمة التي أعطاه الله تعالى للإنسان، وتوضح أن طريق شكر هذه النعم هو إعطاء المحرومين وخدمة الأيتام.

ينقسم البشر إلى فريقين مقابل هذه النعم، فريق شكور وله عاقبة حسنة ومباركة، وفريق كفور وتنتظره نهاية مشؤومة وقاسية.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) اِيْحَسْبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (٦) اِيْحَسْبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) ﴿

إشارات:

□ استُعْمِلت جملة «لا أقسم» ثلاث مرّات في القرآن الكريم، وقد فسّرها أهل التفسير على صورتين، قال فريق إنّ اللام زائدة واعتبروا أنّ معناها (أقسم)، وقال فريق آخر إنّ معناها لا أقسم، بمعنى أنّ المسألة واضحة جداً لدرجة أنها ليست بحاجة للقسم.

□ المقصود بالبلد، هو مكّة التي كانت تتمتع بالاحترام حتى قبل الإسلام. مكّة هي الحرم الإلهي الآمن وأول بيت وُضع للناس.

□ فُسِّرَت جملة: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ﴾ بأكثر من معنى، أحدها أنك مقيم في البلد والمعنى الثاني أنّ أهل مكّة أحلّوا إهانتك في هذا البلد، فلن أقسم بالمدينة التي أحلّت إهانتك^(١). والمعنى الثالث أنّه يا أيها الرسول، يدك مبسوطة للتصرف في هذه المدينة وتستطيع أخذ أي قرار بخصوص المخالفين في فتح مكّة.

□ «كَبَدٌ» بمعنى المشقة والصعوبة و«لَبَدٌ» يعني الصوف المتراكم. وقد ذهب بعضهم إلى أنّ كبد بمعنى منتصب القامة والمعتدل^(٢).

□ كَوْنُ خَلَقِ الْإِنْسَانَ مَجْبُولًا بالتعب والمشقة، يعني أنّ المكاسب الدنيوية مصاحبة للتعب والمشقة. قال الإمام علي عليه السلام: «دار بالبلاء محفوفة»^(٣).

□ استند بعض المفسرين إلى تفسير «البلد» بمكّة، فقالوا إنّ المقصود من الوالد وما ولد هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليه السلام، ولكن بناءً على ما ورد في مجمع

(١) ورد هذا المعنى في حديث في كتاب البحار، ج ٢٤، ص ٢٨٤.

(٢) لسان العرب (من قول عن تفسير راهنما).

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢٢٦.

البيان فَإِنَّ المقصود هو النبي آدم والأولياء من ذريته.

□ جاء في الحديث أَنَّ عمرو بن عبد ود في غزوة الخندق هو من قال: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّاءَ﴾؛ إذ قال إني أنفقت الكثير لمحاربة الإسلام ولكني لم أفلح^(١).

التعاليم:

- ١ - يُمكن لبعض البلاد أن يكون لها قداسة خاصة ومدينة مكة كانت موضعاً للاحترام والقسم منذ القدم: ﴿لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾.
- ٢ - قد يشير التكرار أحياناً إلى العناية والعظمة: ﴿هَذَا الْبَلَدُ... هَذَا الْبَلَدُ﴾.
- ٣ - تأخذ المدينة قيمتها من الساكنين فيها: ﴿وَأَنْتَ جِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾، (قسماً بمكة، لتواجد النبي فيها).
- ٤ - لا يوجد فرق بين البنت والولد في البتة: ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾.
- ٥ - حياة البشر محفوفة بالمشقة والصعوبات: ﴿فِي كَبْدٍ﴾.
- ٦ - كل مال لا يُصرف في طريق الحق سيكون سبباً للحسرة: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّاءَ﴾.
- ٧ - الإنسان خاضع لسيطرة القدرة والعلم الإلهي: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْزَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ... أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.
- ٨ - نتيجة كل محاسبة لا يكون لله مكان فيها، الفساد والضرر: ﴿أَيَحْسَبُ... أَيَحْسَبُ﴾.
- ٩ - ما معنى أن يرى الإنسان نفسه أكبر من الله؟: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَفْزَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾.
- ١٠ - الأشخاص الذين لا ينفقون في الطريق الصحيح، أو أنهم ينفقون في مواضع لا نفع منها، أو أن نيتهم ليست خالصة لله تعالى وفيها رياء، وكذب، وعجب، سيندمون في المستقبل: ﴿أَهْلَكْتُ مَا لَا بُدَّاءَ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۖ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۖ (١٠) فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۖ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۖ (١٢) فَكُ رَقَبَةً ۖ (١٣) أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ ۖ (١٤) بَلِيغًا ذَا مَقَرٍّ ۖ (١٥) أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتَرَبٍ ۖ (١٦)﴾

إشارات:

□ «نجد» بمعنى المكان المرتفع، في مقابل «تهامة» بمعنى المنحدر. ووفقاً لقول الإمام الصادق عليه السلام يُطلق على طريقي الخير والشر، النجدان^(١).

قد يكون السبب في تشبيه طريقي الخير والشر بالطرق في المرتفعات، أن سلوك طريق الخير بما فيه من محاربة لهوى النفس، وسلوك طريق الشر بما فيه من عواقب قاسية، كالسلوك في الطرق الجبلية. ومسألة الخير والشر واضحة وبارزة لكل شخص عاقل كالأرض المرتفعة.

□ «عقبة» أي مضيق والممر الضيق والصعب، و«الافتحام» يعني رمي النفس في الصعوبات. «مسغبة» تعني مجاعة. «مقربة» تعني القربى، و«متربة» من تراب وتعني الجلوس على التراب.

□ نقرأ في حديث أن الإمام الرضا عليه السلام عندما كان يجلس إلى الطعام كان يختار من الطعام الموجود أفضله ويعطيه للفقراء وكان يتلو آية: ﴿أَوْ إِطْعَمْتُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبٍ﴾ ويقول: «علم الله ﷻ أن كل أحد لا يقدر على فك رقبة ف جعل إطعام اليتيم والمسكين مثل ذلك»^(٢).

□ قرأنا في الآية السابقة: أيحسب الإنسان أن لا أحد يراه؟ ونقرأ في هذه الآية: ألم نجعل له عينين؟ فكيف يرى الإنسان؟ ويظن بأن الله لا يراه؟

□ جعل الله تعالى للعين أكثر من محافظ:

مكانها في حفرة داخل العظم، ولأنها مصنوعة من شحم، فقد خلطها بالدمع المالح لكي لا تفسد.

الرمش حارس والجفن غطاء للعين. الحاجب مظلة للعين وخطوط الجبين توجه العرق إلى جانبي الوجه.

تصوّر العين كل يوم عشرات الآلاف من الصور الملونة دون الحاجة إلى فيلم أو تنظيم خاص. أليس وجود آلة تصوير مصنوعة من الشحم وتعمل عشرات السنين تصوّر الأفلام والصور، دليلاً على الإعجاز الإلهي؟!

العين مظهر العاطفة، والغضب، ومظهر التعجب والأدب، ومظهر الجمال والعشق.

تربط العين الإنسان بالعالم الخارجي، واللسان هو وسيلة ارتباطه بباقي الناس وهو أفضل، وأرخص، وأسهل، وأكثر وسيلة تستخدم للتبادل العلمي والثقافي والاجتماعي. وقد يكون تأكيد القرآن على العينين؛ لأن تخمين مسافة الأشياء وفاصلتها وعمقها غير مقدور بعين واحدة.

ولا ننس أن للعين دوراً خاصاً في جمال الأشخاص، وهي وسيلة لمعرفة الأشخاص، فلو قام شخص بتغطية أذنه أو فمه، فبمقدورك التعرف عليه، ولكن إذا ما غطى عينه يصعب التعرف عليه.

العين بوابة القلب والعشق. يقول الشاعر:

أشكو وأنوح بسبب عيني وقلبي فكل ما تراه عيني يشتهي قلبي
سأصنع خنجراً نصله من الفولاذ سأغرزه في عيني ليتحرر قلبي
□ العين هي وسيلة للنفوذ إلى الآخرين. ثمة اختلاف كبير بين الطالب الذي يرى الأستاذ وينظر في عينيه وبين الطالب الذي يسمع المحاضرة عن طريق مكبر الصوت أو المسجل.

□ يتعاون اللسان والشفتان على صنع الكلمة وبدون هذا التعاون لا يمكن التلفظ بالعديد من الأحرف.

من آثار قدرة الله، تعدد الألسنة واللهجات، فليس للإنسان محدودية في ابتكار الكلمات والجميل. واللسان كذلك هو وسيلة لتذوق الأشياء وتحديد نكهتها. والملفت أن كل جزء من اللسان مسؤول عن تشخيص نكهة من النكهات وبقدرة

من الله، يفرز مقدار اللعاب اللازم إلى داخل الفم، وكذلك يضع اللسان الطعام بين الأسنان بدون أن يتأذى، ويفحص الطعام ليتأكد من خلوه من العظم أو الشعر، وعند الانتهاء يكشط الفم وينظفه. أيضاً هذا الشق البسيط الذي نسميه الشفاه يقوم بوظيفة النفخ، والمضغ، والمص، والتذوق، والتكلم.

يمكن للعين واللسان أن يكونا وسيلة للخير أو وسيلة للشر، لذا وضح الله تعالى لنا كلا الطريقين.

□ يجب إنقاذ الآخرين من الفقر والأسر، حتى لو كانوا غير مسلمين. لذا لم تذكر الآية أن شرط تحرير الأسير أو إطعام الفقير هو الإيمان.

□ تُغَيَّر أوضاع الزمان والمكان وخصوصيات الأفراد من قيمة الأعمال:

- الإطعام عمل قيم، ولكن في أيام المجاعة ترتفع قيمته: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَةٍ﴾.

- الرحمة باليتيم أمر قيم، ولكنّ اليتيم ذا القربى له أولوية: ﴿ذَا مَرَّةٍ﴾.

- مساعدة الفقراء أمر مهم، وبالأخص أولئك الذين جعلهم الفقر جليسي التراب: ﴿ذَا مَرَّةٍ﴾.

□ الإيثار بالمال لأجل الفقراء كالعُبور من المضيق، وطريق الجنة يمر من خلال هذه المضائق.

□ نستطيع أن نأخذ مصاديق معنوية من هذه الآيات ونقول: المقصود من: ﴿ذَلِكَ رَقَبَةٍ﴾ هو تحرير الناس بالهداية من نار جهنم، والمقصود من الإطعام: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْئَةٍ﴾ هو الإطعام الروحي للمحتاجين عن طريق التعليم والإرشاد، والمقصود من: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ هم أيتام آل محمد ﷺ، والمقصود من: ﴿وَسَكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ المحتاجين إلى الهداية.

ولتأكيد هذه المعاني، ورد في الحديث: أن المقصود من آية: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(١)، أن ينظر الإنسان إلى علمه عن يأخذه^(٢).

□ وقد روي عن الرسول الأكرم ﷺ أن العتق هو أن يشتري الإنسان عبداً ويحرره، والفك هو المساهمة في تحريره مع آخرين^(١).

التعاليم:

- ١ - أفضل طريق لمعرفة الله هو التدقيق والمطالعة في مخلوقات الله الدالة على حكمته: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ...﴾.
- ٢ - أيقظوا الضمائر النائمة بالأسئلة المناسبة: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ...﴾.
- ٣ - كل الناس يعرفون الخير والشر عن طريق العقل والفطرة أو عن طريق توجيهات الأنبياء، والأوصياء، والعلماء: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.
- ٤ - أداء الوظيفة والتكليف كالعبور من المضيق: ﴿الْمَقْبَةُ﴾.
- ٥ - ينتقد القرآن الأشخاص المرفهين المحبين للراحة الذين يتهربون من أداء الواجب وتحمل المسؤولية: ﴿فَلَا أَفْنَحَمُ الْمَقْبَةَ﴾.
- ٦ - لا يدرك الإنسان المسائل المعنوية دون التحذيرات الإلهية: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْمَقْبَةُ﴾.
- ٧ - تحرير العبيد والأسرى هو في رأس أعمال الخير: ﴿فَكَ رَقَبَةٍ﴾.
- ٨ - لا ينفع الكلام الإجمالي دائماً، بل يجب أحياناً طرح أمثلة ومصاديق: ﴿فَكَ رَقَبَةٍ... إِبْرَاهِيمَ﴾.
- ٩ - اطرحوا المشاكل والأوجاع لإيقاظ ضمائر الناس وتحريك عواطفهم: ﴿مَسْغَبَةٍ... مَقْرَبَةٍ... مَرْبُوعٍ﴾.
- ١٠ - ذكروا في الابتداء بالطفاف الله ثم ادعوا الناس إلى أعمال الخير: ﴿عَيْنَيْنِ... لِسَانًا... وَشَفَتَيْنِ... يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.
- ١١ - يؤكد الإسلام ويصرّ على الأوضاع المادية للطبقة المحرومة وعلى وجوب حلّ مشاكلهم: ﴿يَتِيمًا... مَسْكِينًا﴾.

١٢ - سَتُصْرَفُ الْأَمْوَالُ فِي النِّهَايَةِ؛ وَلَكِنَّ الْمَهْمَ هُوَ فِي مَا سَتُصْرَفُ: ﴿أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا... فَلَا أَفْنَحُمُ الْمَقَبَةَ... فَكُ رَقَبَةً... أَوْ إِبْطَمَةً...﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ ۖ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فِي آيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ۖ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ ۖ﴾

إشارات:

□ فُتِّرَتْ جملة: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بطريقتين:

(أ) إِنَّ أَعْمَالَ الْخَيْرِ كَتَحْرِيرِ الْأَسِيرِ وَإِطْعَامِ الْجَائِعِ، هِيَ أَرْضِيَّةٌ لِلْإِيمَانِ وَلِتَوْصِيَةِ الْآخَرِينَ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ.

(ب) قِيَمَةُ الْإِيمَانِ وَمَقَامِهِ، أَرْفَعُ مِنْ إِطْعَامِ الْجَائِعِ وَتَحْرِيرِ الْأَسِيرِ، لَذَا فَصِّلَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ بِكَلِمَةِ (ثُمَّ)^(١).

□ «مَيْمَنَةٌ» مِنَ الْيَمَنِ وَالْيَمِينِ بِمَعْنَى الْبَرَكَةِ وَالْمُبَارَكَةِ، وَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ هُمُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ تَصَاحَبَهُمُ الْمَيْمَنَةُ وَالْبَرَكَةُ بِشَكْلِ دَائِمٍ. وَقِيلَ إِنَّ أَصْحَابَ الْمَيْمَنَةِ هُمُ نَفْسُهُمُ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ تُعْطَى لَهُمْ كُتُبُهُمْ بِيَدِهِمُ الْيَمْنَى.

□ «مَشْأَمَةٌ» مِنْ شَوْمٍ أَيْ غَيْرِ الْمُبَارَكِ، وَكَلِمَةُ «مُؤَصَّدَةٌ» مِنْ إِصْصَادٍ بِمَعْنَى إِغْلَاقِ الْبَابِ بِإِحْكَامٍ.

□ اسْتُخْدِمَتْ كَلِمَةُ: «تَوَاصَوْا» أَرْبَعَ مَرَّاتٍ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، مَرَّةً: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، وَمَرَّتَيْنِ: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، وَمَرَّةً: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَةِ﴾.

□ قَدْ يَكُونُ تَكَرُّارُ كَلِمَةِ: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ، إِمَّا لِلتَّكْثِيرِ أَوْ لِأَنَّ الصَّبْرَ وَالْمَرْحَةَ تَكْلِيفَانِ مُنْفَصِلَانِ، فَبَادَأَ أَحَدَهُمَا لَا يَسْقُطُ الْآخَرُ^(٢).

□ لَا يَوْجَدُ مِنْ لَا يَحْتَاجُ إِلَى التَّشْجِيعِ وَالتَّوْصِيَةِ. جَاءَتْ كَلِمَةُ: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾ فِي صِيغَةِ بَابِ التَّفَاعُلِ، بِمَعْنَى أَنَّ التَّوْصِيَةَ بِأَعْمَالِ الْخَيْرِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ حَالَةً عَامَةً

ومتبادلة بين الجميع لا من طرف واحد.

□ أوصت الآيات السابقة بمساعدة اليتيم والمسكين، يقول تعالى في هذه الآية: أوصوا الآخرين كذلك بالرحمة والمساعدة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾.

□ على الرغم من أنه عادة ما تأتي كلمة: «آمنوا» مع: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلا أنه في هذه الآية بدلاً من: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ جاءت جملة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾ وكأن هاتين الوصيتين هما العمل الصالح.

□ يهتم الإسلام بمعتقدات الناس ودوافعهم مضافاً إلى اهتمامه بأعمال الخير، أي يجب على الشخص إلى جانب تحريره العبيد وإطعامه المحتاجين، أن يكون من أهل الإيمان. كُثِّرَ هم الناس الحاضرون لإعطاء المساعدات المالية والخدمات الإنسانية ولكنهم غير حاضرين لتقبل مذهب الحق وطريقه واستدلاله هؤلاء الأشخاص هم المخلفون الذين لم يستطيعوا عبور المضيق؛ لذا يقول القرآن: شرط العبور من المضيق، تقديم الخدمات والمساعدات المالية للأسير والمسكين، واليتيم، بشرط أن تكون مقرونة بروح الإيمان وقبول الحق: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

□ قد يكون المقصود من النار مُحكمة الإغلاق، هو ما ورد من قوله تعالى في آية أخرى: ﴿لَمْ يَنْجَهُمْ بِهَا ۖ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - الإيمان شرط قبول الأعمال الصالحة: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.
- ٢ - يجب على كل المسلمين أن يوصوا بعضهم بالصبر والرحمة: ﴿ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا﴾.
- ٣ - المعرفة وحدها ليست كافية، القول والاستماع مؤثران كذلك: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾.
- ٤ - أفضل معروفين يجب التوصية بهما هما الصبر والرحمة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالرَّحْمَةِ﴾.

- ٥ - يجب دعوة الآخرين إلى عمل الخير، بعد بناء النفس: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾.
- ٦ - رؤية الآيات الإلهية هي شكر على نعمة البصر، وشكر نعمة اللسان يكون بتوصية الآخرين: ﴿وَتَوَاصَوْا﴾.
- ٧ - الإيمان والصبر والمحبة، سبب للبركة: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾.
- ٨ - من يغلق على الحق والرحمة بكفره وبخله، سيُغلق عليه يوم القيامة في نار جهنم: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾.
- ٩ - المؤمنون الذين وُفقوا لإطعام جائع أو تحرير أسير، يعمرون آخرتهم وهم مصدر للخير والبركة في مجتمعهم، وهل توجد بركة وميمنة أعظم من هذه؟ ﴿أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾.
- ١٠ - بالحلم والصبر، يصل كل عمل إلى نتيجة. ولهذا فإن التوصية بالصبر مقدمة على كل أمر: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.
- ١١ - الكفر وإنكار الحق هو مصدر كل شؤم وفساد: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا... هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الشَّمْسِ

السورة: ٩١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٥



ملاحم سورة الشمس

نزلت سورة الشمس في مكة، و عدد آياتها خمس عشرة آية.
 اسمها مأخوذ من الآية الأولى والتي تبدأ بالقسم بالشمس.
 ورد في هذه السورة أكبر عدد للإيمان في القرآن، إذ جاءت فيها الإيمان
 متتالية. جاء أحد عشر قسماً الواحد تلو الآخر بالشمس والقمر، والنهار والليل،
 والسماء والأرض، للتأكيد على أهمية تزكية النفس.
 مضمون هذه السورة هو أن الإنسان يستطيع عن طريق الإلهام الإلهي أن
 يميز العمل الحسن من العمل السيئ، وإن أراد الفلاح، فعليه بتزكية باطنه وأن
 يربي نفسه بالأعمال الحسنة وإلا فإنه سيُحرم من السعادة^(١).
 ومن ثم تذكر السورة قصة قوم ثمود كشاهد على هذا؛ إذ إن العذاب الأليم
 أصابهم لتكذيبهم النبي صالحاً وعقرهم الناقة التي كانت معجزة إلهية.



(١) الميزان في تفسير القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسُ وَضَعَهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا لِلنَّهَارِ ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَّهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ⑧﴾

إشارات:

□ قد يكون السر في القسم بالشمس والقمر والنهار والليل... إلخ هو أن الأمر الذي أقسم من أجله وهو تزكية النفس، أمر عظيم كعظمة الشمس والقمر.

□ مقام وقيمة الشمس والقمر، والنهار، والليل ليس خافياً على أحد. حياة الكائنات الحية، وتكوين السحب والمطر، ونمو النباتات والأشجار، وتغذية الإنسان والحيوان، كلها مرهونة بطلوع الشمس.

□ يقسم القرآن حيناً بالشمس الكبيرة وحيناً بالتين والزيتون الصغار، وقد يكون هذا بسبب أنه ليس ثمة فرق بين الشمس والتين بالنسبة إلى قدرة الله، مثلما أن رؤية الحشيش والجبل واحدة بالنسبة لعين الإنسان، ولا يستدعي النظر إلى الجبل مشقة أكثر للعين من النظر إلى الحشائش. بالطبع فإن أجل قسم هو القسم بذات الله، وقد ورد في مقابل تسليم الناس للقيادة الإلهية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾^(١).

□ أكثر سورة مليئة بالقسم هي سورة الشمس، فمن الطبيعي إذاً أنها تتعرض لأهم المسائل وهي مسألة تزكية الروح من أي رجس وذنس. وقد يكون الهدف من كل هذه الأيمان التي تبين أن الفلاح يكمن في التهذيب، هو تفهيم الإنسان بأنني قد هيأت لك كل المقدمات، أضأت لك الحياة بنور الشمس والقمر، وهيأت لك سبل السعي والراحة بدوران النهار والليل. مهّدت لك الأرض وبنيت لك السماء وألهمت روحك القدرة على تمييز الحسنات والسيئات، لكي تسلك باختيارك طريق تزكية النفس.

□ «الفجور» من فجر بمعنى الشق.

□ بناء السماء وتوسيع الأرض، كان بإرادة الله المباشرة أو عن طريق القوى والعوامل الطبيعية ولذا يقول القرآن: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ ولم يقل: «من بناها»؛ لأن كلمة ما تشمل غير الله كذلك، يعني ما بنى السماء من قوى، وجاذبية، ودوافع طبيعية قد حكمها الله، ولو كان المقصود من كلمة (ما) في: ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ هو الله تعالى، فقد يكون لما يحويه لفظ (ما) من إبهام ناشئ عن العظمة الخفية، ولهذا استخدم (ما) بدلاً من (من). (والله العالم).

□ وكأنّ عالم الوجود كان في البدء مجموعة واحدة متراكمة، من ثم تمدد جزء فصار سماءً، وتوسّع جزء فصار أرضاً: ﴿بَنَاهَا... مَحْنَاهَا﴾ وما يؤيد هذا الكلام، الآية التي تقول إنّ السماء والأرض كانتا رتقاً أي متصلتين، ففتقناهما أي فصلناهما: ﴿رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(١).

□ ذهب بعضهم إلى أنّ كلمة «طحاها» تشير إلى حركة الأرض؛ لأن أحد معاني الطحو هو الدفع والتحريك.

□ حثّ الإسلام الإنسان على تغيير نمط تفكيره المادي بالبطن، والشهوة، والقوة، والشراب إلى التأمل في عمق السموات والأرض ودوران الكواكب وتكوّن الأيام.

□ قالوا في الاختلاف بين الإلهام والوحي، إنّ الإلهام هو الإدراك الذي لا يعرف الإنسان مصدره، في حين أنّ متلقي الوحي، يعرف مصدر الوحي^(٢).

التعاليم:

١ - تُعتبر الكثير من موجودات الكون، ظواهر عجيبة، منوَّرة للفكر، مقدّسة وذات قيمة عالية ويمكن القسم بها: ﴿وَالشَّمْسُ... وَالْقَمَرُ... وَالنَّجْمُ...﴾.

- ٢ - القمر يتلو الشمس ويتبعها: ﴿إِذَا نَلَّهَا﴾.
- ٣ - الأجرام السماوية متصلة ببعضها: ﴿وَالشَّمْسُ... وَالْقَمَرُ... وَالسَّمَاءُ... وَالْأَرْضُ﴾.
- ٤ - لا تظنوا أن الشمس والقمر والنجوم هي الله، كلها آثار قدرة وتدبير موجود آخر هو الله: ﴿نَلَّهَا... بَنَّهَا... طَحَّهَا﴾.
- ٥ - لقد عُدلت ميول الإنسان ومتطلباته وغرائزه بشكل حكيم: ﴿وَنَقَّسَ وَمَا سَوَّيَهَا﴾.
- ٦ - الذنب هو ضرب من تمزيق ستار العفة والديانة: ﴿فَجَوَّرَهَا﴾.
- ٧ - وُضع فهم السيئات والحسنات وإدراكها في عمق روح الإنسان بشكل فطري: ﴿فَالْمَهْمَا فُجِّرَهَا وَنَقَّوْنَهَا﴾.
- ٨ - في البدء يجب أن نعرف المفسد، ثم نتعرف إلى كيفية الحذر منها والابتعاد عنها. (جاءت كلمة (فجور) قبل كلمة (تقوى)): ﴿فَالْمَهْمَا فُجِّرَهَا وَنَقَّوْنَهَا﴾.
- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا ۝١٠ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَفْوَنَهَا ۝١١ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَتَهَا ۝١٢ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۝١٣ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّيَهَا ۝١٤ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ۝١٥﴾

إشارات:

- عن الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام في تفسير آية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾: «قد أفلح من أطاع»^(١)، يعني قد أفلح من أطاع النبي والأئمة المعصومين.
- في المنظار الإلهي فإن الطاهرين هم المفلحون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ ولكن في نظر الفرعونيين فإن الأقوياء هم المفلحون، فهم في الظاهر يملكون القدرة والغلبة: ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى﴾.

□ ثمة أمل بالفلاح عند القيام بالأعمال الصالحة: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١) ولكن عند تزكية النفس، فإنّ الفلاح أمر محتوم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

□ تشمل تزكية النفس الابتعاد عن المعتقدات والأخلاق والتصرفات غير اللائقة، واكتساب المعتقدات والأخلاق والأفعال الحسنة.

□ جاء في الآية ١٥٥ من سورة الشعراء: ﴿لَمَّا شَرِبَ وَلَكُّزْ شَرِبَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾، وفي الآية ٢٨ من سورة القمر: ﴿وَنَبِّئَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْضَرٌ﴾ أن ماء القرية قد قُسم، يوماً لأهل القرية ويوماً للناقة وكل يستفيد من الماء في يومه المحدد، ومن يعتدي على الناقة سيُتلى بهذاب أليم.

□ وردت مادة الفلاح أربعين مرة في القرآن الكريم، وبالتدقيق في هذه المرات نستطيع أن نستنتج المجموعات التي يشملها الفلاح وأي مجموعات محرومة منه، مثل المجرمين، كما قال تعالى: ﴿لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾^(٢).

□ وردت بعض المطالب في القرآن مصاحبة لقسم واحد: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

وأحياناً يأتي قسمان متاليان: ﴿وَالصُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.

وقد تأتي ثلاثة أيمان متوالية: ﴿وَالْعِدْبِيتِ ضَبْعًا فَالْمُورِيتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾.

أحياناً أربعة أيمان: ﴿وَاللَّيْلِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سِينِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾.

وقد ترد خمسة أيمان: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيْلِ عَشْرِ وَالشُّعْرِ وَالْوَلْرِ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ﴾.

ولكنّ الله تعالى ذكر في بداية هذه السورة أحد عشر قسماً ومن بعدها أشار إلى أهمية تزكية النفس.

□ «خاب» من الخيبة وتعني عدم الوصول إلى الهدف.

(١) سورة الحج: الآية ٧٧.

(٢) سورة يونس: الآية ١٧.

□ «دَسَّ» أخفى، وقد عبّر القرآن عن دفن البنات أحياء في التراب بالقول: ﴿يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ﴾ أجل، فإن العاصي ليس له القدرة بسبب خجله على مواجهة المجتمع ويسعى إلى إخفاء عيوبه وأخطائه، وتُطلق كلمة (دسيصة) كذلك على العمل السيئ الذي يعمل به الإنسان بالخفاء.

□ «الدمدمة» أي العذاب القاهر والشديد الذي يقطع المعذب قطعة قطعة ويشته.

□ إمّا أن يكون المقصود من «سواها» قلع وتدمير الأبنية وتسويتها بالتراب، وإما أن يكون المقصود هو الناس الذين سُوا بالتراب.

□ يمكن للشخص الذي زكّي نفسه أن يُصبح مصدراً للتغيير في المجتمع وأن يُعطي المجتمع الرشد، والشجاعة، والشخصية، والمعرفة، والوحدة، وكذلك فإن الشخص الذي لم يُزكّ نفسه يجبر أمته إلى الفساد والفناء والسقوط في سبيل الوصول إلى أهوائه.

□ طرح القرآن الكريم عاملين لفلاح الإنسان: أحدهما الإيمان والآخر هو التزكية: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾؛ لذلك، فإن حقيقة الإيمان والتزكية واحدة، وكل من يريد أن يُهذب نفسه يجب أن يكون مؤمناً حقيقياً. أجل، المؤمن الحقيقي هو من يزكّي نفسه، والتزكية الحقيقية في أن يكون الشخص مؤمناً ومؤدياً للتكاليف والأحكام الدينية التي وردت في بداية سورة «المؤمنون» بدقة.

□ نقرأ في تفسير أطيب البيان: كان القاتلون والمجرمون كُثراً عبر التاريخ، ولكنهم كانوا يقدمون على الجرائم ليحافظوا على حكمهم، أو لأخذ الحكم، أو لمنافسة الآخر، أو طمعاً في الوصول إلى أمر ما، ولكن عاقر ناقة صالح وقاتل الإمام علي عليه السلام قد ارتكب كل منهما جريمة عظيمة في حين أنه لم يملك أيّاً من الدوافع أو العوامل آفة الذكر، إنه الشقاء والشقاء فقط.

□ وعن الإمام علي عليه السلام أنه قال: «أيها الناس إنما يجمع الناس الرضاء والسخط،

وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد فعمَّهم العذاب لما عمَّوه بالرضا...» واستشهد بهذه الآية^(١).

□ جاء في روايات عدة عن الشيعة والسنة من أمثال أحمد بن حنبل، الطبري والقرطبي أن (أشقى الأولين) هو عاقر ناقة صالح و(أشقى الآخرين) هو قاتل علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

التعاليم:

١ - قسماً بالشمس والقمر، والنهار، والليل، والأرض، والسماء، وبروح الإنسان، أن سعادة الإنسان تكمن في رشده المعنوي لا في الحياة المادية: ﴿وَالشَّئْسُ... قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّهَا﴾.

٢ - إذا تركنا النفس لهواها فستجر الإنسان إلى السقوط، لذا يجب التحكم بها: ﴿رَزَّهَا﴾.

٣ - التزكية وبناء النفس لا تكون بحرمان النفس وإنما بتنميتها: ﴿رَزَّهَا﴾.

٤ - من يخفي نفسه خلف العادات، والتقاليد، والظنون، ويسعى غافلاً لتأمين أهواء نفسه، سيُتلى بالحرمان العظيم: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾.

٥ - الطغيان والذنب مقدمة للكفر والتكذيب: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ ((التقوى) هي الطهارة والطفوى تعني الطغيان في الذنب).

٦ - عند التبليغ، انقلوا الأمثلة بعد أن تبيّنوا الأصول الكلية: ﴿وَقَدْ خَابَ... كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾.

٧ - تهديم المقدسات، دليل على الشقاء، وكل ما كان الشيء أكثر قداسة، كان الجزاء على هدمه أقسى: ﴿أَشَقَّهَا﴾.

٨ - إن لم يكن الإنسان في وارد تزكية نفسه، فسيُتبع بالبداية نفسه بالخفاء: ﴿دَسَّهَا﴾ ومن ثم بالعلن: ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ أَشَقَّهَا﴾.

- ٩ - الشخص الأشقى هو الأسرع والأكثر جرأة على الأعمال القبيحة: ﴿أَتَبَعَتْ أَشَقْنَهَا﴾^(١).
- ١٠ - كل ما يُنسب إلى الله فهو مُقدَّس، ويجب أن يكون موضعاً للاحترام وإهائته تجر العذاب الإلهي: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ... فَعَقَرُوهَا... فَدَمَدَمَ﴾.
- ١١ - لا يكفي التخلص من الأعشاب الضارة، بل الرعاية والاهتمام أمور لازمة كذلك. ﴿رَزَّكْنَهَا﴾ بمعنى نماها.
- ١٢ - لا تغتروا بنجاحات النفس العابرة لأنَّ عاقبتها الحرمان: ﴿وَقَدْ خَابَ﴾؛ كلمة (خاب) تعني حُرِم ولم يصل إلى مبتغاه.
- ١٣ - من يرضى عن ذنوب الآخرين يكون شريكاً لهم في الجرم. شخص واحد هو من عقر الناقة ولكن القرآن قال: ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ بصيغة الجمع.
- ١٤ - الله السلطة على كل شيء ولن يمنعه شيء من إهلاك الظالمين: ﴿وَلَا يَخَافُ عِقْبَهَا﴾.
- ١٥ - الرضا بالذنوب والتشجيع والتحفيز عليه هو ذنب كذلك: ﴿أَتَبَعَتْ أَشَقْنَهَا﴾.
- ١٦ - العقاب الإلهي، تجلُّ لربوبية الله. (يجب على المربي أن يرفع الموانع أمام التربية): ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ﴾.
- ١٧ - العذاب الإلهي الدنيوي شديد أيضاً: ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ يَذُنُّهُمْ فَسَوَّلَهَا﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) «بعث» تعني حفز، و«اتبعت» يعني قد تم تحفيزه.



سُورَةُ اللَّيْلِ

السورة: ٩٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٢١



ملامح سورة الليل

سورة الليل مكية وعدد آياتها إحدى وعشرون آية. اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والتي تبدأ بالقسم بالليل. يبدأ القسم بالتأكيد على الاختلاف بين دوافع البشر وسعيهم، وينتهي ببيان قانون المكافآت على العمل. وتوضح الآية قانوناً مفاده أن الإحسان إلى الآخرين سبب للتوسعة في العمل، وأنّ البخل وطلب الاستعلاء سبب لتعقيد أمور الإنسان. تشير السورة كذلك إلى السنة الإلهية العامة للهداية، وتبين أن مصير الذين لا يتنبهون للإنذار الإلهي هو نار جهنم وأن مصير أهل التقوى هو الخلاص منها. وإذا كان المتقون من أهل الزكاة ولا يبعون إلا رضا الله، فإنّ الله سيؤمن لهم أسباب الرضا والسعادة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝﴾

إشارات:

□ نقرأ في الحديث، أن الله تعالى يقسم بأي من مخلوقاته كيفما شاء، ولكن يجب على الناس ألا يقسموا إلا بالله تعالى^(١).

□ «شئى» جمع شئت ويعني المتفرق. ليس الهدف من القسم، بيان الاختلاف بين سعي البشر فقط؛ لأن هذا الاختلاف واضح للجميع، ولكن القسم هو لأجل النتائج والآثار المختلفة للأعمال.

□ الليل نعمة عظيمة، فيه تعديل الحرارة، راحة الجسم، سكون الروح، والنجوى الصادقة.

التعاليم:

١ - الزمان أمر محترم ويمكن القسم به: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾.

٢ - انتبهوا للدلائل في الآفاق: ﴿وَاللَّيْلِ... وَالنَّهَارِ﴾ وللدلائل في الأنفس: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

٣ - قانون الزوجية في الإنسان والحيوان، دليل على قدرة الله وحكمته: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾.

٤ - رحمة الله وعذابه مبنيان على الحكمة والعدالة لا العشوائية، فأعمالكم أنتم أيها البشر مختلفة ولذلك تقتضي العدالة اختلاف الجزاء: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ﴾ (٥) وَأَمَّا مَنْ حَسَلَ وَأَسْتَفَى ۖ ﴿٨﴾
وَكَذَبَ بِالْحُسْنَى ۖ ﴿٩﴾ فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى ۖ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ۖ ﴿١١﴾

إشارات:

□ قد يكون المقصود من العطاء المصاحب للتقوى، هو العطاء بنية خالصة ودون منة، وأن يكون مالاً حلالاً، وفي سبيل الله؛ وقد جمعت كل هذه الأمور في كلمة التقوى: ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾.

□ إن كان الله تعالى قد فتح طريق عمل الخير أمام بعض الناس: ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ وفتح لبعض آخر طريق الشر: ﴿فَسَنِيْرُهُ لِلْعُسْرَى﴾، فذلك بسبب الاختلاف بين سعي البشر أنفسهم: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾.

□ كانت توجد شجرة في حديقة منزل أحد الأثرياء، وعندما كانت تتساقط ثمار الشجرة على الأرض، كان أطفال الجيران يأخذونها ويأكلونها؛ ولكن الرجل الثري كان يمنعهم وينزع الفاكهة من فمهم. حدث والد الأطفال النبي الأكرم عن هذه المسألة، فذهب ﷺ إلى صاحب المنزل وعرض عليه أن يبيعه الشجرة في مقابل شجرة في الجنة، فرفض الرجل عرض النبي وقال: لا أبيع نقد الدنيا بنسيئة الآخرة. فرجع النبي. سأله أحد الأصحاب: لو أخذت أنا الشجرة هل ستعرض عليّ المعاملة نفسها؟ فقال النبي ﷺ: أجل. استطاع ذلك الصحابي أن يشتري شجرة بأضعاف مضاعفة من ثمنها ووضعها تحت تصرف النبي، فذهب النبي الأكرم إلى الأسرة الفقيرة وأعطاهم الشجرة، فنزلت عندها آيات هذه السورة^(١): ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۖ﴾.

□ من يخطو الخطوة الأولى في السخاء بناءً على الإيمان بالمعاد والتقوى، يهيء له الله الأسباب والقدرة الروحية ويؤنس روحه بالخير، ويرفع من مستوى تجربته وعقله وعمله، يعطيه الابتكار والإلهام، ويزيد من تقبل الناس له، ويفتح

أمامه طرقاً جديدة لعمل الخير، وهذه الأمور كلها مصداق لـ ﴿فَسَيِّرُهُمُ لِلْيُسْرَى﴾. □ الملاحظة اللطيفة هي أَنَّ القرآن الكريم قال سنوجهه إلى أسهل الطرق: ﴿فَسَيِّرُهُمُ لِلْيُسْرَى﴾ ولم يقل: سنسهّل الأمر عليه: ﴿فَسَيِّرُهُمُ لِلْيُسْرَى﴾ وثمة فرق بين أن يكون الإنسان ميسراً أو أن يكون عمله يسيراً. يستطيع الإنسان بالصبر والدعاء وبالاتصال بالقدرة اللامتناهية أن يمتلك بكل سهولة، سكينه وسعة صدر يستطيع معهما تقبل أي عمل براحة ويصبح القيام بأي عمل خير يسيراً عليه.

□ نقرأ في تاريخ كربلاء، عندما رأت زينب الكبرى بدن الإمام الحسين عليه السلام وقد أصبح قطعة قطعة، قالت: «رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا هَذَا الْقَلِيلَ» إلهي! تقبل هذا الشهيد الصغير مقابل عظمتك!. أجل، فإنّ إيمان الإنسان وتقواه يحميانه من كل حادثة ويسهلان عمله ويسرانه: ﴿فَسَيِّرُهُمُ لِلْيُسْرَى﴾.

□ المقصود من كلمتي: ﴿لِلْيُسْرَى﴾ و﴿لِلْمُسْرَى﴾ وقد جاءتا بصيغة المؤنث، الأعمال والسبل إمّا أن تكون يسيرة أو صعبة.

أصل العطاء هو المهم، ويأتي نوعه ومقداره في المرحلة التالية. يكون العطاء أحياناً قليلاً وأحياناً كثيراً، وأحياناً من المال وأحياناً من المقام والمكانة.

□ كلمة «حُسنِي» إمّا أنها مصدر مثل رُجعي وإما مؤنث أحسن.

□ عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير آية: ﴿وَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّرُهُمُ لِلْيُسْرَى﴾: «لا يريد شيئاً من الخير إلا يسره الله له»^(١).

وقال في تفسير آية: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَيِّرُهُمُ لِلْمُسْرَى﴾: «لا يريد شيئاً من الشر إلا يسره الله له»^(٢).

التعاليم:

١ - بيان المصاديق والأمثلة بعد الكليات هي الطريقة الصحيحة للتبليغ: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾.

(١) الكافي، ج ٤، ص ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٧.

- ٢ - يكون العطاء مجدياً إذا ما كان مصاحباً للتقوى: ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾.
- ٣ - يجب أن يكون العطاء دون رياء وغرور وبعيداً عن الممن والأذى: ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾.
- ٤ - الشيء الذي تعطيه ليس مهماً، حالة العطاء والدافع من ورائه هو المهم: ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾.
- ٥ - التقوى، شرط لقبول العطاء: ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى﴾؛ (العطاء من المال الحرام أو دون نية خالصة ليس له أجر؛ لأنه: ﴿إِنَّمَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ الْمُتَّقِينَ﴾^(١)).
- ٦ - الآخرة أفضل من الدنيا: ﴿بِالْحَسَنَى﴾.
- ٧ - من يؤمن بالمعاد، يستطيع أن يمنح عطاءه صبغة إلهية ويكون أهلاً للتقوى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى﴾؛ (أطلق القرآن على وعود الآخرة صفة الحسنى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾^(٢)).
- ٨ - الإيمان بالقيامة، شرط لقبول العمل: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحَسَنَى﴾.
- ٩ - البخل والاعتزاز بالمال، دليل على عدم التقوى: ﴿مَنْ يَخِلْ وَاسْتَغْنَى﴾.
- ١٠ - تيسير أمور الإنسان أو تعسيرها هو نتيجة لسخاء الإنسان أو بخله مع الآخرين: ﴿أَعْطَى... لِلْيُسْرَى، يَخِلْ... لِلْمُسْرَى﴾.
- ١١ - نتيجة الإحسان هي الإحسان ونتيجة الشر هي الشر: ﴿أَعْطَى وَاتَّقَى... فَسَيُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، يَخِلْ وَاسْتَغْنَى... فَسَيُيَسِّرُهُ لِلْمُسْرَى﴾.
- ١٢ - يتناسب الجزاء والعقاب الإلهي مع أعمال الإنسان، إذا سهلنا للفقير أمراً، فإن الله سوف ييسر أمورنا: ﴿فَسَيُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى﴾. وإذا تركنا الفقراء في ضيقهم، فإن الله سيضيق علينا كذلك: ﴿فَسَيُيَسِّرُهُ لِلْمُسْرَى﴾.
- ١٣ - فليعلم البخلاء أن الثروة لن تنجيهم: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾.
- ١٤ - نتيجة البخل هي السقوط. السقوط من الإنسانية والكمال والسقوط من عين الناس، مصاحب للسقوط في جهنم والحرمان من المراتب الأخروية: ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾.

- ١٥ - قد يكون منشأ البخل هو الخوف من الفقر في المستقبل: ﴿بِخْلٍ وَاسْتَفْتَى﴾؛ (مثلما ورد في الآيات ٢٦٧ و ٢٦٨ من سورة البقرة بعد الأمر بالإنفاق: إِنَّ الشَّيْطَانَ هُوَ مِنْ يَخَوْفُكُم مِّنَ الْفَقْرِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ﴿أَنْفِقُوا...﴾ الشَّيْطَانُ يُدَكِّمُ الْفَقْرَ. ١٦ - قد يكون الاغترار بالدنيا والإحساس بعدم الحاجة إلى الوعود الإلهية، هو منشأ البخل: ﴿بِخْلٍ وَاسْتَفْتَى﴾.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۖ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ ﴿١٣﴾ فَأَنْذَرْتَكُمْ نَارًا تَلْظَىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا أَتِنَاءً وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

إشارات:

- الهداية من قبل الله تعالى، أمر حتمي: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾، ولكن تقبل الناس للهداية ليس حتمياً. مثلما يقول تعالى في موضع آخر: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^(١).
- «تَلْظَىٰ» من اللظى وهو شعلة النار من دون دخان فتكون قدرتها على الإحراق أكبر.
- البقاء والخلود في جهنم خاص بالأشقياء: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾ تحمل كلمة صلى بين طياتها معنى المرافقة والمصاحبة. قد تكون عبارة «ناراً تَلْظَىٰ» نوعاً خاصاً من النار خاصاً بالأشقياء وسيُتلى باقي المجرمين بأنواع أخرى من النار.
- يمكن تفسير آية: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ بطريقتين: أَنَّ الإنسان سيرضى عن الله عندما يصل إلى هدفه، أو أَنَّ الله سيرضى عنه. وقد جاء هذان الموردان، أي رضا الله عن الإنسان ورضا الإنسان عن الله، إلى جانب بعضهما في القرآن الكريم: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾^(٢)، ﴿أَرْجِئِ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾^(٣).

(١) سورة فصلت: الآية ١٧.

(٢) سورة البينة: الآية ٨.

(٣) سورة الفجر: الآية ٢٨.

التعاليم:

- ١ - من السنن الإلهية التي أوجبها الله على نفسه، هداية الناس عن طريق العقل، والفترة، والأنبياء: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾.
- ٢ - قبول الهداية هو لصالحكم؛ لأن الله غني غير محتاج: ﴿وَلِإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾.
- ٣ - التحذير والإنذار، وسيلة للهداية الإلهية: ﴿تَأَذَّرْتُكَ﴾؛ (يجب أن تأخذوا التحذيرات الإلهية على محمل الجد؛ لأنها من قبل الذي يملك الدنيا والآخرة).
- ٤ - نار الآخرة أمر عظيم ومجهول. جاءت: ﴿نَارًا﴾ بصيغة النكرة.
- ٥ - للشقاء كما التقوى مراتب: ﴿الْأَشْقَى... الْأَتَقَى﴾؛ (الشخص الذي يرى كل دلائل الهداية هذه ولا يعتبر هو الأشقى) ﴿الْأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.
- ٦ - التقوى المصاحبة لمساعدة المحرومين، هي درع واق من نار جهنم: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾.
- ٧ - مساعدة المحرومين، نهج المتقين الدائم: ﴿يُؤْتِي﴾.
- ٨ - تقديم المساعدة من المال الشخصي، عمل ذو قيمة: ﴿مَالَهُ﴾.
- ٩ - المساعدة المالية الخالصة، من علامات التقوى: ﴿الْأَتَقَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾.
- ١٠ - مساعدة الفقراء، طريق للتزكية وبناء النفس: ﴿يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.
- ١١ - الإنفاق المادي الذي يهدف إلى ردّ إحسان الآخرين على الشخص، لا يكون سبباً للرشد: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ﴾؛ (يكون للإنفاق قيمة عالية إذا لم يكن الإنسان مديناً للآخرين ولم يكن طامعاً في شيء).
- ١٢ - لا يسعى المتقي إلا إلى رضا الله تعالى: ﴿إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾.
- ١٣ - قصد القرية إلى الله، شرط لازم: ﴿إِلَّا ابْتَغَاءَ وَجْهَ رَبِّهِ﴾.
- ١٤ - يجب أن يكون الإنفاق في السبل التي يرتضيها الله: ﴿يُؤْتِي مَالَهُ...﴾.

١٥ - الله هو الخالق الأعلى، فاسعوا إلى رضاه وحده ليعطيكم الجزاء الأعلى:
﴿آيَاتَاءَ وَجْدٍ رَيدٍ أَلَعَلَّ﴾.

١٦ - يصل الإنسان المخلص إلى مقام الرضا ويكون دائم الرضا عن الله تعالى:
﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الضُّحَى

السورة: ٩٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١١



ملاحح سورة الضحى

نزلت هذه السورة في مكّة وعدد آياتها إحدى عشرة آية.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى والتي تبدأ بالقسم بوقت الضحى.

نزلت هذه السورة لتواسي الرسول الأعظم إذ إنّ المخالفين كانوا قد آذوه بالكلام؛ لأنّ الوحي انقطع عنه لمدة خمسة عشر يوماً، ولتبين مناصرة الله للنبي مذ كان يتيماً إلى أن وصل إلى مقام الرسالة.

وتطلب السورة من النبي أن يقوم بدوره كذلك بمعاملة اليتامى والمحرومين معاملة إلهية وأن يظهر نعم الله عليه باللسان وبالعمل ويشكر الله عليها.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ① وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ ② مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ③
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ④ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ⑤﴾

إشارات:

- «الضحى» هو أول النهار حين تشرق الشمس. تأتي كلمة «سجى» بمعنى التغطية وكذلك بمعنى السكون والهدوء.
- «ودعك» من التوديع بمعنى الترك والهجر، و«قلَى» يعني شدة العداوة والبغض والغضب والقهر.
- انقطع الوحي عن النبي ﷺ لأيام عدّة، فقال الكافرون إنّ الله قد تخلّى عنك. فنزلت هذه الآيات لتواسي النبي ﷺ. قد يكون الهدف من انقطاع الوحي هو تفهيم الناس أنّ كل ما هو موجود هو من الله تعالى ولا يملك النبي أي صلاحيات أو سلطة على ألفاظ الوحي ووقت نزوله ومقداره.
- الدليل على أنّ الله لم يترك نبيّه هو أنّ الله تعالى خاطب شخص النبي ثلاث عشرة مرّة في هذه السورة الصغيرة.

التعاليم:

- ١ - نور النهار وظلام الليل وسكونه نعمتان عظيمتان قد أقسم الله بهما: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ﴾.
- ٢ - اقطعوا لسان سليطي اللسان بكل حزم واكسبوا قلوب الطاهرين: ﴿وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلُ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.
- ٣ - أجبوا عن الأسئلة، وصوبوا الاستنتاجات والأحكام المسبقة والتحليلات الخاطئة بكل صراحة: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.

٤ - يجب على المربي ألا يتخلى عن الشخص الذي يتولى تربيته: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.

٥ - لا تظنوا أن الانقطاع المؤقت للطف خاص دليل على غضب الله أو غفلة عنكم: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾.

﴿أَلَمْ يَجِدَكَ يَتِيمًا فَخَافَى ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۖ﴾ (٨) ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۖ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۖ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۖ﴾ (١١)

إشارات:

□ إما أن يكون المقصود من الآخرة في الآية: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ يوم القيامة وإما عاقبة عمل النبي في هذه الدنيا.

□ رحل عبد الله والد النبي ﷺ عن الدنيا قبل ولادته، وفقد والدته في الطفولة، وكان في عمر الثماني سنوات عندما توفي جده عبد المطلب ولهذا كان يدرك ألم الأيتام.

□ يقول القرآن الكريم: ﴿مَا مَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾^(١) أي أن نبيكم لم يضل ولا للحظة واحدة. إذا فإن المقصود من: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ أي أنه لولا الهداية الإلهية لما استطعت اتباع السبيل.

كما قال تعالى في سورة الشورى الآية ٥٢: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلَكْتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدَى بِهِ﴾ ويقول كذلك في سورة يوسف الآية ٣: ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾.

تأتي كلمة «ضال» بمعنى المنحرف عن الحق وكذلك بمعنى الضائع مثل «الحكمة ضالة المؤمن»^(٢). أجل فإن النبي كان متحيراً قبل نزول الوحي وقد تعرّف على الأوامر والتكاليف الإلهية عن طريق الوحي.

□ تُطلق «عائل» على الفقير. والقهر هو الغلبة المصاحبة للتحقير. والنهر هو الطرد

(١) سورة النجم: الآية ٢.

(٢) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٨٠.

مع الغلظة والقسوة. وإطلاق «النهر» على جدول الماء هو لجريان الماء السريع فيه.

□ إذا لم تؤمن احتياجات اليتيم فستهدد المجتمع مفاصل أخلاقية واجتماعية عدة. وقد يجعل نقص المحبة اليتيم شخصاً قاسي القلب.

□ ورد في الحديث أن الآية الأكثر تبشيراً من آيات القرآن آية: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ إذ أريد بها الشفاعة^(١).

□ يهتم الله تعالى بإرضاء النبي في الدنيا والآخرة. مثلما غير القبلة في الدنيا لإرضائه لكي لا يمتن عليه اليهود بأنه يصلي إلى جهة بيت المقدس وهو قبلتهم: ﴿فَلَوْلَيْكَ بُيُوتٌ رَضُّهُمْ﴾، وأعطاه في الآخرة مقام الشفاعة ليرضى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

□ أقسم الإمام الباقر عليه السلام مرتين بأن المقصود بعطاء الله الخاص بالنبي هو الشفاعة. «والله الشفاعة والله الشفاعة»^(٢). وعن الإمام الصادق عليه السلام أن رضا جده عليه السلام لا يتحقق إلا بعدم بقاء موحد في النار^(٣).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام في ذيل الآية ﴿وَأَمَّا يَنْفَعُ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾: «حدث بما أعطاك الله وفضلك ورزقك وأحسن إليك وهذا»^(٤).

□ وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «التحدث بنعمة الله شكر وتركه كفر»^(٥).

التعاليم:

- ١ - صان الله نبيه من أي قهر أو غضب في الدنيا والآخرة: ﴿وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ...﴾.
- ٢ - لا يعتري النعم الأخروية زوال أو نقص أو تعب مما يعتري النعم الدنيوية: ﴿وَلَا آخِرَ خَيْرٍ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾.

(٤) تفاسير مجمع البيان ونمونه.

(٥) الوسائل، ج ٨، ص ٤٠.

(١) شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٤٤٦.

(٢) البحار، ج ٨، ص ٥٧.

(٣) تفسير صافي.

٣ - في مقابل انقطاع الوحي مؤقتاً، وعد الله نبيه بما يرضيه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾.

٤ - حتى لو امتلك رجال الله كل الدنيا فلن يرضوا. إذاً فإن تحقق الوعد الإلهي سيكون في العالم الآخر: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾.

٥ - يهتم الله تعالى برضا النبي الأكرم: ﴿فَتَرْضَى﴾.

٦ - يجب أن يكون القائد مدرّكاً للألم ليشعر بالآلام الآخرين: ﴿أَلَمْ يَحْذَكِ يَتِيمًا﴾.

٧ - لا يقف اليتيم عائقاً أمام الوصول للكمال: ﴿أَلَمْ يَحْذَكِ﴾.

٨ - مَنْ الإنسان على الإنسان أمر غير لائق؛ ولكن إذا كان من الله على الإنسان فهو أمر ذو قيمة عالية: ﴿أَلَمْ يَحْذَكِ يَتِيمًا فَتَأْوِي﴾.

٩ - يُحيي ذكر النعم الإلهية روح الشكر لله وخدمة الآخرين: ﴿أَلَمْ يَحْذَكِ يَتِيمًا فَتَأْوِي... فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

١٠ - تذكروا أيام ضعفكم إذا ما حزتم القدرة والقوة يوماً ما: ﴿أَلَمْ يَحْذَكِ يَتِيمًا﴾.

١١ - تنزل الألفاظ الإلهية بالوساطة: ﴿فَتَأْوِي﴾ (إيواء الله للنبي وإغناؤه كان عن طريق أبي طالب والسيدة خديجة).

١٢ - إيواء اليتيم وإغناء الفقير أمر إلهي: ﴿فَتَأْوِي... فَأَغْنِي﴾.

١٣ - إذا تذكركم ماضيكم الصعب فلن تمنعوا المحزومين ولن تطردوهم: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

١٤ - ثمة أولوية للاهتمام باليتيم بسبب سِنِّه وظروفه النفسية: ﴿فَلَا تَقْهَرْ... فَلَا تَنْهَرْ﴾.

١٥ - اعلّموا أنّ النعم من عند الله فلا تغتروا بها: ﴿بِئْتِمَارُ رَبِّكَ﴾.

١٦ - إظهار النعمة هو شكر للنعمة: ﴿فَنَحْوِثُ﴾.

١٧ - لطف الله القديم سبب للأمل بالمستقبل. (إِنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَصَكَ فِي الْمَاضِي مِنْ يَتَمَكِّ وَفَقْرِكَ وَحَيْرَتِكَ هُوَ الَّذِي سَيَجْعَلُ مُسْتَقْبَلَكَ وَأَخْرَجَكَ أَحْسَنَ): ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ... أَلَمْ يَجِدْكَ...﴾.

١٨ - إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي الْكَثِيرَ وَيَطْلُبُ الْقَلِيلَ، فهو يغني الفقير ولكنه لا يريد منا أن نغني الفقير. قال فقط: لا تطردوا الفقير: ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾. هو يؤوي اليتيم ولكنه لا يريد منا إلا أن لا نغلظ على اليتيم: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

١٩ - إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي مَنْ دُونَ أَنْ يُسْأَلَ إِذَا فَلَنْسَاعِدَ عَلَى الْأَقْلَى الْآخَرِينَ عِنْدَمَا يَسْأَلُونَا: ﴿وَوَجَدَكَ عَالِمًا غَافًى... وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

٢٠ - لا تظنوا أَنَّ النعم هي نتيجة لعلمكم وتخصصكم وفطنتكم؛ بل هي لطف من الله: ﴿يَنْعَمَ رَبُّكَ...﴾.

٢١ - تذكّر النعم، ينجي الإنسان من اليأس والانهيار، ويزيد من قدرته على المقاومة في مواجهة متاعب الحياة: ﴿يَنْعَمَ رَبُّكَ فَحَدِّثْ﴾.

٢٢ - الحب والعطف على الأيتام، أفضل لهم وأهم من الطعام واللباس: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾.

٢٣ - عندما يعرض المرض أو الفقر أو غيرهما من الشدائد للإنسان، يحسن به أن يتذكّر سائر النعم فإنّ في ذلك دواء دائه: ﴿وَأَمَّا يَنْعَمَ رَبُّكَ فَحَدِّثْ﴾.

٢٤ - ينبغي أن توظّف النعم الإلهية في ما يخدم مسيرة الإنسان وتكامله المعنوي، لا أن يُستفاد منها مع الغفلة: ﴿يَنْعَمَ رَبُّكَ﴾.

والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ الشَّرْحِ

السورة: ٩٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾

إشارات:

□ قال تعالى في السورة السابقة (الضحى): ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ويقول في هذه السورة: كيف يتركك من أنعم عليك بأكبر لطف ونعمة ألا وهو شرح الصدر: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

□ «شرح الصدر» يعني توسيع الصدر وارتفاع مستوى تحمّل الإنسان حتى يقدر على تحمّل الأزمات والصبر عند المشكلات والمصاعب.

□ عندما اختار الله تعالى النبي موسى للرسالة كان أول ما طلبه من الله هو سعة الصدر حين قال: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾^(١)؛ ولكن نبي الإسلام حاز اللطف الإلهي دون أن يطلب وأعطاه الله سعة الصدر: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.

□ المقصود من الحمل الثقيل «الوزر» الذي رفعه الله عن النبي بشرح صدره هو مسؤولية الرسالة ودعوة الناس إلى التوحيد ومحاربة الفساد والشرك والخرافات.

□ بما أنه لا يمكن التقليل من الأحزان والهموم، إذاً يجب رفع مستوى التحمّل، ليتمكن الإنسان من تحمّل المشكلات وتجاوزها. شرح الصدر دليل على اللطف الإلهي: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(٢).

□ من الناحية النفسية، عند مواجهة المشكلات لا ينبغي أن يتوجه كل الاهتمام إليها، بل يجب التفكير كذلك بالانفراجات التالية لها وهي وعد وستة إلهية.

□ العسر سبب لليسر. قد تكون كلمة (مع) بمعنى سبب، أي أن كل صعوبة تحمل في طياتها التجارب البناءة: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.

□ حذف حرف الفاء من الجملة الثانية: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ يبين أن هذا أصل عام وليس أمراً خاصاً بالنبي.

□ يتخذ قادة الحق، القرارات في مقابل رياح المعارضة، والمشكلات، والعذاب، والتهديد، والمؤامرات، والاتهامات، والعناد، والحروب، و... لذا فهم بحاجة إلى سعة الصدر أكثر من أي شيء آخر: ﴿وَلَا تَنْفِرْ لَكَ مَدْرَكَ﴾.

□ بناءً على الروايات التي بُنيت على أساسها الفتاوى الفقهية، فإن هذه السورة وسورة الضحى تعدّان سورة واحدة مثل سورتي الفيل وقريش، وفي الصلوات الواجبة إذ لا يجوز قراءة أكثر من سورة بعد سورة الحمد، يجب أن تُقرأ هاتان السورتان معاً. والشاهد على وحدة هاتين السورتين هو تناسب الآية الأخيرة من السورة السابقة مع الآية الأولى لهذه السورة، إذ يقول: ﴿وَلَا تَنْفِرْ لَكَ مَدْرَكَ﴾.

□ شرح الصدر الذي أعطي لنبي الإسلام الأكرم كان سبباً في أن لا يدعو النبي على قومه بالرغم من كل الأذى الذي لحق به منهم، إذ قال: «اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون»^(١)، وفي فتح مكة أعلن العفو العمومي: «لا تشرب عليكم اليوم»، وكذلك نبي الله يوسف عندما عفا عن كل إخوته مرة واحدة.

□ المصداق لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَاكَ... وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ هو أن الناس كانوا يدخلون في الإسلام أفواجاً أفواجاً: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾^(٢) وانتصر الإسلام في غزوات بدر والخندق وحنين ومع أن بعضهم كان منافقاً أو

جباناً، إلا أن الإسلام كان في نمو مستمر. كان الإمام علي عليه السلام في أغلب الأوقات يرفع هذا العبء عن كاهل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. لقد قام عليه السلام في بدر وأحد وخير بأشجع العمليات.

وفي بعض الأوقات كان هذا الوزر والحمل الثقيل يُرفع عن كاهل النبي إِمَاماً عن طريق الإمدادات الغيبية ونزول الملائكة^(١)، أو بإلقاء الرعب^(٢) في قلوب الأعداء.

□ لقد كرم الله تعالى اسم نبيه وذكره. أمر في القرآن بالصلاة والسلام على نبيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٣)، وذكره في كثير من الآيات إلى جانب اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾^(٤)، وفي الأذان، تذكر الشهادة برسالته إلى جانب الشهادة بوحداية الله: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله»، وتكرر هاتان الشهادتان معاً في تشهد كل صلاة.

□ شكت امرأة زوجها الفقير إلى الإمام علي عليه السلام بأنه لا يعطيها نفقة. فلم يحكم الإمام عليه السلام بالسجن وقال: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾^(٥).

التعاليم:

- ١ - سعة الصدر عامل مهيب للقيام بأعباء الرسالة الثقيلة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ...﴾.
- ٢ - لا تقلقوا على مستقبل المذهب: ﴿رَوِّعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.
- ٣ - محاربة الخرافات والعادات والتقاليد الجاهلية، أمر ثقيل جداً: ﴿وَزَرَكْ﴾.
- ٤ - كان عمل النبي قاصماً للظهور: ﴿أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾.

(١) سورة آل عمران: الآيتان ١٢٣ - ١٢٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥١؛ سورة الحشر: الآية ٢.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٥٦. (٤) سورة محمد: الآية ٣٣.

(٥) تفسير نور الثقلين.

٥ - السمعة الحسنة والمقام الرفيع من لوازم النجاح في قيادة المجتمع: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

٦ - السنة والبرنامج الإلهي قائم على أساس أنه بعد كل عسر يُسر: ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ (نقرأ في موضع آخر من القرآن الكريم: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾^(١)) إذن المشاكل والمصاعب قابلة للزوال وستصبح يسيرة). الصبر والظفر صديقان قديمان وعلى أثر الصبر يأتي الظفر.

٧ - يجب على الإنسان بعد أن ينتهي من أي مسؤولية، أن يهيئ نفسه لتحمل مسؤولية أخرى وسعي آخر: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾.

٨ - السعي يجب أن يكون ذا وجهة إلهية: ﴿وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَاَرْغَبْ﴾.

٩ - يجب أن يكون السعي والعمل مصاحبين للإخلاص: ﴿فَإِنْصَبْ... وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَاَرْغَبْ﴾.

١٠ - يجب على الإنسان بذل أقصى ما في وسعه في سبيل الوصول إلى الله: ﴿فَإِنْصَبْ... وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَاَرْغَبْ﴾.

١١ - سلوك سبيل الله يجب أن يكون عن رغبة وعشق: ﴿وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَاَرْغَبْ﴾.

١٢ - الله وحده هو من يستحق الرغبة فيه والميل إليه: ﴿وَلِلَّهِ رَبِّكَ فَاَرْغَبْ﴾.

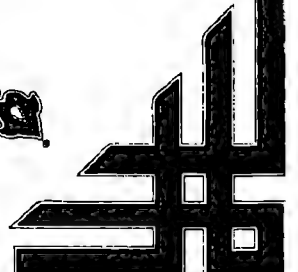
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ التِّينِ

السورة: ٩٥ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



ملاحح سورة التين

سورة التين مكّية وعدد آياتها ثمانى آيات.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى وهو اسم فاكهة التين.

يدور محور السورة حول عقاب البشر وثوابهم في يوم القيامة، وتبيّن كيف أنّ الإنسان خُلِق على أفضل صورة، وكيف أنّ الناس مقسمون إلى مجموعتين بناءً على بقائهم على الفطرة الإلهية السليمة أو الخروج عنها والسقوط إلى أسفل درجات الإنسانية، وهذا الاختلاف في خيارات الإنسان هو ما يوجب الاختلاف في الثواب والعقاب الإلهيين. ومن الطبيعي، أنّ الحكمة تقتضي ألاّ يتساوى الطرفان.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ ① وَطُورِ سَيْنِينَ ② وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ⑤ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالَّذِينَ ⑦ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ الْفَكَّيْمِينَ ⑧ ﴿

إشارات:

- طور سينين هو نفسه وادي سيناء الواقع بين مصر وفلسطين في أيامنا هذه.
- جاء في بعض الروايات، أنّ (طور سينين) و(البلد الأمين) هما إشارة إلى مكانين مقدسين وأنّ المقصود من (التين والزيتون) هو محل نمو هاتين الشجرتين وفي بعض الروايات أن هذه الآية تشير إلى المدينة وبيت المقدس^(١).
- الأهم للجسم من بين المأكولات، الفاكهة، ومن بين الفاكهة المليئة بالسكر والطاقة؛ إذ إنّ الجسم يحتاجها في عمليات الأيض: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾.
- من مميزات الإسلام: وجود بلد آمن حتى للحيوان والنبات كذلك: ﴿الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾.
- ذكر التين مرّة واحدة والزيتون ست مرّات في القرآن الكريم وكلاهما له خصائص غذائية وعلاجية عدة. التين مفيد لكل سن وعمر لما يحويه من سكر. ويوصى بأن يتناوله الرياضيون والأشخاص المبتلون بالضعف والهرم. بناءً على بعض الروايات، التين من ثمار الجنة، وورد في الطب القديم أنّ معجون التين والعسل مفيد لقرحة المعدة ويستخدم التين المجفف لتقوية الذهن.
- وعن الإمام الرضا عليه السلام في التين: «التين يزيل نكهة الفم ويطيل الشعر وهو أمان من الفالج». وفي الزيت يقول: «نعم الطعام الزيت: يطيب النكهة، ويذهب بالبلغم، ويصفي اللون، ويشد العصب، ويذهب بالوصف، ويطفيئ الغضب»^(٢).
- المقصود من: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ ابتعاد مجموعة من البشر عن الفطرة

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) بحار الأنوار، ج ٦٦، ص ١٨٣، نقلاً عن: تفسير نمونه.

الإلهية الأولية التي وضعها الله في تكوين البشر وكل من يفعل ذلك، يجعله الله في أدنى مقام ويبتليه بالشقاء والعذاب.

التعاليم:

- ١ - النعم الدنيوية، حتى المأكولات، لها قداسة، وهي موضع لقسم الله: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ﴾.
- ٢ - من أهم احتياجات الإنسان المادية الصحة الناتجة عن الطعام، والأمن: ﴿وَالَّذِينَ وَالَّذِينَ... أَلْبَدَ الْآمِينَ﴾.
- ٣ - تسري قداسة الوحي إلى الأراضي التي ينزل فيها: ﴿وَلَوْ سِيبِينَ﴾.
- ٤ - أمن مدينة مكة هو من دعاء نبي الله إبراهيم، إذ قال: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾^(١) وقد استُجيب هذا الدعاء: ﴿وَهَذَا أَلْبَدَ الْآمِينَ﴾.
- ٥ - يملك الإنسان الأفضلية على كل الموجودات من ناحية الخلق: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ﴾.
- ٦ - إن الله تعالى حاكم على بداية الإنسان ونهايته: ﴿خَلَقْنَا... رَدَدْتُهُ﴾.
- ٧ - ليس ثمة إنسان وضيع في أصل الخلقة؛ ولكنه يسقط في مراحل الحياة المختلفة: ﴿خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيرٍ ثُمَّ رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفِيلِينَ﴾.
- ٨ - الإنسان هو أحسن المخلوقات؛ وعندما يسقط يكون سقوطه أسفل من كل المخلوقات: ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيرٍ... أَسْفَلَ سَفِيلِينَ﴾ (كما ورد في آية أخرى: ﴿أَوَّلَتِكَ كَأَلَا تَقَرُّ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ﴾)^(٢).
- ٩ - البعد عن الإيمان والعمل الصالح سبب للسقوط، والإيمان عامل للبعد عن أي سقوط أو تدنٍّ: ﴿رَدَدْتُهُ أَسْفَلَ سَفِيلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ١٠ - مع أن الله هو خالق الإنسان وله الحق في معاملة مخلوقه كيفما شاء، إلا أنه يحكم على أساس العدل وهو أحسن الحاكمين: ﴿...يَا عَاكِفَ الْغَنِيِّ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٦.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.



سُورَةُ الْعَلَقِ

السورة: ٩٦ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١٩



ملامح سورة العلق

سورة العلق مكيّة، وعدد آياتها تسع عشرة آية.

وقد اشتقّ اسمها من الآية الثانية التي تشير إلى خلق الإنسان من علق. وهي أول سورة نزلت على النبي ﷺ، وبين آياتها ترابط يدلّ على أنها نزلت دفعة واحدة^(١).

وهي من سور العزائم، التي يجب السجود عند الوصول في قراءتها إلى آية السجود، ولأجل ذلك يفتي فقهاء الإمامية بعدم جواز قراءتها في الصلاة، ويحرم على الحائض والجنب قراءتها.



(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③
الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾

إشارات:

□ عن النبي ﷺ: «أول مرة ظهر عليّ جبرائيل، قال: اقرأ، قلت: لا أستطيع، وبعد ثلاث مرّات، عصرتني فوجدت نفسي أستطيع القراءة»^(١).

□ نقرأ في تفسير نوين (التفسير الحديث): نعت الله نفسه بالكريم في المواضع التي تحدث فيها عن الخلق: ﴿مَا عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ﴾^(٢)، ولكن عند الحديث عن القراءة والتعلم والقلم نعت نفسه بالأكرم: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.

□ من افتخارات الإسلام أنّه قد بدأ مشواره بالقراءة والعلم والقلم وأول أمر وجهه الله إلى نبيه كان أمراً ثقافياً. قراءة لوح نُشر لأول مرة أمام النبي وكان منظماً ومكتوباً.

□ توجد نكتة كامنة وراء الأمر (اقرأ) وهي أنّ ما سينزل عليك يجب قراءته ولا يكفي العلم به.

□ فُسِّرَت كلمة (علق) بأكثر من معنى:

(أ) لزج ولاصق وتعني أنّ آدم ﷺ خُلِقَ من طين لزج، أو أنّ نطفة الرجل تلتصق كالعلقة بنطفة المرأة.

(ب) بمعنى الدم الغليظ والمنعقد وهذا هو المعنى المطروح عادة.

□ الذي يخلق الإنسان من دم منعقد هو من أمر شخصاً أمياً بالقراءة.

□ يجب بدء التعليم باسم الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ وكذلك الذين فرغوا من التعلم يجب أن يسيروا في سبيل الله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجِعْ﴾.

التعاليم:

- ١ - ينبغي البدء باسم الله عند قراءة القرآن: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٢ - أول أمر جاء في الإسلام، كان أمراً ثقافياً: ﴿أَقْرَأْ﴾.
- ٣ - يجب أن تكون القراءة ذات وجهة إلهية: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ﴾.
- ٤ - قراءة القرآن وسيلة للرشد: ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ﴾.
- ٥ - التربية الإلهية مادية: ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ... خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾، ومعنوية كذلك: ﴿وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ... الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.
- ٦ - الرب هو الخالق؛ (لذا فإن كلام المشركين في أنهم يقبلون الله خالقاً ولكنهم يعتقدون أن الأصنام هي الرب، كلام باطل): ﴿رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.
- ٧ - بيان أن الإنسان خلق من دم عالق هو إعجاز علمي من جهة، ومن جهة أخرى هو وسيلة لتربية الإنسان ليعلم مبدأه من أي شيء كان فلا يصاب بالغرور: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.
- ٨ - خلق الكون كله في كفة: ﴿الَّذِي خَلَقَ﴾ وخلق الإنسان في كفة أخرى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾.
- ٩ - المعلم الأول والأساس للإنسان هو الله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.
- ١٠ - القلم أفضل وسيلة لنقل العلم: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.
- ١١ - الوحي الإلهي، منبع العلوم البشرية: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.
- ١٢ - كون الله خالقاً ورباً وكراماً ومعلماً، ملزماً لقراءة كتابه: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ... خَلَقَ... الْأَكْرَمُ... عَلَّمَ...﴾.
- ١٣ - يقوم الله تعالى بأعماله عن طريق الأسباب: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.
- ١٤ - الاستفادة من القلم للتخلص من الجهل، دليل على كرمه وربوبيته. وقد حث الإسلام على فن الكتابة ورغب فيه: ﴿عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾.
- ١٥ - ينمي الله تعالى جسم الإنسان وينمي روحه كذلك. (جاءت كلمة (ربك) بين كلمتي (خلق) و(اقرأ)): ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ (٦) إِنَّ رَأْيَهُ أَسْتَفْتَىٰ (٧) إِنَّ لَكَ رَبِّكَ لَرْجُوًّا (٨) أَهَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ (٩) عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ (١٠) أَهَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْهَبِ (١١) أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَىٰ (١٢) أَهَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٣) أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ (١٤)﴾

إشارات:

□ إما أن تكون كلمة «كَلَّا» بمعنى نفي السابق، أي أن الإنسان لا يتذكر ماضيه وكيف أن الله خلقه وعلمه، فيعبده، بل إنه بدلاً من العبادة، يطغى ويمنع الآخرين من العبادة كذلك. وقد تكون بمعنى (حقاً) وهي للتأكيد^(١).

□ إن لم يكن لدى الإنسان قدرة على الفهم فقد تجعله الشرة مغروراً، كمثّل قارون الذي كان يقول: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾^(٢)، أو أنه قد يغترّ بسلطته، كفرعون الذي كان يقول: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِّمَّا يَصْرِفُ﴾^(٣)، أو يغترّ بعلمه كبعلعم بن باعورا: ﴿ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَأَنسَلَخَ مِنْهَا﴾^(٤)، ولكن إذا كان الإنسان ذا قدرة على الفهم، حتى لو اجتمعت لديه هذه المقومات الثلاثة مثل النبي يوسف والنبي سليمان، فلن يغترّ؛ لأنه يعلم أن كل هذا من عند الله وليس من عند نفسه. كما كان يقول نبي الله سليمان: ﴿هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي﴾^(٥) وقال النبي يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِمَّا تَوْصِي الْأَكْدَابِيَّ﴾^(٦). أجل، فإنّ الخطر يكمن في أن ينظر الإنسان إلى نفسه لا إلى الله^(٧): ﴿أَن رَّاهُ أَسْتَفْتَىٰ﴾.

□ لا يعبد الطاغى الله ولا يعترف بالقوانين الإلهية، لا يقبل الاستدلال ولا يسمع نداء الضمير واستغاثة المظلومين.

□ المقصود من العبد الذي يصلي: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ كما يتضح من الآيات الأخيرة للسورة، رسول الله ﷺ. ففي تلك الآيات نُهي الرسول عن إطاعة ذلك

(١) تفسير نمونه. سورة النمل: الآية ٤٠.

(٢) سورة القصص: الآية ٧٨.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٥١.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٧٥.

(٥) سورة يوسف: الآية ١٠١.

(٦) تفسير نون.

الشخص وأمر بالسجود والتقرب. ولأن هذه الآيات هي أول آيات نزلت على الرسول، فهذا يدل على أن الرسول كان يصلي قبل وصوله إلى مقام الرسالة^(١).

□ جاء في الأحاديث: سأل أبو جهل من حوله قائلاً: هل يسجد الرسول أمامكم على التراب كذلك؟ قالوا: نعم، قال: أقسم بما نقسم به، لو رأيته على تلك الحالة سأدوس على رقبته بقدمي. عندما رأى النبي في حال الصلاة، قرر أن يضرب رأسه الشريف بقدمه حين يهوي للسجود، وبمجرد أن اقترب منه، تراجع بشكل عجيب وقال للمشركين: عندما اقتربت منه، رأيت أمامي خندقاً من نار^(٢).

□ على الرغم من أن المقصود من العبد في الآية هو شخص النبي الأكرم، إلا أن الكلمة ذكرت بصيغة النكرة بهدف التعظيم والتقدير: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾.

التعاليم:

- ١ - الإنسان جاحد للنعمة. لقد خلقناه وعلمناه ما كان يجهل؛ ولكنه يطغى في مقابل ربه: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾.
- ٢ - يطغى الإنسان لأنه يظن نفسه - اشتهاً - غير محتاج: ﴿لَيْطَنَ أَنْ رَآهُ اسْتَكْبَرَ﴾.
- ٣ - المنع عن الصلاة من أبرز أنواع المنكرات: ﴿يَتَنَبَّأُ عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾.
- ٤ - لا يجوز أن يعامل الرسول بهذا الأسلوب، حتى لو ظن الكافرون أنهم على حق: ﴿إِنْ كَانَ عَلَى الْمَذْهَبِ﴾.
- ٥ - الإنسان قليل الفهم، واعتقاده بأنه غني عن الحاجة يحجبه عن التعقل: ﴿لَيْطَنَ أَنْ رَآهُ اسْتَكْبَرَ﴾.
- ٦ - لا يكفي العلم وحده. على الرغم من أننا علمنا الإنسان، إلا أنه يطغى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ... إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾.
- ٧ - الغنى كمال؛ ولكن الاعتقاد بالغنى سبب للسقوط: ﴿رَآهُ اسْتَكْبَرَ﴾.

- ٨ - يمنع الإيمان بالمعاد الطغيان: ﴿إِنَّ إِلَاكَ رَبُّكَ الرَّحْمَنُ﴾.
- ٩ - سنترك كل ما لدينا وسنرحل عن هذه الدنيا، فلا تظنوا أنكم أغنياء غير محتاجين: ﴿إِنَّ إِلَاكَ رَبُّكَ الرَّحْمَنُ﴾.
- ١٠ - ثمة هدف للإنسان والوجود وكل مخلوق يسير نحو الله: ﴿إِنَّ إِلَاكَ رَبُّكَ الرَّحْمَنُ﴾.
- ١١ - يعارض الطغاة الصلاة: ﴿يَطْفَأُ... يَتَنَّى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ (يكون التصرف غير اللائق موضعاً للتأنيب إذا ما كان دائماً).
- ١٢ - الصلاة دليل على العبودية لله: ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾.
- ١٣ - ينزعج الطغاة من العبودية لله. (ولا يضيقون بالأشخاص اللامبالين أو العابدين لهواهم أو للآخرين): ﴿يَتَنَّى عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾.
- ١٤ - الاسم والوصف ليسا مهمين، ما يهم هو العمل. (لم يرد اسم الناهي ولا اسم المصلي): ﴿يَتَنَّى... صَلَّى﴾.
- ١٥ - يجب على الشخص الذي يأمر بالتقوى، أن يكون هو نفسه من المهتدين: ﴿كَانَ عَلَى الْمُنْكَ... أَوْ أَمَرَ بِالْقَوَى﴾.
- ١٦ - منشأ الطغيان أمران: أحدهما اعتقاد الإنسان بأنه غني: ﴿رَهَاهُ اسْتَفْغَى﴾، والثاني أنه لا يرى الله ويظن بأن الله لا يراه: ﴿أَلَّا يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ بَرُّهُ﴾.

﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝ (١٥) نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِلَةٍ ۝ (١٦) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۝ (١٧) سَنَدْعُ الزَّانِبَةَ ۝ (١٨)﴾
 كَلَّا لَا تُلْطَعُ رَأْسُجُدْ وَأَقْرَبُ ۝ (١٩)

إشارات:

□ ﴿لَنَسْفَعًا﴾ فعل، وكُتبت نون التأكيد في آخره على هيئة تنوين. هذه الكلمة من مادة «سفع» بمعنى الأخذ بشدة وصفع الوجه. والناصية تعني شعر مقدم الرأس، ويُسحب ويُؤخذ به لأجل التحقير.

□ عندما نزلت سورة الرحمن على النبي الأكرم ﷺ سأل: من سيقراها على سادة قريش؟ فسكت الصحابة بسبب ردة فعل سادة قريش القاسية والشديدة، ولكن عبد الله بن مسعود قبل بذلك وكان ضئيل الجثة. وحين رأى الرؤساء بجانب الكعبة، تلا الآيات. فصفعه أبو جهل صفة سال على أثرها الدم من أذنه. فذهب إلى النبي باكياً، فحزن النبي ﷺ.

في غزوة بدر، رأى عبد الله بن مسعود أبا جهل بين قتلى قريش في اللحظات الأخيرة، فجلس على صدره. فقال له أبو جهل: أتدري أين جلست؟ فقال: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه»، فقال أبو جهل: قل للنبي، حتى في هذه الحال، فإنه من أبغض الأشخاص عندي. فقال ﷺ: آمن فرعون موسى في آخر لحظاته، ولكن فرعوني أنا لم يؤمن حتى في آخر لحظة. حرّ ابن مسعود رأس أبي جهل ومسكه من شعره وأخذه عند النبي وتحققت آية: ﴿لَتَشْفَأَنَّ﴾ عملياً في هذه الدنيا^(١).

□ تُطلق كلمة «نادي» على المجلس العام أو مجلس الفرح.

□ «زبانية» جمع زبينة وتعني الموظف والعامل عند شخص.

□ عن الإمام علي عليه السلام: ثمرة العلم العبادة. بدأت هذه السورة بالأمر بالقراءة والتعليم بالقلم واختتمت بالسجود والتقرب. يعني، العلم المفيد هو العلم الذي يوصلنا إلى الله. بالطبع فإنّ طريق التقرب إلى الله شامل لكل الأعمال التي تُنجز بقصد القرية إلى الله، ولكن السجود هو أفضل وسيلة للتقرب.

□ وردت كلمة «كلا» في هذه السورة القصيرة ثلاث مرّات. يعني يجب الابتعاد عن الأوهام والظنون عديمة الأساس.

□ عن الإمام الرضا عليه السلام بالاستناد إلى الآية: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾: أقرب حالات الإنسان إلى الله، هي حال السجود^(٢).

التعاليم:

- ١ - طريق التوبة مفتوح للجميع. ولكن إن لم يتوبوا ولم ينتهوا عن ذنبهم فسوف يلقون جزاء أليماً: ﴿لَنْ يَنْتَفَعُوا﴾.
- ٢ - التهديد لازم في مقابل الظالمين: ﴿لَنْتَفَعُوا بِالْأَيَّامِ﴾.
- ٣ - الكذب منشأ باقي الأخطاء والمخالفات: ﴿كَذِبَتْ عَائِشَةُ﴾.
- ٤ - يخطط المخالفون في جلساتهم بالخفاء للأعمال المؤذية: ﴿يَتَنَقَّي عِبَادًا إِذَا صَلَّى... فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.
- ٥ - على الرغم من أن مخالف في الرسول كان لهم تشكيل وتنظيم، إلا أنهم لم يقدروا على شيء: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.
- ٦ - جزاء من يرمي الطين، أن يُرمى بالحجارة: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَعُ الزَّائِنَةَ﴾.
- ٧ - تتغلب قدرة الله على كل المؤامرات: ﴿سَنَعُ الزَّائِنَةَ﴾.
- ٨ - حافظوا بإصرار على القيام بالأعمال العبادية في مقابل نهى الآخرين ومنعهم لكم: ﴿يَتَنَقَّي عِبَادًا إِذَا صَلَّى... وَأَسْجُدْ﴾.
- ٩ - أولاً البراءة ثم العبادة: ﴿لَا تُطْعَمُ وَأَسْجُدْ﴾ (لا تتبعوا أمثال أبي جهل الذين ينهونكم عن الصلاة وواظبوا على العبادة والسجود).
- ١٠ - السجود أفضل وسيلة للتقرب إلى الله: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْقُلُوبِ

السورة: ٩٧ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥

ملاحح سورة القدر

نزلت سورة القدر في مكة وآياتها قصيرة وموزونة كسائر السور المكية. تبدأ هذه السورة بالإشارة إلى نزول القرآن في ليلة القدر وتبين بعد ذلك أهمية ليلة القدر عند الله وأفضليتها على ألف شهر وتختتم السورة بالحديث عن السلام الإلهي في تلك الليلة.

وردت روايات عدة تتحدث عن فضل تلاوة هذه السورة بعد سورة الحمد في الصلاة، وأنه يخاطب الشخص الذي يقرأها في الصلاة الواجبة بالقول: «غفر الله لك ما مضى فاستأنف العمل»^(١).

عن الإمام الرضا عليه السلام: «ما من عبد زار قبر مؤمن فقرأ عنده إنا أنزلناه في ليلة القدر سبع مرات، إلا غفر الله له ولصاحب القبر»^(٢).



(١) وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٧٩.

(٢) تفسير نور الثقلين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

إشارات:

□ ينجز الله تعالى أمور الكون عن طريق الملائكة وبواسطتهم. لذا جاءت أغلب الأفعال والضمائر المرتبطة بالله في القرآن الكريم بصيغة الجمع. مثل قوله تعالى في بداية هذه السورة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾.

□ بناء على نظر المفسرين^(١)، فقد نزل القرآن مرتين. في المرة الأولى نزل دفعة واحدة في ليلة القدر، والسورة تشير إلى هذه المرة وفي المرة الثانية نزل بصورة تدريجية على مدى ثلاث وعشرين سنة وهي مدة رسالة النبي. وعبر القرآن عن نزول هذا الكتاب السماوي بصورتين. مرة بكلمة (أنزلنا) من جذر إنزال بمعنى النزول دفعة واحدة ومرة أخرى بكلمة (نزلنا) من التنزيل بمعنى النزول التدريجي.

□ يتبين من الجمع بين آية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وآية: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾^(٢) أن ليلة القدر تقع في شهر رمضان، ولا يوجد شيء في القرآن يدل على أي ليلة من ليالي رمضان هي. وقد اختلفت الروايات حول ثلاث ليال. وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن ليلة القدر، فدعا إلى تحريها وطلبها في ثلاث ليال هي: التاسعة عشرة، والحادية والعشرون، والثالثة والعشرون^(٣). وتجدر الإشارة إلى أن المعروف بين أهل السنة هو أن ليلة السابع والعشرين هي ليلة القدر.

(٣) وسائل الشيعة، ج ١٠، ص ٣٦٠.

(١) الميزان في تفسير القرآن.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٥.

التعاليم:

- ١ - ليلة القدر هي ليلة إظهار الامتنان لله وشكره؛ لأنه قد نزلت فيها أهم نعم الله على البشر ألا وهي القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.
- ٢ - يجب أن يتناسب الظرف والمظروف. نزل أفضل الكتب في أفضل ليلة على أفضل البشر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۚ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾

إشارات:

□ وردت كلمة «قدر» في القرآن الكريم بأكثر من معنى:

- (أ) المقام والمنزلة: مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(١).
- (ب) القضاء والتقدير الإلهي: في قوله تعالى: ﴿جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَمُوسَى﴾^(٢).
- (ج) الضيق والصعوبة: مثلما قال: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ...﴾^(٣).
- يتناسب أول معنيين مع (ليلة القدر)، لأن ليلة القدر، ليلة ذات مقام رفيع وهي ليلة القضاء والتقدير.

□ للكون، حساب وكتاب وقدر وتقدير: ﴿وَلَا يَمْنُ شَيْءٌ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾^(٤). حتى مقدار نزول المطر من السماء قد تمت محاسبته: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾^(٥). ليس فقط المطر، بل كل شيء له قدر عند الله: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(٦) كما أن للشمس والقمر حساباً وكتاباً دقيقين، بلحاظ وزنها وحركتها ومدارها: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾^(٧).

□ يقدر الله تعالى في ليلة القدر أمور السنة كلها. كما يقول القرآن في موضع آخر: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٨)، لذا فإن ليلة القدر ليست محصورة بنزول

(٥) سورة المؤمنون: الآية ١٨.

(٦) سورة الرعد: الآية ٨.

(٧) سورة الرحمن: الآية ٥.

(٨) سورة الدخان: الآية ٤.

(١) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٢) سورة طه: الآية ٤٠.

(٣) سورة الطلاق: الآية ٧.

(٤) سورة الحجر: الآية ٢١.

القرآن وبزمان النبي، وإنما ثمة ليلة قدر في كل شهر رمضان، تقدّر وتُحسب فيها أمور السنة القادمة إلى ليلة القدر التالية.

□ أوصى النبي وأهل البيت بإحياء ليلة القدر بالدعاء والصلاة والقرآن، ومن بين الليالي الثلاث، أكدوا أكثر على الليلة الثالثة والعشرين. سأل شخص النبي الأكرم فقال: منزلنا بعيد عن المدينة، عيّن لي ليلة أقدم فيها إلى المدينة. فقال ﷺ: «ادخل المدينة ليلة الثالث والعشرين»^(١).

كان الإمام الصادق عليه السلام في حال المرض، إلا أنه طلب أن يحملوه إلى المسجد في ليلة الثالث والعشرين^(٢). وكانت السيدة الزهراء عليها السلام ترش الماء على وجوه أطفالها لتمنعهم من النوم^(٣).

جاء في الروايات أنّ النبي الأكرم كان في العشر الأواخر من رمضان يجمع فراش نومه ويحيي الليالي العشر^(٤).

□ جاء في حديث طويل عن النبي الأكرم ﷺ أنّ النبي موسى عليه السلام قال لله تعالى: «إلهي، أريد مقام قربك». فجاءه الجواب: «قُربِي لمن استيقظ ليلة القدر»، فقال: «إلهي، أريد رحمتك». جاء الجواب: «رحمتي لمن رحم المساكين ليلة القدر». قال: «أريد جواز العبور عن صراطك». فجاء الجواب: «ذلك لمن تصدّق بصدقة ليلة القدر». قال: «إلهي، أريد الجنة ونعمها». جاء الجواب: «ذلك لمن سَبَّح تسبيحة في ليلة القدر». قال: «إلهي، أريد النجاة من نار جهنّم». فجاءه الجواب: «ذلك لمن استغفر ليلة القدر». وقال في الختام: «إلهي، أريد رضاك». جاء الجواب: «رضاي لمن صلّى ركعتين في ليلة القدر»^(٥).

□ من وقائع التاريخ العجيبة، ضربة الإمام علي عليه السلام في ليلة القدر، في محراب

(٤) تفسير مجمع البيان.

(١) وسائل الشيعة، ج ٣، الآية ٣٠٧.

(٥) وسائل الشيعة، ج ٨، ص ٢٠.

(٢) بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ١٦٩.

(٣) المصدر نفسه، ج ٩٤، ص ١٠.

العبادة وخلال الصلاة. أجل، يستشهد أشرف خلق الله، في أشرف مكان وزمان وفي أشرف وضعية.

□ الليل له مقام من جهة المسائل المعنوية، وسنشير إلى موارد منها:

دعا الله النبي موسى إلى مناجاة الليل ليُهديه التوراة: ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾^(١).

ذكر القرآن الكريم وقت السحر على أنه الوقت المناسب للاستغفار: ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾^(٢).

كان عروج النبي إلى السماء، ليلاً: ﴿أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾^(٣).

أمر النبي بالتعبّد والمناجاة في الليل: ﴿وَمَنْ أَيْلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾^(٤)، ﴿قُلْ أَيْلٌ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٥).

مدح الله تعالى المتعبدين في الليل: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ أَلَيْلٍ﴾^(٦) وأوصى بالسيح في الليل: ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾^(٧).

أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بوقت طلوع الفجر، ووقت العصر مرة واحدة ولكنه أقسم بوقت السحر ثلاث مرات: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسَوَ﴾^(٨)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٩)، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسَّرَ﴾^(١٠).

□ مدة ليلة القدر بمقدار ليلة كاملة على الكرة الأرضية كلها، فتكون ٢٤ ساعة، وليست مخصصة لمكان واحد كمكة، وليست ٨ ساعات فقط. كمثل يوم عيد الفطر الذي يُقصد فيه يوم كامل على كل الكرة الأرضية.

□ قد يكون في اقتران ليلة التقدير للبشر بليلة نزول القرآن، إشارة إلى أن قدر

(٦) سورة آل عمران: الآية ١١٣.

(٧) سورة الإنسان: الآية ٢٦.

(٨) سورة التكوين: الآية ١٧.

(٩) سورة المدثر: الآية ٣٣.

(١٠) سورة الفجر: الآية ٤.

(١) سورة البقرة: الآية ٥١.

(٢) سورة الذاريات: الآية ١٨.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٧٩.

(٥) سورة المزمل: الآية ٢.

البشر مرتبط بالقرآن. إن اتبعوا القرآن كُتِبَ لهم السعادة والفلاح، وإن ابتعدوا عنه كُتِبَ عليهم التعاسة والشقاء.

□ قال أبو ذر: سألت النبي الأكرم عما إذا كانت ليلة القدر موجودة في عهد الأنبياء وإذا ما قد كان الأمر يتنزل عليهم فيها وبعد وفاتهم، يتوقف نزول الأمر في تلك الليلة؟ فقال ﷺ: «ليلة القدر إلى يوم القيامة»^(١).

□ قد يكون السر من وراء إبقاء ليلة القدر مخفية، حث الناس على التعمد في ليال متعددة، ولكي لا يغتر من يدرك الليلة مرة واحدة، ولا ييأس من لم يدركها من باقي الليالي.

□ جاء في الروايات: «العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر»^(٢).

التعاليم:

١ - اختاروا وقتاً مقدساً، للأمور المقدسة: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

٢ - الأوقات ليست سواسية. فبعض الأوقات لها الأفضلية على بعضها الآخر: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾

إشارات:

□ سألوا الإمام الصادق ﷺ: هل الروح هو جبرائيل؟ فقال: «جبرائيل من الملائكة والروح أرفع مرتبة من الملائكة. ثم تلا هذه الآية: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ...﴾»^(٣).

□ يحصل التواصل بين السماء والأرض، والملك والملوك، والطبيعة وما وراء

(٣) تفسير البرهان.

(١) تفسير البرهان.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ١٥٨.

الطبيعة في ليلة القدر بنزول الملائكة على قلب الرسول والإمام المعصوم.

□ للروح أنواع:

- الروح التي هي مصدر الميول والشهوات.
- الروح التي هي مصدر القدرة والحركات. وهاتان الروحان مشتركتان بين الإنسان والحيوان.

- الروح التي هي مصدر الاختيار والتفكير، وهي خاصة بالإنسان.
- الروح التي هي العقل المحض وتشكل جوهر وجود الملائكة.

- الروح التي هي أعلى من الملائكة وتنزل معهم إلى الأرض في ليلة القدر.

□ جاء في الروايات: «حاجبوا منكري الإمامة بسورة القدر»^(١)؛ لأنه وبناءً على هذه السورة، تنزل الملائكة كل سنة في ليلة القدر. وقد كانت تنزل في زمان حياة النبي على وجوده الشريف، وعلى من ستنزل من بعده؟

من الواضح أنه ليس بمقدور أي شخص أن يكون مضيفاً للملائكة الإلهيين، ويجب أن يكون معصوماً كما النبي وتكون أمور البشر في عهده وهو ليس إلا الإمام المعصوم، وفي زماننا هو الإمام المهدي عليه السلام، وتشرف الملائكة بالحضور بين يديه في ليلة القدر.

نظرة إلى الملائكة في القرآن^(٢):

الملائكة، مدبرو نظام الوجود وهم المأمورون بتنفيذ الأوامر الإلهية في إدارة الأمور. ذكر القرآن لكل مجموعة من الملائكة مهمة ودوراً وقد سُموا تبعاً لمهامهم: ﴿وَالَّذِينَ﴾^(٣)، ﴿وَالْقَنَقَتِ﴾^(٤)، ﴿فَالزَّيْحَتِ﴾^(٥)، ﴿وَالشَّيْرَتِ﴾^(٦)، ﴿فَالْقُرَيْتِ﴾^(٧)، ﴿فَالْمُدَرِّتِ﴾^(٨).

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) جاء في نهج البلاغة، الخطبة ١ والخطبة ٩١، مطالب حول الملائكة.

(٣) سورة النازعات: الآية ١. (٤) سورة الصافات: الآية ١.

(٥) سورة الصافات: الآية ٢. (٦) سورة المرسلات: الآية ٣.

(٧) سورة المرسلات: الآية ٤. (٨) سورة النازعات: الآية ٥.

بعض الملائكة كلفوا بالحفظ: ﴿وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾^(١).

بعض الملائكة يتكلمون مع أولياء الله، كلّموا زكريا وبشّروه بغلام اسمه يحيى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾^(٢) وهذه الملائكة هي التي تكلمت مع مريم: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا﴾^(٣).

وذكر في بعض المواضع مساعدة الملائكة للمجاهدين في جبهات الحرب. مثلما أرسل الله ثلاثة آلاف من الملائكة لمساعدة المسلمين في غزوة بدر: ﴿يُيَذِّكُمُ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾^(٤).

بعض الملائكة مسؤولون عن قبض الأرواح: ﴿يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾^(٥) وفريق آخر مسؤول عن أمور العرش: ﴿وَيَحُولُ عَرَّشُ رَبِّكَ﴾^(٦).

من مميزات الملائكة، مداومتها على العبادة دون تعب حيث يقول تعالى في القرآن: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾^(٧)، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^(٨).

من الوظائف الأخرى للملائكة، الدعاء والاستغفار للمؤمنين: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٩) والصلاة على نبي الإسلام: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾^(١٠).

ثمة درجات ومراتب للملائكة وليست كلها في مستوى ومقام واحد: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾^(١١).

كما فضل الله بعض الأنبياء على بعض، فقد اختار من بين الملائكة بعضها: ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنْكَ الْمَلَائِكَةُ﴾^(١٢).

- | | |
|-------------------------------|-------------------------------|
| (١) سورة الانفطار: الآية ١٠. | (٧) سورة الأنبياء: الآية ١٩. |
| (٢) سورة آل عمران: الآية ٣٩. | (٨) سورة الأنبياء: الآية ٢٠. |
| (٣) سورة آل عمران: الآية ٤٢. | (٩) سورة الشورى: الآية ٥. |
| (٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٤. | (١٠) سورة الأحزاب: ٥٦. |
| (٥) سورة السجدة: الآية ١١. | (١١) سورة الصافات: الآية ١٦٤. |
| (٦) سورة الحاقة: الآية ١٧. | (١٢) سورة الحج: الآية ٧٥. |

لا تتساوى الملائكة في القدرة والخصائص: ﴿أَوَلَيْ أَجِئَكُمْ مَتًى وَتُلْكَ وَرَبُّكُمْ﴾^(١) بعضهم مأمور وبعضهم أمر، ولكنهم جميعاً معصومون وأمناء: ﴿مُطَاعٌ ثُمَّ آمِينَ﴾^(٢).

يجب الإيمان بكل الملائكة: ﴿كُلٌّ ءَامِنٌ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ﴾^(٣) وذكر الإنكار لهم إلى جانب الإنكار بالله: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ﴾^(٤).

الملائكة جنود الله، ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾^(٥) وإذا ذكر أحياناً عدد قليل للملائكة كما جاء في الآية عن حراس جهنم: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾^(٦) فيكون للعدد دلالة خاصة ولا يعني قلة عدد الملائكة.

يطيع الملائكة الله تعالى بالمطلق ويعملون بكل ما يؤمرون ولا يعصون الله أبداً: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾^(٧).

□ عن نبي الإسلام ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنَ النُّورِ»^(٨)، قال: «ما من شيء مما خلق الله أكثر من الملائكة»^(٩).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا يَأْكُلُونَ وَلَا يَشْرَبُونَ وَلَا يَنْكَحُونَ»^(١٠).

التعاليم:

١ - لا تقوم الملائكة بأي عمل دون إذن الله: ﴿لَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ... بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾.

٢ - يكون تقدير الأمور في ليلة القدر بنزول الملائكة وحضورهم: ﴿لَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ... يَنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

٣ - تقدير الأمور في ليلة القدر، جزء من ربوبية الله: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾.

- | | |
|-----------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة فاطر: الآية ٢. | (٦) سورة المدثر: الآية ٣٠. |
| (٢) سورة التكوين: الآية ٢١. | (٧) سورة التحريم: الآية ٦. |
| (٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٥. | (٨) اختصاص، ص ١٠٩. |
| (٤) سورة النساء: الآية ١٣٦. | (٩) تفسير قمي، ج ٢، ص ٢٦٠. |
| (٥) سورة المدثر: الآية ٣١. | (١٠) بحار الأنوار، ج ٥٦، ص ١٧٤. |

﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾

إشارات:

□ «سلام» هو أحد أسماء الله التي وردت في القرآن الكريم: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَلَمَّكَ الْقُدُّوسُ أَسَلَّمَ...﴾^(١).

□ المقصود من السلام في هذه الآية، العناية واللفظ الإلهي الخاص في هذه الليلة بالعباد إذ يحوي السلامة والرحمة والبركة وغلق باب النعمة والعذاب، ولا تكون وسوسة الشيطان في ذلك الوقت مؤثرة^(٢)..

□ تنزل الملائكة إلى الأرض في ليلة القدر، ويسلمون على كل رجل وامرأة في حال العبادة^(٣). مثلما يستقبلون أهل الجنة في يوم القيامة بالسلام: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَبِئْسَ قَاتِلُوهَا ظَالِمِينَ﴾^(٤).

التعاليم:

١ - ليلة القدر، ليلة سلامة فكر الناس وروحهم؛ والتعالي إلى الله سلام: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

٢ - ليلة القدر، ليلة الرحمة، ويمكن الحصول على اللطف الإلهي عن طريق التوبة: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

٣ - يقدر الله تعالى الأمور بما يحقق سعادة البشر، إلا إذا أراد بعض الناس غير ذلك: ﴿سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.

(٢) تفسير مجمع البيان.

(٢) الميزان في تفسير القرآن.

(٤) سورة الزمر: الآية ٧٣.

سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ

السورة: ٩٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۖ﴾^(١)
 رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ۖ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ۖ ﴿٣﴾ وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۖ ﴿٤﴾

إشارات:

- «الْبَيِّنَةُ» هي الدليل الواضح الذي يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل.
- «الْقِيمَةُ» هو الأمر المستقيم، المُحَكَّم وذو القيمة العالية. كما تُطلق صفة «قِيمٍ» على الشخص الرحيم الذي يقوم بأمور الآخرين. حرف التاء في كلمة «قِيمَةُ» للمبالغة مثل «علامة»، وليس للتأنيث.
- فُسرَّت هذه الآية بصورتين: بناءً على أحد التفاسير فإنها تتحدَّث عن عدم وفاء وعدم صدق أهل الكتاب والمشركين، وفي تفسير آخر أنها لإتمام الحجَّة عليهم.
- ادَّعى الكفَّار أنَّهم سيقون على طريقتهم ما لم يأتهم دليل واضح. ولكن من بعد ما أتاهاهم الدليل الواضح، ظلَّوا على عقيدتهم ولم تؤمن إلا عدَّة قليلة. وقد جاء ما يشبه هذا المضمون في الآية ٨٩ من سورة البقرة؛ إذ إنَّهم كانوا قبل الإسلام ينتظرون قدوم نبي جديد وكانوا يؤمِّلون أنفسهم، ولكن ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا﴾.

□ «صُحُفٌ» جمع «صحيفة». وكأنَّ كل جزء من الكتاب السماوي هو وحده

صحيفة. التوراة كتاب؛ ولكن القرآن يُعَبَّر عنه بالقول: ﴿صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾^(١).

التعاليم:

- ١ - لا تتوقعوا أن يتخلى الناس عن معتقداتهم وطريقهم، من دون دليل واضح: ﴿لَمْ يَكُنِ... مُنْفِكِينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.
- ٢ - أهل الكتاب ليسوا منفصلين عن المشركين في إتمام الحجة. لقد أتم الله تعالى الحجة على الجميع بإرسال البينة، سواء الكفار أم المشركين: ﴿تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.
- ٣ - ثمة توقع وأمل أكبر في أهل الكتاب. (بالرغم من أن الآية الأولى تحدثت عن أهل الكتاب والمشركين، إلا أن سائر الآيات تنتقد أهل الكتاب فقط): ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.
- ٤ - يتم الله الحجة عن طريق الرسول السماوي والكتاب المقدس: ﴿رَسُولٌ... يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.
- ٥ - القرآن منزّه عن أي خطأ وانحراف ولغو وباطل وتحريف: ﴿صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾.
- ٦ - يتضمّن القرآن أوامر مُقَوِّمة^(٢): ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾.
- ٧ - القرآن بحد ذاته كتاب معتدل وبعيد عن الاعوجاج^(٣)، وهو كذلك سبب لاعتدال المجتمع وتقويمه^(٤): ﴿فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ﴾.
- ٨ - لا يمكن للعلم والمعرفة أن يحلّا مشكلة مع وجود هوى النفس. لقد فهم أهل الكتاب الحق بوضوح؛ ولكنهم تفرّقوا بسبب اتباعهم هوى أنفسهم: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ...﴾.

(١) سورة الأعلى: الآية ١٩.

(٢) قد تكون كلمة «كتب» بمعنى الأوامر الدينية: من مثل آية ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾؛ إذ إن كلمة «كتب» تعني الأمر.

(٣) بناء على أن كلمة قِيَمَة مشتقة من الفعل اللازم.

(٤) بناء على أن كلمة «قيمة» مشتقة من الفعل المتعدي.

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ
وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾

إشارات:

- «حنفاء» جمع «حنيف» من الحنف وهو الميل إلى الحق. في مقابل كلمة «حنف» بمعنى الميل إلى الباطل.
- إذا ما وضعنا آية ﴿وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ إلى جانب آية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ﴾^(١) نستطيع استنتاج أنَّ العبادة الخالصة من دون تظاهر والارتباط بالله (الصلاة) ومساعدة الآخرين (الزكاة)، من الأمور الفطرية في كلِّ إنسان.

التعاليم:

- ١ - تتغير ميول الناس وأهواؤهم. أما الدين فهو ثابت وبارق. التسليم الخالص لله ثابت: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ... وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.
- ٢ - لا يكون الإيمان مُحْكَمًا من دون الصلاة والزكاة: ﴿وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.
- ٣ - التأمل في تاريخ المعاندة والمكابرة، من الأمور التي تعزي قلب النبي ﷺ وقلوب المسلمين: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾.
- ٤ - توحيد الله الخالص وعبادته، من أسباب الوحدة: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾.
- ٥ - يدعو الأنبياء الناس إلى الله لا إلى أنفسهم: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ﴾.
- ٦ - الإخلاص والبعد عن الرياء هما سر البقاء: ﴿مُخْلِصِينَ... وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾.
- ٧ - جاء الأمر بالتوحيد والصلاة والزكاة في كل الأديان السماوية: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ...﴾.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ﴾

إشارات:

□ إما أن تكون كلمة «برية» من «برى» بمعنى التراب ويكون المقصود منها كل المخلوقات الترابية ومن ضمنها البشر، أو أن تكون من «برأ» بمعنى الخلق و«برية» على وزن فعلية بمعنى مفعولة أي المخلوقات.

□ جاء في روايات منقولة عن الشيعة والسنة، أنّ النبي الأكرم ﷺ قال للإمام علي عليه السلام: أنت وأصحابك خير البرية^(١) وجاء في آية أخرى من القرآن الكريم ما يشبه هذه الآية: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّمُّ الَّذِينَ لَا يَمُوقُونَ﴾^(٢).

□ الدليل على أنّ الإنسان هو الأسوأ، أنّه قد جاءه الرسول والكتاب وأفهموه الحقيقة ولكنه أصرّ على العناد بسبب غروره وتكبره. ﴿كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ... هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

التعليق:

- ١ - من لا يقبل الإسلام، سواء أكان مشركاً أم من أهل الكتاب، فهو كافر: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾.
- ٢ - مصير أهل الكتاب والمشركون واحد: ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾.
- ٣ - يصبح أفضل ما في الوجود، أي الإنسان، أسوأ المخلوقات عندما يضرب بعرض الحائط المنطق والبيّنة: ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.
- ٤ - يحدد الإنسان موقعه باختياره، إما أن يكون شر البرية ومن أهل جهنم، وإما

(١) انظر: تفسير نمونه؛ نقلاً عن: شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣٥٧.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٢٢.

أن يكون خير البرية ومن أهل الجنة: ﴿كَفَرُوا... شَرُّ الْبَرِيَّةِ... ءَامَنُوا... خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

٥ - أفضل طريقة للتوضيح هي المقارنة بين الكفر والإيمان وعاقبة كليهما: ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ... خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

٦ - رشد سائر الكائنات ورقيتها محدود وكذلك سقوطها؛ ولكن رشد الإنسان وسقوطه ليس له نهاية: ﴿شَرُّ الْبَرِيَّةِ... خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ (بمقدور الإنسان أن يصبح أفضل من الملائكة بإيمانه وعمله الصالح).

٧ - الصيرورة للأفضل مرهونة بالإيمان، والكفار هم الأسوأ. (كلمة «هم» تُفيد معنى الحصر): ﴿أُولَئِكَ هُم شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.

٨ - يكون الإيمان مثمراً، إذا ما كان مصاحباً للعمل الصالح: ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (ولكن الكفر وحده سبب للدخول إلى جهنم).

﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾

إشارات:

□ تُطلق «الخشية» على الخوف الناشئ عن التعظيم والعظمة.

□ تقول هذه الآية: الجنة خاصة بأهل الخشية: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾. وتقول آية أخرى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١) إذاً فإن الجنة خاصة بالعلماء.

من جهة، نحن نعلم أن ليس كل أهل العلم والعلماء من أهل الجنة. فقد ذكر القرآن الكثير من أهل جهنم الذين ضلوا من بعد العلم والمعرفة: ﴿وَأَسْأَلُ اللَّهَ عَلَىٰ عِلْمِي﴾^(٢)، وكذلك فإن ليس كل الأميين من أهل النار. إذاً فإن ذلك العلم الذي

يكون سبباً للخشية ليس هو العلم بمعناه الاصطلاحي؛ ولكن المقصود هو الفهم الطبيعي والإلهي والذي يكون سبباً في تنوير القلب.

التعاليم:

- ١ - جنة الجسم هي البستان والأنهار، وجنة الروح هي رضا الله: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ... رِزْقِ اللَّهِ عَنْهُمْ﴾.
- ٢ - خشية الله هي الدافع للعمل بالأوامر الإلهية: ﴿آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ... جَزَاءُهُمْ... جَنَّتٍ... ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾.
- ٣ - خلود المؤمنين في الجنة هو أمر قطعي. (كلمات «عدن»، «خالدين» و«أبدًا»، كلها تبين قطعية الخلود): ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ... خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾.

والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

السورة: ٩٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَفْقَالَهَا ② وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ③
يَوْمَئِذٍ تُخْبِثُ أَخْبَارَهَا ④ إِنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا
لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧﴾

إشارات:

□ الأثقال في الآية هم الأموات الذين يخرجون من الأرض في يوم القيامة. مثلما جاء في آية أخرى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾^(١).

□ يحضر الناس في يوم القيامة بشكل متفرق، مثلما جاء في آيات أخرى: ﴿أَشْتَاتًا﴾، ﴿كَانْتُمْ جَرَادًا مُّتَتِّرِينَ﴾^(٢)، ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾^(٣)؛ وربما يكون ذلك بسبب مصاحبة كل منهم لمن اختاره في الدنيا قائداً وولياً، وإما لأن ذلك اليوم هو يوم الامتياز الكامل بين الصالحين وغيرهم.

□ في يوم القيامة، حتى الجمادات تتكلم، بإرادة الله. وتشهد الأرض على الإنسان وكذلك أعضاء بدنه. ﴿وَقَالُوا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٤).

□ ورد في الروايات، الدعوة إلى الصلاة في أماكن مختلفة، لأن المكان يشهد

(٣) سورة القارعة: الآية ٤.

(٤) سورة فصلت: الآية ٢١.

(١) سورة الانشقاق: الآية ٤.

(٢) سورة القمر: الآية ٧.

للمصلي يوم القيامة^(١). وجاء في رواية أخرى، الدعوة إلى الأذان في الصحراء، لأن كل حجر وطينة يصل إليه صوت الأذان، يشهد لكم يوم القيامة.

□ بعد أن قسّم الإمام علي عليه السلام أموال بيت المال، صلى ركعتين وخاطب الأرض قائلاً لها: «اشهدي أنني ملأتك بحق وفرغتك بحق»^(٢).

□ جاء في الروايات أنّ الأرض تشهد على النحو التالي حيث تقول: أنجز فلان بالوقت الفلاني، العمل الفلاني فوقي^(٣).

□ «مقال» من «ثقل» بمعنى ميزان القياس. وقد تكون كلمة «ذرة» بمعنى النملة أو بمعنى الجزيئات الخفيفة المتطايرة في الهواء. واليوم يُطلق على الجزء الصغير من الأجسام وهو المركّب من نواة وإلكترونات. وعلى أيّ حال فإنّ المقصود بها هو أصغر وحدة للوزن.

□ جاء في الروايات: دخل رجل عربي إلى مسجد النبي الأكرم وقال: «علّمني مما علمك الله» فأمر عليه السلام شخصاً بأن يعلمه القرآن. فقرأ له المعلم سورة الزلزلة وما أن وصل إلى آية ﴿وَمَنْ يَقْمَلْ مِثْقَالَ﴾، قال الرجل العربي: «كفاني» وذهب. فقال النبي الأكرم عليه السلام: «رجع فقيهاً»^(٤).

□ في سورة لقمان، يقول لقمان الحكيم لابنه: ﴿يَبْنِيْ لَهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِيْ صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾^(٥).

□ تدل شهادة الأرض في يوم القيامة على أنّ الأرض حالياً تدرك ما نقوم به عن علم، وفي ذلك اليوم تقول ما تعلمه بأمر ووحى إلهي.

□ إضافة الزلزال إلى الأرض فيها إشارة إلى العظمة، وكذلك فيها إشارة إلى انتشاره وشموله الأرض كلّها. جاءت عظمة هذا الزلزال كذلك في الآية الأولى

(١) تفسير مجمع البيان.

(٤) تفسير نمونه وتفسير نور الثقلين.

(٢) لآلي الأخبار، ج ٥، ص ٧٩.

(٥) سورة لقمان، الآية ١٦.

(٣) تفسير نور الثقلين.

من سورة الحج: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَفْءٌ عَظِيمٌ﴾. ونقرأ في الخطبة ١٥٧ من نهج البلاغة: «عباد الله احذروا يوماً تفحص فيه الأعمال ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الأطفال».

التعاليم:

- ١ - زلزال الأرض العظيم في يوم القيامة، أمر قطعي وحتمي: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾. (تستخدم كلمة «إذا» في الموارد التي يكون فيها الأمر قطعياً).
- ٢ - المعاد جسماني. (تخرج في يوم القيامة أجسام البشر التي دُفنت في الأرض لا أرواحهم): ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفُسَهُمَا﴾.
- ٣ - يوم القيامة، يوم تحيّر الإنسان: ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾.
- ٤ - الموجودات كلّها حتى ما يبدو أنّه غير عاقل يتوقّف على مستوى ما من الشعور والإدراك: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.
- ٥ - الأرض من شهود يوم القيامة: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.
- ٦ - يُسدّ في يوم القيامة أي سبيل أمام الإنكار: ﴿لَيْسُوا أَعْمَلَهُمْ﴾.
- ٧ - كل الناس سواسية في محكمة العدل الإلهية: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ... وَمَنْ يَعْمَلْ...﴾.
- ٨ - يُبنى العقاب والثواب الإلهيان على أساس العمل: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ... فَمَنْ يَعْمَلْ...﴾.
- ٩ - مهما كان العمل صغيراً، فإن له حساباً وكتاباً؛ لذا لا تستصغروا الذنوب ولا الطاعات: ﴿يُنْفَكَالْ ذُرُّهُ﴾.
- ١٠ - تجسّم الأعمال ورؤيتها في ذلك اليوم هو في حدّ ذاته إمّا عذاب وإمّا لذة: ﴿رَبِّهِ﴾.

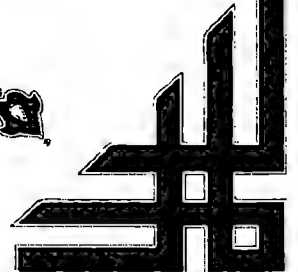
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

السورة: ١٠٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا ①﴾ وَالْمُورِبَةِ قَدَحًا ② وَالْمُغِيرَةِ صَبَحًا ③ فَأَثَرَنَ يَدَهُ نَقْعًا ④
فَوَسَطَنَ يَدَهُ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦
وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨
وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪﴾

إشارات:

□ العدو هو التجاوز وعدوت الشيء تجاوزه. ويُطلق على الركض، عدو لأن فيه تجاوزاً عن حد الحركة العادية. والـ «صَبَحَ» بمعنى صوت نفَس الحصان. والـ «قَدَحَ» بمعنى إشعال النار بضرب الحجر وقده بالصوانة. و«المغيرات» من «إغارة» بمعنى الهجوم السريع. و«صَبَحًا» كناية عن مباغته العدو وإخفاء زمن الهجوم. «أثرن» من «الإثارة» بمعنى النَّشْر. «النَّعْ» هو الغبار، و«كنود» بمعنى كفور. تحمل كلمة «بُعثر» معنى البعث والإثارة أي الاستخراج والتقليب. «حُصِّلَ» بمعنى إخراج النواة من القشرة والتفريق بين الخصال السيئة والحسنة عن بعضها في ذلك اليوم.

□ يؤتَب القرآن الإنسان في بعض الآيات لاتصافه ببعض الصفات، ويصفه بـ: ﴿ظَلُمُوا جَهْلًا ①﴾، ﴿هَلُوعًا ②﴾، ﴿يُتُوسًا ③﴾، ﴿كُفُورًا ④﴾، ﴿جَزُوعًا ⑤﴾،

(١) سورة الأحزاب: الآية ٧٢.

(٢) سورة المعارج: الآية ١٩.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨٣.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٦٧.

(٥) سورة المعارج: الآية ٢٠.

﴿مَنْعًا﴾^(١)؛ ولكنه من جهة أخرى يقول عن الإنسان: ﴿كَرَمًا﴾^(٢)،
﴿وَفَقَّلْنَاهُمْ﴾، ﴿أَحْسَنَ تَقْوِيرٍ﴾^(٣)، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾^(٤)، وهذا الازدواج
هو نتيجة وجود بعدين في حركة الإنسان ودوافعه، هما: العقل والغريزة. لو
اتبع مسير عبادة الله وتربية أولياء الله يصير على هيئة، ولو اتبع مسير الهوى
والطاغوت والوساوس، صار على هيئة أخرى.

□ انتقد القرآن الكريم البخل والتعلق الشديد بمال الدنيا؛ لأنه السبب في نسيان
الآخرة ونسيان المحرومين: ﴿وَإِنَّهُمْ لِحَبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

□ عبّر القرآن عن مال الدنيا بكلمة «الخير»: ﴿لِحَبِّ الْخَيْرِ﴾؛ ليفهم الناس أنه
يجب تحصيل المال من طريق الخير وصرفه في طريق الخير وبنية الخير
وبأسلوب خير.

التعاليم:

١ - إنَّ للجهاد والدفاع قيمة عظيمة لدرجة أنَّ الله تعالى أقسم بصوت أنفاس
خيول المجاهدين: ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾.

٢ - على المسلمين أن يكونوا فرساناً. (يحمل القسم بالخيول نفسه نوعاً من
التشجيع على ركوب الخيل الهادف): ﴿وَالْعَدِيدِ صَبَحًا﴾.

٣ - تسير الخيول في سبيل الله؛ أما الإنسان فإنه يُعاند الله: ﴿وَالْعَدِيدِ... إِنَّ
الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

٤ - السرعة في العمل، أمرٌ له أهميته وقيمه في الجهاد ضدَّ العدو: ﴿وَالْعَدِيدِ
صَبَحًا﴾.

٥ - استغلوا غفلة العدو للهجوم عليه: ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا﴾.

(٤) سورة التين: الآية ٤.

(٥) سورة الحجر: الآية ٢٩.

(١) سورة المعارج: الآية ٢١.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

- ٦ - باغتوا العدو بطريقة تصبحون فيها فجأة في وسطه؛ بحيث لا تبقى له فرصة لمواجهتكم: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمًّا﴾.
- ٧ - يضع الجحود وحب المال الإنسان في الجبهة المقابلة للحق: ﴿وَالْعَدِيَّةِ... إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ... لِحَبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.
- ٨ - لا تنسوا شهداء المواجهات والإمداد الإلهي: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.
- ٩ - يحمل النصر والتمني الإنسان على الغرور، لذلك فإن التحذير ضروري: ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.
- ١٠ - ضمير الإنسان عالم ومطلع، حتى في المواضع التي يعطي فيها الأعداء والحجج فإنه في الحقيقة عالم بما صنع: ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.
- ١١ - الثروة والمال خير، في الثقافة الإسلامية: ﴿وَأَنَّهُ لِحَبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.
- ١٢ - التعلق بالمال أمر فطري؛ ولكن التعلق المفرط فيه هو المذموم وهو الذي يؤدي بالإنسان من جهة إلى أن يقوم بأي عمل في سبيل الحصول عليه ومن جهة أخرى إلى أن لا يؤدي حقوق الواجب الإلهي: ﴿لَشَدِيدٌ﴾.
- ١٣ - المعاد جسماني؛ لأن الحديث يدور حول القبر: ﴿بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ (يقول تعالى في آية أخرى: ﴿يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^(١)).
- ١٤ - ذكر القيامة عامل لتحذير الجاحدين وعباد المال: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾.
- ١٥ - ستكشف الأسرار الخفية يوم القيامة وستجري المحاسبة على أساس ما خفي في الدنيا وما ظهر: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.
- ١٦ - الله تعالى مطلع بشكل كامل على أفكارنا وأعمالنا. («خير» بمعنى العالم بالظاهر والباطن): ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ... لَخَبِيرٌ﴾.

١٧ - إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالِمٌ بِالنَّاسِ فِي الدُّنْيَا كَذَلِكَ، وَلَكِنْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَظْهَرُ هَذَا الْعِلْمُ لِلْجَمِيعِ: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾.

١٨ - لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَبِيرٌ، فَإِنَّ حَسَابَهُ دَقِيقٌ أَيْضاً: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾.

١٩ - لَا يِعَانِدُ الْإِنْسَانُ الْآخِرِينَ بِهَذِهِ الشَّدَّةِ، وَجُحُودُ الْإِنْسَانِ الشَّدِيدِ هَذَا فِي مُقَابَلِ رَبِّهِ فَقَطْ: ﴿لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْقَطْرِعَتَا

السورة: ١٠١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ ④
الْبَثْوثِ ⑤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ⑥ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑦
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ⑧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑩
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةٌ ⑪ نَارٌ حَامِيَةٌ ⑫ ﴾

إشارات:

- «قارعة» من القرع بمعنى دق الشيء وضربه بشيء آخر. والقارعة إحدى أسماء يوم القيامة، لأن القيامة تبدأ بصيحة قارعة وعذابها قارع.
- جاء في الروايات: أن الإمام علياً عليه السلام وأبناءه المعصومين هم الميزان والمعيار لحساب أعمال الإنسان يوم القيامة^(١).
- قد يكون السبب في استخدام كلمة «موازين» بصيغة الجمع هو أن أعمال الإنسان المختلفة، تُقاس بوسائل مختلفة ولكل عمل ميزانه الخاص.
- «موازين» جمع ميزان ويعني وسيلة القياس، وجلّي أن أعمال الإنسان ليست أمراً مادياً وليس لها وزن وكتلة لتُقاس بالموازين العادية، وإنما لكل عمل من أعمال الإنسان معيار للقياس، خاص به.
- الأم ملجأ لكل الأبناء، ولكن هنا جهنم هي ملجأ بعض البشر ومأواهم.
- «هاوية» من هوى بمعنى السقوط، وجهنم هي محل سقوط بعض الناس.

(١) انظر: بحار الأنوار، ج ٧، ص ٢٥٢.

□ «حامية» من حمى بمعنى شدة الحرارة.

□ تتفتت الجبال مختلفة الألوان وتتكَسَّر قطعة قطعة فتصبح كالصوف المنفوش:
﴿كَالْمُهِنِ الْمُنْفُوشِ﴾؛ «منفوش» من نفش بمعنى فتح الصوف عن بعضه ونفشه
حتى تفكك كل أجزائه عن بعضها^(١).

□ لا يختص الثقل والخفة بالماديات. لذا نقول للكلام الخالي من المعنى: كلام
خفيف. قد يكون المقصود من: ﴿ثَقُلْتَ مَوَازِينُ﴾ و﴿خَفَّتْ مَوَازِينُ﴾ قيمة
العمل وكيفيته وقد يكون المقصود، قلة العمل أو كثرته.

□ عن الإمام علي عليه السلام أن المراد من خفة الموازين وثقلها هو: «قلة الحساب
وكثرته»^(٢).

□ أهان شخص سلمان الفارسي، بقوله من أنت وماذا أنت؟ فقال: أنا وأنت
أولنا نطفة وآخرنا جيفة. هذا في الدنيا، ولكن في القيامة: «من ثقلت موازينه
فهو الكريم ومن خفت موازينه فهو لئيم»^(٣).

التعاليم:

١ - القيامة، قارعة للمستكبرين ولخلق التكبر: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾.

٢ - القيامة أبعد من فكر البشر. حتى النبي لا يعلم عنها من دون بيان من الله:
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾.

٣ - القيامة يوم تحير البشر وضياعهم: ﴿كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾.

٤ - تُنال الجنة بالعمل لا بإعطاء الأعذار: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي
عِشْقٍ رَاضٍ﴾.

٥ - الحياة المليئة بالفرح خاصة بيوم القيامة. ففي الدنيا إلى جانب المكاسب

(١) تفسير راهنما.

(٢) الطبرسي، الاحتجاج، ج ١، ص ٣٦٣.

(٣) تفسير نور الثقلين.

توجد مشكلات المرض، السرقة، الحسد، الخسارة مضافاً إلى أنها عابرة:
﴿عِشْكِرْ رَاضِيَةً﴾.

٦ - الرضا عن الحياة، من علائم مجتمع الجنة: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

٧ - يُبنى العقاب والشواب على أساس العمل، ويُقاس بميزان العدل: ﴿ثُقُلْتَ مَوَازِينُهُ... خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ التَّكْوِيْنِ

السورة: ١٠٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ۚ ١ حَتَّىٰ ذُرُّهُمُ الْمَقَابِرَ ۚ ٢﴾ ۚ لَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ٣
ثُمَّ لَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ ٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۚ ٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۚ ٦
ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۚ ٧ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ النَّعِيمَ ۚ ٨ ﴿

إشارات:

□ التكاثر من الكثرة، بمعنى طلب المزيد والتفاخر على الآخرين بكثرة الأموال والأولاد.

مظاهر التكاثر:

- التكاثر بالشرك وتعدد الأرباب. قال النبي يوسف للمشركين الذين كانوا معه في السجن: ﴿هَؤُلَاءِ آبَاءُكُمْ يُشْرِكُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهِ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(١).
- التكاثر بالطعام. كان بنو إسرائيل يقولون: ﴿لَنْ نَصِيرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَنَجِدَ﴾ نريد طعاماً من أنواع أخرى: ﴿وَوَسَّاهُمَا وَقَوْمَهَا وَعَدِيهَا وَيَصْلِيهَا﴾^(٢).
- التكاثر بالعمر. كـبعض ممن يتمنون أن يُعَمِّروا سنين مديدة: ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾^(٣).
- التكاثر بالمال. جاء في القرآن: يسعى بعضٌ لجمع المال وعده: ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾^(٤).

(٣) سورة البقرة: الآية ٩٦.

(٤) سورة الهمزة: الآية ٢.

(١) سورة يوسف: الآية ٣٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦١.

- التكاثر بالمسكن. يوبّخ القرآن بعضاً ويقول: ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ مَائَةٍ تَبْنُونَ﴾^(١).
- التكاثر بالشهوة. شرّع الإسلام الزواج لحل المسألة الجنسية واعتبر أن التمتع بالزوج لا إشكال فيه: ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَلَهُمْ فِيهِمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، واعتبر أن إرضاء الشهوة بغير طريق الزواج هو تعدّ وتجاوز: ﴿فَمَنِ ابْتَنَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاقُونَ﴾^(٣).
- ﴿أَلَهَنَكُمُ﴾ من (لهو) بمعنى التلهي والتسلي بالأمور الجزئية والتافهة التي تحجب الإنسان عن الأهداف السامية.
- ﴿زُرْتُمُ﴾ من الزيارة و«المقابر» جمع مقبرة.
- تباحث قبيلتان حول تعداد الأفراد، فقرروا أن يعددوا أفرادهم، فذهب الأحياء إلى القبور ليعدّوا الأموات كذلك.
- عن الإمام علي عليه السلام أنه خطب بعد تلاوة هذه السورة، خطبةً مذهلة يصفها ابن أبي الحديد بقوله: وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة في مجلس وتلي عليهم أن يسجدوا له... وإني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود والنمور وأمثالهما من السباع الضارية، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان. وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، وأثرت في قلبي وجيباً وفي أعضائي رعدة ولا تأملتها إلا وذكرت الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودي^(٤). ومما جاء في تلك الخطبة، قوله عليه السلام: «أبائهم يفخرون؟ أم بعيد الهلكى يتكاثرون؟ يرتجعون منهم أجساداً خوت، وحركات سكنت. ولئن يكونوا عبراً أحق من أن يكونوا مفتخراً».

(١) سورة الشعراء: الآية ١٢٨.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٧.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ١٥٣.

□ نُقِلَ عن الإمام علي عليه السلام أَنَّ قوله تعالى ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ في المرّة الأولى مرتبط بعذاب القبر، وفي المرّة الثانية بعذاب الآخرة^(١).

□ اليقين هو الإيمان القلبي وهو أعمق من العلم. مثلاً: كل الناس يعلمون أَنَّ الميت لا يقدر على فعل شيء، ولكنهم غير حاضرين لأن يناموا إلى جانب الميت. ولكن مغسّل الأموات ينام بجانب الميت بكل سهولة. لأن الناس يعلمون فقط، ولكن مغسّل الأموات مؤمن بذلك وقد وصل إلى اليقين في اعتقاده. العمل بالتكاليف الإلهية هو السبيل للوصول إلى اليقين، مثلما وصل مغسّل الأموات إلى اليقين إثر تكرار العمل.

□ بناءً على الروايات، علامة اليقين، التوكل على الله، والتسليم له، والرضا بتقديره، وإيكال الأمور إليه^(٢).

□ ثمة مراتب لليقين. وقد وردت مرتبتان في هذه السورة ووردت مرتبة في سورة القارعة. وهذه المراتب هي: علم اليقين، حق اليقين، وعين اليقين. قد يعلم الإنسان أحياناً بوجود النار بمشاهدته للدخان وهذا علم اليقين. وقد يرى النار نفسها، فيكون عين اليقين، وقد يلمس النار بيده ويشعر بحريقها وهذا هو حق اليقين.

□ المقصود من رؤية النار في الآية: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾، إمّا أن يكون رؤيتها في يوم القيامة، وإما رؤيتها بالعين البرزخية والمكاشفة في هذه الدنيا ويتناسب هذا المعنى أكثر مع اليقين.

□ ورد في عدد من الروايات أَنَّ النعيم الذي سوف يسأل عنه الإنسان يوم القيامة هو شيء آخر غير الطعام والشراب والماء البارد وما شابه، ففي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام: أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَا يَسْأَلُ عِبَادَهُ عَمَّا تَفْضَلُ عَلَيْهِمْ بِهِ، وَلَا يَمْنُ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ. والامتنان بالإنعام مستقبح من المخلوقين فكيف يضاف

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير.

(٢) بحار الأنوار، ج ٧٠، ص ١٣٨.

إلى الخالق ﷻ، ما لا يرضى المخلوق به؟ ولكن النعيم حبنا أهل البيت وموالاتنا يسأل الله عباده عنه بعد التوحيد والنبوة...»^(١).

□ لا يكون التكاثر بعدد الأولاد فقط؛ بل يكون أحياناً بالمال والأولاد: ﴿وَتَكَاتَرُ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾^(٢)، ولذا أوصى القرآن بالقول: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ﴾^(٣).

□ عن النبي الأكرم ﷺ بعد تلاوة هذه السورة: «تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وسدّها في الأوعية»^(٤).

□ وفي شعر منسوب إلى الإمام علي عليه السلام:

يا من بدنياه اشتغل قد غره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

التعاليم:

١ - يجر التفاخر والطمع، الإنسان إلى العيب والأعمال عديمة الفائدة: ﴿أَلْهَمَكُمْ التَّكَاتُرُ﴾.

٢ - الطمع بالمزيد سبب للغفلة عن حساب يوم القيامة: ﴿أَلْهَمَكُمْ التَّكَاتُرُ... لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

٣ - يتمادى حد التكاثر حتى يصل إلى إحصاء الموتى وعدهم: ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

٤ - يجر عدم العلم بأحوال يوم القيامة، الإنسان إلى الانحراف: ﴿أَلْهَمَكُمْ التَّكَاتُرُ... كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾.

٥ - يجب تكرار التحذير في مقابل الأفكار والتصرفات المنحرفة: ﴿كَلَّا... زُكَّالًا...﴾.

(٣) سورة المنافقون: الآية ٩.

(٤) تفسير نور الثقلين.

(١) عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٢٩.

(٢) سورة الحديد: الآية ٢٠.

- ٦ - يستطيع الإنسان أن يرى المستقبل بالإيمان واليقين: ﴿كَأَلَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.
- ٧ - كان للتعداد والكمية أهمية كبيرة في المجتمع الجاهلي لدرجة أنهم كانوا يعدّون الأموات: ﴿حَقَّ ذُنُوبُ الْمُقَاتِلِ﴾.
- ٨ - ثمة عقاب شديد للتكاثر والتفاخر: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَتَاكُثُّ... لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.
- ٩ - التفكير في العاقبة يحول دون التفاخر: ﴿كَأَلَوْ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.
- ١٠ - يجب السعي للوصول إلى اليقين ومعرفة الحقائق لاتقاء أخطار يوم القيامة: ﴿كَأَلَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾.
- ١١ - من شغلته الدنيا، لا يصل أبداً إلى مرحلة اليقين: ﴿كَأَلَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ (تُستخدم كلمة لو في الموارد غير الممكن حدوثها).
- ١٢ - ثمة درجات للإيمان واليقين: ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ... عَيْنَ الْيَقِينِ﴾.
- ١٣ - يكون الحساب في يوم القيامة على أساس الإمكانيات التي أعطاها الله تعالى لكل شخص؛ لذا يختلف حساب كل شخص عن الآخر: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّبِيهِ﴾.

والحمد لله رب العالمين،

سُورَةُ الْعَصْرِ

السورة: ١٠٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾

إشارات:

□ كان المسلمون في صدر الإسلام يتلون هذه السورة عند توديع بعضهم بعضاً^(١).

□ أقسم الله تعالى في القرآن بكل الأوقات: الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ﴾^(٢)، الصبح: ﴿وَالصُّبْحِ﴾^(٣)، النهار: ﴿وَالنَّهَارِ﴾^(٤)، الليل: ﴿وَاللَّيْلِ﴾^(٥)، الضحى: ﴿وَالضُّحَى﴾^(٦)، السحر: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾^(٧)، العصر: ﴿وَالْعَصْرِ﴾. وقد أقسم بالسحر أكثر من مرة.

□ نُقل في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام أن المقصود من العصر، خروج الإمام المهدي (عج)^(٨).

□ ذهب بعض إلى أن المقصود من العصر، هو عصر ظهور الإسلام. وأخذ بعض آخر العصر بمعناها اللغوي أي الضغط. لأنَّ الضغوط هي التي تؤدي بالإنسان إلى السعي والابتكار وتذهب غفلته. وقال بعض ثالث إنَّ المقصود من عصر،

- | | |
|--------------------------------|----------------------------|
| (١) تفسير نمونه؛ الدر المنثور. | (٥) سورة الليل: الآية ١. |
| (٢) سورة الفجر: الآية ١. | (٦) سورة الضحى: الآية ١. |
| (٣) سورة التكويد: الآية ١٨. | (٧) سورة المدثر: الآية ٣٣. |
| (٤) سورة الليل: الآية ٢. | (٨) تفسير نور الثقلين. |

عصارة وجود الإنسان أي الإنسان الكامل. وقال آخرون إنها صلاة العصر^(١).

□ يمكن جبران الخسارة المالية؛ ولكن الخسارة الإنسانية أعظم خسارة: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٢).

□ قد يُصاحب توصية الناس بالحق، آثار أليمة لذا يجب مواجهتها بالصبر والثبات: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

□ يقول الفخر الرازي: الإنسان في الدنيا كبائع الثلج، يذوب رأسماله في كل لحظة ويجب أن يبيعه في أسرع وقت ممكن وإلا فإنه سيخسر^(٣).

□ على الرغم من أن التواصي بالحق والصبر من الأعمال الصالحة، إلا أنهما عُرضا بشكل منفرد لبيان أهميتهما. وكذلك الصبر والثبات حق وتشمله الآية: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، إلا أن الصبر ذكر بصورة مستقلة لأهميته: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

□ عَدَّ القرآن الكريم الفضل والرحمة الإلهيين في آية أخرى، عاملاً للبعد عن الخسارة. إذ يقول: ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٤)، ولهذا، يتحقق الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق في ظل الفضل والرحمة الإلهيين. ولن يهتدي الإنسان إلى الإيمان من دون لطف الله، ولن يكون من أهل العمل الصالح.

سوق الدنيا:

نصل من خلال نظرة إجمالية إلى آيات القرآن الكريم إلى النقطة الأساس وهي أن الدنيا عبارة عن سوق يقوم كل الناس بعرض عمرهم، وقدراتهم، واستعداداتهم، وبيع البضائع فيه، وهذا كله إلزامي، إذ يقول الإمام علي عليه السلام:

(١) تفسير نمونه.

(٣) التفسير الكبير.

(٢) سورة الزمر: الآية ١٥.

(٤) سورة البقرة: الآية ٦٤.

«نفس المرء خُطاه إلى أجله»^(١). إذاً، فإنَّ الإنسان بالإجبار، يخسر في كل لحظة رأسماله، أي عمره، ونحن لا نستطيع أن نمنع ذهاب عمرنا وقدراتنا، شئنا أم أبينا فإننا سنخسر وقتنا وقدرتنا، لأجل هذا، فإنَّ المهم في هذا السوق هو اختيار المشتري، المشترون الذين يتعاملون مع الله تعالى، ويعطون كل ما يملكون بإخلاص، ويسرون في سبيله ولأجل رضاه، هؤلاء، قد خلدوا عمرهم الفاني واستبدلوا الدنيا بالجنة والرضوان الإلهي، هؤلاء هم الفائزون الحقيقيون:

أولاً: لأنَّ مشتريهم هو الله تعالى الذي يملك كل الوجود.

ثانياً: يشتري كذلك الأشياء البسيطة التي لا تذكر: ﴿فَمَنْ يَمَلِّ وَيُشَقَّالَ دَرَرًا خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٢).

ثالثاً: يشتري بثمان مرتفع والقيمة هي الجنة الأبدية: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾^(٣).

رابعاً: إذا سعينا للقيام بعمل صالح ولكن لم نوفق للعمل، فإنه يشيبننا كذلك: ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ يعني إذا سعى الإنسان، وإن لم يوفق إلا أنه يُثاب على سعيه.

خامساً: يضاعف الثواب أضعافاً مضاعفة: ﴿أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾^(٤). بناءً على ما جاء في القرآن فإنه يضاعف الثواب سبعة مرّة، وثواب الإنفاق الصالح كحبة أنبت سبع سنابل وفي كل سنبل مئة حبة.

ولكن الأشخاص الذين يبيعون في هذا السوق عمرهم بهوى أنفسهم أو بهوى الآخرين ولا يسعون إلى رضا الله، فقد احتملوا خسارة عظيمة، وقد ذكر القرآن تعابير عدة عنهم:

﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِوَدِّ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٥)، ﴿فَمَا رَاحَتِ يَحْتِرْتُهُمْ﴾^(٦)، ﴿خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾^(٧)، ﴿خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾^(٨)، ﴿لَنِي خُسْرٍ﴾^(٩).

(٦) سورة البقرة: الآية ١٦.

(٧) سورة الأعراف: الآية ٥٣.

(٨) سورة النساء: الآية ١١٩.

(٩) سورة العصر: الآية ٢.

(١) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٧٤.

(٢) سورة الزلزلة: الآية ٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٣٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٣٠.

(٥) سورة البقرة: الآية ٩٠.

في نظر هؤلاء الناس، الشخص الذكي والفظن هو من يستطيع أن يهيئ لنفسه حياة مرفهة ولو بأي طريقة باطلة كانت أم حقة، وأن يكون له شهرة وشعبية في المجتمع أو أن يكسب مقاماً أو وساماً، وفي غير هذه الحالات يعدونه خاسراً، متخلفاً، وبائساً.

ولكن في الثقافة الإسلامية، الشخص الفظن هو من يحاسب نفسه ولا يتركها لهواها، ويعمل للحياة الأبدية، ويكون يومه أفضل من أمسه، ولا يغفل عن الموت، ويسعى إلى التقوى، والقناعة، والعدالة، بدلاً من الفساد، والبخل، والظلم.

□ عن الإمام الهادي عليه السلام: «الدنيا سوقٌ، ربح قوم وخسر آخرون»^(١).

التعاليم:

- ١ - الزمان ذو قيمة وقد أقسم الله تعالى به. فلنعتبر إذاً من عبره: ﴿وَالْمَصِيرُ﴾.
- ٢ - الإنسان خاسر من كل الجهات: ﴿لَنِي خُسْرٌ﴾.
- ٣ - الإنسان المطلق الخارج عن مدار تربية الأنبياء، في حال خسارة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِنَفْسٍ خُسْرٍ﴾.
- ٤ - الطريق الوحيد للوقاية من الخسارة هو الإيمان والعمل الصالح: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.
- ٥ - لا يكفي أن يفكر الإنسان في نفسه فقط. يفكر المؤمن في إرشاد الآخرين: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾.
- ٦ - التواصي بالصبر واجب بمقدار التواصي بالحق نفسه: ﴿بِالْحَقِّ... بِالصَّبْرِ﴾.
- ٧ - الإيمان مقدّم على العمل، كما أن بناء النفس مقدّم على بناء المجتمع: ﴿ءَامِنُوا وَعَمِلُوا... وَتَوَاصَوْا﴾.
- ٨ - من دون الإيمان، والعمل الصالح، وتوصية الآخرين بالحق والصبر، ستكون

(١) تحف المعول، كلمات الإمام الهادي.

خسارة الإنسان جسيمة: ﴿لَفِي خُتْرٍ﴾ (استخدام (خُسْر) بصيغة النكرة وتنوينها دليلاً على فداحة الخسارة).

٩ - تحتاج إقامة الحق إلى الثبات: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

١٠ - سيصلح المجتمع إذا ما شارك كل الناس في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فينصحون ويقبلون النصيحة: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ (كلمة (تواصوا) تعني أن العمل متبادل بين طرفين).

١١ - تتحقق النجاة من الخسارة إذا ما قصد الإنسان القيام بكل الأعمال الصالحة، حتى وإن لم يُوفق للقيام بها: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (جاءت كلمة (الصالحات) بصيغة الجمع المحلّى بالألف واللام).

١٢ - يجب أن يكون الإيمان كلياً لا جزئياً أي الإيمان بكل أجزاء الدين لا ببعضها فقط: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (ورد الإيمان المطلق، ليشمل كل المقدسات).

«والحمد لله رب العالمين»

سورة الهنزة



سُورَةُ الْهَنْزَةِ

السورة: ١٠٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٩



سورة الهنزة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۚ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ، (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ، (٣)
 كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۚ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۚ (٥) نَارُ اللَّهِ الَّتِي تَمُودُ ۚ (٦)
 الَّتِي تَطْلُعُ عَلَى الْأَفْقِ (٧) لَمَّا هَمَزَ عَلَيْهِمْ مَوْعِدُهُ ۚ (٨) فِي عَمَرٍ مُمَدَّدَةٍ ۚ (٩)﴾

إشارات:

□ «همزة» من همز بمعنى السخرية من الآخرين عن طريق العين والحاجب و«اللمز» هو السخرية باللسان. والتاء في آخر الكلمتين، للمبالغة كمثل (ضحكة) أي الشخص الذي يضحك كثيراً.

□ «الحطم» يعني التفتت والتكسر بشكل كامل. تُطلق كلمة «مؤصدة» على الحفرة التي تُحفر في الجبل ويُغلق بابها بإحكام.

□ قد يكون المقصود من «عمد ممددة»، المسامير الطويلة التي يُدقها الجلادون في الناس لتعذيبهم وسجنهم، أو يكون المقصود السنة اللهب العظيمة الممتدة كالأعمدة العالية.

□ طبقاً لما قاله القرآن، إذا ما توجهنا إلى الله أولاً وبعده إلى المال فذلك أمر جيد: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا...﴾^(١)، ولكن إذا ما توجهنا إلى المال بدلاً من الله فذلك موضع للانتقاد: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا...﴾^(٢).

□ السخرية والاستهزاء حرام وممنوع بأي شكل كان. في غياب الشخص أو حضوره، باللسان أو بالإشارة، سواء بقصد الجد أم الدعابة، كبيراً كان أم صغيراً، سواء ارتبط بتصرفات الشخص وأعماله أم بخلق الطبيعة.

□ يتلذذ بعض الناس بعد أموالهم والتباهي والتمتع بها ويظنون أن هذه الثروة ستدوم لهم وستخلدهم في الدنيا ولن يصيبهم المرض والموت. ذم القرآن الكريم هذا التفكير وقال: هذه النظرة إلى الدنيا تجعل الإنسان من أهل النار. ولكن امتلاك المال والاستفادة منه نفسه، ليس مذموماً.

□ جاء في آخر هذه السورة أن جزاء أهل اللمز والسخرية هو جهنم المؤصدة أبوابها، وهذا النوع من العذاب خاص بالكافرين، فيستتج من هذا أن السورة تتحدث عن الأشخاص الذين يسخرون من الأنبياء الإلهيين.

التعاليم:

١ - من آفات امتلاك الثروة وأخطارها، تحقير الآخرين: ﴿هُمَزَرُوا لَمَزَوْا... جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾.

٢ - المسائل الأخلاقية جزء من الدين. وعلى الإنسان المؤمن أن يتحكم بنظراته ولسانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.

٣ - علينا أن نحذر من خداع الدنيا لنا وألا نغترّ بالمال: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾.

٤ - فلينتظر أولئك الذين يسعون لجمع المال واحتكاره بدلاً من إنفاقه، عذاب الآخرة المُحْطَم: ﴿جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ... لِيُبْدَنَّ فِي الْخَطْمَةِ﴾.

٥ - السخرية والاستهزاء، من الذنوب الكبيرة؛ لأنه قد ورد في حق مرتكبيها التوعد بالعذاب: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ... لِيُبْدَنَّ فِي الْخَطْمَةِ﴾.

٦ - لا يسلط الله النار على الجسم فقط، بل تنفذ إلى أرواح المجرمين وقلوبهم: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَلْجَأُ عَلَى الْآفِئَةِ﴾.

- ٧ - يعجز فكر البشر عن درك حقائق الجنة وجهنم: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾.
- ٨ - تسد أعمدة النار العالية طريق الهروب أمام أهل النار: ﴿مُؤَصَّدَةٌ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

السورة: ١٠٥ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحْقَبِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ﴿٣﴾ أَبَابِيلَ ﴿٤﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٥﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

□ على عكس ما هو معروف بين الناس، فإن «أبابيل» ليست اسم طائر خاص. ولكنها بمعنى أفواج أفواج ومجموعات ومجموعات. «طَيْرًا أَبَابِيلَ» تعني أفواج الطيور في مجموعات متفرقة، هجمت عليهم. كلمة «طيراً» تشير إلى جنس الطيور، لا إلى كلمة طائر بنفسها.

□ ورد في سبب نزول هذه الآية: كان في اليمن ملك اسمه أبرهة وقد بنى معبداً من المرمر وأمر الناس بأن يزوروه ويطوفوا حوله. تطاول رجلٌ عربي على هذا المعبد. فجهّز أبرهة جيشاً راكباً على الفيلة وسيّره إلى مكة حتى يهدم الكعبة انتقاماً لذلك التطاول.

فأرسل الله تعالى عليهم بالمقابل طيوراً تحمل في مناقيرها حجارة. وبهطول الحجارة أصبح جيش أبرهة كالعصف المأكول وهوى إلى الأرض وهلك. سُمي ذلك العام بعام الفيل وولد النبي الأكرم في ذلك العام^(١).

(١) في سنة ١٣٥٨ من التقويم الهجري الشمسي (الموافق ١٩٧٩ للميلاد)، بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران واحتلال الطلاب المسلمين للسفارة الأميركية، أرسلت الولايات المتحدة عدداً من الطائرات والمروحيات إلى إيران لتحرير رهانها وإسقاط النظام الإسلامي؛ ولكن إرادة الله أثارت عاصفة رملية في صحراء طبرستان تعطل على أثره عددٌ من الطائرات واحترق طياروها وعددٌ آخر من الطائرات لاذ بالفرار وتركوا المنطقة.

□ هلك أصحاب الفيل وأذلّوا كذلك: ﴿كَمَصَفٍ مَّاكُولٍ﴾ التشبيه بالعصف الذي أصبح طعاماً للحيوانات، هو أسوأ إذلال وتحقير.

التعاليم:

- ١ - استفيدوا من الأمثلة القريبة والموجودة لتحذير المجرمين. (كان أصحاب الفيل معروفين لدرجة أنه يتحدث عنهم وكأنهم كانوا أمام أعينهم وليسوا بحاجة للدليل والإثبات): ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٢ - لا تنسوا التاريخ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.
- ٣ - كانت الكعبة مقدسة قبل الإسلام كذلك، وإهانة المقدسات تستحق العقاب: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.
- ٤ - القهر الإلهي للمجرمين من تجليات ربوبية الله: ﴿فَعَلَ رَبُّكَ﴾.
- ٥ - تملك الطيور الشعور وهي مأمورة من الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.
- ٦ - من المهم الاطلاع على خطط العدو وفضح أمرهم: ﴿يَجْعَلُ كَيْدُهُمْ فِي تَضَلِيلٍ﴾.
- ٧ - يستفيد العدو من أكبر التجهيزات الحربية (من مثل الفيل) للهجوم، ولكن الله تعالى يهلكهم بأبسط الحيوانات من مثل طيور السماء: ﴿يَأْتِيهِمْ الْفِيلُ... طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾.
- ٨ - مهما كان أعداء الله مجهّزين، إلا أنهم عاجزون: ﴿يَأْتِيهِمْ الْفِيلُ... كَمَصَفٍ مَّاكُولٍ﴾.
- ٩ - أشد العقوبات هي جزاء إهانة المقدسات. (الأقوام الأخرى التي هلكت، لم يصبح أي منها عصفاً مأكولاً، إما أنهم سقطوا على الأرض أو أغرقوا في الماء): ﴿جَعَلَهُمْ كَمَصَفٍ مَّاكُولٍ﴾.

والحمد لله رب العالمين



سُورَةُ قُرَيْشٍ

السورة: ١٠٦ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ ۝١ إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣
الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝٤﴾

إشارات:

- ذهب بعض المفسرين إلى أن هذه السورة تنتم للسورة السابقة واستندوا إلى روايات في أن الفصل بين هاتين السورتين في الصلاة غير جائز، كمثل سورتي (الضحى) و(الانشراح). لو كان أبرهة قد انتصر، لكان معاش قریش قد تبدد، ولأجل الحفاظ على معاش قریش أهلك الله تعالى أصحاب الفيل.
- رحل أي سلك الطريق ركوباً على راحلة أو مركب. كان لقریش سفيران تجاريان، أحدهما في الشتاء إلى اليمن والآخر إلى الشام في الصيف.
- في مقابل العرف الجاهلي الذي كان يعتبر الحرب وإراقة الدماء أمراً قيماً، فإن تكرار كلمة إيلاف وألفة يشير إلى اللطف والرحمة الإلهية بقریش.
- الأسفار التجارية سبب في انتعاش الاستيراد والتصدير وتحسين المعيشة والتبادل الثقافي.
- بعد هلاك أصحاب الفيل، صار الناس يقولون بحرمة خاصة لأهل الحرم.

التعاليم:

- ١ - انهزام العدو، عامل لاتحادكم: ﴿يَجْعَلُهُمْ كَمَصْفٍ مَّأْكُولٍ... لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾.
- ٢ - الوحدة والألفة بين طبقات المجتمع، من النعم الإلهية: ﴿لَا يَلْفُ قُرَيْشٌ﴾.

- ٣ - إذا لم تحلّ المسائل الاقتصادية والأمنية في المجتمع، فلا يمكن دعوة الناس إلى العبادة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا... الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ... وَءَامَنَهُمْ﴾.
- ٤ - شكر المنعم أحد أهداف العبادة: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.
- ٥ - يدبّر الله تعالى أمور مكة والكعبة: ﴿رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ﴾.
- ٦ - يجب أن يكون تأمين المعيشة وأمن المجتمع في جهة العبادة والتعبّد لله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا... الَّذِينَ أَطْعَمَهُمْ... وَءَامَنَهُمْ﴾.
- ٧ - من خصائص البشر، الجوع والحاجة إلى الطعام. وتأمين هذه الحاجة دليل على لطف الله ورحمته: ﴿أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾.
- ٨ - إحلال الأمن ورفع أسباب الخوف، شأن إلهي: ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.
- ٩ - يؤيد الإسلام السفر لأجل كسب المعاش: ﴿رِحْلَةَ الْشِتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

السورة: ١٠٧ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ ۚ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۚ وَلَا يُحِصُّ عَلَىٰ
طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۚ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۚ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ
يُرَاءُونَ ۚ وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ ۚ﴾

إشارات:

□ تصف هذه السورة الأفراد السيئين بأنهم:

- الأشخاص الذين ينظرون نظرة سيئة إلى الدين: ﴿يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾.
- يتعاملون مع المسكين واليتيم بسلبية ويطردونهم: ﴿يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يُحِصُّ﴾.
- ليسوا مخلصين ويؤدّون عباداتهم بطريقة سيئة: ﴿سَاهُونَ... يُرَاءُونَ﴾.
- لا يخدمون الناس: ﴿وَيَسْتَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

□ المقصود هنا من الدين في هذه الآية هو: يوم القيامة، من مثل: ﴿مَلِكِ يَوْمِ
الْدينِ﴾.

□ الدّع هو الطرد بقسوة، والحضّ هو التشجيع وترغيب الآخرين.

□ المقصود من التكذيب بالمعاد والدين في هذه السورة، التكذيب بالقلب لا
بالقول؛ لأنّ المخاطبين بالسورة هم أشخاص يصلّون؛ ولكن صلاتهم فيها رياء
وتظاهر وسهو وغفلة.

□ «الماعون» من معن بمعنى الوسائل والأدوات التي يعيها بعض الجيران عادة
إلى بعضهم الآخر؛ ليقضوا حاجاتهم، مثل قدور الطبخ في الولاثم.

□ الدين مجموعة واحدة متكاملة. لا تُفصل الصلاة عن إطعام المسكين ومساعدة المحروم.

□ جاء في الروايات أنَّ السهو بمعنى التهاون في الصلاة وتركها وإضاعته^(١).

□ المحاسبة على الحضور في صلاة الجماعة، لأجل حفظ الشعائر الإلهية، منفصل عن المحاسبة على الرياء والتظاهر لأجل الأهداف النفسية.

□ جاء في الحديث: من يمتنع عن إعطاء أدوات منزله لجيرانه، يمنع عنه الله تعالى يوم القيامة لطفه^(٢). ونقرأ في حديث آخر أنهم سألوا: عندنا جيران كلما أعرناهم شيئاً خربوه أو كسروه، هل نقترف إثماً إذا لم نعرهم؟ فأجاب النبي ﷺ إنه لا يحرم المنع في هذه الحالة^(٣).

□ جاء في الحديث: «ويل لمن لا يهتم لأوقات الصلاة، ولا يصلي في أول الوقت»^(٤).

□ عن الإمام الصادق عليه السلام: «الماعون أيضاً وهو القرض يقرضه والمناع يعيره، والمعروف يصنعه، ومما فرض الله ﷻ أيضاً في المال من غير الزكاة»^(٥).

□ تصل قسوة قلب الإنسان إلى حد لا يقدم معه على:

- مساعدة المسكين المبلى بأصعب أنواع الفقر.

- تقديم أهم حاجة للإنسان يعني الطعام، حتى بمقدار الحاجة اللازمة،

وليس للتخزين والادّخار.

- بل يمتنع حتى عن تشجيع الناس على الإنفاق.

نظرة إلى مسألة الرياء:

الرياء والسمعة آفتان عظيمتان، يهددان الأشخاص المؤمنين. الرياء هو أن

(١) تفسير نور الثقلين.

(٤) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٥) الكافي، ج ٣، ص ٤٩٩.

(٣) المصدر نفسه.

يقوم الإنسان بعمل ليراه الناس. والسُّمعة هي أن يقوم بعمل ويكون هدفه أن يصل ما قام به إلى مسامع الناس. هذان العملان من علامات النفاق. مثلما يقول القرآن عن المنافقين: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتَالَى يَرَاءُونَ النَّاسَ﴾^(١)، كما أنهم لا يساعدون الآخرين إلا مكرهين لا عن رضا: ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ﴾^(٢).

بناءً على الروايات، يمتلك المرائي ظاهراً جميلاً وباطناً مريضاً. في الظاهر هو من أهل الخشوع والتواضع؛ ولكن في الباطن فإنه لا يتوانى عن الذنب. هو في الظاهر حمل وديع وفي الباطن ذئب. بدلاً من أن يكسب الآخرة بالدنيا، فإنه يترك الآخرة لأجل الدنيا. وسيء الاستفادة من ستر الله عليه ويرتكب الذنب. عن النبي الأكرم: أشد عذاب هو لمن يرى الناس فيه خيراً في حين أنه لا خير فيه. ترفع الملائكة أعمال بعض الناس؛ ولكن يأتي الخطاب قائلاً: ردوها، فلم يكن يريد الله بعمله.

الرياء في الثقافة الإسلامية هو نوع من الشرك، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام عن الشخص الذي يعمل الخير، لكن ليس لله بل ليسمع الناس بعمله ويمدحوه: «هو مشرك، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾»^(٣)^(٤).

علامة المرائي أنه إن مدحه الناس يزيد من عمله الصالح وإن لم يمدحوه قلل من عمله. وجدير بالذكر أن كل هذا التوبيخ والتفريع هو للأشخاص الذين يقومون بأعمالهم منذ البدء لغير الله، ولكن إذا قام الإنسان بالعمل منذ البدء لله فقط، وعلم الناس بعمله، فسره ذلك فلا مانع من ذلك. وقد سئل الإمام الباقر عليه السلام، فقال: «لا بأس، ما من أحدٍ إلا وهو يحب أن يظهر له في الناس الخير، إذا لم يكن صنع ذلك لذلك»^(٥).

(٢) سورة التوبة: الآية ٥٤.

(١) سورة النساء: الآية ١٤٢.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٤) مجموع الروايات، من ميزان الحكمة، مبحث الرياء.

(٥) الكافي، ج ٢، ص ٢٩٧.

الإخلاص:

الإخلاص، مقابل للرياء والسمعة. جاء في الحديث: لا يقبل الله إلا المخلصين: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(١) «من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت بناييع الحكمة من قلبه إلى لسانه»^(٢) وعلامة الإيمان الكامل هي الحب والبغض والعفو أو عدم العفو في الله، وأفضل عبادة هي الإخلاص. ونُقل عن السيدة الزهراء أنها قالت: «من أصدق إلى الله خالص عبادته أهبط الله ﷻ أفضل مصلحته»^(٣).

التعاليم:

- ١ - التكذيب العملي ليوم القيامة من قبل أهل الإيمان، أمر باعث على التعجب والتساؤل: ﴿أَرَأَيْتَ أَلَيْسَ﴾.
- ٢ - يُبعد طرد اليتيم الإنسان عن الله تعالى: ﴿يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ... يَدْعُ أَلَيْتَهُ﴾.
- ٣ - مراعاة اليتيم والاهتمام بالجوعى والمحرومين، علامة الإيمان ومن لا يهتم يكون بلا دين: ﴿يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ... يَدْعُ أَلَيْتَهُ﴾.
- ٤ - ثمة ارتباط عميق بين العقيدة والعمل. (لا أن طرد اليتيم، أمر جزئي، فقد تُنبئ أحياناً عما هو أخطر كتكذيب الدين): ﴿يُكَذِّبُ بِالذِّبِّ... يَدْعُ أَلَيْتَهُ﴾.
- ٥ - الحاجات العاطفية، مقدّمة على الحاجات الجسمية. (أولاً حب اليتيم ثم إشباع المسكين): ﴿يَدْعُ أَلَيْتَهُ... طَعَا أَلَيْتَهُ﴾.
- ٦ - ليس لكل صلاة قيمة، ولا يدخل كل من صلى إلى الجنة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾.
- ٧ - السهو حتى لو كان ناشئاً عن التقصير وعدم الاهتمام، يستحق التوبيخ: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.

(١) سورة الزمر: الآية ٣.

(٢) البهار، ج ٦٧، ص ٢٤٩.

(٣) جامع الاخبار، ص ٩٤.

- ٨ - يمكن غفران السهو في الصلاة وجبرانه، ولكن السهو عن الصلاة، يعني ترك الصلاة، غير قابل للغفران: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ (وليس (في صلاتهم)).
- ٩ - يكمن الخطر في أن يكون العمل السيئ هو سيرة الإنسان الدائمة: ﴿يَكْذِبُ... يَدْعُ... وَلَا يَحُضُّ﴾ (صيغة الفعل المضارع تدل على استمرار الفعل).
- ١٠ - الإخلاص شرط لقبول الصلاة والعبادة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ... يَرَاءُونَ﴾.
- ١١ - لا يختص إطعام الفقراء بالأغنياء، الكل مكلف، حتى لو بتشجيع الآخرين وتحفيزهم فقط: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.
- ١٢ - يشمل الويل الشخص الذي يغفل في بعض الأوقات عن الصلاة، فكيف بالشخص الذي يترك الصلاة دائماً! ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ... عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.
- ١٣ - ثمة عقاب على عدم الاكتراث باحتياجات الناس الضرورية: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.
- ١٤ - خدمة الناس إلى جانب الصلاة: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.
- ١٥ - الغفلة عن الصلاة، عامل ممهد لغفلة الناس: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.
- ١٦ - عدم الاهتمام بالجوعى، دليل على عدم الاعتقاد بالقيامة: ﴿يَكْذِبُ بِالذِّبِّ... وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾.
- ١٧ - السهو عن أصل الصلاة وحقيقتها هو الخطير، لا السهو عن عدد الركعات الذي قد يكون عارضاً قابلاً للجبران: ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾.
- ١٨ - الأشخاص الذين يتعدون عن الله، يسعون إلى كسب المقام عند الآخرين عن طريق الرياء: ﴿يَكْذِبُ... يَرَاءُونَ﴾.
- ١٩ - البخل علامة فارقة عند منكري المعاد، إذ إنهم يمتنعون حتى عن إعارة الأشياء البسيطة عديمة القيمة ويبخلون: ﴿يَكْذِبُ... وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ الْكَوْثَرِ

السورة: ١٠٨ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣



ملاحح سورة الكوثر

تحتوي هذه السورة على ثلاث آيات وقد نزلت في مكّة. وهي أصغر سور القرآن الكريم.

اسم السورة مأخوذ من الآية الأولى ويعني الخير الكثير والوفير.

ورد في روايات متعددة عن الشيعة والسنة، أن العاص بن وائل، والد عمرو بن العاص الذي كان من كبار مشركي مكّة، بعد أن رحل كل أبناء النبي المذكور عن الدنيا ولم يعد عنده غلام، نعت النبي من باب السخرية والإهانة بالأبتر وقال إنه لا خلف له.

أنزل الله تعالى سورة الكوثر لمواساة النبي وللرد على هذا الكلام الخاطيء، وقال إن عدوك هو المقطوع النسل، وأخبر عن بقاء نسل النبي وفكره ودوامهما.

ورد في الروايات الوعد للأشخاص الذين يقرأون هذه السورة في الصلوات الواجبة والمستحبة، بالشرب من حوض الكوثر في يوم القيامة^(١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾

إشارات:

□ يستخدم الله تعالى ضمير المفرد في مقام الدعوة إلى التوحيد، كمثل: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^(١)، ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾^(٢)، ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾^(٣). وكذلك في الموارد التي ينجز الله بها العمل من دون واسطة أو في مقام بيان الرابطة العميقة بين الخالق والمخلوق، يستخدم الضمير المفرد من مثل: ﴿أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٤)، ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾^(٥).

ولكن تكون الآية أحياناً في مقام بيان عظمة الله وشرف النعمة، ففي هذه الموارد يستخدم ضمير الجمع من مثل (إِنَّا)، كما ورد في الآية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾ لأنَّ العطاء الإلهي لأشرف خلق الله، وليس أي عطاء بل هو الكوثر، يجب أن يكون ذكره مصاحباً للتعظيم.

وكذلك في الموارد التي يقوم الله بالعمل عن طريق الواسطة، كالمطر الذي ينزل بواسطة أشعة الشمس وإيجاد البخار والسحاب، يستخدم ضمير الجمع، كقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(٦).

□ من بين سور القرآن المئة والأربع عشرة، بدأت أربع سور بكلمة (إِنَّا): سور الفتح، نوح، القدر والكوثر: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾.

في بداية إحدى هذه السور الأربع، ذكر النبي نوح أول أنبياء أولي العزم وهو أبو البشر الثاني من بعد النبي آدم. في بداية السور الثلاث الأخرى، أشير

(٤) سورة الحجر: الآية ٤٩.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٥٢.

(٦) سورة المؤمنون: الآية ١٨.

(٣) سورة طه: الآية ١٤.

إلى النعم الخاصة من مثل نزول القرآن، النصر المبين وإعطاء الكوثر. قد يكون ثمة ارتباط بين هذه المواضيع الأربعة، إذ يُبين أحدها رسالة أحد أنبياء أولي العزم، والآخر نزول آخر كتاب سماوي، والثالث انتصار دين الإسلام، والرابع استمرار خط الرسالة وعدم بقائه أبتَر.

□ كلمة «كوثر» مأخوذة من الكثرة وتعني الخير الكثير والوفير. ومن الواضح أنّ هذا المعنى يمكن أن يكون له أكثر من مصداق من مثل الوحي، النبوة، القرآن، مقام الشفاعة، العلم الكثير، والأخلاق الحسنة، ولكن يدل آخر هذه السورة على أنّ المقصود من الكوثر هو النسل المبارك للنبي الأكرم؛ لأن العدو الحاقد تناول على النبي بكل وقاحة ونعته بالأبتَر، فقال الله تعالى دفاعاً عن نبيّه: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. لهذا، إن لم يكن النسل هو المقصود من الكوثر، فلن نجد معنى مناسباً للربط بين الآية الأولى والأخيرة من هذه السورة.

□ تستخدم كلمة «أبتَر» في الأصل على الحيوان مقطوع الذنب وتُطلق اصطلاحاً على الشخص الذي لم يبقَ له نسل من بعده. ولأن أبناء النبي الذكور قد رحلوا كلهم عن الدنيا، فقال الأعداء: ليس له خلف ولا نسل وصار أبتَر؛ لأن البنت في ثقافة الجاهلية لم تكن لائقة بحمل اسم أبيها وحفظه. لذلك فإنّ جملة: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ دليل على أن المقصود من الكوثر، النسل الكثير للنبي ﷺ، وبدون شك هو عن طريق السيدة الزهراء ﷺ.

□ رُزق النبي الأكرم بهذا النسل المبارك من السيدة خديجة. أجل، فقد أعطت السيدة خديجة ملاً كثيراً وأخذت الكوثر. ونحن أيضاً لن نصل إلى الكوثر إلا إذا تخطينا الكثير.

□ قال الفخر الرازي في التفسير الكبير: وأي نسل أكثر بركة من نسل فاطمة الذي كان منه أمثال الباقر والصادق والرضا، وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً منهم خاصة في عهد الحكام الأمويين والعباسيين قد استشهد، إلا أن لهم أولاداً اليوم في أغلب أنحاء العالم الإسلامي.

□ في الزمان الذي كانت ولادة البنت سبباً لحزن الأب، بحيث يسود وجهه ويفكر ملياً مع نفسه هل يهرب من الناس أم يدفن ابنته حية في التراب: ﴿يَتَوَرَّى مِنَ الْغَوْرِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾^(١)، في هذا الزمان، يلقب القرآن البنت بالكوثر ليستبدل الثقافة الجاهلية بالثقافة الإلهية والإنسانية.

□ بناء على الروايات، فإنّ الكوثر اسم أحد أنهر الجنة وأحواضها، ويرتوي منه المؤمنون. كما جاء كذلك في رواية الثقلين المتواترة أنّ النبي الأكرم قال: «إنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»؛ أي الكتاب والعترة لن يفترقا حتى يلتحقوا يوم القيامة بالنبي.

□ الكوثر الإلهي لا يرتبط بجنس محدد، كانت فاطمة بنتاً ولكنها صارت الكوثر. وليس له علاقة بالكثرة؛ ففاطمة كانت شخصاً واحداً وصارت كوثر. أجل، فإن الله قادر على أن يجعل القليل كوثر، ويمحو الكثير.

□ يدافع الله تعالى عن أوليائه. أعطى الشخص الذي نعت النبي بالأبتر، جواباً قولياً وعملياً. وجود فاطمة هو الجواب العملي وجملة: ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ هي الجواب القولي. لا يدافع الله تعالى عن أوليائه فحسب بل يدافع عن كل المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٢).

□ المهدى هو الله تعالى، المهدى إليه هو النبي الأكرم والهدية هي السيدة فاطمة. لذا استخدمت عبارة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ لتبين عظمة الله وعظمة هديته.

□ كلما كانت الضربة الموجهة للدين والمقدسات الدينية أشد، يكون الدفاع أقوى كذلك. لقد تناولوا كثيراً على نبي الإسلام ووصفوه بالساحر والكاهن والشاعر والمجنون، وقد ردّ القرآن كل هذه الأمور بشكل أو بآخر.

قالوا للنبي: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾^(٣)، ولكن الله تعالى قال: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٌ﴾^(٤).

(٣) سورة الحجر: الآية ٦.

(١) سورة النحل: الآية ٥٩.

(٤) سورة القلم: الآية ٢.

(٢) سورة الحج: الآية ٣٨.

قالوا له ﷺ: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾^(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).
نسبوا إليه الشعر والتأليف: ﴿لِشَاعِرٍ تَجْتُنِمْ﴾^(٣)، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾^(٤).
قالوا: ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَنْتَشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٥)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾^(٦).

نعتوه بالأبتر، فقال تعالى: ﴿إِنَّكَ شَائِكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

أجل، فإن الرد على من يقول لأشرف المخلوقات، أبتَر هو أن يعطيه الله الكوثر لثبته عقول الجميع وتسمّر أعينهم.
□ لم يعط الله تعالى في هذه الآية مصداقاً على الكوثر، ليبقى مبهماً وقد يكون في هذا إشارة إلى عمق بركة الكوثر، فهو حتى بالنسبة إلى النبي تحيطه هالة من الإبهام.

□ في هذه السورة خبران غيبيان: أحدهما إعطاء النبي الكوثر، وحدث هذا في مكة إذ لم يكن النبي يملك شيئاً ولم يكن له ابن، والثاني هو أن العدو سيبقى أبتَر، مع أنه كان يملك الكثير من المال والولد.

□ التاريخ والإحصاءات أفضل شاهد على أن العطية الإلهية كانت كوثر. فلم يتكاثر ولم ينتشر نسل في العالم كنسل السيدة الزهراء عليها السلام، وبالأخص إذا عددنا الأشخاص الذين أمهم هاشمية من بني هاشم تعداد السادة في العالم دليل على معجزة هذا الخبر الغيبي.

□ إعطاء الكوثر لشخص كالنبي الأكرم، يكون له معنى إذا كان إعطاءً للعلم والحكمة والقدرة والرحمة؛ لذا فإنّ إعطاء الكوثر دليل على الصفات والكمالات الإلهية.

- | | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| (١) سورة الرعد: الآية ٤٣. | (٤) سورة يس: الآية ٦٩. |
| (٢) سورة يس: الآية ٣. | (٥) سورة الفرقان: الآية ٧. |
| (٣) سورة الصافات: الآية ٣٦. | (٦) سورة الفرقان: الآية ٢٠. |

□ خاطبت هذه السورة التي لا تحتوي على أكثر من ثلاث آيات، شخص النبي الأكرم خمس مرّات. فمضافاً إلى ضمير (ك) في (أعطيناك)، مرّتين في (صل) و(لربك) ومرّتين كذلك في عبارتي (شانتك) و(انحر)، كان النبي هو المخاطب: ﴿أَعْطَيْتَكَ، فَصَلِّ، لِرَبِّكَ، وَأَنْحَرْ، شَانَتَكَ﴾ وقد خاطب الله تعالى نبيه أكثر من مئتي مرّة في كل القرآن بعبارة (ربك).

على الرغم من أنّ الله تعالى هو ربّ كل الوجود: ﴿رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(١) وربّ كل الناس: ﴿يَرْبِي النَّاسَ﴾^(٢)، إلا أنّه من بين كلمات (ربّ) استُخدمت كلمة (ربك) أكثر من غيرها وهذا يشير إلى أنّ الله تعالى يعتني بنبيه عناية خاصة.

كما نلاحظ الأمثلة على هذه العناية الخاصة في آيات أخرى، على سبيل المثال قد ذكر الله تعالى أسماء أعضاء وجوارح النبي الأكرم في القرآن: ﴿وَجْهَكَ﴾^(٣)، ﴿إِسَانَكَ﴾^(٤)، ﴿عَيْنَكَ﴾^(٥)، ﴿عُقْفَكَ﴾^(٦)، ﴿يَدَكَ﴾^(٧)، ﴿صَدْرَكَ﴾^(٨)، ﴿ظَهْرَكَ﴾^(٩). □ الطاف الله تعالى على نبي الإسلام، قد تكون أحياناً تلبية لطلب منه ﷺ، كمثال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾^(١٠)؛ ولكن الكوثر كان هدية إلهية أعطاها الله تعالى لنبيه العزيز من دون أن يطلبها.

ما هو الكوثر؟

يُستفاد من الآية الأخيرة في السورة أي ﴿إِنَّ شَانَتَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ أنّ المقصود من الكوثر، شيء مقابلٌ للأبتر. وحيث إنّ العرب يطلقون على الرجل الذي لا أولاد له ولا سلالة وليس له ابن ذكر ويُمحى أثره بموته، أبتر، فإنّ أفضل مصداق للكوثر هو ذرية النبي وهم الأئمة المعصومون من ولد فاطمة. بالطبع فإنّ للكوثر معنىً عامّاً وشاملاً لكل خير كثير.

(٦) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

(٧) سورة الإسراء: الآية ٢٦.

(٨) سورة الأعراف: الآية ٢.

(٩) سورة الضحى: الآية ٣.

(١٠) سورة طه: الآية ١١٤.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٦٤.

(٢) سورة الناس: الآية ١.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٤) سورة القيامة: الآية ١٦.

(٥) سورة الحجر: الآية ٨٨.

□ لو كان المقصود من الكوثر، العلم، فيكون هو الشيء ذاته الذي أمر النبي بطلبه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

لو كان المقصود من الكوثر، الأخلاق الحسنة، فقد كان للنبي خلقٌ عظيم: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

لو كان المقصود من الكوثر، العبادة، فقد كان ﷺ يتعبد إلى حد نزلت على أثره الآية: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾^(٢).

لو كان المقصود من الكوثر، النسل الكثير، فإن أكثر السلالات اليوم هي سلالة النبي.

لو كان المقصود من الكوثر، الأمة العظيمة، فطبقاً للوعد الإلهي سيغلب الإسلام على كل الكون: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٣).

لو كان المقصود من الكوثر، الشفاعة، فيسغفر الله تعالى لأمة النبي حتى يرضى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾^(٤).

□ ليس كل كثير، كوثر. جاء في القرآن: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٥).

□ يوجد في القرآن الكريم سورة باسم الكوثر، وسورة باسم التكاثر. ولكن الكوثر أمرٌ قيم، أما التكاثر فهو مخالف للقيم. لأن الأول هو عطاء إلهي يتبعه ذكرٌ لله: ﴿أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾ والثاني هو تفاخر سلبي يتبعه غفلة عن الله: ﴿أَلْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

يحملنا الكوثر على الذهاب إلى المسجد للصلاة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ ويحملنا التكاثر إلى المقبرة لنعدّ الأموات: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾.

يحمل عطاء الكوثر، البشري: ﴿إِنَّمَا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ويجر التكاثر إلى التحذيرات المتوالية: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

(٤) سورة الضحى: الآية ٥.

(٥) سورة التوبة: الآية ٥٥.

(١) سورة القلم: الآية ٤.

(٢) سورة طه: الآية ٢.

(٣) سورة الصف: الآية ٩.

الكوثر عاملٌ للارتباط بالخالق: ﴿أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾ والتكاثر عاملٌ للتلهي مع المخلوق: ﴿أَلْهَنَكُمْ أَثْكَارُ﴾.

□ ورد الكوثر، أعظم هدية إلهية، في أصغر سورة في القرآن الكريم.

□ لا يمكن أن تكون هدية أشرف معبود لأشرف مخلوق شيئاً غير الكوثر: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.

□ في فتح مكة، دخل المشركون إلى الإسلام أفواجاً أفواجاً وجماعات جماعات، فأعطى الله تعالى لنبيه الأمر بالتسيح فقط: ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَيْحٌ﴾ ولكن عندما أعطاه الكوثر قال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، وكان أهمية الكوثر أكثر من أهمية دخول الناس إلى الإسلام.

□ ورد العطاء الاستثنائي في سورة استثنائية بألفاظ استثنائية:

العطاء الذي ليس له نظير، عطاء الكوثر، في سورة ليس لها نظير، أصغر سورة في القرآن الكريم، وألفاظ ليس لها نظير، من مثل: ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾، ﴿الْكَوْثَرَ﴾، ﴿فَصَلِّ﴾، ﴿وَأَنْحَرْ﴾، ﴿شَانَتْكَ﴾ و﴿الْأَبْتَرُ﴾ قد وردت فقط في هذه السورة وليس لها شبيه في القرآن.

□ لكل أذية باللسان وسخرية، وزن. قد أهين النبي بكلمات من قبيل: مجنون، شاعر، كاهن، وساحر، وأهانوا أصحابه كذلك حتى قالوا: أبعد هؤلاء البائسين عنك لنجتمع حولك. ولكن لم تنزل في شأن أي من هذه الإهانات سورة مستقلة، ولكن عندما نسبوا صفة الأبر إلى النبي نزلت سورة لتقول، كلا لقد أعطيناك الكثير وعدوك هو الأبر، وذلك لأنه يمكن تحمّل التناول على النبي وعلى أصحابه، أما التناول على طريقه ومذهبه والقول إنه أبر وعابر ولا مستقبل له، فهذا لا يمكن احتماله.

□ قد يكون التناول أحياناً ناجماً عن اللغو وعندها يجب التجاوز عنه بكرم: ﴿وَإِنَّا مَرْوَا بِاللَّغْوِ مَرْوَا كِرَامًا﴾.

قد يكون التناول أحياناً نتيجة للجور الفاسد وأصحاب السوء، وعندها يجب

الإعراض عنه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾^(١).

ولكن قد يكون التطاول أحياناً على المسلك والمذهب، ومن قبل أشخاص معروفين ومحتكين سياسيين، عندها يجب الرد عليهم بجواب قاس: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ كما كان المنافقون يقولون من باب الغرور: ﴿أَنْتُمْ كَمَا ءَامَرُ السُّفَهَاءَ﴾، فأجاب القرآن على وقاحة هؤلاء بالقول: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

□ أشير إلى الجمل في القرآن في مبحث التوحيد: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِلَهِ كَيْفَ خَلَقَ﴾^(٣) وكذلك جاء ذكره في الحديث عن مقدمات يوم القيامة: ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾^(٤)، وقد ورد كذلك في أحكام شعائر الحج: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا﴾^(٥)، وكذلك استُفيد منه لتقديم الأضاحي ومساعدة الناس: ﴿وَأَنْحَرْ﴾.

□ بناءً على الروايات، المقصود من: ﴿وَأَنْحَرْ﴾ هو رفع اليدين في تكبيرات الصلاة إلى موازاة أسفل الحنجرة وهو محل النحر، وهذه زينة الصلاة^(٦).

□ بناءً على الروايات، ذلك الشخص الحاقط الذي تطاول على النبي كان والد عمرو بن العاص.

□ الله هو موجد الأسباب وهو معطلها. إنه قادر على أن يخلق كوثر من فاطمة وقادر على أن يمحو ذكر أشخاص لهم أبناء راشدون.

هو قادر على أن يفلق البحر بعصا موسى: ﴿وَأَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ﴾^(٧)، وقادر على أن يجري من الحجر اثنتي عشرة عيناً بضربه بتلك العصا نفسها: ﴿وَأَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ﴾^(٨).

(٥) سورة الحج: الآية ٣٦.

(٦) تفسير مجمع البيان.

(٧) سورة الشعراء: الآية ٦٣.

(٨) سورة البقرة: الآية ٦٠.

(١) سورة الأنعام: الآية ٦٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٣.

(٣) سورة الفاشية: الآية ١٧.

(٤) سورة التكوثر: الآية ٤.

التعاليم:

- ١ - ينجز الله تعالى وعوده. وعد الله تعالى نبيه بالعتاء في سورة الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَى﴾^(١). ويقول في هذه السورة: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.
 - ٢ - الولد والذرية، عطية إلهية: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾.
 - ٣ - يتبع النعم مسؤولية، حتى بالنسبة إلى النبي الأكرم: ﴿أَعْطَيْنَاكَ... فَصَلِّ﴾.
 - ٤ - ورد الحث في القرآن على الصلاة أو سجدة الشكر: ﴿فَصَلِّ﴾.
 - ٥ - يجب أن يكون الشكر فورياً: ﴿فَصَلِّ﴾. (حرف الفاء للتسريع).
 - ٦ - يجب أن نتعلم نوع الشكر من الله تعالى: ﴿فَصَلِّ﴾.
 - ٧ - علينا ألا ننسى الله في النعم والأفراح: ﴿أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ﴾.
 - ٨ - ما يمكنه أن يكون شكراً على عطاء الكوثر هو الصلاة: ﴿فَصَلِّ﴾.
- (الصلاة أكمل وأشمل أشكال العبادة، فيجب فيها حضور القلب بقصد القربة ويشغل اللسان بتلاوة الحمد والسورة وكذلك البدن بالركوع والسجود. وقد يكون في مسح الرأس والقدمين إشارة إلى أن الإنسان عبداً، من رأسه إلى أخمص قدميه. تُعَفَّر كل يوم أعلى منطقة في الجبين بالأرض خلال الصلاة، أربعاً وثلاثين مرة، حتى لا يبقى في الإنسان أي أثر للتكبر. قالت السيدة الزهراء عليها السلام في خطبتها المعروفة عن فلسفة وعلة الصلاة «تنزيهاً لكم من الكبر».)
- ٩ - الأوامر الدينية مطابقة للعقل والفطرة. يقول العقل بلزوم الشكر على النعم، والدين أيضاً يأمر بذلك: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾.
 - ١٠ - لأنّ العطاء من عنده: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾، فيجب أن يكون الشكر له كذلك: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾.
 - ١١ - تقديم القرابين، أحد طرق الشكر على النعم الإلهية: (لأن المحرومين يسألون حاجتهم منها): ﴿وَأَنْحَرْ﴾.

- ١٢ - من يملك الكوثر لا يكفي أن يذبح كبشاً عادياً بل يجب أن ينحر إبلاً ويضحى بأكبر حيوان أهلي: ﴿وَأَنْحَرْ﴾.
- ١٣ - العلاقة مع الله تعالى مقدّمة على العلاقة بالخلق: ﴿فَصَلِّ... وَأَنْحَرْ﴾.
- ١٤ - يكون للإنفاق قيمة إذا ما كان إلى جانب الإيمان والعبادة: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾.
- ١٥ - شكر عطاء الله يكون بإعطاء الناس: ﴿أَعْطَيْتَكَ الْكَوْثَرَ... وَأَنْحَرْ﴾.
- ١٦ - يكون للصلاة قيمة إذا ما كانت خالصة: ﴿لِرَبِّكَ﴾ والإنفاق بكرم هو الإنفاق ذو القيمة: ﴿وَأَنْحَرْ﴾.
- ١٧ - لن يُفلح المعادون للنبي ودينه. (كلمة (شانيء) اسم فاعل وتشمل كل عدو في الماضي والحاضر والمستقبل. لو قال: (من شانك هو الأبر) فيكون قد عني الأعداء في الماضي وإذا قال: (من يشينك هو الأبر) فتشمل الأعداء في المستقبل فقط: ﴿إِنَّكَ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْرُ﴾).
- ١٨ - إهانة المقدّسات، تستوجب التوبخ والتهديد: ﴿إِنَّكَ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْرُ﴾.
- ١٩ - يجب ألا نخشى من السخرية والإهانات، فإن الله يحمي أوليائه: ﴿إِنَّكَ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْرُ﴾.
- ٢٠ - لا تُطلقوا الأحكام متسرّعين ولا تعتمدوا على الإحصاءات والمحاسبات فقط، فكل شيء مرتبط بإرادة الله. (حكم المخالفون على النبي بعد وفاة أبنائه، وهم كانوا ذوي أبناء، بأنه أبر، ولكن انقلب كل شيء): ﴿إِنَّا أَعْطَيْتَكَ الْكَوْثَرَ... إِنَّكَ شَانِيكَ هُوَ الْأَبْرُ﴾.

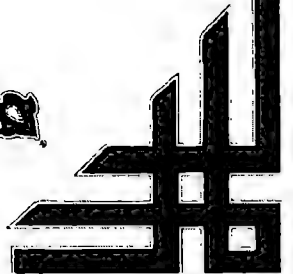
«والحمد لله رب العالمين»



سُورَةُ الْكَافُرُونَ

السورة: ١٠٩ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا الْكَافِرُونَ ۝ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝ وَلَا أَنْتَ عَٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ وَلَا أَنَا عَٰبِدُ مَا عَبَدْتُمْ ۝ وَلَا أَنْتَ عَٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۝ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾

إشارات:

□ ورد في سبب نزول هذه السورة أنّ بعض رؤساء قريش قالوا للنبي الأكرم ﷺ: يا محمد! اتبع أنت هذه السنة ديننا وستتبع نحن دينك في السنة القادمة. وأيهما كان أفضل نبقى عليه. ولكن النبي رفض، فقالوا: المس على الأقل آلهتنا وتبرك بها عندها سنعبد نحن أيضاً إلهك. فنزلت هذه السورة.

□ تخفف كلمة «قل» قليلاً من حقد الكفار على النبي، فبهذا يدركون أنهم يتعاملون مع الله وأن النبي مأمور فحسب.

□ أحياناً، يجب ترك المعاندين لأنفسهم والقول لهم: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ كما جاء في الآية ٥٥ من سورة القصص: ﴿لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾، وهذا نوع من التحقير والتهديد وليس إعطاء إجازة بممارسة أي نوع من العمل والعقيدة.

□ يرد التكرار في بعض الموارد من القرآن الكريم للتأكيد. من مثل: ﴿لَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ لَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾^(١) و﴿فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرَ ۝ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرَ ۝﴾^(٢). وقد يكون التكرار في هذه السورة كذلك للتأكيد، ليقطع المشركون الأمل من تسليم المسلمين لهم وقد يكون لتلقيح المسلمين الثبات ليصمدوا على مواقعهم.

(١) سورة التكاثر: الآيتان ٣ و٤.

(٢) سورة المدثر: الآيتان ١٩ و٢٠.

□ جاء في القرآن في مرّات عدّة الإخبار عن عدم إيمان جمع من الكفار، من بينها الآية السادسة من سورة البقرة والآية السابعة من سورة يس، إذ يقول بصراحة: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

التعاليم:

- ١ - النبي الأكرم أمين الوحي. وينقل كل ما ينزل عليه: ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - يجب على المسلمين أن يردّوا على الاقتراحات غير المنطقية ردّاً صريحاً وقاطعاً ويحملوا العدو على اليأس منهم: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ٣ - لا ينبغي التخلي عن الأصول والقيم بذريعة الوحدة: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ٤ - يجب أن ييأس العالم الكافر من تسليم المسلمين له: ﴿لَا أَعْبُدُ... وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾.
- ٥ - يجب إعلان البراءة من الكفار بشكل مكرر ومؤكّد وعلمي: ﴿قُلْ يَتَائِبَ الْكُفِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾.
- ٦ - لا تتاجروا بالدين. لا تسالموا العدو ولا تهادنوه. وفي مقابل تكراره للاقتراحات غير المنطقية يجب أن تؤكّدوا أنتم بدوركم على ثوابتكم بشكل قاطع: ﴿لَا أَعْبُدُ... وَلَا أَنْتَ عِبْدُونَ... وَلَا أَنَا عَابِدٌ...﴾.
- ٧ - لا تقدموا على أيّ عمل كان، بهدف جذب الآخرين فقط: ﴿لَا أَعْبُدُ... وَلَا أَنْتَ عِبْدُونَ﴾.
- ٨ - يُخبر القرآن عن الغيب، ويكشف لنا عن أن أيّاً من أصحاب الاقتراح، لن يسلم يوماً: ﴿وَلَا أَنْتَ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.
- ٩ - الثبات والحزم، شرط للقيادة الصالحة: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾.
- ١٠ - عبادة الله هي الملاك للتمييز بين المؤمن والكافر: ﴿يَتَائِبَ الْكُفِرُونَ... وَلَا أَنْتَ عِبْدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾.
- ١١ - الإنسان حر في اختيار الدين وليس مجبوراً: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

١٢ - يجب التفريق بين الصفوف والتمييز بين الحق والباطل والكفر والإيمان:
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

١٣ - معبود كل شخص يدلّ على دينه وعقيدته: ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ... وَلَا أَنْتَ عَابِدُونَ... لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ النَّصْرِ

السورة: ١١٠ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝﴾

إشارات:

□ ذهب أكثر المفسرين إلى الربط بين هذه السورة وبين فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة؛ إذ ظهر لكثير من الناس حقيقة الإسلام فأمنوا به وحسن إيمانهم، في حين تظاهر بعض آخر بالإيمان خوفاً من الإسلام، مثل أبي سفيان الذي قال عنه الإمام علي عليه السلام: «ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر»^(١). وقد ذكر القرآن نوعين من الدخول في دين الله: أحدهما دخول الناس في الدين الذي ورد في هذه السورة: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، والآخر هو دخول الإيمان في قلوب الناس كما ورد في سورة الحجرات: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢).

□ ورد في الحديث أنه عندما يظهر الإمام المهدي (عج)، يؤمن به الناس أفواجا أفواجا^(٣).

□ أكد القرآن على تسبيح الله أكثر من الحمد والتكبير؛ إذ وردت كلمة التسبيح في القرآن أكثر من كلمتي الحمد والتكبير.

□ نقرأ في الحديث أنه عند فتح مكة، دخل النبي ﷺ إلى المسجد الحرام أولاً وأقام الصلاة فيه^(٤).

(٣) تفسير نور الثقلين.

(٤) تفسير كنز الدقائق.

(١) بحار الأنوار، ٣٢، ص ٣٢٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية ١٤.

□ نصره الله منوطة بنصر الناس للدين: ﴿إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾^(١).

□ وردت كلمة «التَّوَابُ» إحدى عشرة مرة في القرآن. في تسع مرّات جاءت مصاحبة لكلمة الرحمة ﴿تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ ومرة واحدة مع الحكمة^(٢) وجاءت مرة واحدة بصورة مطلقة في هذه السورة.

□ أعلن النبي الأكرم عفواً عاماً في فتح مكّة، وفُتحت مكّة دون إراقة للدماء. حتى عندما سمع ﷺ سعد بن عبادَةَ يطلق شعار الانتقام ويقول: «اليوم يوم الملحمة»، أخذ منه الراية وأعطاه للإمام علي عليه السلام، وطالبه برفع شعار: «اليوم يوم المرحمة»^(٣).

□ الفتح والنصر الحقيقي من عند الله تعالى. فلا تتكلوا على الأدوات والتجهيزات والقوى البشرية، فقد تكون كل الإمكانيات موجودة ومع ذلك تُهزمون: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^(٤).

□ تبدّل في فتح مكّة أمل المشركين بأساً، وأصبح مركز الشرك مركزاً للتوحيد. تبددت كل الموانع التي كانت عقبة في طريق المؤمنين، تُبّت الإسلام وصار جاهزاً لتصديره إلى الدول الأخرى.

□ الاستغفار إمّا لتنوير القلب أكثر، وإمّا للتخفيف من نشوة النصر وغروره؛ وإمّا لغفران ذنوب الأمة، وإمّا لمعرفة النبي الرفيعة بالله تعالى.

كلمة في فتح مكّة:

أخْلَ المشركون بالعهد بعد صلح الحديبية، فجهّز النبي ﷺ جيشاً وفتح مكة دون إراقة أيّ دم. وخلاصة ما حدث هو الآتي: نصب المسلمون خيامهم على بعد كيلومترات من مكّة، وخرج أبو سفيان للاستطلاع من مكّة ليلاً والتقى العباس، عمّ النبي الأكرم. قال العباس: جاءكم النبي على رأس عشرة آلاف جندي. ففرغ أبو سفيان واستجار بالعباس وقبل النبي جوار العباس له وأقرّه عليه،

(٣) انظر: شرح ابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٢٧٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

(١) سورة محمد: الآية ٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧.

وقال كلمته المشهورة: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

وطلب النبي ﷺ من عمه العباس أن يأخذ أبا سفيان إلى حيث يرى جيش المسلمين أثناء دخولهم إلى مكة. ففعل وعندما رأى أبو سفيان كثرة عدد المسلمين المقاتلين قال للعباس: «إن ملك ابن أخيك عظيم»، فأوضح له العباس إنها النبوة وليست ملكاً. وعندما عاين أبو سفيان ما عاين، يش من إمكان مواجهة المسلمين، فذهب إلى المسجد الحرام، وطلب من أهل مكة الكف عن القتال وعدم مواجهة المسلمين، وخيرهم بين التزام دورهم، وبين اللجوء إلى المسجد الحرام.

وهكذا عاد رسول الله ﷺ إلى مسقط رأسه منتصراً مظفراً بعد أن خرج منه متخفياً، فسجد لله شكراً على نعمته، ثم تلا سورة الفتح ودخل إلى المسجد الحرام وكان المسلمون يكبرون معه. واقترب ﷺ من الكعبة وحطم الأصنام وقال: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١) ولأن يديه ﷺ لم تصلا إلى الأصنام الكبيرة الموضوعة على سطح الكعبة، أمر الإمام علياً عليه السلام أن يصعد على كتفيه ويحطم الأصنام. ثم أحاط بالكعبة وسأل أهل مكة: ماذا ترون أني فاعل بكم؟ فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فاغرورقت عيناه ﷺ بالدموع وبكى الناس. فقال ﷺ ما قاله يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾^(٢)، اذهبوا فأنتم الطلقاء. وردد شعار التوحيد: «لا إله إلا الله وحده وحده أنجز وعده نصر عبده...» وطالب المسلمين بتناسي الدماء التي سُفِكت والأموال التي نُهِبت، ودعا إلى فتح صفحة جديدة من التاريخ.

التعاليم:

- ١ - بتحقيق الفوز في ظل النصر الإلهي: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.
- ٢ - هلاك رؤوس الشرك والكفر سبب لدخول الناس في التوحيد وعبادة الله الواحد: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ... النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.

٣ - المسلمون مكلفون قدر استطاعتهم وإمكاناتهم، بالسعي إلى تهيئة الأسباب لدخول الآخرين إلى الإسلام: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ... النَّاسُ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾.

٤ - لو أنّ الموانع والمعيقات ترفع من أمام الدين، فإنّ الناس سوف يدخلون فيه أفواجا: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

٥ - كان الناس يسلمون واحداً واحداً قبل فتح مكة، ولكن بعد فتح مكة أسلموا أفواجا: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾.

٦ - لا يحملنكم النصر والفتح على الغرور، فكل شيء هو من الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٧ - يجب أن يكون تنزيه الله تعالى عن العيب والنقص والظلم مصاحباً لشكر نعمه وتسيبحه: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

٨ - حمد الله وشكره وتسيبحه، مقدمة للاستغفار وطلب العفو: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ... وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

٩ - عندما يصل الصالحون إلى السلطة، فإنهم يعطرون أرواحهم وأنفاسهم بذكر الله بدلاً من الغرور والغفلة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ... فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾.

١٠ - إنّ الله منزّه عن أن يترك أنصار دينه وحدهم: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ... فَسَبِّحْ﴾.

١١ - على كل شخص حتّى النبي ﷺ أن يستغفر الله في ختام تسيبحه وحمده: ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾.

١٢ - تقتضي سنة الله تعالى قبول التوبة: ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

والحمد لله رب العالمين،



سُورَةُ الْمَيْدَةِ

السورة: ١١١ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤﴾

إشارات:

□ تُعرف هذه السورة باسم تَبَّتْ وبالمسد. وقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام، الدعوة إلى لعن أبي لهب عند قراءة هذه السورة^(١).

□ عندما نزلت آية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، دعا النبي الأكرم عليه السلام أهله وأقاربه وأطلعهم على رسالة الوحي. قال أبو لهب الذي كان عمّ الرسول: «تَبًّا لك»، فنزلت هذه السورة وردّت عليه كلامه.

□ بما أنّ هذه السورة قد تحققت عملياً ورحل أبو لهب وزوجه كافرين عن هذه الدنيا، فيكون واضحاً أنّ هذه السورة قد تنبأت كذلك لأبي لهب بمصيره.

□ «تَبَّتْ» من جذر «تَبَّ» بمعنى الخسران والهلاك، وليس المقصود من «يد» في هذه الآية اليد المادية، وإنما هي كناية عن قدرة الإنسان وسعيه؛ لذلك يكون معنى هذه الآية أنّ سعي أبي لهب قد ذهب سدى وأنه قد ابْتُلي بالضرر والخسران^(٣).

□ نُقِل في التاريخ أنّ الرسول عليه السلام كان يدعو الناس إلى كلمة «لا إله إلا الله»،

(٣) تفسير الميزان.

(١) تفسير كنز الدقائق.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

وأبو لهب من خلفه يكذبه ويرميه بالحجارة. وأحياناً كان يذهب زوّار مَكَّة إلى أبي لهب ويسألونه عن النبي محمد ﷺ، فكان يقول: محمد مجنون ونحن ندأويه^(١).

لم يتخلّ أبو لهب للحظة عن مواجهة النبي ﷺ، ولا عن مساعدة المخالفين له. كان هو وزوجته يقولون كلاماً سفيهاً للنبي وقد يكون هذا هو السبب لذكر اسميهما في القرآن.

□ لحن هذه السورة مزلزل بحيث إنّ الجميع حفظها وتلقّى أبو لهب ضربة موجعة أصبح على أثرها جليس بيته إلى أن مات. وصار باقي الكفار يحاذرون في أعمالهم لكي لا تنزل سورة فيهم.

□ لا ينبغي أن تكون العلاقات الأسرية والقريبة، مانعاً عن قول الحقّ واتّخاذ الموقف على حساب العقيدة والإيمان: ﴿كَتَبَتْ بِدْءَ آيٍ لَهَبٍ﴾.

□ على الرغم من أنّ أبا لهب وزوجته قد ماتا وبليت عظامهما، إلّا أنّه يجب المواظبة على تلاوة هذه الآيات لتكون عبرة للآخرين وسبباً لزيادة العذاب الإلهي عليهم.

□ كان لأبي لهب إخوة صالحون كحمزة وأبي طالب، وأب صالح كعبد المطلب، فلكل حساب المنفصل بحسب المعايير الإسلامية في الحساب والثواب والعقاب.

□ قديماً، كانوا يربطون الحطب الذي يجمعونه بحبل ويحملونه على ظهورهم. وكانت امرأة أبي لهب تضع الحطب في طريق النبي الأكرم ﷺ بقصد إيذائه؛ لذا يخبر القرآن عن وجود حطب جهنّم وحبل سوف يشدّ على رقبتها وتحترق في الآخرة بما جمعت في الدنيا^(٢).

□ لم يكن لأبي لهب ولد اسمه لهب، وربما كانوا ينادونه بأبي لهب بسبب حمرة وجهه.

□ كانت زوجة أبي لهب، شاعرة. كنيتهما أو اسمها أم جهل، وهي أخت أبي سفيان وعمّة معاوية. وكان عندها حقد دفين على النبي ﷺ، وكانت ترمي الأشواك في طريقه وتهجيه وتهينه بشعرها.

□ مال الإنسان وثروته لا ينفعانه يوم القيامة: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالِيَّ﴾، ﴿هَلَكَ عَنِّي شُلُوبِيَّ﴾^(١)، ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾^(٢)، ﴿لَنْ تَغْنَىٰ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَزْوَاجُهُمْ﴾^(٣).

□ ذكر في القرآن أربعة أنواع للزوج والزوجة:

- الزوج والزوجة المتفقان في الفكر والمسلك. (الإمام علي والسيدة الزهراء اللذان أطعما اليتيم والمسكين والأسير): ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّلَامَ﴾^(٤).

- الزوج والزوجة المتفقان على عمل السوء: ﴿أَبَىٰ لَهُبٌ...﴾.

- الزوج الذي يكون على الحق في حين أنّ زوجته على باطل. مثل زوجتي النبي نوح والنبي لوط اللتين لم تؤمنا: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ﴾^(٥).

- الزوج الذي يتبع الباطل في حين أنّ زوجته على الحق. مثل فرعون وزوجه: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾^(٦).

□ كان لزوجة أبي لهب قلادة ثمينة وقد أقسمت أن تنفق مال القلادة في مواجهة النبي: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾.

□ كتب الإمام علي عليه السلام في رسالة إلى معاوية: «منا خير نساء العالمين ومنكم حمالة الحطب»^(٧).

□ بالعمل يرتفع الإنسان ويهبط، فسلمان الفارسي البعيد بالنسب عن رسول الله ﷺ يصير من أهل البيت. وعمّ النبي يُلعن في القرآن ويؤذم.

- | | |
|------------------------------|---------------------------------|
| (١) سورة الحاقة: الآية ٢٩. | (٥) سورة التحريم: الآية ١٠. |
| (٢) سورة الأعراف: الآية ٤٨. | (٦) سورة التحريم: الآية ١١. |
| (٣) سورة آل عمران: الآية ١٠. | (٧) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٢٨. |
| (٤) سورة الإنسان: الآية ٨. | |

□ لأن زوجة أبي لهب كانت تضع الحطب في طريق النبي الأكرم، فقد تكون عبارة (حمالة الحطب) تشير إلى ورودها إلى جهنم وهي تحمل الحطب على ظهرها.

□ تُستخدم اليد والساعد في السعي، والسعي يكون للوصول إلى الهدف المطلوب. كان هدف أبي لهب، الحؤول دون انتشار الإسلام، وقد بذل قصارى جهده؛ ولكنه لم يصل إلى هدفه. إذًا فقد ذهب سعي يديه سدى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

التعاليم:

- ١ - إعلان البراءة من الفاسدين، جزء من الدين: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.
- ٢ - اللعن الأبدي هو جزاء إهانة المقدسات: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.
- ٣ - يجب أن ندعو بهلاك الكفر ومحوه: ﴿يَدَا﴾ (قطع كلتا اليدين فيه إشارة إلى فشل المساعي).
- ٤ - ردوا على المخالفين بمثل ما قالوا. قال تعالى في الرد على الذين قالوا للنبي (تَبًّا لك): ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.
- ٥ - الضوابط مقدّمة على الروابط في النظام العقدي: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.
- ٦ - إحدى وسائل معارضي الأنبياء هي المال والثروة: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ (كان أبو لهب من أصحاب الثروات، وقد صرف ثروته في مواجهة الإسلام).
- ٧ - الأسوأ من الفساد هو تكراره: ﴿حَمَّالَةَ﴾.
- ٨ - لا تنفع الثروة لمقابلة العذاب الإلهي ولا أي شيء يُحصل عليه بالسعي، ثروة كان أم مقاماً ومكانة وحكومة وشهرة: ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.
- ٩ - العذاب الإلهي ليس بعيداً عن الظالمين: ﴿سَيَصْلَىٰ﴾.
- ١٠ - التكبر في الدنيا يتحوّل إلى إهانة في الآخرة: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسِينٍ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْاِخْلَاصِ

السورة: ١١٢ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٤

ملامح سورة الإخلاص

طلب بعض أهل الكتاب والمشركين من النبي الأكرم ﷺ أن يعرف الله لهم؛ فنزلت هذه السورة التي هي بمثابة الهوية الشخصية لله؛ ونزّهت الله عن أن يكون له والد ولا والدة ولا ولد ولا زوج ولا شبيه ولا شريك. تشتمل هذه السورة على أصفى العقائد التوحيدية، ومن هذا المنطلق سُميت بسورة التوحيد والإخلاص.

- جاء في فضل هذه السورة روايات عدّة، سنشير إلى بعضها في ما يأتي^(١):
- وردت الدعوة إلى قراءتها في الصلاة ولو مرّة واحدة على الأقل، مع الدعوة إلى قول: «كذلك الله ربّي» في ختامها.
- وفي بعض الأخبار أنّها ثلث القرآن، وقد ورد أنّ من قرأها كأنه قرأ ثلث القرآن، ولو قرأها ثلاثاً كان بمثابة من قرأ القرآن كلّهُ.
- وشبّه الإمام عليّ عليه السلام بها، وورد أنّ من أحبه بقلبه فقد حاز ثلث الإيمان، وإذا ضمّ إليه النصر باللسان فقد أحرز الثلث الثاني، وإذا ضمّ إليهما الطاعة فقد كَمُلَ إيمانه.
- كما وردت الدعوة إلى التعقيب بقراءتها بعد الصلاة، ورُوي الثواب الجزيل على ذلك.
- وعن الإمام السّجاد عليه السلام في جواب من سأله عن التوحيد: «إنّ الله ﷻ علم أنّه يكون في آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل الله تعالى «قل هو الله أحد»، والآيات من سورة الحديد إلى قوله: «عليم بذات الصدور».
- وأخيراً وردت الدعوة إلى قراءتها كحرز للإنسان من الأخطار والحوادث^(٢).

(١) انظر هذه الروايات في: تفسير نور الثقلين، ج ٥، ص ٦٩٩ - ٧١٥.

(٢) مصباح الكفعمي، ص ٢٤٦.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾

إشارات:

□ كلمة «الله» من «وَلَهُ» بمعنى التحير، أي أَنَّ المخلوقات عاجزة عن درك حقيقته وهم والهون ومتحيرون في معرفة ذاته. وقد روي عن الإمام عليّ عليه السلام قوله: «الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق، ويؤله إليه، والله هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام والخطرات»^(١).

□ ثمة اختلاف بين كلمتي «واحد» و«أحد»؛ إذ تُستخدم كلمة «واحد» في الواحد الذي له ثانٍ وثالث، وهذا بخلاف كلمة «أحد» التي تستعمل في الواحد الذي لا ثاني له.

□ التوحيد هو الحد الفاصل بين الكفر والإيمان ولا يمكن الدخول إلى حصن الإيمان من دون الإقرار بالتوحيد. أول كلام النبي كان: «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا». يتكوّن الشعار التوحيدي (لا إله إلا الله) من ثلاثة أحرف: الألف واللام والهاء وهو ذكر حتى الشفاه لا تتحرك عند النطق به؛ ولكن أثره العملي يمتد إلى إطاعة المعصوم وخلفائه؛ لأنّ شرط التوحيد كما ورد عن الإمام الرضا عليه السلام هو الإيمان بالإمام المعصوم وطاعته.

خلال سفر الإمام الرضا عليه السلام بعد أن أجبره المأمون على الهجرة من المدينة إلى مرو، مرّ في طريقه بنيشابور، فتجمّع الناس حوله عليه السلام وطلبوا منه هدية وهداية. فقال الإمام الرضا عليه السلام: نقل والذي عن والده وهو عن أجداده وهم عن النبي أنّ الله تعالى قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي». ثم قال: «ولكن بشرطها وشروطها، وأنا من شروطها»؛ أي أنّ التوحيد لا يُقبل من دون ولاية. وكذلك في زمان غيبة الإمام المعصوم، بناء على أمره،

فيجب مراجعة الفقهاء العدول البعيدين عن الهوى والهوس. وعلى هذا الأساس يكون التوحيد الكامل هو الإيمان بالله الواحد، وخلوص الفكر والعمل من كل أنواع الشرك، اتباع الإمام المعصوم في زمان حضوره والفتية العادل في زمان الغيبة.

□ كتب الإمام علي عليه السلام في رسالة إلى ابنه الحسن عليه السلام: «لو كان لربك شريك لأتتك رسله»^(١).

□ الانسجام بين المخلوقات، دليل على وحدانيته تعالى. مثلما اعتبر الإمام الصادق عليه السلام «اتصال التدبير» دليلاً على وحدانية الخالق^(٢). التناغم بين الشمس والقمر والأرض والماء والرياح والتراب والجبال والبر والبحر، وانسجامها جميعاً مع احتياجات الإنسان، دليل على وحدة التدبير في نظام الوجود.

يأخذ الإنسان الأوكسجين ويُخرج ثاني أكسيد الكربون، أما النباتات فإنها تأخذ ثاني أكسيد الكربون وتُخرج الأوكسجين. تُؤمن احتياجات الطفل عن طريق الوالدين ويُرفع تعب النهار باستراحة الليل. تُحفظ العين المخلوقة من الشحم بالماء المالح، والفم الذي هو الطريق لدخول الطعام إلى المعدة، يبقى رطباً بفضل الماء العذب الذي يساهم كذلك بهضم الطعام.

□ سأل أحد الأعراب في حرب الجمل، الإمام علياً عليه السلام عن معنى التوحيد. فانزعج الجنود الآخرون من سؤاله الذي ليس في موقعه؛ أما الإمام فقد بين أنه يقاتل من أجل التوحيد وشرح للسائل معنى التوحيد، وقال له: «إن القول في أنّ الله واحد على أربعة أقسام، فوجهان منها لا يجوزان على الله، ووجهان يشتان فيه، فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد، فهذا لا يجوز لأنّ ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد...» والحديث طويل يراجع في مصدره^(٣).

□ إنّ الله ليس أحداً بالذات فحسب بل بالصفات كذلك. فهو ليس مثلنا بحيث

(٣) تفسير نور الثقلين.

(١) نهج البلاغة، الكتاب رقم ٣١.

(٢) تفسير نور الثقلين، ج ٣، ص ٤١٨.

تكون صفاته منفصلة عن ذاته. نحن نملك العلم والقدرة؛ ولكننا لم نكن علماء ولا قادرين في الصغر وسن فقد هذه الصفات في الكهولة كذلك. والله تعالى يتّصف بالعلم والقدرة؛ ولكنها ليست صفات مكتسبة وإنما هي عين ذاته. كما أنّ صفات مثل المخلوقيّة والفقر والعجز وغيرها لا تنفصل عنا.

التعاليم:

١ - الأنبياء أمناء الوحي؛ قال الله تعالى للنبي: ﴿قُلْ...﴾ وهو بدوره قال: ﴿قُلْ...﴾.

٢ - الله تعالى، في حال حضوره هو غائب عن الأعين وغير قابل للمشاهدة: ﴿هُوَ﴾ (يؤمن أهل التوحيد والعقيدة بأنه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارُ﴾^(١)).

٣ - يجب الإجابة عن التساؤلات العقديّة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

٤ - يجب الإعلان عن العقائد الحقّة للآخرين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ...﴾.

٥ - الله أحد في كل شيء. في الذات والصفات، في العلم والقدرة والحياة والحكمة، في الخلق والتكوين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾

إشارات:

□ «صمد» أي قصد. الله صمد، أي أنّ كل الخلائق تقصده في حاجاتها وهو مقصود من الجميع. وقد روى الإمام الجواد عن معنى «صمد»: «سيد مصمود إليه»، شبيه بآية ﴿وَأَنَّ لَكَ رَبَّكَ الْمُنْتَهَى﴾^(٢).

□ وعن الإمام الحسين عليه السلام في جواب أهل البصرة الذين سألوه عن معنى

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٣.

(٢) سورة النجم: الآية ٤٢.

«صمد»: معنى كلمة صمد هو الجُمَل التي تليها، يعني ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ يُؤَلَدْ﴾^(١).

□ وعن الإمام علي عليه السلام في تفسير «الصمد»: «هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه»^(٢).

□ وعن الإمام الصادق عليه السلام: «لو وجدت أهلها، لاستخرجت من كلمة «صمد» التوحيد والإيمان والإسلام»^(٣).

التعاليم:

- ١ - كل الموجودات، شاءت أم أبت، متوجهة إليه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾
- ٢ - هو الغني والكل محتاج إليه: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾
- ٣ - الله وحده هو من يستحق أن يُقصد: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (حرفا الألف واللام في الصمد، يُفِيدَانِ الحصر).
- ٤ - الموجودات محتاجة إليه في كل أمورها: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ (كلمة «صمد» مطلقة وتشمل كل حاجات المخلوقات، المادية والمعنوية).

﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ يُؤَلَدْ﴾

إشارات:

□ العلاقة بين الله والمخلوقات، علاقة خَلْق لا ولادة. هو يخلق الموجودات، أي ينقلها من العدم إلى الوجود، لا أنه يلدها. فالمولود يكون من جنس الوالدين وبالحقيقة فهو جزء منهما. في حين أنه ليس ثمة شيء من جنس الله أو جزء منه.

(٣) المصدر نفسه.

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) المصدر نفسه.

كان أغلب المشركين وأهل الكتاب يقولون بوجود ولد لله؛ لذا جاءت ﴿لَمْ يَكِدْ﴾ قبل ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾^(١).

□ ليست المخلوقات غير مولودة منه فحسب، بل هي لم تخرج منه حتى. مثلما تخرج الثمرة من الزهرة، والشجرة من البذرة، والماء من السحاب والعين، النار من الخشب، الكلام من الفم، الكتابة من القلم، العطر من الورد، النكهة من الطعام، الفكر من العقل، الحرارة من النار، البرودة من الثلج، الحلم والخيال من الذهن، الحزن والفرح والخوف والأمل من القلب^(٢).

□ تردّ هذه الآية اعتقاد النصارى القائل بأنّ عيسى هو ابن الله، واعتقاد اليهود بأنّ عزيزاً ابن الله، واعتقاد مشركي الجاهليّة بأنّ الملائكة بنات الله.

التعاليم:

١ - الله صمد غنيّ عن أي شيء وهذا دليل على أنّه ليس محتاجاً لابن أو لوالدين: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾.

٢ - ليس لله علّة وسبب، ولم يوجد من شيء: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾.

٣ - المولود معلول، ولا يمكنه أن يكون إلهاً: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ (كيف يقول النصارى إنّ المسيح مولود مريم، وهو الربّ كذلك؟)

﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(١)

إشارات:

□ «كفو» يعني الشبيه والنظير والمثل^(٢). تم التأكيد في مبحث الزواج على اختيار زوج «كفء»، أي أن يكون مماثلاً لكم في الدين والأخلاق.

(١) تفسير نوين.

(٢) جزء من الكلام الذي كُتب في الأعلى مأخوذ عن كلام الإمام الحسين في جوابه على أهل البصرة حين سألوه عن معنى الصمد. (تفسير نور الثقلين).

(٣) ابن الأثير، النهاية.

□ الله صمد. أي ليس بحاجة إلى أحد والكل محتاج إليه؛ لذا لا يمكن أن يكون له مثيل. فمثيله يجب أن يكون غير محتاج كذلك وهذا لا يتفق مع كون الله صمداً.

□ نفت الآية السابقة أن يكون لله أولاد. وهذه الآية تنفي أن يكون لله زوج. وقد جاء في آية أخرى: ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾^(١).

التعاليم:

١ - لا أحد ولا شيء شبيه لله تعالى لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

٢ - ليس لله شبيه ليكون شريكاً له في أمور الوجود: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ الْفَلَقِ

السورة: ١١٣ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ① مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ② وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ③
وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ④ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ⑤﴾

إشارات:

□ كلمة «فَلَقَ» مثل «فَجَرَ» بمعنى الشَّق. شَقَّ ظلام الليل أو نور الصباح: ﴿فَالِقُ
الْإِصْبَاحِ﴾^(١)؛ شَقَّ البذرة في التراب: ﴿فَالِقُ الْمَيِّ وَالنَّوَى﴾^(٢).

□ «غَاسِقٍ» بداية الليل التي يصاحبها الظلام. كما ورد في آية أخرى: ﴿أَقْبَدِ
الصَّلَاةَ يَدُلُّوكَ أَشْتَمِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾^(٣). وقد يكون المقصود من كلمة «غاسق»
كل موجود مظلم يجلب الظلام المعنوي وينشره.

□ يستغلّ الأشرار ظلام الليل للتآمر والهجوم؛ لذا نستعين بالله من الشرور التي
تحدث في الليل.

□ «النفث» هو النفخ، و«العُقْد» جمع «عُقْدَة».

□ ظهور الشرّ من كثير من الأشياء محتمل؛ حتى الصفات الكمالية كالعلم،
والإحسان، والشجاعة، والعبادة فهذه، على الرغم من حسناتها فإن لها آفات.
فآفة العلم الغرور؛ وآفة الإحسان المنّ؛ وآفة العبادة العُجب؛ وآفة الشجاعة
الظلم والتهور.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٥.

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٦.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

□ ثمة ثلاث ثغرات تلحق الأذى بالإنسان وهي: استعداد العدو للهجوم، تحيّن الفرص المناسبة للهجوم من مثل ظلام الليل، وجود نقاط ضعف لا يلتفت إليها المرء. أجل فإنّ العدو يبحث عن الظلام ونقاط الضعف.

□ «النقائات في العُقد» أي النافخون في المحكمات لإضعافها. ومن مصاديقها: الدعايات السيئة، نقل الأحاديث والنميمة، إثارة الأجواء السلبية، التجسس ونشر الشائعات. كالذين يزرعون الشك والوسواس بين المرء وزوجه ليثيروا الفتنة بينهما: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ آلَمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾^(١).

□ على الرغم من أنّ كل ما خلقه الله هو خير: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾^(٢)، فإنّ كل شيء لا يتخذ مسيره الصحيح يتحوّل إلى شرّ. مثل الحديد الذي هو خير، ولكن إن صار سكيناً فيمكن إساءة استخدامه: ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾^(٣).
□ ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ أي الشر من قبل المخلوقات، لا من الخالق وليس ناشئاً من الخلقة.

□ لا تحصل الاستعاذة بالله من المخاطر بقول «أعوذ» فحسب، فإنّ العمل لازم كذلك إلى جانب القول. مثلما قال أهل البيت بعدما أطعموا المسكين واليتيم والأسير: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا﴾^(٤)؛ فقال الله في كتابه: ﴿فَوَقَّهُمْ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾^(٥). إذاً فإنّ قول ﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ وحده لا يُنجي بل يجب أن يصاحبه العمل كذلك.

□ جاء رجلٌ قبيح الوجه إلى النبي يشتكي قبح وجهه، فنزل جبرائيل وقرأ سلام الله على ذلك الرجل القبيح وقال إنّ الله يقول: «أما ترضى إن حُشرت يوم القيامة على جمال جبرائيل»، ففرح الرجل وقرّر أن يقوم بكل العبادات والمستحبات^(٥).

□ لا وجود للشرّ المطلق، ومثل هذا الشرّ لم يخلقه الله. ولكن سيوجد العديد من

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٢.

(٤) سورة الإنسان: الآية ١١.

(٢) سورة السجدة: الآية ٧.

(٥) بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٤٠.

(٣) سورة الإنسان: الآية ١٠.

الأمور التي تُرى من جهة على أنها خير ومن جهة أخرى، شر. مثلما يقول مولوي:

سَمِّ الْأَفْعَى، حَيَاةَ لَهَا وَلَكِنَّهُ لِلْإِنْسَانِ مَوْتَ زَوَامِ.

□ لا يوجد شر مطلق في العالم فالشر أمر نسبي، علينا أن نعلم هذا.

□ لا تعتبر بعض الضغوط والمصاعب شراً، بل هي سر التكامل. يقول مولوي:

رَمَوْا حَبَّةَ قَمْحٍ عَلَى الْأَرْضِ فَنَبَتَتْ فِي الْأَرْضِ السَّنَابِلِ.

أَخَذُوهَا مَرَّةً أُخْرَى وَطَحْنُوهَا فَتَضَاعَفَتْ قِيمَتُهَا وَأَصْبَحَتْ خَبْزاً ثَمِيناً.

طَحْنُ الْخَبْزِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ تَحْتَ الْأَسْنَانِ فَصَارَ عَقْلاً وَرُوحاً وَفَهْماً مُفِيداً.

وَبَعْدَ أَنْ ذَابَتْ تِلْكَ الرُّوحُ بِالْعَشْقِ صَارَتْ «يُعْجَبُ الزَّرَاعُ».

□ أوصى القرآن الكريم بمعاملة الأزواج معاملة حسنة حتى لو كره أحدهما

الآخر: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَّ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَبَرًا كَثِيرًا﴾. فأحياناً قد لا تكون المرأة جميلة؛ ولكنها قد تكون أمّاً لعظماء تربيهم وتسهر عليهم.

□ تُبرز العديد من الصعوبات، استعداداتنا. وتُنمّي لدينا حالة الصبر والمقاومة

وتجعل قلب الإنسان خاشعاً وخاضعاً: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ مُّشْرِكِينَ﴾^(١).

□ الليل هو وقت العبادة والتعبد بالنسبة إلى رجال الله: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ

الَّيْلِ﴾^(٢)، ولكن بالنسبة إلى الفاسدين هو وقت للتأمر والتهديد والهجوم: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾.

□ الكلام أو الحركة التي تزلزل روابط الصداقة المحكمة، هي النقائات ويجب أن

نستعيز بالله منها.

□ استعادة الإنسان بالله تستلزم إعادة الله له؛ وإلا فسوف يكون الأمر بالاستعادة لغواً.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٣.

(١) سورة الأعراف: الآية ٩٤.

□ من بين كل الشرور، ورد في هذه السورة ذكر ثلاثة منها:

- الشر المخفي في الظلام: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾.
- شر اللسان الفاسدة: ﴿وَمِنْ شَرِّ أَلْفَنَنْتٍ فِي الْمَقَدِّ﴾.
- شر الحسد والمنافسات السلبية: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

□ قد تستطيع المرأة بجمالها ولطافة حديثها أن تسبي عقل الرجل وتضعف قدرته على اتخاذ القرار الصحيح.

□ من مصاديق النفايات، السحر والشعوذة؛ لذا فإن تعليمها والعمل بها حرام.

□ على الرغم من أن ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ شاملة لكل الشرور، إلا أنه قد تم ذكر ثلاثة شرور بشكل منفصل لأهميتها. ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ... أَلْفَنَنْتٍ فِي الْمَقَدِّ... حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.

□ الاستعانة ضرورية في كل حال، سواء في حال الخطر: ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾؛ أو في موضع طلب الكمال: ﴿إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَوِذْ بِأَلَلَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(١).

□ نستعيد في سورة الفلق بصفة إلهية واحدة من ثلاثة شرور خارجية. (من شر غاسق وحاسد ونافث، بصفة «رب الفلق»). ولكن الوضع معكوس في سورة الناس فإننا نستعيد من الخطر الداخلي بثلاث صفات إلهية: (نستعيد من وسوسة القلب بصفات: ﴿يَرْبِّي النَّاسِ﴾، ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، ﴿إِلَهُ النَّاسِ﴾).

بحث في الحسد:

السعي إلى الحصول على الكمالات التي لا يملكها الآخرون، هو أمر جيد وقيم؛ ولكن السعي إلى تحطيم كمالات الآخرين هو حسد. يدل الحسد على الضعف وضيق الأفق. وقد وقعت أول جريمة قتل على الأرض بسبب الحسد بين أولاد آدم، وأول ذنب ارتكب في السماء كان بسبب حسد إبليس لآدم. جاء في الحديث: «يأكل الحسد الإيمان كما تأكل النار الحطب»^(٢).

(١) سورة النحل: الآية ٩٨.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٠٦.

وما حدث مع أهل البيت عندما أزيلوا عن مناصبهم كان ناشئاً عن الحسد. ويقول القرآن في الآية ٥٤ من سورة النساء: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

من بين كل الشرور فإن الحسد هو رأس الشرور كلها؛ لأن الحاسدين يرسمون الخطط ويحتالون ويرتكبون أنواع الشرور المختلفة ليصلوا إلى أهدافهم.

وروي عن الإمام علي عليه السلام: «الحسد داء عياء لا يزال إلا بهلك الحاسد أو بموت المحسود»^(١). والحاسد في الحقيقة يعترض على الله تعالى ويواجه إرادته وحكمته تعالى، بسؤال: لماذا أعطيته ولم تعطني؟

لا يتمنى الحاسد الخير أبداً ولا يقدم النصيح، وبسبب طبعه الخبيث؛ فإنه يحرص على ألا يصل الخير منه إلى أحد.

□ يعدّ القرآن الحسد منشأ لكثير من الذنوب. وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ الْكُفْرَ أَصْلُهُ الْحَسَدُ»^(٢). كما كان الكفار يقولون في مقابل الأنبياء: ﴿أَبَشِّرْ بِهَدُونَنَا﴾^(٣).

الحاسد ليس من أهل التواضع ولا الشكر، ولا يعترف لغيره من الناس بما لهم من كمالات، ويدفعه هذا الإنكار إلى كتمان الحق. والحاسد كثيراً ما يكون منافقاً. ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «الحاسد يُظهر وُدّه في أقواله ويخفي بُغضه في أفعاله»^(٤).

ما هو منشأ الحسد؟

أحياناً، قد يؤدي التمييز بين الناس إلى تحاسدهم.

ولا يدرك بعض الناس تفاصيل الأمور والظروف المحيطة ببعض الأشخاص أو الأحداث، فعندما يرون تميّز شخص آخر عنهم في شيء تستعر نار الحسد في

(٣) سورة التغابن: الآية ٦.

(٤) غرر الحكم.

(١) نهج البلاغة، الحكمة رقم ٤٩٣.

(٢) الكافي، ج ٨، ص ٧.

قلوبهم لما يرون من امتياز لا يدركون سببه، وربما لو عرفوا السبب لخدمت تلك النار في نفوسهم.

وقد ظهر الحسد في بيوت الأنبياء كذلك. كما حدث في بيت النبي يعقوب؛ إذ دفع الحسد الإخوة إلى إلقاء أخيه في غيابة البئر.

ولا يقتصر الحسد على الأمور المادية، بل قد يُحسد المرء أحياناً على إيمانه ويتمنى الحاسدون لو يعود إلى الكفر: ﴿يُرْذَوْنَكَ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا﴾^(١).

وجليّ أن الحسد هو تمنى زوال النعمة عن الآخرين، وإلا فإن طلب النعمة من الله ليس حسداً. مثلما طلب النبي سليمان عليه السلام من الله تعالى ملكاً لا نظير له: ﴿مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ﴾^(٢). ويطلب الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل من الله الحظ الأوفى والمنزلة الأقرب: «واجعلني من أحسن عبيدك نصيباً عندك وأقربهم منزلة منك...»^(٣).

□ لعلاج الحسد، يجب أن نفكر بهذه الطريقة:

الدنيا قصيرة وصغيرة ولا تستحق الاهتمام والاعتماد لأجلها.

نحن أيضاً نملك نعماً لا يملكها الآخرون.

قُسمت النعم على أساس الحكمة، وإن لم نعلم حكمتها.

من كانت نعمه أكثر، كانت مسؤوليته أكبر.

فلنعلم أن حسدنا لا نتيجة له، ولن يقطع الله فضله عن الآخرين؛ لأننا لا نكره رؤيته، ولن نُتعب بذلك إلا أنفسنا.

التعاليم:

١ - يجب أن نجري الاستعاذة بالله على الستة: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ١٠٩.

(٢) سورة ص: الآية ٣٥.

(٣) البلد الأمين والدرع الحصين، ص ١٩١.

- ٢ - يجب على الأنبياء كذلك الاستعاذة بالله، لكثرة المخاطر وأهميتها: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾.
- ٣ - لا يمكن إصلاح أنفسكم ومجتمعكم من دون الاستعانة بالله والاستجارة به: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.
- ٤ - تعمل الشرور كالقفل على قلب الإنسان وعقله؛ لذا يجب الاستعاذة بقوة لها القدرة على فتح تلك الأقفال والموانع وكسرها: ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾.
- ٥ - أعطوا لدعائكم طيفاً واسعاً: ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ (تشمل كل المخلوقات).
- ٦ - من بين كل الشرور، ثمة أهمية خاصة لشر الحسد، التفرقة، الإخلال بالعهد والمؤامرات الخفية: ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ... شَرِّ النَّفَّاثَاتِ... شَرِّ حَاسِدٍ﴾.
- ٧ - يستمر العدو في النفخ حتى تُؤتي جهوده ثمارها: ﴿النَّفَّاثَاتِ﴾ جمع «نفّاث»، صيغة مبالغة).
- ٨ - تضعف العقائد إثر الوسوسات، فالكلام له أثره على النفوس: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾.
- ٩ - ليس للحسد علاج غير الاستعاذة بالله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ... إِذَا حَسَدَ﴾.
- ١٠ - تصير العوامل الموجودة خطيرة إذا ما صارت فعالة: ﴿حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾.
- ١١ - يوجد الحسد عند الناس بنسب متفاوتة؛ الإقدام العملي على أساس الحسد هو الذنب: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

سُورَةُ النَّاسِ

السورة: ١١٤ الجزء: ٣٠

عدد الآيات: ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

إشارات:

□ وردت كلمة «قل» في القرآن أكثر من ٣٠٠ مرة وأغلبها كان أمراً من الله إلى النبي وكان رداً على المخالفين أو الموافقين.

□ تأتي كلمة «وسواس» بمعنى الموجود الذي يوسوس، وكذلك بمعنى الوسواس وخطرات الذهن والأفكار السيئة؛ ولكنها جاءت هنا بمعنى الموسوس.

□ لا يكفي قول كلمة «أعوذ» للنجاة من الخطر، بل يجب الابتعاد عملياً عن أسباب الخطر. وإلا فإنّ بناء بيت في طريق السيل وكتابة «أعوذ بالله من السيل» على باب البيت، هو عمل ساخر هزلي. من يقول «أعوذ بالله» يجب كذلك أن يتبعد عملياً عن منابع الفساد.

□ أول ما يلزمه الإنسان هو رشده وتكامله وتربيته: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾. ومن ثم السياسة والتدبير والحكومة: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. وعندما يصل إلى الرشد ويكتمل وعيه يعي معنى العبادة والعبودية: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾.

□ الاستعاذة تكون بمن هو مطلع على الأسرار والوساوس الداخلية: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^(١).

□ ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَجْتُمِ عَلَى قَلْبِ بَنِي آدَمَ لَهُ خُرُطُومٌ كَخُرُطُومِ الْكَلْبِ، إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللَّهَ ﷻ خَنَسَ أَي رَجَعَ عَلَى عَقْبِيهِ، وَإِذَا غَفَلَ عَنِ اللَّهِ وَسُوسَ»^(١).

□ الأشخاص الذين يوسوسون للآخرين ويشيرون في نفوسهم الشك والتردد يقومون بعمل شيطاني. وكثيراً ما فعلها معارضو الأنبياء. ومن ذلك ما قاله أعداء النبي صالح ﷺ، حين قالوا: «أَتَمَلُّوكَ أَنْتَ مَكِيلًا مُرْسَلًا»^(٢).

□ افتتح القرآن باسم الله واختتم بالاستعاذة به سبحانه.

□ «الْخَنَّاسِ» من الخنوس بمعنى الاختفاء والتراجع. الشيطان بنفسه مخفي وعمله كذلك. لو كانت وسوسته علنية لما استطاع أن يتسلط على الناس؛ ولكنه يتظاهر بالمظهر الحسن ويجميل الأشياء ويبررها. فقد روي عن الإمام علي ﷺ قوله: «وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لِبَسِ الْبَاطِلِ لَانْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمَعَادِينِ؛ وَلَكِنْ يُوْخِذُ مِنْ هَذَا ضَغْثٌ وَمِنْ هَذَا ضَغْثٌ، فَيَمْزِجَانِ. فَهَنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنَى»^(٣).

□ لأن الشيطان خناس، يظل يأتي ويذهب حتى ينجح في مسعاه، وسلاح المواجهة معه هو ذكر الله كثيراً.

□ انتقد القرآن الإنسان مرات عدة بأنه إذا ما أصيب بالبلاء دعا واستغاث، وإذا ما رُفِعَ عنه البلاء صار كأنه لا يعرف الله^(٤).

□ ذُكر اسم الله في هذه السورة ثلاث مرات؛ لأن الوسوسة محلها روح الإنسان وقلبه، وتؤدي إلى التلاعب بإيمانه وعقله وأفكاره: «يَرْبِّي النَّاسَ، مَلِكِ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ». أما في سورة الفلق حيث إن الوسواس من خارج القلب، فقد ذُكر اسم الله مرة واحدة: «يَرْبِّي أَلْفَلَقِ». أجل، فإن خطر الانحراف الفكري وتأثيره على الروح أكبر من الأخطار الخارجية. وأعداء

(٣) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٥٠.

(٤) سورة يونس، الآية ١١.

(١) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٤٩.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٧٥.

الثقافة والفكر هم أكثر خفاءً وأشد خطورة من الأعداء العسكريين والاقتصاديين.

□ ورد في الروايات أنّ الشيطان حزن من قبول الله توبة الإنسان. فجمع أعوانه واستعان بهم. فقال كل منهم شيئاً. ولكنّ أحدهم قال: أنا سأوسوس للإنسان وأنسيه التوبة. فاستحسن إبليس اقتراح نسيان التوبة^(١).

□ الله هو: «رب الناس»؛ لذلك يجب ألا نقبل بطرق التربية التي يتبعها الآخرون. وهو: «مَلِكُ النَّاسِ» فلا ينبغي إذاً أن نجعل أنفسنا عبيداً للآخرين. ولأنّه «إِلَهُ النَّاسِ» فلا يحسن أن نأمل شيئاً من غيره. وهذا الاعتقاد هو أفضل وسيلة للاستعاذة من الوسوسات.

□ وسوسة الشيطان للنبيّ آدم ولسائر الأنبياء هي في حد الوسوسة والإلقاء: «فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ»^(٢)، «أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ»^(٣)؛ ولكن وسوسته لعموم الناس، هي نفوذ ودخول للوسوسة في قلوبهم وروحهم «يُؤَسَّوِسُ فِي سُدُورِ النَّاسِ»؛ ولكن ليس إلى حدّ التسلّط عليهم بحيث لا يكون للإنسان طريق للخلاص، لأنّ القرآن يقول في آية أخرى: «إِنَّكَ أَنتَ أَتَقَوَّا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ»^(٤).

□ يشير تكرار كلمة الناس في «يَرْبِي النَّاسِ... مَلِكُ النَّاسِ... إِلَهُ النَّاسِ» إلى أنّ ربوبية الله وحاكميته وألوهيته عامّة ولا تختص بشخص أو جماعة أو بعرق خاص من البشر.

□ في البدء جاءت «يَرْبِي النَّاسِ»، ثم «مَلِكُ النَّاسِ»، ومن بعدها «إِلَهُ النَّاسِ»، وقد يكون سبب هذا أنّ الأمر المحسوس بوضوح والأقرب إلى الفطرة هو الالتجاء إلى المربي: «يَرْبِي النَّاسِ». مثل الأطفال الذين ينطقون أوّل ما يتكلمون بكلمة الأم، ومن بعدها صاحب السلطة: «مَلِكُ النَّاسِ»، وفي المرحلة التالية منبع الرحمة والحياة: «إِلَهُ النَّاسِ».

(١) تفسير نور الثقلين.

(٢) سورة الحج، الآية ٥٢.

(٢) سورة طه، الآية ١٢٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية ٢٠١.

□ إن الله عالم بحاجات الإنسان وبالأخطار التي تتهدده. ولكن أسلوب التربية الإلهية يقتضي أن يقرّ الإنسان بحاجته واستعانته ولجونه بلسانه وأن يلقن نفسه أنه فقير ومحتاج لتزهر فيه روح التواضع والتعبد والتسليم: ﴿قُلْ أَعُوذُ...﴾.

□ ورد عن النبي ﷺ أَنَّ الوسوسة والخواطر لا يؤاخذ عليها الإنسان ما لم يفعل أو يتكلم^(١).

التعاليم:

- ١ - النبي أمين على الوحي، ولا يقول أي شيء من عند نفسه: ﴿قُلْ﴾.
- ٢ - الأخطار شديدة لدرجة أنّ الله تعالى يطلب من نبيه أن يستعبد به منها: ﴿قُلْ أَعُوذُ﴾.
- ٣ - لا يمكن محاربة الشرور من دون الاستعانة بالله: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.
- ٤ - لا ينبغي أن يئأس المذنبون؛ لأنّ الله هو ربّ كل الناس وليس ربّ المؤمنين فقط: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾.
- ٥ - عندما يدعى النبي إلى الاستعاذة بالله، فإنّ تكليفنا واضح: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾.
- ٦ - يجب أن يعتبر الإنسان نفسه خاضعاً للتربية الإلهية: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ﴾، وعليه أن يقبل سلطانه وحكومته: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾، وأن يتخذ معبوداً له: ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾.
- ٧ - يلجأ الإنسان عديم الإيمان إلى سلطته وقوميّته وثروته، ولكن رجال الله يلجأون إلى الرب والملك والمعبود: ﴿بِرَبِّ النَّاسِ... مَلِكِ النَّاسِ... إِلَهِ النَّاسِ﴾.
- ٨ - أشد الأخطار، الأخطار الخفية وهي الأخطار الداخلية: ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَفَائِسِ﴾.

«والحمد لله رب العالمين»

الخاتمة

«اللهم صلّ على محمد وآل محمد وعجل فرجهم».

ورد في الرواية عن الإمام عليّ عليه السلام أنّه كان يدعو الله عند ختم القرآن

بقوله:

«اللهم اشرح بالقرآن صدري، واستعمل بالقرآن بدني، ونور بالقرآن بصري،

وأطلق بالقرآن لساني، وأعني عليه ما أبقيتني، فإنّه لا حول ولا قوة إلا بك»^(١).



الفهرس

سورة الجمعة	٣١ - ٥
سورة المنافقون	٥٠ - ٣٣
سورة التغابن	٧٦ - ٥١
سورة الطلاق	١٠١ - ٧٧
سورة التحريم	١٢٦ - ١٠٣
سورة الملك	١٤٨ - ١٢٧
سورة القلم	١٧١ - ١٤٩
سورة الحاقة	١٨٧ - ١٧٣
سورة المعارج	٢٠٥ - ١٨٩
سورة نوح	٢١٩ - ٢٠٧
سورة الجن	٢٤١ - ٢٢١
سورة المزمل	٢٥٦ - ٢٤٣
سورة المدثر	٢٧٦ - ٢٥٧
سورة القيامة	٢٩٢ - ٢٧٧
سورة الإنسان	٣٠٩ - ٢٩٣

سورة المرسلات	٣١١ - ٣٢٧
سورة النبأ	٣٢٩ - ٣٣٩
سورة النازعات	٣٤١ - ٣٥١
سورة عبس	٣٥٣ - ٣٦٣
سورة التكويد	٣٦٥ - ٣٧٣
سورة الانفطار	٣٧٥ - ٣٨١
سورة المطففين	٣٨٣ - ٣٩٣
سورة الانشقاق	٣٩٥ - ٤٠٢
سورة البروج	٤٠٣ - ٤١١
سورة الطارق	٤١٣ - ٤١٨
سورة الأعلى	٤١٩ - ٤٢٩
سورة الغاشية	٤٣١ - ٤٣٩
سورة الفجر	٤٤١ - ٤٥٣
سورة البلد	٤٥٣ - ٤٦٣
سورة الشمس	٤٦٥ - ٤٧٣
سورة الليل	٤٧٥ - ٤٨٣
سورة الضحى	٤٨٥ - ٤٩١
سورة الشرح	٤٩٣ - ٤٩٧
سورة التين	٤٩٩ - ٥٠٢
سورة العلق	٥٠٣ - ٥١١

٥٢٣ - ٥١٣	سورة القدر
٥٣١ - ٥٢٥	سورة البيّنة
٥٣٦ - ٥٣٣	سورة الزلزلة
٥٤١ - ٥٣٧	سورة العاديات
٥٤٦ - ٥٤٣	سورة القارعة
٥٥٢ - ٥٤٧	سورة التكاثر
٥٥٨ - ٥٥٣	سورة العصر
٥٦٢ - ٥٥٩	سورة الهمزة
٥٦٥ - ٥٦٣	سورة الفيل
٥٦٩ - ٥٦٧	سورة قريش
٥٧٦ - ٥٧١	سورة الماعون
٥٨٨ - ٥٧٧	سورة الكوثر
٥٩٢ - ٥٨٩	سورة الكافرون
٥٩٧ - ٥٩٣	سورة النصر
٦٠٣ - ٥٩٩	سورة المسد
٦١٢ - ٦٠٥	سورة الإخلاص
٦٢٠ - ٦١٣	سورة الفلق
٦٢٥ - ٦٢١	سورة الناس
٦٢٧	الخاتمة